

الزَعيمُ الجاسُوسْ
الجاسوس الإسرائيلي الامريكي
جمال عبد الناصر
وسيم رفعت عبد المجيد

الزعيم الجاسوس

حقيقة الجاسوس الإسرائيلي الأمريكي جمال عبدالناصر

تأليف

وسيم رفعت عبدالمجيد العاني

الطبعة الاولى/بغداد٢٠١٧

الزعيم الجاسوس

حقيقة الجاسوس الإسرائيلي الأمريكي

جمال عبد الناصر

المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الفصل الرابع ٢٢٧-٣٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يجب ان يكون تصحيح التاريخ اولى خياراتنا وانا هنا لا اتحدث عن تاريخ قبل الالاف السنين يحتاج وثائق وروايات وبالنهاية تدخل في نقاش وجدل عقيم لا ينتهي غالبا بنتيجة بل على تاريخنا المعاصر الذي نعاني منه لليوم وهنا نتحدث عن جواسيس وخونة يتم تدريسهم بكتب التاريخ الرسمية لأبنائنا انهم ابطال قوميين وزعماء؟

اجل انها الصدمة التي بسببها قررت تأليف هذا الكتاب في كشف الجاسوس الاسرائيلي الامريكي جمال عبد الناصر وهنا لا اخفي عليكم انني قبل ان اتمعن بقراءة التاريخ كنت مثل الكثيرين مخدوعا بهذا الجاسوس ومعجبا به لأنه كانت مصادر معلوماتي الوحيدة آنذاك الاعلام وكتب التاريخ الرسمية المزيفة.

انا شخصيا اتفهم ان اتعرض للشتائم ومختلف الاتهامات عند الكلام عن جمال عبد الناصر فهو صنم في عقول ملايين البشر صنم صنعه الاعلام والسينما والتلفزيون وكتب التاريخ الكاذبة وعدم بحث الناس عن الحقيقة والاكتفاء بسماع خطب جمال عبد الناصر الرنانة للأمانة هو كان يجيد لغة الخطابة جيدا لدرجة انه بشعاراته واعلامه الكاذب خدع الملايين في مصر والعالم العربي واصبحوا يتبعوه كقطيع الاغنام الى ان حقق ما يريد من اهداف كان مكلف بها حيث تم دس السم له وانتهى امره بعد ان دمر مصر ودول العالم العربي والاسلامي وسلم اكبر مساحة ممكنة من الارض لإسرائيل واشهر ما نتهم به عند كشف حقيقة هذا الخائن هو العضوية او انني من اتباع الاخوان المسلمين وهذه تهمة جاهزة عند الناصريين ورغم ان الاخوان المسلمين عانوا كثيرا من عبد الناصر الذي كان احد افراد تنظيمهم في يوم من الايام الا انه لا يعني ان كل من يكشف حقيقة الجاسوس جمال عبد الناصر اخواني وانا شخصيا لم اكن أخواني او مؤيدا لهم في يوم من الايام رغم انني لا اتخذ موقف اقصائي او عدائي ضدهم بل انتقد اخطائهم واؤيد الامور الحسنة التي يفعلوها رغم ان مسيرتهم السياسية مليئة بالأخطاء والفشل .

سأعتمد في كتابي هذا الادلة العقلية اكثر من الوثائقية وكشف ما سببه هذا الجاسوس وهو ما عجز عنه اي جاسوس اخر لذلك فهو يعد بجدارة اشهر الجواسيس

وانجحهم على الاطلاق والكارثة الكبرى انه ماتزال ملايين الناس في العالم العربي تجهل حقيقة هذا الشخص لا اخفي عليكم صدمتي عندما قرات للمرة الاولى منهج التاريخ للوطن العربي المعاصر عندما كنت طالبا في كلية الآداب قسم التاريخ وفي الحقيقة كانت الصدمة كبيرة وانا اقرا كتاب يمجد بالكامل انقلاب ناصر ورفاقه ويصفه (ثورة) هذا بالإضافة لتمجيد ناصر والانقلابات التي دعمها بالدول العربية ووصفها بالثورات انا لم اكن اطمح ان يعطوننا منهج يكشف ان عبد الناصر جاسوس بل على الاقل ان يكون المنهج من ناحية حيادية لكن للأسف لم اشاهد هذا وربما هذا ما دفعني لتأليف هذا الكتاب ومحاولة كشف جزء من حقيقة هذا الجاسوس وعصابته التي عاثت بالأرض فسادا ودمار .

وهنا لا اجد افضل مما قاله الكاتب المصري الرائع مصطفى محمود الذي لخص العهد الناصري و عبد الناصر اضاع مصر وشعبها.

حيث يقول الدكتور مصطفى محمود في كتابة (الإسلام السياسي والمعركة القادمة)

سيشهد التاريخ أن عبدالناصر تسلم مصر وهي اسمها مملكة مصر والسودان ويقع قطاع غزة تحت إدارتها ... وسلمها لمن بعده من غير السودان ومن غير غزة ومن غير ثلث مصر (سيناء) !!!!

كان يحارب في الكونغو واليمن ويرفع رايات القومية والاشتراكية في كل مكان من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي، وكان يهتف مخاطبا كل مواطن مصري : ارفع رأسك يا أخي .

ولكن المواطن المسكين والمخدوع لم يكن ليستطيع أن يرفع رأسه من طفح المجاري ومن كرباج المخابرات ومن خوف المعتقلات ومن سيف الرقابة ومن عيون المباحث ، وساد مناخ لا يزدهر فيه إلا كل منافق ، وأصبح الشعار هو الطاعة والولاء قبل العلم والكفاءة ، وتدهورت القيم ، وهبط الانتاج وارتفع صوت الغوغاء على كل شيء .

وعاش عبد الناصر عشرين عاما في ضجة اعلامية فارغة ومشاريع دعائية واشتراكية خائبة ، ثم أفاق على هزيمة تقسم الظهر وعلى انهيار اقتصادي وعلى مائة ألف قتيل تحت رمال سيناء وعتاد عسكري تحول إلي خردة ، وضاع البلد وضاع المواطن.

ربما لخص مصطفى محمود العهد الناصري لكن مصائب وكوارث الجاسوس جمال عبد الناصر للأسف اكبر بكثير وندفع ثمنها لليوم وسندفعه لأجيال قادمة فجمال عبد الناصر رغم موته الا انه لايزال يقتل الناس بما فعل في مصر وباقي الشرق الاوسط لأسياده ولإتمام مهمته وهذا ما سأحاول ان اتناوله في كتابي هذا وسأعطي الادلة العقلية بالإضافة الى الادلة بالوثائق التي تكشف حقيقة الجاسوس جمال عبد الناصر في فصول الكتاب.

حيث سأتناول في الفصل الاول من الكتاب عن الجاسوس الاسرائيلي الامريكي جمال عبد الناصر ورفاقه قبل الانقلاب الاسود عام ١٩٥٢ والحكم الملكي في مصر بإيجابياته وسلبياته وعلاقة جمال عبد الناصر باليهود ونشاته في الحي اليهودي بالإضافة مناقشة تداعيات حرب ١٩٤٨ واحتلال فلسطين ونشوء اسرائيل وكيفية تجنيد جمال عبد الناصر ورفاقه وخروجهم من منطقة الفالوجة وكذلك سننشر نبذه عن قادة الانقلاب ورفاق جمال عبد الناصر ونبذه عن تنظيم الضباط الاحرار او الاشرار كما اثبتت الايام بالإضافة الى الاحداث التي سبقت الانقلاب ومهدت له ووضع مصر عامة تحت الحكم الملكي.

اما في الفصل الثاني فسأتطرق الى انقلاب ١٩٥٢ نفسه واستيلاء الجاسوس جمال عبد الناصر على السلطة في مصر عام ١٩٥٤ وسأبدأ من خطة الانقلاب الى ترحيل الملك فاروق رحمه الله الى الغاء النظام الملكي وثم انقلاب جمال عبد الناصر على محمد نجيب والتفجيرات والاحداث التي افتعلها عبد الناصر لذلك الغرض وبدء حكم الجاسوس جمال عبد الناصر الفعلي والمطلق واستيلائه على كامل السلطات بالإضافة الى علاقة الجاسوس جمال عبد الناصر بتنظيم الاخوان المسلمين حيث كان في يوم من الايام عضوا في التنظيم ثم انقلب عليهم.

اما في الفصل الثالث فسأتطرق الى تدمير الجاسوس الاسرائيلي الامريكي جمال عبد الناصر مصر من الداخل بدأ من كارثة فصل مصر عن السودان وكذبة جلاء الانكليز عن مصر مرورا بالقوانين القمعية بالعهد الناصر و تدمير الزراعة عبر ما سمي كذبا بالإصلاح الزراعي وهو بالحقيقة تدمير للأرض الزراعية والى كشف احدى اهم اكاذيب عبد الناصر وهي تأميم قناة السويس وسابين حقيقة هذه الكذبة ونتائجها الكارثية على مصر وبالتأكيد كارثة السد العالي واضراره وخطره الهائل لابد ان يكون من اهم مواضيع

هذا الفصل مرورا بإفساد الحياة السياسية واكاذيب الاعلام الناصري بقيادة محمد حسنين هيكل الجاسوس الامريكي الى تدمير الاقتصاد المصري بما سمي القوانين الاشتراكية وبالإضافة الى افساد المؤسسة الدينية وعلى راسها الازهر الشريف والى سجون عبد الناصر الرهيبة واعدام خصومه ومن اكثر كوارث العهد الناصري التي سأتطرق اليها في الثالث هي تدمير القضاء المصري وما سمي بمذبحة القضاء وانتهاء بإفساد اخلاق وقيم المجتمع المصري على يد عصابة الجواسيس بقيادة جمال عبد الناصر .

اما في الفصل الرابع فسأكتب عن ما فعله الجاسوس جمال عبد الناصر من تدمير للدول العربية والاسلامية تنفيذا لأوامر من جنده من المخابرات الاسرائيلية والامريكية وهي احدى المهمات الرئيسية التي كان مكلف بها الجاسوس الاسرائيلي جمال عبد الناصر.

حيث سنناقش في هذا الفصل مهمة الجاسوس جمال عبد الناصر في تدمير البلدان العربية المحيطة بإسرائيل والبلدان الإسلامية التي لم تعترف بإسرائيل ولكن المهمة الابرز التي نفذها عبد الناصر هي في البلاد العربية عن طريق زرع الفتن والشقاق وحالة الاضطراب في هذه الدول من الداخل لغاية حماية امن اسرائيل وادخال هذه الدول في حالات اضطراب ونزاع داخلي وفي هذا الغرض نجح الجاسوس الاسرائيلي الامريكي جمال عبد الناصر في مهمته الى حد بعيد حيث سنناقش كيف استطاع ذلك في العراق حيث قتل ثلاث حكام للعراق في ٨ سنوات ونفذ عدد كبير من الانقلابات الناجحة والفاشلة وفي مدة قصيرة واما عن مافعله الجاسوس جمال عبد الناصر في سوريا فهو يرقى الى الكارثة وهو على ثلاث مراحل مرحلة ماقبل الوحدة ومرحلة الوحدة (١٩٥٨_١٩٦١) حيث عانى السوريين شتى صنوف القمع والظلم تحت حكم عبد الناصر المباشر والمرحلة الثالثة ما بعد زوال الوحدة وهي لا تقل كارثة عن سنوات الوحدة.

اما في لبنان فقد زرع جمال عبد الناصر في هذا البلد بذرة الصراع الطائفي ليتحول الامر الى حرب اهلية لاحقا في السبعينات وماتزال تعاني منه لبنان الى الان اما اليمن هذا البلد المسالم الذي لم يعرف السلام منذ ان زرع فيه الجاسوس جمال عبد الناصر الموت والخراب عبر انقلاب ١٩٦١

الذي تحول الى حرب دخل فيها الجيش المصري نفسه خدمة لإسرائيل واما ليبيا فقد دمره عبد الناصر عبر انقلاب ١٩٦٩ الذي حول هذا البلد الى دكتاتورية عسكرية مجنونة دفع الليبيون ثمنها غاليا واثارها لليوم حرب ودمار ودماء تسفك وضياع للبلاد والعباد .

اما الجزائر والمغرب فسنناقش الدور الخبيث الذي لعبه الجاسوس الاسرائيلي الامريكي جمال عبد الناصر في البلدين كل حدة والكارثة الكبرى التي خلقها وهي الفتنة بين البلدين التي ماتزال تدمر العلاقات بين البلدين وفرقت الاخوة عبر زرع الازمة في الصحراء الغربية ثمنها البلدين دماء عبر الحرب تارة وضياع اموال عبر النزاع تارة اخرى وكل هذا هو تحقيق لأهداف اسياد الجاسوس جمال عبد الناصر وسنناقش دور عبد الناصر الخبيث في باقي الدول العربية والاسلامية وذلك خدمة لمصالح اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية.

اما في الفصل الخامس فسنناقش حروب وهزائم جمال عبد الناصر العسكرية وهي احدى اهم مهمات الجاسوس جمال عبد الناصر وهي تدمير الجيوش العربية وتسليم اكبر مساحة ممكنة من الارض العربية لإسرائيل وهو ما تحقق في حربي ١٩٥٦ وكيف انقذته الولايات المتحدة فيها وكارثة ١٩٦٧ وليست نكسة كما حاول هيكل بوق النظام الناصري تصويرها وبين هاتين الحربين استنزاف الجيش المصري في اليمن .

في هذا الفصل سنناقش بطل الناصريين والمغيبين الزعيم الذي لم يدخل حربا الا وهزم بها ولا معركة الا وخسرها انه بطل في عقول اشخاص خدعهم التاريخ المزيف او الجهل بالتاريخ او النفاق وهذه صفة ملازمة عند اغلب الناصريين والقوميين على مدى تاريخهم فاغلبهم يبيعون ضمائرهم لمن يدفع اكثر .

اما في الفصل السادس فسأتكلم عن نهاية دور الجاسوس الامريكي الاسرائيلي جمال عبد الناصر وكيف تم التخلص منه بعد انتهاء المهمة الموكلة له حيث تسليمه المتبقي من فلسطين ومساحات شاسعة من الارض العربية في مصر وسوريا لإسرائيل وتدمير الجيش المصري في ساعات قليلة حيث سقط الالاف الشهداء في ساعات على اراضي

سيناء في ابادة فضيعة والباقي اخذ يسير بطوابير الاسرى عرايا في مشهد هو الاكثر ايلاما.

الشارع العربي اخذ يدرك ان عبد الناصر ليس ذلك البطل او الزعيم الذي كان يتصور صحيح الوعي لم يدرك حقيقته لكن كانت هناك انخفاض كبير في شعبية التيار الناصري والقومي عموما.

خاصة مع مسرحية التنحي السخيفة وكلها اقل من ٣ سنوات و الدور على جمال عبد الناصر للتخلص منه يأتي خاصة مع انتهاء مهمته وعدم بقاء اي فائدة لهم من وجوده حيث تم تصفيته بالسم وسنناقش هذا بالتفصيل في هذا الفصل .

لنأتي الى وصول نائب الرئيس محمد انور السادات الى السلطة واطاحته برموز النظام الناصري عام ١٩٧١م وسأتطرق في هذا الفصل الى الفكر القومي الناصري الذي يحمله عشرات الالاف المغفلين ممن صدقوا ان جمال عبد الناصر هو زعيم قومي ووطني وكيفية دراسة الحقبة الخطيرة تلك ومازلنا ندفع ثمنها لليوم .

واول خطوات حل مشاكلنا في العصر الحاضر هي كشف الماضي واعادة كتابة التاريخ وكشف العملاء امثال عبد الناصر وغيره ولهذا اتمنى ان اكون قد ساهمت ولو بجزء بسيط في تصحيح التاريخ عبر هذا الكتاب.

الجاسوس جمال عبد الناصر ورفاقه قبل انقلاب ١٩٥٢:

١. نبذة عن الملك فاروق والنظام الملكي في مصر :

جميعنا يمكنه ان يطلع على هذه المعلومات عن الملك فاروق (١١ فبراير ١٩٢٠ - ١٨ مارس ١٩٦٥)، آخر ملوك المملكة المصرية وآخر من حكم مصر من الأسرة العلوية. استمر حكمه مدة ستة عشر سنة إلى أن اطاح به تنظيم الضباط الاحرار في انقلاب ٢٣ يوليو و اجبره على التنازل عن العرش لابنه الطفل أحمد فؤاد والذي كان عمره حينها ستة شهور والذي ما لبث أن عزل في ١٨ يونيو ١٩٥٣ بتحويل مصر من ملكية إلى جمهورية لكن يجب علينا ان نبحث في وطنية الرجل وحقيقة عمالته كما صورها لنا الجواسيس بقيادة جمال عبد الناصر.

بوفاة الملك فؤاد انطوت صفحة هامة في تاريخ مصر الحديث لتبدأ بعدها صفحة جديدة من صفحات تاريخ اسرة محمد علي باشا مؤسس الأسرة العلوية ، عاد الامير فاروق إلى مصر في ٦ مايو سنة ١٩٣٦ وهو التاريخ الذى اتخذ فيما بعد التاريخ الرسمي لجلوسه على العرش ، ونصب ملكا على البلاد خلفا لوالده الملك فؤاد الاول ، وذلك وفقا لنظام وراثة العرش وضعه الملك فؤاد بنفسه بالتفاهم مع الانجليز ،

كانت المادة الثامنة في نظام وراثة العرش تنص على أنه "يبلغ الملك سن الرشد إذا اكتمل له من العمر ثماني عشرة سنة هلالية"

كما نصت المادة التاسعة على أنه: يكون للملك القاصر هيئة وصاية للعرش لتولي سلطة الملك حتى يبلغ سن الرشد.

وقد حددت المادة العاشرة طريقة تشكيل مجلس الوصاية كما يلى :

"تؤلف هيئة وصاية العرش من ثلاثة يختارهم الملك لولي العهد القاصر بوثيقة تحرر من أصلين يودع أحدهما بديوان الملك والآخر برياسة مجلس الوزراء وتحفظ الوثيقة في ظرف مختوم ولا يفتح الظرف ولا تعلن الوثيقة إلا بعد وفاته وأمام البرلمان" ويجب فيمن يعين في هيئة الوصاية أن يكون مصريا مسلما وأن يختار من الطبقات الآتي ذكرها:

أمراء الأسرة المالكة وأصهارهم الأقربون

رؤساء مجلس النواب الحالي والسابقون

الوزراء أو من تولوا مناصب الوزراء

رئيس وأعضاء مجلس الأعيان وكذلك رؤساؤه السابقون وهذا إذا نص الدستور على إنشاء مجلس أعيان على أن هذه الإختيار لا ينفذ إلا إذا وافق عليه البرلمان.

وعلى ذلك فقد تم إسناد مهام الملك إلى مجلس الوصاية الذي اختاره الملك فؤاد قبل وفاته والذي كتب الملك فؤاد أسمائهم في وثيقة من نسختين طبق الأصل أودعت إحداهما في الديوان الملكي وأودعت الأخرى في البرلمان .. وقد تم فتح الوثيقتين والتأكد من مطابقتهما في جلسة برلمانية في ٨ مايو ١٩٣٦ تم فيها تسمية مجلس الأوصياء على العرش وهم :

. الأمير محمد علي توفيق أكبر أمراء الأسرة العلوية سنًا والذي أصبح وليا للعرش كذلك وظل يشغل هذا المنصب حتى ولادة ابن فاروق الأول أحمد فؤاد

. شريف صبري باشا (شقيق الملكة نازلي أي خال الملك فاروق)

. عزيز عزت باشا (وزير الخارجية وقتها وكان أول سفير لمصر لدى المملكة المتحدة)

ومنذ توليه الحكم عين الدكتور حسين باشا حسني سكرتيرا خاصا له وحتى تنازله عن العرش.

واستمرت مدة الوصاية ما يقارب السنة وثلاثة شهور إذ أتم الملك فاروق ١٨ سنة هلالية في ٢١ جمادى الأول ١٣٥٦ هـ الموافق ٢٩ يوليو ١٩٣٧م وعليه فقد تم تتويجه يومها رسميا كملك رسمي للبلاد وتولى العرش منفردا دون مجلس وصاية.

استقبل الشعب المصري كله الملك الشاب استقبالا رائعا نابعا من قلوب المصريين الذين احبوا الملك الشاب وكانت القلوب كلها تعطف عليه لحداثة سنه ولوفاة أبيه وهو بعيد عنه وفى بلاد غريبة واستبشروا بقدومه خيرا بعد عهد ابيه الذى كان ينظر اليه على انه ملك مستبد وموال للإنجليز رغم ان له الكثير من الانجازات.

واحب هنا ان استحضر ما قاله كاتب أمريكي يؤكد وطنية الملك فاروق وعمالة رجال الثورة!

حيث أصدر الكاتب الأمريكي وليم ستاديام عن دار " باركواي بابلشينج" كتاب "غنية جدا" أو " TOO RICH" ويقصد حياة الملك فاروق وأيام رحيله العصيبة عن الحكم ومؤلف الكتاب صاحب أشهر كتب سير المشاهير من أمثال مارلين مونرو ومستر إس وتميزت مؤلفاته بأنها الأكثر مبيعاً في العالم.

الكتاب ينحاز لصف الملك فاروق ويرى مؤلفه أن حياته كانت ثرية بالعديد من التحديات ومن أهمها تعرضه لضغوط كبيرة من قبل الإمبريالية البريطانية، وذلك يعود

برأيه لتطلع الملك لتحقيق حلم مصر في الاستقلال الحي، كما يؤكد تعرضه لضغوط من قبل الهيمنة الأمريكية نتيجة تصديه لمحاولات تدخلها في حكمه.

يذكر المؤلف أن فاروق شهد في الفترة التي سبقت الانقلاب اضطرابات عديدة سواء على المستوى الشخصي أو الإقليمي؛ فقد أجهدته تصرفات والدته الملكة نازلي "الغير متزنة" ، والتي يتهمها المؤلف بإقامة علاقات غرامية مشبوهة.

وصلت لذروتها عندما تزوجت أخت فاروق الصغرى فتحية من رياض غالي الدبلوماسي القبطي بتحريض من أمها، ثم ذهاب السيدتان للعيش معه في بيفرلي هيلز بعد تحولهما إلى الكاثوليكية.

ثم يتابع المؤلف بأن كل ذلك جعل فاروق يشعر بالخزي والفضيحة فطرد السيدتين من حياته وأصدر قراراً بحرمانهما من دخول مصر ومصادرة جميع أراضيهما وممتلكاتهما. كما مر على فاروق فترة عصيبة أخرى عندما كان يرتب لإجراءات طلاق شقيقته الكبرى الأقرب إلى قلبه فوزية من شاه إيران وترتيب رجوعها إلى مصر.

وعلى الصعيد الداخلي، كانت هناك مظاهرات الطلاب المتأثرين بالشيوعية والذين أحرقوا القاهرة في السبت الأسود الموافق ٢٦ يناير من عام ١٩٥٢، كما كان هناك العديد من القادة السياسيين المشتبهين في تورطهم في قضايا فساد، وأخيراً كان هناك الضباط الأحرار، الخلية الصغيرة "الراديكالية" التي تكونت داخل الجيش المصري بقيادة جمال عبد الناصر وأنور السادات، الذين يصفهم المؤلف بأنهم قرروا جعل فاروق كبش فداء لهزيمتهم في حرب ٤٨.

ويرى المؤلف أن الضباط الأحرار كانوا يعملون على غرار المثل العربي: "عدو عدوي صديقي"؛ ففي خلال الحرب العالمية الثانية، قدم الضباط الأحرار ولاءهم للألمان الذين رأوا فيهم خلاصهم من الإنجليز. وسجنت بريطانيا السادات لمدة تقرب من ثلاث سنوات لاكتشافها دوره كوكيل سري للنازية. وبعد الحرب، وهزيمة الألمان، تحول عدو عدو ناصر والسادات من ألمانيا إلى روسيا التي يراها فاروق أنها ألد أعدائه وأنها وراء تمويل جماعة الإخوان المسلمين والملهم الرئيسي لأحداث السبت الأسود. وطرح الضباط الأحرار رجلهم اللواء محمد نجيب ليقف ضد رجل الملك اللواء سري عامر في انتخابات رئيس نادي ضباط القاهرة لعام ١٩٥٢، ووزعوا أثناء الحملة منشورات تقول "الجيش يقول لا لفاروق" بغرض تقليب الجيش والشعب على القصر، وبعد فوز نجيب، وصل الضباط الأحرار إلى قناعة بأن فاروق لابد وسيقوم باغتيالهم جميعاً وبالتالي عليهم أن "يتغدوا به قبل أن يتعشى هو بهم".

ويبدو أن القوى العظمى قد تحالفت هي الأخرى ضد فاروق؛ فقد ساءت علاقة فاروق بالسفير البريطاني السير مايلز لامبسون الذي كان يستشيط غضباً عندما يسخر منه

فاروق ويناديه بالعربية "جاموس باشا"، والذي وصل حنقه أن ناقش مع لندن إمكانية عزل "الصبي" في وقت مبكر من عام ١٩٤٠.

وفي فبراير من عام ١٩٤٢، لم يشأ السفير البريطاني أن يترك أي شيء للصدفة خاصة في ذروة مظاهرات الطلبة المؤيدة للألمان وأراد التأكد من أن رئيس الوزراء الذي سيتم تعيينه من إختياره هو وليس من إختيار فاروق. وعندما ماطل فاروق في تعيين مصطفى النحاس، الرجل الذي اختاره لامبسون والزعيم ذو الشعبية لحزب الوفد، لم يكن منه إلا أن أحاط قصر عابدين بالدبابات البريطانية التي اقتحمت القصر وقدمت لفاروق صك التنازل عن العرش.. هنا فقط عرف فاروق كيف تكون بريطانيا وهي تكشر عن أنيابها.

الكتاب يبرز كيف كانت علاقة فاروق سيئة هي الأخرى بالأمريكان؛ فعندما عاد كيرميت روزفلت إلى القاهرة في وقت مبكر من عام ١٩٥٢ كرجل وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، كان لديه أجندة خاصة تتمثل في إعداد الشرق الأوسط لاستقبال "الديموقراطية الأمريكية" والتأكد من أن أنابيب النفط التي تغذي الاقتصاد الأمريكي لن تجف.

وقد أصاب روزفلت السخط الشديد واليأس من فاروق الذي كان كثيرا ما يتعمد تنفيذ عكس ما يملى عليه من أمريكا. ومن هنا بدأت - بحسب المؤلف - اللقاءات السرية بين روزفلت وعدد من رجال عبد الناصر والسادات، الذين أحبهم وظن أن أمريكا تستطيع السيطرة عليهم، وبحسب مؤلف الكتاب فإن روزفلت عبر عن ارتياحه بأن إسرائيل تأتي في مرتبة منخفضة في قائمة الكراهية لدى ناصر والسادات بعكس فاروق ، قائلا أن روزفلت ووعد الضباط الأحرار بعدم تدخل أمريكا لإنقاذ الملك، مما عد بمثابة خطوة مهمة أضافت قدراً من الشرعية إلى حركتهم!

ثم يشير الكتاب إلى أن فاروق لم يكن مغيباً تماماً عما يخطط ضده ولكنه أساء تقدير حجمه؛ ففي ٢٠ يوليو، تلقى فاروق تحذيراً من حسين سري عن المكائد التي يعدها الضباط الأحرار ضده ومن احتمال وقوع إنقلاب، ولكنه تجاهل التحذير، وفي صباح اليوم التالي قام بتعيين العقيد إسماعيل شيرين (٣٠ عاماً) وزيراً للحربية والذي ليس لديه أي سجل خدمة مميز باستثناء أنه الزوج الثاني لأخته فوزية.

وصل خبر تعيين شيرين لناصر في ٢٢ يوليو والذي كان بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير، ورأى ناصر بأن الوقت قد حان للانقلاب وإلا فلن يكون هناك انقلاب أبداً. أعدت الخطة النهائية للهجوم والتي تضمنت الإستيلاء على مقر قيادة القوات العامة المسلحة بالقاهرة في ساعة الصفر (الواحدة من صباح اليوم التالي) والقبض على فاروق الذي يبعد عنهم ١٢٥ ميلاً في الإسكندرية. ذهب ناصر مباشرة بعد الإجتماع لمنزل السادات لإبلاغه بتطورات الموقف وطبيعة مهمته، فوجده قد اصطحب زوجته وإبنته إلى

السينما. الغريب أن ناصر قد ذهب لمنزل ضابط آخر فوجده هو الآخر قد ذهب للسينما! ومع حلول الساعة السابعة، كان مخطط الإنقلاب قد وصل لفاروق، وفي الساعة الحادية عشرة، عقد إجتماع لكبار ضباط الجيش في مقر القيادة لوضع خطة للتصدي للانقلاب.

وبعد ساعة، نجح ناصر ومعه آخرون مدججين بالأسلحة في احتلال المقر والسيطرة على الجيش المصري، ومع الواحدة والنصف من صباح يوم ٢٤ يوليو كانت القاهرة لناصر ورجاله.

تخلي الملك فاروق عن العرش في تمام الساعة الرابعة والنصف، وصل الخبر فاروق الذي اتصل بكل من السفير البريطاني لامبسون والسفير الأمريكي جيفرسون كافيري متسائلا عما إذا كانوا سينقذونه. كان واضحاً بأن الأمريكان قد أخذوا قرارهم بعدم التحرك لإنقاذه، أما بريطانيا وبعد مباحثات عدة مع الرئيس الأمريكي ترومان قررت أن تأخذ هي الأخرى حذو أمريكا (كما هو معتاد). والتقى القائم بالأعمال البريطاني مع نجيب ليطلعه على الخبر السار وهو أن إنجلترا لن تتدخل في مسار الانقلاب، ولم يبق للضباط الأحرار إلا سن سكاكينهم والحصول على الملك.

رضخ فاروق لأولى طلبات الضباط الأحرار وهي تعيين علي ماهر رئيساً للوزراء، وقبل فجر ٢٥ يوليو، تحرك فاروق بعائلته الصغيرة إلى قصر رأس التين ليحتمي هناك تحت حراسة سفن حربية تابعة للبحرية المصرية التي مازالت موالية له وليتحصن بقوة أكثر من ٨٠٠ من الحرس (أغلبهم من السودانيين الذين يحبون فاروق).

وصلت بالفعل كتيبة مدرعة للقبض على فاروق صباح ذلك اليوم وتم تبادل لإطلاق النار التي شارك فيها فاروق نفسه والذي عرف عنه مهارته في الصيد. وقي قلب المعركة، رأي فاروق بأن القوتين غير متكافئتين وأن سير المعركة على هذا النحو لا يعني سوى الإنتحار. ولذلك قام فاروق بإتصال أخير بكافيري يطلب منه هذه المرة ليس إنقاذ ملك مصر وعرش مصر بل إنقاذ فاروق الإنسان وأسرته، هنا فقط إستجاب كافيري وأمر بوقف إطلاق النار.

في صباح اليوم التالي ، ٢٦ يوليو ، عرض علي ماهر على الملك فاروق إنذاراً أصاغه السادات ووقع عليه نجيب، وفيه مطالبة فاروق بالتنازل عن العرش لولي العهد ابنه أحمد فؤاد وترك البلاد في نفس هذا اليوم قبل السادسة مساءا. وافق فاروق بالتنازل عن العرش بشروط وهي أن يأخذ معه صديقه الإيطالي أنطونيو بولي، والسماح له بالإبحار على يخت المحروسة والاحتفاظ به والسماح له بأن يأخذ معه مجموعة الطوابع والعملات التي كان يهوي جمعها، كما أن الأراضي التي تخصه وتخص شقيقاته في مصر لا يتم تأميمها بل تدار نيابة عنهم.

أبلغ على ماهر ناصر بشروط فاروق التي رفضها كلها ما عدا شرط واحد وهو ضمان عدم قتل الملك حتى مغادرته على المحروسة وفي تحيته ٢١ طلقة بندقية. في حوالي الثانية عشرة والنصف، وصل ممثلين لمحكمة العدل العليا مع صك التنازل ليوقع عليه فاروق الذي غالبته دموعه.

يصف الكتاب كيف ارتدى فاروق بزة البحرية الخاصة به عرفاناً منه على ولاء البحرية له واختارت بناته من زوجته الأولى الملكة فريدة مرافقته هو وناريمان وأبنهما في منفاه. وفي حوالي الساعة السادسة، بل إن المؤلف يقول بتقبيل محمد نجيب لدى وصوله يد الملك المخلوع! وغادر فاروق وهو في حالة ذهول، كيف يمكن أن تخونه إنجلترا؟ بل الأسوأ من ذلك، كيف يمكن لأمريكا؟ ولما لا فهو يعيد نفس السيناريو الذي تم منذ ثلاثة أرباع القرن عندما أجبرت بريطانيا وفرنسا جده الأكبر الخديوي إسماعيل على التنازل عن عرشه لأبنه توفيق والرحيل إلى منفاه في نابولي على نفس اليخت ... المحروسة!! (انتهى كلام ويليام ستاديام)

ولم يكن من المصادفة اناء حكم العائلة المالكة المصرية (اسرة محمد على) التي حكمت مصر منذ تولى محمد علي باشا الكبير حكم مصر سنة ١٨٠٥ حتى خرج الملك فاروق وابنه الملك احمد فؤاد الثاني منها سنة ١٩٥٢ ، ويعتبر محمد علي باشا وذريته هم بناة مصر الحديثة ، وفي عهدهم كانت مصر أقوى وأغنى دولة في الشرق بالمنافسة مع الامبراطورية العثمانية في تركيا ، وكانت المملكة المصرية تشمل أيضاً السودان وبعض بلاد الشام ، وكانت كذلك ترعى وتحمي الأراضي المقدسة بالحجاز حتى قيام الدولة السعودية ، ورغم التشويه المتعمد لتاريخ أسرة محمد على ورغم الأخطاء السياسية والاقتصادية لبعض حكام مصر من أسرة محمد علي التي أدت للاحتلال البريطاني إلا أن لملوك أسرة محمد علي إنجازات عظيمة، حتى قال بعض الرحالة الأوربيين "إذا أردت أن تشاهد حداثة باريس وسحر فيينا وعراقة اسطنبول فاذهب إلى القاهرة" .

الاطاحة بالملك فاروق كان ضمن خطة استعمارية لجلب الجواسيس من الضباط الى الحكم في مصر وباقي الدول المجاورة وهو جزء من مخطط للشرق الاوسط والدول المحيطة بإسرائيل لحمايتها من الشعوب العربية والاسلامية التي لا ترى في اسرائيل سوى كيان غاصب يجب اقتلاعه.

وتعرض الملك فاروق الى حملة تشويه وتزوير للتاريخ بعد الانقلاب سامح الله الأستاذ مصطفي أمين، فقد صاغ إعلام العسكر بعد يوليو ١٩٥٢ في تعامله مع الملك فاروق، والحكاية أنه ما إن غادر الملك فاروق مصر نهائياً مساء ٢٦ يوليو، حتي اندفع مصطفي أمين بموهبته الطاغية وأسلوبه الأخاذ، ليكتب «ليالي فاروق» علي صفحات «أخبار اليوم»، وصدرت في كتاب من جزئيين، وقد صور فاروق في لياليه وكأنه شهريار لا يشبع أبداً من المغامرات النسائية ولا يكف عن الشراب،

وصارت تلك هي «الصورة الرسمية» للملك فاروق، وكتبت في كتب التاريخ المدرسية تلك الصورة للملك، مضافاً إليها بالحرف أن الملك فاروق هو الملك الخائن، والمتاح أمامنا الآن من الوثائق، ومن السير والمذكرات التي صدرت لكبار الساسة في عصر الملك فاروق، أنه لم يكن خائناً، وأنه كان يكره الخمور ولم يذقها أبداً، وأنه لم يكن زير نساء، بل كان في أعماقه مجروحاً تجاه النساء، بسبب أمه وزوجته الأولي التي أقنعته - عن وعي أو بدون وعي - أنها لم تكن أمينة معه، ولا نعرف مغامرات نسائية للملك سوي شغفه بالأميرة فاطمة طوسون التي كان يريد الزواج منها، وتتحدث بعض المراجع الأجنبية عن أنه كان علي «علاقة كاملة» معها، وتوسعت تلك المراجع فيما هو أكثر من ذلك:

ومفهوم أن يحرص ضباط يوليو علي تشويه صورة الملك، خاصة فور خروجه، فلم يكن نظام الحكم قد استقر، وكان الملك يفكر في العودة، لكن منذ ١٩٥٧ ، لم يعد هناك أي احتمال لذلك، وصار الملك في ذمة التاريخ واقتنع هو بأن يعيش أيامه في إيطاليا، وكان الواجب أن يتم تقييم إنساني وعلمي للملك وفترة حكمه لمصر، ولكن تحولت سيرة الملك إلي نوع من المحرمات العامة.

ولم يسلم الملك فاروق من حقد الجواسيس حيث تم اغتياله بالسم عام ١٩٦٦ كما سياتي ذكره ان شاء الله بالفصول القادمة.

٢. وضع المنطقة العربية بعد الحرب العالمية الثانية :

تغير ميزان القوى العالمية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م حيث انتهت من الخارطة الدولية دول المحور (المانيا_ايطاليا_اليابان) وكانت هذه ضربة كبيرة لمن راهن من العرب على دول المحور في سبيل مساعدته للخلاص من الاستعمار والهيمنة البريطانية والفرنسية .

اما التحول الاكبر من وجهة نظري فهو خروج بريطانيا وفرنسا من الحرب شبه مدمرة وبدء انحدار قوتها لصالح القوى التي دخلت الحرب متأخرة لتصبح القوى العظمى بالعالم وهي الولايات المتحدة الامريكية التي كان لابد عليها من رسم خطة جديدة للسيطرة على العالم ومواجهة الاتحاد السوفييتي والشر الشيوعي القادم وبالتأكيد من اهم المناطق بالعالم التي ستكون محط نزاع هي المنطقة العربية وخاصة مع قرب زرع اسرائيل واكتمال نشوئها لذلك كان الجاسوس جمال عبد الناصر هو احد اهم الادوات التي تم صنعها من المخابرات الامريكية والحركة الصهيونية لتغيير الانظمة الملكية بأنظمة عسكرية يقودها ضباط عملاء وتدمير الجيوش العربية وزرع حالة الشقاق داخل البلاد العربية .

ولو عدنا قليلا الى وضع المنطقة العربية اثناء الحرب العالمية الثانية نجد خلال الحرب وقفت اغلب انظمة البلدان العربية بجانب الحلفاء في مواجهة الدول الدكتاتورية الفاشية، كانت تونس والمغرب وموريتانيا تحت الاستعمار الفرنسي فيما اعتبرت فرنسا الجزائر أرضا فرنسية وقد فرضت فرنسا على الدول العربية التي كانت تسيطر عليها السياسة الفرنسية وجندت شباب العرب في جيشها وظلت فرنسا إلى ما بعد سقوطها بيد الألمان تسيطر على مستعمراتها. أما مصر فقد كانت حرة مستقلة بموجب معاهدة ١٩٣٦، ولكنها تعرضت لضغوط بريطانية امتدت لتشمل ليبيا بعد طرد الإيطاليين والألمان منها بعد هزيمتهم في معركة العلمين رغم ان الملك فاروق كان يتمنى انتصار الالمان. كانت المملكة العربية السعودية واليمن مستقلتين وظلتا على الحياد فيما كانت بريطانيا تسيطر على جنوب الجزيرة العربية وعلى معظم مناطق الخليج العربي لكن لم تصل الحرب إلى الخليج العربي لكنه أصبح طريق مرور للمساعدات الأمريكية والبريطانية إلى الاتحاد السوفييتي عبر إيران.

وقعت بريطانيا مع العراق معاهدة ١٩٣٠ التي تمنحهم حق إقامة قواعد عسكرية فيه وخلال الحرب قام رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني بانقلاب أبريل ١٩٤١ ضد بريطانيا بالتعاون مع الألمان لكن البريطانيين قضوا على ثورته واحتفظوا بوجودهم في البلاد.

بعد سقوط فرنسا خضع لبنان وسوريا لسيطرة حكومة فيشي الموالية لألمانيا ولكن في مطلع صيف ١٩٤١ استولى الحلفاء على البلدين وانتقل الحكم فيهما إلى حركة فرنسا الحرة التي يتزعمها الجنرال ديغول. أعلنت حركة فرنسا الحرة استقلال سوريا في سبتمبر ١٩٤١ ثم استقلال لبنان في ٢٦ نوفمبر ١٩٤١ لكن هذا الاستقلال ظل اسميا واستمر الحكم الفعلي بيد الفرنسيين وطالب الشعبان باستقلال صحيح فتحقق لهما الاستقلال سنة ١٩٤٣ واستكمل اللبنانيون والسوريون استقلالهم باستلام المصالح التي يديرها الفرنسيون وتحقيق جلاء الجيوش الفرنسية عن أراضيهم سنة ١٩٤٦.

وبرغم الظروف العسكرية الضاغطة انتهز العرب فرصة هزيمة الحلفاء في بداية الحرب ليجهروا بمطالبهم الاستقلالية فلجأ الحلفاء في أكثر من منطقة إلى إغداق الوعود إليهم من أجل امتصاص النقمة الداخلية التي لاقت دعما كبيرا من الألمان الذين دخلوا بدورهم بعض المناطق العربية وأحدثوا فيها تغييرات سياسية وعسكرية لمصلحتهم وخصوصا في العراق وشمال أفريقيا.

ومع ظهور انتصار الحلفاء في المرحلة الثانية من الحرب راحت وعودهم للعرب بالاستقلال تتلاشى وازدادت ممارستهم القمعية وتشددوا في حكمهم للمناطق العربية المستعمرة مما كان له أبعد الأثر في ردود فعل العرب المناهضة لهم.

حدثت في العالم بعد الحرب العالمية الثانية تغيرات سياسية كبرى تمثلت في أفول النجم الأوروبي وبروز الجبارين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي الذين سيطرا على المقدرات السياسية للعالم وقامت هيئة دولية جديدة على أسس واضحة ترعى السلام وحقوق الإنسان وتدعم تحرر البلدان الخاضعة للاستعمار.

تلك هي منظمة الأمم المتحدة التي أصبحت منبرا لكل النزاعات الدولية وقد ساعد ذلك الدول المستعمرة ومنها الدول العربية في كفاحها من أجل التحرر والاستقلال فلجأ العرب إلى كافة السبل الدبلوماسية والعسكرية لنيل استقلالها والتحرر من السيطرة الخارجية وانتهى ذلك باستقلال بعض الدول العربية كمصر التي راحت تدعم شقيقاتها التي كانت ما تزال تقاوم الاستعمار.

بدأت تظهر ملامح تضامن عربي فعال عبر التفكير بقيام هيئة عربية توحد الموقف العربي. فدعت حكومة الوفد المصرية إلى اتصالات بين الدول العربية المستقلة في ذلك الوقت وانعقد مؤتمر في الإسكندرية سنة ١٩٤٤ ضم مصر وسوريا ولبنان والعراق والسعودية واليمن وشرق الأردن وتم على إثره وضع بروتوكول الإسكندرية الذي مهد لقيام جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٥ فجعل مقرها في القاهرة وراحت الدول العربية الأخرى تنضم إليها تباعا بعد استقلالها.

ومن مساوئ الحرب العالمية الثانية على الوطن العربي ظهور قضية جديدة شغلت وما تزال تشغل الحيز الأكبر من اهتمام العرب الذين جندوا لها الكثير من طاقاتهم هي القضية الفلسطينية فقد كانت بريطانيا قد شجعت على دخول اليهود إلى فلسطين خلال فترة الانتداب بهدف تطبيق وعد بلفور الذي نص على إعطائهم وطنيا قوميا في فلسطين فأدى ذلك إلى صراع بين العرب واليهود. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية رفعت بريطانيا النزاع العربي اليهودي في فلسطين إلى هيئة الأمم المتحدة وبدأت مأساة الشعب الفلسطيني عندما أقرت الأمم المتحدة تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية في سنة ١٩٤٧.

وفي سنة ١٩٤٨ أعلن الصهاينة قيام دولة إسرائيل فهب العرب إلى منع ذلك ودخلت جيوشهم إلى المناطق التي احتلها اليهود لكن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة أعلن الهدنة بين الطرفين المتقاتلين فسمح ذلك للصهاينة بفرض الأمر الواقع وتكريس الكيان الصهيوني جسما غريبا في قلب الوطن العربي يعمل على تهجير الشعب الفلسطيني وتهديد أمن العرب.

٣. عبد الناصر واليهود مشروع جاسوس :

في الحقيقة لا يحتاج ان يكون الجاسوس يهودي ليعمل لصالح الموساد والخيانة لا ترتبط بدين ولكن بخصوص جمال عبد الناصر فهناك ادلة كثيرة تشير الى صلته باليهود سأقوم بنقلها كما هي وعموما سواء كان له اصول يهودية فالأدلة تشير الى انه جاسوس بلا شك

تبدأ الحكاية عندما بلغ جمال عبدالناصر من العمر ثماني سنوات أرسله والده إلى القاهرة لاستكمال دراسته ، فكان يقطن مع إحدى قريبات والدته في حي اليهود في منطقة الموسكي (٥ شارع خميس العدسي).

انظر : لعبة الأمم وعبدالناصر لمحمد الطويل (ص ٤٨).

وذكر الدكتور علي شلش في كتابه تاريخ اليهود والماسونية في مصر (ص١٦٣): أن سيدة يهودية تدعى مدام يعقوب فرج شمويل ، كان عبد الناصر يدين لها بالفضل ؛ لأنها هي التي رعته في طفولته وبعد وفاة أمه ، وكانت تعامله كأحد أبنائها ..

وذكر حسن التهامي : أن هذه السيدة قريبة والدته .. فإذا كانت قريبة والدته يهودية فتكون والدته كذلك ، ثم لماذا اختار أبوه سيدة يهودية لرعايته قريبة كانت أو بعيدة ؟ ولماذا حارة اليهود شبه المغلقة على اليهود وقتها ؟ وهل ضاقت القاهرة كلها إلا من حارة اليهود ؟ .. وقد استمر عبد الناصر في حارة اليهود حتى رتبة الملازم أول وعمره ٢٤ عاماً ..

يقول اللواء محمد نجيب للواء عبدالمنعم عبدالرؤوف عام ١٩٧٩م : عبدالناصر أصله يهودي من يهود الشرق الذين جاؤوا من اليمن . انظر : مذكرات عبدالمنعم عبدالرؤوف (ص ٧٥).

ويقول جلال كشك : أعترف أن مثل هذه النصوص التي يقدمها هيكل – يقصد ما ذكره محمد حسنين هيكل في كتابه ملفات السويس – تجعل التفسير القائل بيهودية عبدالناصر يلح إلحاحاً لا يمكن مقاومته . انظر : ثورة يوليو الأمريكية (ص ٥٥٧) .

وكذلك حب عبد الناصر لريتا اليهودية في شبابه والشواهد اكثر واكثر.

وحينما كان الصاغ جمال عبد الناصر رئيس أركان حرب الكتيبة السادسة مشاة ضمن القوات المحاصرة في بلدة عراق المنشية قطاع الفالوجا، كان يتحدث عبر خطوط الجبهة مع اليهود المحاصرين للفالوجا ، وأنه كان يتلقى هدايا البرتقال والشوكولاتة من إيجال يادين الذي كان رئيساً لأركان حرب جنوب فلسطين ، وقد اعترف بذلك إيجال يادين

حينما كان نائباً لرئيس وزراء اليهود على مائدة المفاوضات أثناء زيارة السادات للقدس عام ١٩٧٧م.

وأثناء احتدام المعارك في حرب ١٩٤٨م وقبل الاتفاق على الهدنة تمت لقاءات أولية بين إيجال آلون وضابط إسرائيلي آخر هو بروحام كوهين وبين الصاغ جمال عبد الناصر الذي كان حينذاك ضابطاً للعمليات في الكتيبة السادسة التابعة لسلاح المشاة المصري والتي كانت محاصرة في الفالوجا ، وكان عبدالناصر يتزعم في ذلك الوقت حركة الضباط الأحرار السرية ، وكان آلون قائداً للجبهة الجنوبية ، وتعددت لقاءات بروحام كوهين بجمال عبد الناصر حتى وصلت خمسة عشر لقاء ، وكان اللقاء الخامس عشر حينما جاء عبد الناصر إلى منطقة الفالوجا لتحديد موقع جثث القتلى اليهود في معارك ١٩٤٨م ، وكان يرافقه في هذه المهمة حسن صبري الخولي الذي عينه فيما بعد ممثلاً شخصياً له ، وكان هذا اللقاء يجري تحت مظلة جماعة الكوكيرز الأمريكية ، ويردف صاحب كتاب لعبة الأمم وعبد الناصر إن الطريقة التي عرضت بها مبادرة السلام المصرية في القدس يرجع الفضل فيها لاتصالات جمال عبد الناصر عام ١٩٤٩م هذه ، والتي أجراها تحت ظل الأعمال الإنسانية والبحث عن جثث القتلى اليهود في حرب ١٩٤٨م ، أي أن البعض يرجع مبادرة السلام للسادات لخط سياسي في حياة عبد الناصر، وقد بدأه وسعى فيه للسلام مع إسرائيل عام ١٩٤٩م . انظر : لعبة الأمم وعبد الناصر (ص ٤٤ – ٤٨) .

كما أن زملاء عبدالناصر في الكتيبة السادسة ذكروا احتمال نجاح إسرائيل في تجنيد عبدالناصر لحسابها بواسطة إيجال آلون ، وأنه كان يحمل مشاعر الحب لليهود منذ صباه ، وارتبط بصداقات مع الفتيان اليهود بالحارة رفاق عمره . انظر : جريدة الشرق الأوسط (١٣ / ٦ / ١٩٨٧م)

وكان عبد الناصر عضواً بالتنظيم الشيوعي (حدتو) الذي يرأسه اليهودي هنري كوريل وضمن أعضائه ماري روزنيثال ومارسيل ليون وإيلي شوارتز صهر موشيه دايان قائد جيش إسرائيل في حرب ١٩٦٧م .. واستمرت صلة عبدالناصر باليهود حتى وفاته ، ولم تنقطع أبداً

وقال صاحب كتاب لعبة الأمم وعبدالناصر (ص ٦٢٤) : إن مجلس الثورة قد أجرى اتصالاً في الأيام الأولى (سبتمبر ١٩٥٢م) يؤكد أن النظام الحاضر ليس له نوايا عدوانية ضد إسرائيل .

ونقل الكاتب (ص ٦٢٦) نقلاً عن برقية لسفير أمريكا في مصر كافري (١١ / ١٢ / ١٩٥٤م) أن مصر قد تعبر الحدود في محاولة عقد صلح شامل مقبول للعرب ، ولكنها لن تحاول ذلك في وجه معارضة عربية .

بل إن سجلات النظام العسكري ليست فيها غارة واحدة شُنت على إسرائيل في عهد عبدالناصر من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٧م ، بل إنه لم يرد على الغارة اليهودية على غزة (خان يونس) ومواقع أخرى في ٢٨ فبر--- ١٩٥٥م ، حيث قتل اليهود ٣٥ جندياً داخل معسكر الجيش المصري وخمسة عشر جريحاً ، وكذلك احتلال القوات اليهودية لمنطقة العوجة المنزوعة السلاح في ٢٠ سبتمبر ١٩٥٥م ، والمتحكمة في عدة طرق وكلها تؤدي إلى داخل الأراضي المصرية .

وهناك رواية لعمر الحكيم ان والد جمال عبد الناصر تزوج امرأة ثانية يهودية اسمها هيلين أو صوفي ولها أربعة أولاد من زوج سابق أصغرهم هو إلياهو كوهين الجاسوس الإسرائيلي في دمشق الذي تسلل الى مراكز السلطة في سوريا ووصل الى مركز وزير تحت اسم عربي (امين كامل ثابت) اشهر الجواسيس الاسرائيليين في العالم العربي وتم كشف واعدامه عام ١٩٦٦ بعد ان وصل الى وزير اعلام وعضو بقيادة البعث وهذه المعلومة بحاجة الى المزيد من البحث لكن المؤكد ان جمال عبد الناصر كان يسكن في حارة اليهود بالقاهرة بمنزل مشترك مع موشي دايان الذي اصبح لاحقا وزيرا للدفاع ورئيسا للوزراء في اسرائيل .

٤. استيلاء الصهاينة على فلسطين وحرب ١٩٤٨م :

وحرب العام ١٩٤٨م هي أول حروب العرب مع إسرائيل، دارت عقب إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وإعلان قيام إسرائيل، منتصف مايو/أيار ١٩٤٨، وأودت بحياة آلاف الجنود من الطرفين، وانتهت بهزيمة العرب، فأطلقوا عليها حرب "النكبة" رغم اني اعتقد انه من الظلم ان نحكم على العرب بالهزيمة المطلقة في الحرب خاصة مع ميزان القوى المختل لصالح الاسرائيليين وتمكن العرب من الدفاع عن حوالي ٤٠ بالمئة من مساحة فلسطين رغم امكانياتهم الضعيفة.

نذر الحرب:

قبيل إعلان إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٤٧ على قرار تقسيم فلسطين إلى دولة يهودية (٥٦% من مساحة فلسطين الكلية)، ودولة عربية (٤٣% من المساحة) فلسطينية وتدويل منطقة القدس (١% من المساحة).

وفيما رحب اليهود بالقرار، أعلن العرب والفلسطينيون رفضهم له، وشكلوا "جيش الإنقاذ" بقيادة الضابط السوري فوزي القاوقجي، لطرد الجماعات اليهودية من فلسطين.

ومع إعلان العرب عزمهم التدخل في فلسطين، تم تكليف القائد العام المساعد للجيش الإسرائيلي يغال يادين بوضع خطة لمواجهة هذا التدخل، عرفت بالخطة (دالت).

وفي منتصف الليل بين ١٤ و١٥ مايو/أيار ١٩٤٨ أنهت الحكومة البريطانية وجودها في فلسطين، وقبل إنهاء الانتداب بساعات أعلن المجلس اليهودي في تل أبيب قيام دولة يهودية في فلسطين بمجرد إنهاء الانتداب، دون إعلان حدود لهذه الدولة.

جيش الإنقاذ:

في سبتمبر/أيلول ١٩٤٧ حاولت الجامعة العربية توفير احتياجات الفلسطينيين، فشكلت "اللجنة العسكرية الفنية" لتقييم الوضع العسكري، وأكدت اللجنة أن الفلسطينيين لا يملكون القوة ولا التنظيم الذي يمكنهم من مجابهة اليهود، ودعت الدول العربية للتعبئة الكاملة.

وكان رئيس اللجنة الفنية اللواء إسماعيل صفوت قد حذر من أن التغلب على القوات اليهودية بقوات غير نظامية أمر مستحيل، وأن العرب لن يتحملوا حربا طويلة.

وفي الفترة ما بين ٨- ١٧ ديسمبر/كانون الأول ١٩٤٧، أعلنت الدول العربية أن تقسيم فلسطين غير قانوني، وفي خطوة أولى لمجابهة قيام إسرائيل، وضعت مبلغ مليون جنيه إسترليني وعشرة آلاف بندقية، وثلاثة آلاف متطوع بينهم نحو ٥٠٠ فلسطيني، تحت تصرف اللجنة العسكرية الفنية، فيما عرف بجيش الإنقاذ، ثم قامت بإرسال جيوش من خمس دول عربية لخوض الحرب.

الجيوش العربية:

شاركت مصر في هذه الحرب بعشرة آلاف جندي تحت قيادة اللواء أحمد علي المواوي، وزادت عدد الجنود إلى نحو عشرين ألفا. وتمثلت هذه القوات في خمسة ألوية مشاة، ولواء آلي واحد، ولواء مجهز بـ١٦ مدفعا عيار ٢٥، ولواء مجهز بثمانية مدافع عيار ٦، ولواء مجهز بمدفع آلي متوسط وكان الملك فاروق رحمه الله يتابع التحركات العسكرية اولا بأول وامر بتوفير كل الامكانيات للجهد العسكري.

ولم يكن لدى العرب قاذفات للقنابل، فعمل اللواء طيار مهندس عبد الحميد محمود أثناء الحرب على تحويل طائرات النقل إلى قاذفات للقنابل لتساهم في الحرب، كما قام بإصلاح سرب من طائرات "الكوماند" تركه الأميركيون في مطار القاهرة عام ١٩٤٥، وتحويله إلى قاذفات للقنابل، فأصبح لدى القوات الجوية سربا كاملا من الطائرات.

وتكوّن الجيش الأردني من أربعة أفواج ضمت نحو ثمانية آلاف جندي ارتفع عددهم إلى ١٢ ألفا خلال الحرب، وكان مركزه مدينة الزرقاء (شمال شرق عمان). وتولى

قيادته ضابط إنجليزي يدعى جون باغوت غلوب (غلوب باشا). أما القيادة الميدانية، ومركزها مدينة نابلس (شمال الضفة الغربية) فتولاها البريطاني العميد نورمان لاش.

وضمت القوة الأردنية بطاريتي مدفعية، كل واحدة بها أربعة مدافع ٢٥ رطلا بريطانية الصنع.

وأرسلت العراق قوة عسكرية بقيادة العميد محمد الزبيدي ضمت ٣٠٠٠ فرد إلى شرق الأردن، وارتفع عدد هذه القوة فيما بعد إلى ١٥ ألفا.

أما سوريا فأرسلت ٢٠٠٠ جندي، تحت قيادة العقيد عبد الوهاب الحكيم، وصلوا فيما بعد إلى ٥٠٠٠. وعلى حدوده الجنوبية حشد لبنان كتيبتي مشاة في كل منها ثلاثة سرايا بنادق، وتكونت كل سرية من ثلاث فصائل، وضمت الكتيبة الواحدة ٤٥٠ جنديا، وفصيل مدفعية هاون ومدافع رشاشة، وبطارية مدفعية من أربعة مدافع عيار ١٠٥ ميلمترات. كما أرسلت أربع عربات مدرعة وأربع دبابات خفيفة، وكانت هذه القوات تحت قيادة العميد فؤاد شهاب.

وشاركت المملكة العربية السعودية في هذه الحرب بنحو ٣٢٠٠ مقاتل، قادهم العقيد سعيد بيك الكردي ووكيله القائد عبد الله بن نامي، وقاتلت إلى جانب القوات المصرية.

قوات إسرائيل

مع نهاية ١٩٤٧ كانت أعداد منظمة الهاغاناه قد وصلت إلى نحو ٤٥ ألفا وثلاثمائة فرد، بينهم ٢٢٠٠ من البلماخ، وفق المصادر الرسمية الإسرائيلية، وعقب قرار التقسيم انضم لها نحو ثلاثين ألفا من يهود فلسطين، وعشرين ألفا من يهود أوروبا، حتى إعلان قيام دولة إسرائيل.

وحينما اندلعت الحرب ارتفعت أعداد الهاغانا في الأسبوع الأول من يونيو/حزيران ١٩٤٨ إلى نحو ١٠٧ آلاف.

بدء الحرب:

هاجمت الجيوش العربية المستوطنات اليهودية بفلسطين، كما هاجم الجيش المصري تجمعي "كفار داروم، ونيريم" بمنطقة النقب.

وفي ١٦ مايو/أيار عبرت ثلاثة ألوية تابعة للجيش الأردني نهر الأردن إلى فلسطين، ثم عبر لواء رابع وعدد من كتائب المشاة خلال الحرب.

آنذاك كانت الجبهة الأردنية الإسرائيلية أقوى الجبهات وأهمها، نظرا لعلو تدريبات الجيش الأردني وتكتيكاته التي مكنته من خوض ثلاث معارك كبرى (باب الورد، اللطرون، جنين). فيما عانت الجيوش العربية ضعفا شديدا في اتخاذ القرارات الحاسمة على المستوى التكتيكي، وعجزت عن القيام بمناورات تكتيكية.

وضم الجيش الأردني نحو خمسين ضابطا بريطانيا، وألحق بالإسرائيليين خسائر كبيرة، واحتفظ بالقدس والضفة الغربية كاملة حتى انتهاء القتال.

أما الجيش العراقي فخاض معارك شرسة في مدينة جنين شمال الضفة الغربية مدعوما بمقاتلين فلسطينيين، وتمكن من إخراج كافة القوات اليهودية منها وعلى رأسها قوات الهاغانا سنة ١٩٤٨. كما اقترب من تحرير مدينة حيفا (شمال غرب القدس) بعد أن حاصرها، ولكنه توقف بسبب رفض القيادة السياسية في بغداد إعطاءه أمرا بتحرير المزيد من الأراضي.

وخلد الفلسطينيون ذكرى القتلى العراقيين حيث بنوا مقبرة للشهداء العراقيين (مثلث الشهداء) في إحدى قرى مدينة جنين.

وبدورها استولت القوات النظامية اللبنانية على قريتي المالكية وقَدَس في الجليل الأعلى جنوب الحدود اللبنانية (الجبهة الشمالية للقتال)، وواصلت القتال حتى فرض مجلس الأمن على لبنان وقفا لإطلاق النار في ١٠ يونيو/حزيران ١٩٤٨، وحظر تزويد أطراف الصراع بالأسلحة، سعيا لإيجاد حل سلمي.

وعانى الجيش المصري (أكبر الجيوش العربية في هذه الحرب) من مشاكل تنظيمية ، رغم أنه قاتل بقوة في معاركه ومنها معركة الفالوجة التي كانت أهم معاركه، حتى حاصرته القوات الإسرائيلية.

وكان الجاسوس الامريكي الاسرائيلي جمال عبد الناصر ووزير دفاعه ورفيقه بالانقلاب المشير عبد الحكيم عامر، بين من حوصروا ويعتقد انه تم تجنيدهم هنام او ربما قبلها، كما شارك في الحرب أعضاء من جماعة الإخوان المسلمين من مصر وسوريا والأردن والعراق وفلسطين كمتطوعين.

كذبة الاسلحة الفاسدة في حرب ١٩٤٨م:

لفترات طويلة اعتقد المصريون والعرب أن من أهم أسباب هزيمة المصريين والعرب في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ قضية الأسلحة الفاسدة الذي استوردها الجيش من الخارج، ولكن بعد مرور الوقت تم اكتشاف أن هذه الأسلحة التي حارب بها الجيش ليست فاسدة ولكنها من بقايا الحرب العالمية الثانية، استعان بها الجيش نتيجة تكاتف المعسكر الغربي، ورفضه تصدير الأسلحة للدول التي تحارب إسرائيل، ومنها مصر بالطبع، وحتى

الأسلحة التي تم استيرادها، لم تستخدم في ميدان القتال على الإطلاق، فكان الأمر برمته ما هو إلا عدم استعداد كاف للحرب.

حيث تعد قضية الأسلحة الفاسدة واحدة من أشهر القضايا التي ارتبطت بهزيمة مصر في حرب فلسطين عام ١٩٤٨، وتم الترويج لأنها كانت أحد أسباب قيام مجموعة الضباط الأحرار بانقلاب يوليو/تموز ١٩٥٢ على الملك فاروق الأول.

كان الملك فاروق قرر دخول الحرب قبل نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين بأسبوعين فقط، ثم أقر البرلمان المصري دخول الحرب قبلها بيومين فقط.

ودفع نقص التسليح وضيق الوقت القيادة المصرية لتشكيل لجنة "احتياجات الجيش" في ١٣ مايو/أيار١٩٤٨، ومنحها صلاحيات واسعة لشراء السلاح وتحديد مصادره وأنواعه، في أقرب وقت، دون رقابة.

ومع حظر مجلس الأمن بيع الأسلحة للدول المتحاربة في فلسطين، لتحجيم قدرة الدول العربية على القتال، لجأت الحكومة المصرية لعقد صفقات مع شركات السلاح تحت غطاء أسماء وسطاء مصريين وأجانب، للتحايل على القرار.

وقد أصدر ديوان المحاسبة تقريرا سنة ١٩٥٠، حمل مخالفات مالية جسيمة شابت صفقات أسلحة للجيش تمت في عامي ١٩٤٨ و١٩٤٩.

وقدم المسؤولون عن هذه الصفقات للمحاكمة، بعد ضغوط كبيرة، لكنهم حصلوا جميعا على البراءة في ١٠ يونيو/حزيران ١٩٥٣ (بعد الإطاحة بالملك)، ما عدا متهمين اثنين حكم عليهما بغرامة مائة جنيه على كل منهما، وهما القائم مقام عبد الغفار عثمان والبكباشي حسين مصطفى منصور وهذا يدل على ان القضية برمتها كذبة من اكاذيب الانقلابين.

بداية الكذبة:

بدأت القضية بخبر صغير نشرته الصحف في ٢٠ أبريل ١٩٥٠ عن استقالة رئيس ديوان المحاسبة بعد أن لقى من العنت والإرهاق الكثير لمعرفة سر اعتمادات حملة فلسطين مما حدا به لتقديم استقالته من رئاسة الديوان . .. وعلى أثر ذلك وقف النائب مصطفى مرعى في البرلمان يتحدث عن أسباب استقالة رئيس ديوان المحاسبات ، وكيف أنه لم يستقل لأسباب شخصية ، وإنما احتجاجاً على الضغط الذى كان يحسه في ذلك الحين من الملك ورجالة، وتحدث النائب عن لجنة " احتياجات الجيش " التي تألفت في ١٣ مايو ١٩٤٨ ومنح رجالها السلطة التامة في الشراء، وأسهب في الحديث عن المخالفات زهاء ساعتين ، وأنهى حديثه بسؤال إلى دولة مصطفى باشا النحاس رئيس الوزراء عن أسباب المخالفات ؟! رد الحكومة : وفى ٨ مايو ، ردت الحكومة : (أن رئيس ديوان المحاسبة لم

يقطع في استقالته عن أسباب معينه لتقديمها ، أما عن ملاحظات الديوان فإنه لم يحدث في عهد الحكومة القائمة خلاف بين الجهتين ، بل على العكس فإن ما وصل من ملاحظات الديوان يجد العناية من الوزارات المعنية) . ولكن يبدو أن الإجابة لم تعجب صاحب السؤال ، فلما أراد أن يعلق عليها طويلا ، ذكره رئيس مجلس الشيوخ د. محمد حسين هيكل باشا باللائحة ، فقال : "أنه سيقدم استجواباً ."

هروب النائب:

وبالفعل تم نظر الاستجواب يوم الاثنين ٢٨ مايو ١٩٥٠ ، واستغرق وقتاً طويلاً ، ورأى المجلس تأجيل سماع رد الحكومة لليوم التالي ، وفى اليوم المحدد فوجئ المجلس بغياب صاحب الاستجواب لسفره إلى الإسكندرية بحجة أنه مسافر للخارج ، وهو ما أغضب فؤاد سراج الدين باشا الذى حضر إلى المجلس للرد على الاستجواب ليجد مقدمه قد غاب فوقف يقول : " لعل هذه القاعة على كثرة ما عرض فيها من استجوابات ، لم تشهد استجوابا اجتمعت فيه أسباب التناقض والغرابة مثل هذا الاستجواب ، لم تشهد استجواباً انقلبت فيه الأوضاع .. نعم ، هو استجواب غريب في بدايته ، غريب في نهايته ،وإن كان واضحاً في هدفه وغايته ، .. لم تر هذه القاعة استجواباً انتحل فيه المتهم صفة المدعى ، ولم تر استجواباً صفق فيه المطعون للطاعن كما وقع في هذا الاستجواب ، ولم تر استجواباً هش المضروب فيه لجلاده ، ويسأله المزيد كما وقع في هذا الاستجواب ، وهو في ظاهرة اتهام للحكومة على أخطاء لم تجنها ،ولم تقع في عهدها ، وفى حقيقته حملة للتشهير على قوم وصفهم المستجوب بأن الأقدار شاءت أن يكون لهم مركز خطير في البلد. " .. وانتقل فؤاد سراج الدين باشا إلى الحديث عن وقائع الاستجواب ، وما تم خلاله من انتهاك للائحة المجلس ، فقال : " اعترض من اعترض ، وقاطع من قاطع ، وصفق من صفق ، ولكن شيئاً واحداً أحسست به في مقعدي ، وهو أن هذا المنبر قد اهتز اهتزازاً عنيفاً ـ كما لاحظ سعادة رئيس المجلس ـ لفرط ما خُولفت تقاليد هذا المجلس ولائحته الداخلية " . ويضيف فؤاد سراج الدين باشا : ثم تأتى الحكومة لترد على الاستجواب ، فيغيب مقدمه عن حرم البرلمان ، ويسترسل قائلاً : " .. ورغم أن حكومة الوفد لم تكن في الحكم حال وقوع موضوع الاستجواب ، فقد كانت في عهد وزارة محمود فهمى النقراشي باشا(السعديين) ، التي تلتها وزارتا إبراهيم عبد الهادي باشا (السعديين) ، وحسين سرى باشا(الأحرار الدستوريين) ، ولم تثر تلك القضية إلا في ظل حكومة الوفد !! ، وأشار إلى عدد من المجلدات الموضوعة على الطاولة أمامه قائلا : كل هذه المجلدات التي أمامكم ، هي تقارير ديوان المحاسبة في عهد الوزارات السابقة ، والتي لم تكلف نفسها بالرد على ما جاء بها !! " . ولإنقاذ الموقف بعد هروب النائب مصطفى مرعى ، تبنى الاستجواب الدكتور إبراهيم بيومي مدكور، وتقدم باقتراح تأليف " لجنة تحقيق " ، فأحيل اقتراحه إلى لجنة الشئون الدستورية ، وانتقل المجلس إلى جدول الأعمال بأغلبية ٥٦ صوتاً في مقابل ٣٨ .

ذكر د . محمد حسين هيكل باشا في كتابه (مذكرات في السياسة المصرية ـ ج ٣ ـ ص٨٩) : وقد تبين من بعد أن سفر مقدم الاستجواب محدد له يوم السبت (السبت ٢ يونيو) ، أي بعد أربعة أيام من الموعد المحدد لكلام ممثل الحكومة (الثلاثاء ٢٩ مايو) !!

سر هروب النائب:

ظل سر هروب النائب سر لم يعرفه الكثير وبدأت الشائعات تتردد عن ضغوط مُورست عليه من قبل الملك والسراي ، لكن الحقيقة كانت غير ذلك فقد أدرك النائب أنه تم استدراجه إلى كذبه ، وهو ما قد لا يحمد عقباها ، وهو ما كشف عنه أحمد حمروش أحد ضباط انقــلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في(الجـزء الأول من كتابه قصة ثورة ٢٣ يوليو):

" حكاية الأسلحة الفاسدة استغلت في منشورات الضباط الأحرار الذين وجدوا فيها ورقة دعائية مجانية ؛ لتأليب الضباط الصغار وفضح مفاسد القيادات العليا في الجيش والهجوم على القصر والحاشية ، وانتقل نشاط الضباط من المنشورات إلى الصحف ، فأخذوا يتصلون بالكتاب والنواب والصحفيين لتزويدهم بالبيانات والمعلومات حول صفقات السلاح . ويروى أحمد حمروش نماذج من هذه الاتصالات ، فقد لجأ عبد المنعم أمين الذى كان مدرساً في مدرسة المدفعية وعضو مجلس قيادة الثورة فيما بعد إلى مصطفى مرعى بعد تقديم الاستجواب بما عنده من بيانات ، ولكن مصطفى مرعى تشكك في أن يكون عميلاً مدسوساً عليه. .. كذلك ذهب عبد اللطيف البغدادي وحسن ابراهيم ومصطفى مرتجى ومحمد شوكت من ضباط الطيران إلى مصطفى مرعى ، وأبلغوه إعجابهم واستعدادهم لتنفيذ ما يستقر رأيهم عليه حتى لو وصل الأمر إلى قتل الملك ، وهنا جفل منهم مصطفى مرعى ، وآثر أن يتحفظ معهم كما تحفظ مع عبد المنعم أمين، وسافر إلى أوربا !!.

من البرلمـــان إلى " روز اليوسف ":

بهروب مصطفى مرعى ، أصبح الاستجواب لقيطاً في البرلمان ، لكن يبدوا أن المغرضون من أصحاب المصلحة لم يعدموا الحيلة ، ففي يوم ٦ يونيو ١٩٥٠ خرجت مجلة " روز اليوسف " بمقال لإحسان عبد القدوس بعنوان : " من هو الضابط الذى يمتلك قصراً في كابرى ؟ "، أكد عبد القدوس في ثلاث من موضع من مقاله أنه يفتقد الدليل على ما يكتبه، ففي الموضع الأول يقول :" أنه لا يستطيع ذكر أسماء لأن ليس لديه مستندات . "، وفى الموضع الثاني يقول : " لولا نقص المستندات لقلت الكثير ."، وفى الموضع الثالث يقول :" .. وحتى لو كانت لدى المستندات الكافية لأقول كل شيء فماذا يجدى ما أقول، إذا وقفت وحيدا، وليس في يدى سوى قلمي، ماذا يجدى أن اصرخ وأثور على الورق بينما الكل من حولي قد سدوا آذانهم، وأعمى الجشع عيونهم !!" ، ثم انتقل إلى كلام مرسل عن صفقات السلاح وما شابها من فساد وعمولات ،وتحدث عن أحد ضباط الجيش الذى صار يمتلك قصراً في جزيرة كابرى ـ مصيف أصحاب الملايين ـ يدعى إليه كل عام

شخصيات مصرية كبيرة للتمتع بالجمال والراحة والهدوء على حساب شهداء فلسطين الذين قتلهم الرصاص المغشوش، وعلى حساب الشعب المصري الكريم الذى ابتزت أمواله باسم العروبة والشهامة، ولم يخلو المقال من انتقاد فؤاد سراج الدين باشا بقوله : " لماذا تحمس معالى سراج الدين باشا كل هذا الحماس في الدفاع عن الاتهامات التي وردت في تقرير رئيس ديوان المحاسبة ، هل كان يدافع عن الحكومات غير الوفدية ؟! إن هناك سرا ، وهو سر ليس في حاجه لان يكشف عنه فؤاد باشا ،وهو سر مفضوح !! " ثم أتبعه بمقال ثان في ١٣ يونيو بعنوان : " النبيل عباس حليم كان يستورد سلاحاً " ، ومقال ثالث في ٢٠ يونيو بعنوان : " زوجة الضابط التي تتاجر بالأسلحة "، مما حدا بمصطفى نصرت وزير الحربية والبحرية لتقديم بلاغ إلى النائب العام في ٢٢ يونيو بشأن ما نشرته "روز اليوسف" في العدد رقم ١١٤٩ بتاريخ ٢٠ يونيو ١٩٥٠ ، والعددين السابقين من اتهامات لرجال الجيش ، جاء فيه : "إن سمعة الجيش وضباطه يجب ألا يتطرق إليها شك من جهة الأمانة والاستقامة ، ولذا رأيت إبلاغ عزتكم للتحقيق في التهم المنسوبة إلى رجال الجيش ؛ وذلك لإظهار الحقيقة ، فيحول إلى المحكمة من تثبت إدانته حتى يقصى كل من تحوم حوله الشبهات . "

عبد القدوس أمام النيابة:

على الفور تم استدعاء عبد القدوس رئيس تحرير روز اليوسف أمام النيابة ، ونظراً للأهمية ، تولى النائب العام التحقيق في القضية بنفسه ، ولم يتمكن عبد القدوس من تقديم أدلة مادية عن صفقات السلاح سوى عن واقعة واحدة خاصة بعقد مبرم بين زوجة المقدم جورج إبراهيم سعد والتاجر عبد الصمد محمد عبد الصمد ، وذكر للنائب العام أن المعلومات بشأن باقي الصفقات قد استقاها من بعض الضباط في الجيش ، ولكنه رفض الإدلاء بأسمائهم حرصاً على مستقبلهم . هكذا جاءت أقوال إحسان عبد القدوس (خريج الحقوق الذى فشل باعترافه في ممارسة مهنة المحاماة) ، محض أقوال مرسلة ، لم يستطع إقامة الدليل المادي على ما جاء بها باستثناء العقد المشار إليه!!.

إبعاد الوزير ورئيس الأركان:

وفى ١٨ سبتمبر ١٩٥٠ ، بعث النائب العام برسالة خطية إلى وزير العدل عبد الفتاح الطويل باشا جاء فيها : " .. ولاشك أن معاليكم تقدرون ، وستعاونون النيابة فيما تطلبه من إبعاد أي موظف سواء كان بالقصر الملكي أو بالقوات المسلحة أو بوزارة الحربية والبحرية عن وظيفته مؤقتا متى تراءى لها ذلك لمصلحة التحقيق" . ووافق وزير العدل على طلب النيابة ، وطالب النائب العام ألا يتقيد التحقيق إلا بما نصت عليه القوانين ، وبناء عليه كان أول المبعدين الفريق محمد حيدر قائد القوات المسلحة ، والفريق عثمان المهدى رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري .

حكم البراءة:

استغرقت التحقيقات ٦ شهور كاملة وجاءت في ١٦ ألف ورقة فولسكاب وجاء تقرير الاتهام في ٩ صفحات فولسكاب ، وقدمت التهم فيها إلى قاضى الإحالة في ١٥ يناير ١٩٥١ ، وشمل قرار الاتهام كل من :

١ ـ محمود توفيق أحمد باشا ـ ٦٠ سنة ـ وكيل وزارة الحربية والبحرية

٢ ـ اللواء إبراهيم سعد المسيري بك ـ ٤٨ سنه ـ مدير سلاح المهندسين ورئيس لجنة احتياجات الجيش

٣ ـ المقدم مصطفى محمد شديد ـ ٤١ سنة ـ سلاح الأسلحة والمهمات

٤ ـ النبيل عباس حليم ـ ٥٣ سنة ـ من الأسرة المالكة

٥ ـ القائمقام عبد الغفار عثمان ـ ٤٨ سنة ـ كبـير مفتشى الذخـيرة بالجيش المصري

٦ ـ الرائد فؤاد محمد عاطف ـ ٣٢ سنة ـ مفتش المفرقعـات برفح

٧ ـ المقدم حسين مصطفى منصور ـ ٤٣ سنة ـ كبير ضباط مخازن الذخيرة

٨ ـ الرائد فؤاد بقطر ـ ٣١ سنة ـ مفتش مفرقعات السلاح البحري

٩ ـ أمير البحر (اللواء بحرى) أحمد بدر بك ـ ٤١ سنة ـ قـائد السـلاح البحري

١٠ ـ محمود فهمى ـ ٣٨ سنة ـ تاجر وسكرتير عباس حليم

١١ ـ جوزيف كلوكلو تردنيس ـ ٤١ سنة ـ تاجر

١٢ ـ المقدم جورج إبراهيم سعد ـ ٣٦ سنة ـ أركان حرب سلاح المهندسين

١٣ ـ عبد الصمد محمد عبد الصمد ـ ٣٠ سنة ـ تاجر

وتم إحالة القضية إلى محكمة الجنايات في ١٨ مارس ١٩٥٣ وصدر الحكم في جلسة ١٠ يونيو ١٩٥٣ ، حيث أصدرت المحكمة برئاسة المستشار كامل أحمد ثابت وعضوية المستشارين محمد كامل البهنساوي وأحمد مختار حكمها التاريخي الذى قضي ببراءة كل المتهمين من كل التهم المنسوبة إليهم، ما عدا متهمين اثنين فقط حكم عليهما بغرامة ١٠٠ جنيه علي كل منهما ، وهما القائمقام عبد الغفار عثمان والبكباشي حسين مصطفي منصور كعقوبة على الإهمال حسب القانون .

يقول اللواء جمال حماد (المؤرخ العسكري وعضو مجلس قيادة انقلاب ٢٣ يوليو ٥٢) في حديثه لجريدة الأهرام اليومي ـ ١١ ديسمبر ٢٠٠٩ : (حين صدر هذا الحكم انقلبت الدنيا، لأن الناس تهيأت لسماع حكم يتلاءم مع كونها قضية رأي عام كبرى، بل هي أهم ، وأخطر القضايا التي ارتكزت عليها الثورة لذلك كان هناك ميل من قبل مجلس قيادتها لتغليظ العقوبة ، وكان محمد نجيب مؤيدا لهذا الاتجاه ، ووقع الاختيار علي عبد الغفار عثمان كبير مفتشى الذخيرة ليكون كبش الفداء!!) .

مغالطات عبد القدوس:

جاء حكم المحكمة في القضية بعد انقلاب ٢٣ يوليو ورحيل الملك ، ليضع للحقيقة عنوانا فيما قضى به، لكن إحسان عبد القدوس بدلاً من الرجوع إلى الحق ،وتقديم الاعتذار للرأي العام ، استمر في النفخ في كذبته التي بنى عليها مجده الصحفي الزائف ، فقد ضمن إحسان هذه القضية واحدة من قصصه السينمائية وهى قصة فيلم «الله معنا» المأخوذ عن رواية بنفس الاسم، وكان الفيلم من إخراج أحمد بدرخان وعرض في أعقاب انقلاب يوليو مباشرة عام ١٩٥٥ وكان من المفروض أن يصبح أول فيلم سينمائي يستقبل الانقلاب ولكن الرقابة التي كانت تابعة وقتها لوزارة الداخلية رفضت التصريح بالفيلم دون إبداء الأسباب، وحاول إحسان أن يدافع عن فيلمه ، والذى تناول قضية كذبة الأسلحة الفاسدة التي فجرها وباءت كل محاولاته بالفشل، ومر على هذه الواقعة عامان ولم يجد أمامه سوى اللجوء إلى شريكه في الكذبة البكباشي جمال عبدالناصر بعد أن أصبح رئيساً للجمهورية، وطلب منه مشاهدة الفيلم قبل أن يصدر حكمه عليه ، ووافق عبدالناصر على أحداث الفيلم كاملة، لكنه اشترط أن يتم حذف بعض الأجزاء من الفيلم كانت تشير أحداثها إلى شخصية محمد نجيب، والذى أدى دوره في الفيلم الفنان زكى طليمات زوج والدة إحسان .

عبد الغفار عثمان أمام " محكمة الثورة ":

ومرة أخرى لم يتقبل الرأي العام الحكم الذى أصدرته محكمة الجنايات ، وأمام ضغوط الرأي العام الذى تم شحنه إعلاميا بالأكاذيب عن قضية وهمية ؛ اضطر مجلس قيادة الثورة لتقديم القائمقام عبد الغفار عثمان إلى "محكمة الثورة " التي انعقدت برئاسة قائد جناح عبد اللطيف البغدادي وعضوية القائمقام أنور السادات وقائد جناح حسن ابراهيم، وهى محكمة هزلية لا حصانة فيها للمتهم ولا لمحامية وأحكامها جاهزة من قبل ، والدفاع أمامها ليس بمرافعة بل مهاترة!! .. وفى ٧ نوفمبر ١٩٥٣ حكمت المحكمة عليه بالسجن ١٥ عاماً وتجريده من الرتبة العسكرية ومصادرة أمواله ، وأموال زوجتيه .

القاضي يتكلم

بعد ربع قرن من الصمت:

التزم القاضي المستشار كامل أحمد ثابت الصمت ولم يعقب على حكمه الذى أصدره ، حتى تمكنت الأستاذة فيفي العريان من إجراء حوار معه نشرته جريدة الجمهورية في عددها الصادر في ٣ يونيو ١٩٧٦ بعنوان : " القاضي يتكلم بعد ربع قرن .. لماذا أصدرنا حكم البراءة في قضية الأسلحة الفاسدة ؟! " . قال القاضي : " كان الجيش المصري يعانى من نقص السلاح والمؤن والذخيرة ، وبالرغم من معارضة العسكريين الذين أجمعوا أن الوقت غير ملائم لاتخاذ إجراءات حربية، فقد كانوا متأكدين أن الوحدات المصرية وجميع الأسلحة لا تملك الإمكانيات أن تخوض حرب منتصرة، فقد كان عدد المحاربين اليهود ٦٠ ألف مزودين بأحدث الأسلحة وأرقى التدريبات ، بينما ما حشده العرب لا يتجاوز ١٠ آلاف بالإضافة لأسلحتهم المحدودة ، لكن رجال السياسة لم يأخذوا برأي العسكريين ، فكان دخولهم الحرب مجازفة ، ولتعويض نقص السلاح؛ أنشئت لجنة تسمى لجنة احتياجات الجيش بقرار من مجلس الوزراء في ٣ مايو ٤٨ ، وقد أعفيت من كل القيود والإجراءات المالية ؛ حتى تسرع في الحصول على الأسلحة والذخائر. ثم أن محكمة الجنايات لم يثبت لديها مصرع جندي واحد من أسلحة فاسدة !! " .. انتهى كلام القاضي ، لكنه كشف حقيقة تسليح الجيش المحدود الذى لم يكن يصلح سوى للزوم مهام التشريفات فقط !!.

شهادات للتاريخ:

هذه هي شهادة القاضي عن الأسباب التي بنى عليه عقيدته وأسس عليها حكم البراءة ، فما بالنا بشهادات شهود من أهلها ، وأهلها نفر من الذى روجوا للكذبة من ضباط انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢ : يقول اللواء محمد نجيب في كتابه " كلمتي للتاريخ "صـ ٢٠ : (أنا لا أريد أن أنزلق مثل الكثيرين إلى تعليق عدم انتصارنا في حرب فلسطين على مشجب الأسلحة الفاسدة، وهى القضية التي استخدمت للدعاية ضد النظام القائم حينذاك ، ولكنها انتهت بالبراءة في عهد الثورة).

الأغرب من هذا ، أنه لم يرد في اليوميات التي كتبها جمال عبد الناصر بخط يده في أثناء حرب فلسطين عن المدة من سنة ١٩٤٨ حتى نهاية سنة ١٩٤٩ جملة واحدة عن الأسلحة الفاسدة ، تلك اليوميات التي احتفظ بها الأستاذ محمد حسنين هيكل لمدة ٥٥ عاما ، والتي نشرتها جريدة العربي الناصري بعنوان :" دفتر يوميات عبد الناصر".

ويؤكد محمد نجيب في كتابه " كنت رئيساً لمصر ": (في خلال شهور الحرب لم يلفت جمال عبد الناصر انتباهي . لكنى أتذكر أنه كان يحب الظهور ويحب أن يضع نفسه في الصفوف الأولى والدليل على ذلك ما حدث في الفالوجا . كنا نلتقط صورة

تذكارية في الفالوجا، ففوجئت بضابط صغير ، يحاول أن يقف في الصف الأول مع القواد ، وكان هذا الضابط جمال عبد الناصر ، ولكنى نهرته وطلبت منه أن يعود لمكانه الطبيعي في الخلف . وعرفت عنه ، بعد ذلك ، أنه لم يحارب في عراق المنشية ، كما أدعى ، ولكنه ظل طوال المعركة في خندقه لا يتحرك .. وفى الحقيقة كان الجنود السودانيون هم الذين حاربوا في هذا المكان ونجحوا في الاستيلاء على ١٣ دبابة من اليهود .. والمعروف أن السودانيين مغرمون بكتابة الشعر .. وقد سجل بعضهم تفاصيل القتال الذى دار في عراق المنشية في قصائد طويلة ، وصفوا فيها عبد الناصر وصفاً غير لائق بضابط مصري.

وفى أثناء الهدنة مع اليهود ، جاء ضابط يهودي اسمة كوهين يسأل عنه. ولم يكن موجودا .. فكتب له خطاباً وتركه مع ضابط من الإخوان المسلمين اسمه معروف الحضري .

ولم أعرف ما في الخطاب ، لأن أخلاقنا لم تكن تسمح بقراءته.

وفى الحقيقة، لم أعر مثل هذه الأمور اهتماماً ، في ذلك الوقت ، وكان هذا خطأ كبير من أخطائي ، التي أعترف بها .. لكنه اعتراف بعد فوات الأوان .

وقد أكد إيجال يادين نائب رئيس وزراء إسرائيل صدق ما قاله اللواء محمد نجيب على مائدة المفاوضات أثناء زيارة السادات للقدس عام ١٩٧٧ بقوله : (حينما كان الصاغ جمال عبد الناصر رئيس أركان حرب الكتيبة السادسة مشاة ضمن القوات المحاصرة في بلدة عراق المنشية قطاع الفالوجا، كان يتحدث عبر خطوط الجبهة مع اليهود المحاصرين للفالوجا ، وأن إيجال يادين الذي كان رئيساً لأركان حرب جنوب فلسطين في ذلك الوقت كان يرسل إليه هدايا البرتقال والشيكولاتة !!)

وقد برر محمد حسنين هيكل اتصال عبد الناصر باليهود في الفالوجة بتفسير يدعو إلى السخرية أكثر منه إلى الدهشة والعجب ، وخاصة أنه لا ينطلي على طفل صغير ، ويحيط شخص عبد الناصر بشبهات كثيرة بقوله:

(.. وجاء ثمة عامل مؤثر آخر أثر تأثيراً عميقاً في حياته سنة ١٩٤٨ عندما شاءت له أقداره أن يكون أحد اللذين حاصرهم الإسرائيليون في الفالوجة والذين قاتلوا برغم ذلك ببسالة وواصلوا القتال رافضين الاستسلام .وكان خلال ذلك يتحدث عبر خطوط الجبهة مع الإسرائيليين المحاصرين للفالوجة ، وكان الحديث يدور حول الكيفية التي أجبر بها اليهود بريطانيا على التخلي عن انتدابها على فلسطين .)

ويؤكد اللواء أ .ح جمال حماد على صحة تلك الشهادات في الحلقات الخمسة عشرة التي نشرتها مجلة " أخر ساعة "بعنوان : "الحقيقة في قصة الأسلحة الفاسدة " ،

والتي بدأت المجلة نشر أولى حلقاتها في عدد ٢٨ / ٣ /٢٠٠١ ، وأكده في حديثه لجريدة الأهرام اليومي بتاريخ ١١ ديسمبر ٢٠٠٩ : (بصراحة شديدة حجم الدعاية في قضية الأسلحة الفاسدة لا يقل عن ٦٠% وقد روجت السينما لهذه القضية طويلا. وكل ما في الأمر أن المدافع التي قيل إنها كانت ترتد لصدور جنودنا كانت تنفجر نتيجة لسخونتها. وكثافة استخدامها في ضرب النار وقلة التدريب ، فالمدفع الـ ٢٥ رطلا من أفضل المدافع في العالم وهيأ النصر للإنجليز في العلمين ولكن الذخائر التي استخدمت كانت فاسدة نتيجة للعوامل الجوية وحرارة الشمس ، أما الهزيمة فقد تحملتها مصر؛ لأنها مصر الرائدة والأخ الأكبر دائما. كان جيشنا أكبر جيش. أحد الجيوش السبعة كان يتكون من (١٠٠٠مقاتل) يحاربون بالبنادق فقط ، وبلا خرائط !!).

(.. يتفق مع اللواء جمال حماد في الرأي أحمد حمروش أحد ضباط انقـلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢، فقد ذكر في (الجزء الأول من كتابه قصة ثورة ٢٣ يوليو):

"هكذا كانت قضية الأسلحة الفاسدة ، قضية دعاية أكثر منها قضية مخالفة للقانون... وقضية إثارة أكثر منها قضية اختلاس وسرقة .. والأقلام التي انجذبت إليها صورتها على أساس أنها قضية رئيسية في هزيمة الجيش ، متجاوزة بذلك قضايا أخرى أكثر أهمية وأكثر نفاذاً في التأثير على قدرة الجيش على القتال" .

ويقطع عبد اللطيف البغدادي في شهادته بأسباب هزيمة الجيش في حرب فلسطين والتي ضمنها عبد اللطيف البغدادي مذكراته التي نشرت بعنوان " مذكرات عبد اللطيف البغدادي "عن دار نشر المكتب المصري الحديث في عام ١٩٧٧ ، وهى شهادة لها أهمية خاصة لسببين:

الأول: لكونها صادرة عن عبد اللطيف البغدادي رئيس " محكمة الثورة " التي حكمت على القائم قام عبد الغفار عثمان بالسجن ١٥ عاماً وتجريده من الرتبة العسكرية ومصادرة أمواله ، وأموال زوجتيه .

الثاني: وأن هذه الشهادة جاءت بخلاف ما نطق به من حكم الإدانة بحق عبد الغفار عثمان.

يقول البغدادي:

"..وكان النقراشي باشا رئيساً للحكومة في ذلك الحين ، وقد طلب من قادة الجيش المصري الاشتراك في المعركة الدائرة على ارض فلسطين ، واعتراض بعض القادة منهم لعدم استعداد الجيش المصري بالأسلحة اللازمة والكافية لخوض هذه المعركة ، وهو نفسه كان يعرف هذه الحقيقة أيضا ، ولكنه تحت ضغوط الملك فاروق أصدر أمره للجيش بالتدخل " .

.. يعود البغدادي ليعترف صراحة عن أسباب الهزيمة ، وليس من بينها ثمة إشارة لأسلحة فاسدة أو قتلى من الجنود نتيجة لاستعمالها ، فيذكر على صفحتي ٢٧ و ٢٨ من الجزء الأول من نفس المذكرات:

".. ولكن الجيش المصري كان في أشد الحاجة للأسلحة والذخيرة ، ولم يكن يمكنه الحصول عليها إلا من السوق السوداء العالمية . وفى حدود ضيقة جداً ومن أصناف رديئة من مخلفات الحرب العالمية الثانية ، وكان قد سبق استخدامها وكان هناك ـ قرار من هيئة الأمم بحظر بيع السلاح للأطراف المتحاربة ـ ولكن رغم هذا القرار فقد أمكن لليهود الحصول على احتياجاتهم كاملة من السلاح من السوق الأوربية

وخاصة من تشيكوسلوفاكيا . وتخللت تلك الحرب ثلاث هدنات وأوقف القتال في كل هدنة ، وكان ذلك في صالح اليهود لأنهم كانوا قادرين على شراء ما يلزمهم من الأسلحة والذخيرة بخلاف العرب . كما أنهم كانوا يعملون أيضاً على كسر قرار إيقاف القتال بغرض تحسين مواقعهم العسكرية والاستفادة بأراض جديدة يعملون على احتلالها عندما يكونون قادرين على ذلك " .

.. ويعترف د . ثروت عكاشة في الجزء الأول من مذكراته بعنوان : "مذكرات في السياسة والثقافة" :

(إن ما قيل عن فساد الأسلحة والذخائر التي كانت في أيدي الجيش المصري ، حديث يتجاوز الحقيقة.)

.. ويقطع الصاغ حسين حمودة (من ضباط انقلاب ٢٣ يوليو) في شهادته التي ضمنها كتابه بعنوان " أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمين " :

(أنه لم يرسل إلى ميدان القتال بفلسطين سنة ١٩٤٨ أية أسلحة فاسدة لأن السلاح كان يجرب في مصر قبل إرساله إلى ميدان القتال) .

شهادة أخرى على ملأ من الناس في القاهرة، ففي يناير عام ١٩٨٨ استضاف معرض القاهرة الدولي للكتاب ضمن فاعليات ندواته الفريق حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومي السابق الذى شهد :

" أنه كان ضابطا في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، ولم تكن هناك بندقية واحدة فاسدة في أيدي الجيش المصري " .

كل ما لدينا من وقائع وشهادات تؤكد أن كذبة سوداء مسماة بـ " الأسلحة الفاسدة" هي صورة صارخة ومثال زاعق لعملية الغش والتدليس في كتابة تاريخ الوطن والمساس بحرمته من أشخاص تحوطهم الشبهات ، وصحفي مخادع بنى مجده الصحفي على كذبة يدعى إحسان عبدالقدوس!! وأن هذا الدعي لم يسلم من بطش من مارس الكذب

لحسابهم، فقد نشر مقالاً بعنوان : (الجمعية السرية التي تحكم مصر) أثناء أزمة مارس ١٩٥٤ والاعتداء على الدكتور عبد الرزاق السنهوري، وترتب على المقال القبض عليه واعتقاله ودخوله السجن الحربى الذى لقى فيه من هوان الرجال ما يعجز القلم عن سطره، ويعف اللسان من نطقه ، وبعد خروجه منه صباح يوم ٣١ يوليو ١٩٥٤. ، وما أن وصل إلى بيته ، دق جرس التليفون يحمل إليه صوت جمال عبد الناصر شريكه في كذبة " الأسلحة الفاسدة" ضاحكاً، وهو يقول له :

" هيه إتربيت ولا لسه يا إحسان، طيب تعال إفطر معايا ، ما تتأخرش أنا منتظرك" .

استقبله جمال عبدالناصر؛ تناولا الفطور معاً ، كان عبدالناصر ينظر إليه نظرات ذات مغزى يفهمه إحسان الذى منكسراً لا يقوى على ابتلاع طعامه، في هذا اللقاء أفهمه عبد الناصر أن الزمن قد تغير، وألمّح له بأشياء أخرى(......) ، بعدها راح عبدالقدوس يكتب روايات الجنس والفراش مبتعدا عن السياسة .

.. الغريب في الأمر أيضا أن مجرمي تزييف التاريخ مازالوا يصرون على الكذبة في مناهج التعليم في مصر واغلب بلدان العالم العربي !!

وقف القتال في حرب ١٩٤٨م :

بعدما فرض مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة على لبنان قرار وقف إطلاق النار يوم ١٠ يونيو/حزيران ١٩٤٨ وحظر تزويد أي من أطراف الصراع بالأسلحة، توقف القتال بين الجيش الإسرائيلي والجيوش العربية النظامية، فيما واصل جيش الإنقاذ عملياته العسكرية في منطقة الجليل.

تم تحديد هدنة لمدة أربعة أسابيع، وعلى الرغم من حظر التسليح أو إرسال أي قوات جديدة لجبهات القتال فإن إسرائيل لم تلتزم بهذا الشرط، وسعت لتعويض خسائرها، وانهالت عليها الأسلحة بصورة ضخمة وخصوصا الطائرات، كما تطوع كثيرون من يهود أوروبا للقتال.

خرقت إسرائيل الهدنة، تحت مسمع ومرأى من الأمم المتحدة، وزحفت جنوبا نحو الفالوجة (التي كانت بها القوات المصرية) لتوسيع رقعة الأراضي التي احتلتها وتطويق الجيش المصري المتمركز بها، وإضعاف الجبهة الجنوبية التي كانت تقترب من تل أبيب.

وفي ٨ يوليو/تموز ١٩٤٨ استأنف الجيش الإسرائيلي القتال في جميع الجبهات رغم محاولات الأمم المتحدة تمديد الهدنة.

ومع انتهاء الهدنة اتخذت المعارك مسارا مختلفا، وتعرضت القوات العربية لسلسلة من الهزائم مكنت إسرائيل من بسط سيطرتها على مساحات واسعة من أراضي فلسطين التاريخية.

وفي ٢١ يوليو/تموز توقفت المعارك بعد تهديدات من مجلس الأمن الدولي بفرض عقوبات قاسية على طرفي المعركة. وقد قبل العرب هدنة ثانية، وكان هذا القبول بمثابة اعتراف بالهزيمة.

وفي ٧ يناير/كانون الثاني ١٩٤٩ انتهى القتال بعد أن استولى الجيش الإسرائيلي على معظم منطقة النقب وطوق القوات المصرية التي كانت موجودة حول الفالوجة في النقب الشمالي. ثم بدأت المفاوضات في جزيرة رودس اليونانية حيث توسطت الأمم المتحدة بين إسرائيل من جانب، وكل من مصر والأردن وسوريا ولبنان من جانب آخر.

في الفترة ما بين ٢٤ فبراير/شباط و٢٠ يوليو/تموز ١٩٤٩ تم التوقيع على اتفاقيات الهدنة الأربع، وفيها تم تحديد الخط الأخضر، وكان مجلس الأمن قد أوصى في ٧ مارس/آذار ١٩٤٩ بقبول إسرائيل عضوا كاملا في الأمم المتحدة. وفي ١١ مايو/أيار ١٩٤٩ أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة هذه التوصية.

أسباب الهزيمة:

يرجع المؤرخون سبب هزيمة العرب في هذه الحرب إلى أسباب عسكرية وأخرى سياسية. أما العسكرية فأبرزها وجود فارق كبير في خبرة القتال والعدد والتسليح بين العرب واليهود رغم اني ممن لديه وجهة نظر اعتقد فيها انه وفق ما جرى ووفق الامكانات المتاحة كانت نصف هزيمة فقد استطاعت الجيوش العربية الدفاع عن حوالي ٤٠ بالمئة من مساحة فلسطين والقدس الشرقية رغم فارق الامكانيات الكبير بين الطرفين لصالح الاسرائيليين .

كما ساهمت بعض القرارات في الهزيمة ومنها:

- انسحاب القوات الأردنية من مواقعها بأمر من قيادتها السياسية، وهو ما تسبب في خسارة أراض واسعة كانت مخصصة للدولة العربية وفقاً لتقسيم فلسطين، ومنها الجليل الأعلى والنقب، كما أدت إلى كشف المواقع المصرية ومحاصرتها من قبل الإسرائيليين.

- فارق الخبرة العسكرية والعدد والعدة بين الجيش المصري وجيش الهاغاناه اليهودي، فلم تكن لدى قيادة الجيش المصري سابق خبرة في قيادة أي معارك حربية، فآخر الحروب التي خاضها الجيش المصري كانت بقيادة إبراهيم باشا في الشام سنة ١٨٣٩، ومنذ ذلك الحين لم يشارك الجيش المصري في أي معارك حربية.

في المقابل شارك جيش الهاغاناه اليهودي في الفيلق اليهودي في الحرب العالمية الأولى، ثم في الحرب العالمية الثانية، فاكتسب اليهود خبرات كبيرة في هذه الحروب متعددة الجبهات.

ونقل مؤرخون عسكريون أن القوات الإسرائيلية كانت تفوق القوات المصرية في العدد بنسبة ٢ إلى ١، وبلغت نسبة تفوق القوات الإسرائيلية على المصرية في المعدات والذخائر من حيث الكم والكيف نسبة ٣ إلى ١.

- ضعف فرق المقاومة الفلسطينية، وقلة تسليحها وخبرتها التنظيمية.

أما الأسباب السياسية والتي تعتبر العامل الأكبر لهذه الهزيمة فتمثلت في:

- مساندة إنجلترا والولايات المتحدة و فرنسا إقامة دولة يهودية في فلسطين، من خلال تشجيع هجرة اليهود بأعداد ضخمة إلى فلسطين، وإمدادهم بالأسلحة والذخيرة، وتدريبهم، ومنع كل ذلك عن العرب.

  ورغم موافقة إنجلترا على دخول الدول العربية الحرب بجيوشها، إلا أنها كانت تعلم أن القوات العربية بتسليحها وقدرتها لن تحقق نصرا على قوات اليهود، كما أنها مارست ضغطاً كبيراً على حكومات الدول العربية لتضمن قيام دولة يهودية في الأراضي التي خصصت لها بموجب قرار التقسيم.

- غياب استراتيجية واضحة لدى القيادة السياسية في مصر التي لم تكن لديها الدراسات السياسية والعسكرية والتاريخية عن فلسطين وخطورة المخطط اليهودي، وطبيعة وأسباب وأبعاد المساندة الغربية لقيام هذا الكيان فوق أرض عربية.

- قيام القوات الأردنية بالانسحاب من مواقعها بأوامر من قيادتها السياسية، وهو ما أدى لخسارة أراض واسعة كانت مخصصة للدولة العربية وفقاً لتقسيم فلسطين، وهي الجليل الأعلى وصحراء النقب. كما أن الانسحابات الأردنية أدت إلى كشف المواقع المصرية ومحاصرتها من قبل قوات العدو كما حدث في الفالوجا.

خسائر الحرب:

تقدر الإحصائيات الرسمية الفلسطينية قتلى فلسطين في هذه الحرب بنحو ١٥ ألفا، فيما يقدر عدد قتلى الجيوش العربية الأخرى بما بين ٣٧٠٠ إلى سبعة آلاف جندي.

ووفقا للإحصائيات الإسرائيلية فإن عدد قتلى اليهود في هذه الحرب وصل إلى نحو ٥٦٠٠ قتيل.

حصار الجاسوس جمال عبد الناصر ورفاقه في الفالوجة :

ذكرنا سابقا كيف تم حصار الفالوجة عبر انسحاب القوات الاردنية مما ادى الى حصار القوات المصرية لكن ما لم نذكره هو كيف كان الجاسوس الامريكي الاسرائيلي جمال عبد الناصر مع ضباط المخابرات الاسرائيلية واشهرها لقاءات عبد الناصر وضابط المخابرات الإسرائيلي يروحام كوهين !!!!

هذا الشخص الشرقي الملامح هو أحد أهم من أثروا في تاريخ مصر الحديث، انه يروحام كوهين يهودي من اليمن وعمل كعضو في العصابات اليهودية في فلسطين وكان ضابطاً بالمخابرات الاسرائيلية اثناء وبعد حرب فلسطين، تعرف هذا الشخص على جمال عبد الناصر سنة ١٩٤٨ عندما كانت القوات المصرية محاصرة في قرية عراق المنشية او ما يعرف بجيب الفلوجة وكان قائد القوات المصرية هناك هو سيد طه الذي كان يلقب بالنمر الاسود للونه الاسمر، وانعقدت صداقة بين يروحام كوهين والصاغ عبد الناصر الذي زار مستوطنة كيبوتس جات والتقى يجال الون ويروحام كوهين وضابط اخر في احد المنازل لمناقشة شروط الهدنة ثم يعرضها بعد ذلك على قيادته (سيد طه)، وتعددت لقاءاتهما بعد ذلك وكان عبد الناصر مهتما بشكل خاص بتنظيم الجماعات المسلحة اليهودية التي تحارب البريطانيين في فترة الانتداب ويذكر أن عبد الناصر دعا يروحام كوهين لزيارة القاهرة بعد وصوله إلى السلطة لكن السلطات الإسرائيلية رفضت السماح له بزيارة مصر.

وفي روايته عن زيارة عبد الناصر يروي يروحام كوهين هذا أن عبد الناصر كان مهتماً بشكل خاص بمظاهر الاحتفال بثورة اكتوبر الشيوعية التي تم الاحتفال بها في الكيبوتز الذ زاره وبمشاهد الفتيات اللواتي كن يقمن بجمع ثمار البرتقال وهن يرتدين الشورتات القصيرة، ويروي حسن التهامي زميل عبد الناصر فيما عرف باسم تنظيم الضباط الأحرار وضابط المخابرات العامة فيما بعد في كتابه (عبد الناصر ولعبة الامم) أن عبد الناصر اثناء حصار الفلوجة في حرب فلسطين كانت تأتيه صناديق البرتقال والشوكولاتة وأنه استغرب من هذا كثيراً ويروي أنه اثناء مباحثات كامب ديفيد سأل يجال الون وكان عضوا بالوفد الصهيوني عن الموضوع فرد عليه بأنه هو من كان يرسل صناديق البرتقال والشوكولاتة وأن عبد الناصر كان صديقاً له!.

علاقات عبد الناصر بالإسرائيليين في هذه الفترة المبكرة هي التي أهلته ليكون محل ثقة المخابرات الأمريكية التي اعتمدت عليه في القيام بانقلاب سنة ١٩٥٢ والذي أوصى ضابط المخابرات الأمريكية كرميت روزفلت اعضاء الكونجرس الامريكي بدعمه كما ذكر زميله مايلز كوبلاند في كتابه لعبة الأمم !!.

استمر يروحام كوهين هذا في المخابرات الاسرائيلية وتوفي سنة ١٩٩١ عن عمر يناهز ٧٥ عاماً الغريب أنه مع علاقة عبد الناصر المعروفة بيروحام كوهين هذا، الا

ان هناك صور تجمع يروحام كوهين بقائد القوات المصرية سيد طه بينما لا توجد صورة واحدة تجمع الصديقين عبد الناصر وكوهين على الرغم من لقاءهما عدة مرات.



الصورة على اليسار ليروحام كوهين مع قائد القوات المصرية في الفلوجة سيد طه والصورة على اليمين ليروحام كوهين والصورة بالأسفل لجمال عبد الناصر اثناء حصار العصابات الاسرائيلية للقوات المصرية في الفلوجة بفلسطين.

ربما لا يعلم الكثيرون أن أول هدية تلقاها عبد الناصر عند ولادة ابنه، كانت بدلة طفل أهداها له يروحام كوهين ضابط المخابرات الصهيوني وقت مباحثات الهدنة قبل انقلاب ٥٢، كما روى صديق يروحام كوهين في حوار لأحد المواقع الإخبارية.

يقول ضابط المخابرات الصهيوني يروحام كوهين عن علاقته بعبد الناصر: "دون أن ندري عانق كل منا الآخر، وبدأنا مباشرة في استئناف محادثاتنا التي كنا نجريها عندما انفصلنا من سنة".

ثم بقي معه أسبوعا كاملا كما يروي الأمير الاي سيد طه قائد قطاع الفالوجة في حرب ١٩٤٨ والقائد المباشر لعبد الناصر في مفكرته.

فيما بعد، سيخرج المحللون العسكريون ليغرقوك في تحليل تفاصيل الهزيمة في ٦٧ وسيتباكى البعض على الجيش الذي كان العدو يبدل ضباطه بالبطيخ والشمام، كما روى ضابط المخابرات الحربية اللواء فؤاد حسين في كتابه الخيانة الهادئة. ولكن الجميع

سينسون البدايات وسيتناسى هؤلاء كيف كان عبد الناصر أول المعترفين بالكيان الصهيوني، وكيف كان يتصل بهم ويرسل لهم مبعوثيه الشخصيين، وكيف يتمنى السلام والرخاء بين الشعبين (السلام الدافئ في عهد عبد الناصر كان يسمى السلام والرخاء للشعبين).

وسيخرج من تحت عباءة أحمد سعيد المزيد من المغيبين ليصبحوا كتابا يغيبون المزيد من الجموع، ويحدثونهم عن وطنية الزعيم وكفاحه المزعوم ضد الاستعمار، وهكذا تصبح الحقيقة نهبا لحفنة من منافقي الأنظمة، التي صنعها الاحتلال ومن خرج من تحت عباءتهم من الصحفيين المغيبين، لننسى أطول خدعة عشناها حتى الآن.

القصة التي روتها اعتماد خورشيد عن الفتاة اليهودية التي أحبها عبد الناصر ثم هاجرت من مصر قبل انقلاب يوليو بشهر (شوف الصدف !!)، تشي بأن علاقة عبد الناصر بالكيان الصهيوني أقدم وأبعد حتى من لقائه بيروحام كوهين، وأن كيرميت روزفيلت ضابط السي آي إيه الذي كان يشرف عليه في مصر، ربما كان ترتيبا لاحقا لتهيئة العميل للحكم.

لقاء جمال عبد الناصر مع اسحاق رابين عام ١٩٤٨ م

روى فيلم وثائقي إسرائيلي عرض لأول مرة في نيويورك في يناير ٢٠١٧ كيف التقى الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر رئيس الوزراء الإسرائيلي الراحل إسحق رابين على الغداء خلال حرب فلسطين ١٩٤٨ حين كانا ضابطين.

وقد تكشفت تفاصيل ذلك اللقاء في مقابلة مع رابين عام ١٩٩٤ وكان وقتها رئيسا للوزراء. وهذه التفاصيل هي محور الفيلم الوثائقي الجديد "شالوم رابين" للمخرج عاموس غيتاي، والذي يدور حول ما يعتبره سعي رابين لسلام مع الفلسطينيين.

يقول رئيس الوزراء الإسرائيلي في الفيلم إن انطباعاته من هذا اللقاء ولدت لديه آمالا كبيرة فيما بعد بشأن العلاقة بين العرب والإسرائيليين عندما أطاح عبد الناصر بالملكية في مصر عام ١٩٥٢.

ويروي رابين أن الضباط الإسرائيليين دعوا نظراءهم المصريين للقاء بعد أن حاصروا كتيبتهم في الفالوجة. وكان رابين قائدا لقوات "بلماخ".

رابين يحكي:

يقول رابين "كان هو (عبد الناصر) برتبة صاغ. وكنت أنا برتبة مقدم. عرضنا عليهم أن يأتوا ويتناولوا طعام الغداء في كيبوتس غات الإسرائيلي وهم جاؤوا".

ويضيف "كان ناصر يجلس إلى جواري. نظر إلى شعار بلماخ وسألني ماذا يعني وشرحت له معناه، ثم قال لي إن الحرب التي نخوضها هي الحرب الخطأ ضد العدو الخطأ في الوقت الخطأ. وأنا أتذكر ذلك لأنه لم يقله لأحد على انفراد".

ويقول رابين أيضا "أعتقد أننا في ذلك الوقت كنا قريبين جدا من السلام. وما حدث حدث وهو ذهب في الاتجاه المعاكس. أظن أن الطريق أطول بكثير مما كنا نتمنى."

ويؤكد عبد الناصر -الذي توفي عام ١٩٧٠- في يومياته عن الحرب أن ضابطا إسرائيليا اقترب من الفالوجة في سيارة مدرعة رافعا راية بيضاء، وأن الجانبين اتفقا على أن يجتمعا في اليوم التالي ١١ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٤٨.

وفي اليوميات التي جمعتها ابنته هدى في كتاب بعنوان "ستون عاما على ثورة يوليو-الأوراق الخاصة" كتب عبد الناصر "قوبلنا مقابلة حسنة. واجتمعنا مع اليهود، وتكلم القائد اليهودي وقال إنه يرغب في أن يمنع سفك الدماء وإن موقفنا ميؤوس منه".

وأضاف أن القائد اليهودي "طلب أن نسلم فاعترض القائد المصري وطلب الانسحاب إلى غزة أو رفح، فمانع اليهود وقالوا إنهم يوافقون على شرط أن يخرج الجيش المصري من كل فلسطين".

ويتابع قائلا "طلبنا إجلاء الجرحى إلى غزة ولكن رفضوا ذلك وقالوا إنهم مستعدون أن يعطونا ما نرغب من الأدوية. وأخيرا خرجنا. وقد قدموا لنا عصير برتقال وبرتقالا وساندويتش وشوكولاتة وملبس (حلوى) وبتي فور وبسكويت." ولم يرد في اليوميات اسم القائد أو رابين.

وقام جمال عبد الناصر بعد استلامه السلطة بإعدام كل من الشيخ محمد فرغلي صاحب الجهاد الطويل ضد الصهاينة في حرب ٤٨ وكذلك ضد الانكليز رفيقه عبد القادر عودة.

٥. ابرز قادة الانقلاب الى جانب جمال عبد الناصر:

١. اللواء محمد نجيب:

هو بالحقيقة كان جسرا استخدمه الانقلابين الجواسيس لفترة قبل ان يتخلصوا منه حيث كانوا يحتاجون الى ضابط برتبة عالية وذلك لان اغلب الانقلابين كانوا من رتب صغيرة لذلك نجحوا عصابة الجواسيس بخداع الرجل وجعلوا منه قائد الحركة الانقلابية هو اللواء محمد نجيب والواقع أنه تم اختياره - من قبل الضباط الأحرار – كواجهة للانقلاب لما يتمتع به من سمعة حسنة داخل الجيش و كان اللواء الوحيد في التنظيم وكان سبب انضمام الكثير من ضباط الجيش

للضباط الاحرار وكان أحد أهم عوامل نجاح الانقلاب . لكن صراعا على السلطة نشأ بينه وبين جمال عبد الناصر بعد أن رأي اللواء محمد نجيب ضرورة تسليم السلطة لسلطة مدنية منتخبة، استطاع جمال أن يحسمه إلى صفه في النهاية وحدد إقامة محمد نجيب في قصر زينب الوكيل حرم مصطفى النحاس باشا بضاحية المرج شرق القاهرة لحين وفاته. تولى جمال عبد الناصر بعد ذلك حكم مصر من ١٩٥٤ حتى وفاته عام ١٩٧٠ واستمد شرعية حكمه من انقلاب يوليو وسنناقش في الفصل القادم من هو محمد نجيب وكيفية اطاحة الجاسوس عبد الناصر به .

٢. محمد انور السادات:

ولد بقرية ميت أبو الكوم بمحافظة المنوفية سنة ١٩١٨، وتلقى تعليمه الأول في كتاب القرية على يد الشيخ عبد الحميد عيسى، ثم انتقل إلى مدرسة الأقباط الابتدائية بطوخ دلكا وحصل منها على الشهادة الابتدائية. وفي عام ١٩٣٥ التحق بالمدرسة الحربية لاستكمال دراساته العليا، وتخرج من الكلية الحربية بعام ١٩٣٨ ضابطاً برتبة ملازم ثان وتم تعيينه في مدينة منقباد جنوب مصر. وقد تأثر في مطلع حياته بعدد من الشخصيات السياسية والشعبية في مصر والعالم.

كان السادات من النوع الذي يبقي صلته مع الجميع حيث قام بعقد اجتماعات مع الضباط في حجرته الخاصة بوحدته العسكرية بمنقباد وذلك عام ١٩٣٨، وكان تركيزه في أحاديثه على البعثة العسكرية البريطانية ومالها من سلطات مطلقة وأيضا على كبار ضباط الجيش من المصريين وانسياقهم الأعمى إلى ما يأمر به الإنجليز، كما شهدت هذه الحجرة أول لقاء بين السادات وكل من جمال عبد الناصر، وخالد محي الدين، ورغم إعجاب السادات بغاندي إلا أنه لم يكن مثله الأعلى بل كان المحارب السياسي التركي مصطفى كمال أتاتورك، حيث شعر السادات بأن القوة وحدها هي التي يمكن من خلالها إخراج البريطانيين من مصر وتغيير النظام والتعامل مع الساسة، كما فعل أتاتورك في اقتلاع الحكام السابقين لتركيا.

في صيف ١٩٤١ قام السادات بمحاولته الأولى لتنظيم انقلاب في مصر، وبدت السذاجة لخطة الانقلاب فقد كانت معلنة، حيث كانت تقضى بأن كل القوات المنسحبة من مرسى مطروح سوف تتقابل بفندق مينا هاوس بالقرب من الأهرامات، وفعلا وصلت مجموعة السادات الخاصة إلى الفندق وانتظرت الآخرين للحاق بهم، حيث كان مقررًا أن يمشى الجميع إلى القاهرة لإخراج البريطانيين ومعاونيهم من المصريين، وبعد أن انتظرت مجموعة السادات دون جدوى، رأى السادات أن عملية التجميع فاشلة ولم ينجح الانقلاب.

تم طرد السادات من الجيش واعتقاله وإيداعه سجن الأجانب عدة مرات، حيث قام بالاستيلاء على جهاز لاسلكي من بعض الجواسيس الألمان "ضد الإنجليز" وذلك لاستغلال ذلك الجهاز، وفى السجن حاول السادات أن يبحث عن معاني حياته بصورة أعمق وبعد أن مضى عامين (١٩٤٢ : ١٩٤٤) في السجن قام بالهرب منه حتى سبتمبر ١٩٤٥ حين ألغيت الأحكام العرفية، وبالتالي انتهى اعتقاله وفقا للقانون، وفى فترة هروبه هذه قام بتغيير ملامحه وأطلق على نفسه اسم الحاج محمد، وعمل تباعا على عربة تابعة لصديقه الحميم حسن عزت، ومع نهاية الحرب وانتهاء العمل بقانون الأحوال العسكرية عام ١٩٤٥ عاد السادات إلى طريقة حياته الطبيعية، حيث عاد إلى منزله وأسرته بعد أن قضى ثلاث سنوات بلا مأوى.

عقد السادات ومعاونيه العزم على قتل أمين عثمان باشا، وزير المالية في مجلس وزراء النحاس باشا لأنه كان صديقا لبريطانيا وكان من اشد المطالبين ببقاء القوات الإنجليزية في مصر، وكان له قول مشهور يشرح فيه العلاقة بين مصر وبريطانيا واصفًا إياها بأنها "زواج كاثوليكي" بين مصر وبريطانيا لا طلاق فيه، وتمت العملية بنجاح في السادس من يناير عام ١٩٤٦ على يد حسين توفيق، وتم الزج بأنور السادات إلى سجن الأجانب دون اتهام رسمي له، وفى الزنزانة ٥٤ تعلم السادات الصبر والقدرة على الخداع، حيث كانت تتصف هذه الزنزانة بأنها قذرة لا تحتوى على شيء إلا بطانية غير آدمية، وتعتبر تجارب السادات بالسجون هذه أكبر دافع لاتجاهه إلى تدمير كل هذه السجون بعدما تولى الحكم وذلك عام ١٩٧٥ وقال حين ذاك: "إن أي سجن من هذا القبيل يجب أن يدمر ويستبدل بآخر يكون مناسبا لآدمية الإنسان".

تم الحكم ببراءة السادات من مقتل أمين عثمان وتم الإفراج عنه، بعد ذلك أقام السادات في بنسيون بحلوان لكي يتمكن من علاج معدته من آثار السجن بمياه حلوان المعدنية.

بعد خروجه من السجن عمل مراجعًا صحفيًا بمجلة المصور حتى ديسمبر ١٩٤٨. وعمل بعدها بالأعمال الحرة مع صديقة حسن عزت. وفي عام ١٩٥٠ عاد إلى عمله بالجيش بمساعدة زميله القديم الدكتور يوسف رشاد الطبيب الخاص بالملك فاروق.

وفي عام ١٩٥١ تكونت الهيئة التأسيسية للتنظيم السري في الجيش والذي عرف فيما بعد بتنظيم الضباط الأحرار فانضم إليها. وتطورت الأحداث في مصر بسرعة فائقة بين عامي ١٩٥١ - ١٩٥٢، فألغت حكومة الوفد معاهدة ١٩٣٦ وبعدها اندلع حريق القاهرة الشهير في يناير ١٩٥٢ وأقال الملك وزارة النحاس الأخيرة.

في الحقيقة السادات ودوره في انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢ يدور حوله جدل كبير حيث قضى السادات انذاك ليلته بالسينما وعاد الى منزله ولم يلتحق بالانقلابيين الا في السابعة صباحا رغم انه كان صاحب البيان الانقلابي الاول الذي قرأه في الساعة السابعة والنصف صباحا واختياره لأن الجميع من الضباط كان مشغولا بمهام آخرى وهذا يدل على ان السادات لم يكن مكلفا بمهمة محددة .

وربما السادات كان ينتظر نجاح الانقلاب من عدمه ليشارك فيه وهو ماعرف عن السادات بعد الانقلاب اذ انه كان اقل شخص في القيادة معارضة لعبد الناصر وكان يوافق على كل مايقول به عبد الناصر من غير ابداء اي اعتراض وهو ما دفع عبد الناصر لإسناد منصب نائب الرئيس للسادات الذي تولى الرئاسة بعد مقتل عبد الناصر بالسم كما سنتطرق لهذا في الفصول القادمة.

٣. عبد الحكيم عامر:

المشير محمد عبد الحكيم عامر (١١ ديسمبر ١٩١٩ - ١٤ سبتمبر ١٩٦٧) ويعرف كذلك بوزير النكسة او ربما النكسات ان صح التعبير وهو أحد رجال انقلاب يوليو ١٩٥٢ في مصر. وكان صديقاً مقرباً للرئيس الراحل جمال عبد الناصر وصلاح نصر رئيس المخابرات المصرية الأسبق تولى منصب القائد العام للقوات المسلحة المصرية ووزير الحربية ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة خلال الفترة الممتدة من ٧ إبريل ١٩٥٤م الى ١٩ يونيو ١٩٦٧م وتم عزله وتحميله نكسة ٦٧ وتم التخلص منه بالسم من قبل جمال عبد الناصر صديقه المقرب.

إن عامر نصف فنان، نصف بوهيمي، لطيف جداً، عسكري لا يصلح لقيادة جيش، تكفيه كتيبة . . ولم يكن يقرأ . . أو يتابع الجديد في فنون الحرب.. ولم يكن لديه الوقت ليكون قائداً للجيش. .لقد توقفت معلوماته العسكرية عند رتبة الصاغ (رائد) .. ولم تزد معلومة واحدة حتى مات وهو برتبة (مشير) .

وقد راح عامر يدلل الضباط الى حد أفسدهم.. فتحول رجال مكتبه الى تجار ومهربين .. ففي ١٩٦٦، كانوا يجيئون ببضائع وثلاجات وأجهزة تكييف وتليفزيونات من عدن عن طريق اليمن ويبيعونها في السوق السوداء في القاهرة وقتها أثار عبدالناصر الموضوع مع عامر.. قائلاً: "إنه لا يريد أن يدخل في هذه القضية بسلطته أو سلطة الحكومة حتى لا يحرج المشير، ولهذا فهو يطلب منه شخصياً تصفية هذه الانحرافات ومعاقبة المسؤولين عنها فوراً". . ثم قال عبدالناصر لعامر: "إنني أريد أن تأمر بنفسك بالتحقيق في هذه الموضوعات ولا أريد أن تتصرف بمنطق الصعيدي الذي يتصور أنه مكلف بحماية رجاله فهذا منطق مشايخ غفر لا يليق بك".

وواضح أن عبدالناصر كان يعرف أن أسلوب عامر هو أسلوب العمد وشيوخ البلد، ومنطقه هو منطق الصعيدي والمصطبة. لا هو أسلوب مؤسسة منضبطة لها تراث وتقاليد. .ولا هو منطق القائد الذي يلتزم باللوائح والقوانين. إن فضيحة المشير كانت نموذجاً لأخطاء السلطة الأبوية في المؤسسة العسكرية.. وهي السلطة التي ضيعت الجيش في يونيو ١٩٦٧ قبل أن تضيع أعصاب قائده. بل إن الهزيمة لم تعلمه كيف يتخلص من هذا الطراز من السلطة. فعندما اتفق مع عبدالناصر على الاستقالة، رشح شمس بدران أحد رجاله المخلصين ليصبح رئيساً للجمهورية. . إنه كان مستعداً لأن يُلدغ من نفس الجحر مرتين.

وبعد سنة – تقريباً – على فضيحة مكتب المشير . . انفجرت قنبلة زواجه السري من نفيسة عبدالحميد حواس، وشهرتها برلنتي عبدالحميد، وهي ممثلة سينمائية عُرفت بتقديم أدوار الإغراء والإثارة. . ولعل قصتها مع المشير صورة من صور الولاء للسلطة الأبوية.. إن الضباط يردون الدين للأب القائد.. إنه يمنحهم الحماية والمميزات، ويغفر الذنوب والتجاوزات، ولا بد أن يحصل على الثمن.. ولاء وطاعة وخدمات أخرى شخصية . .لا مانع.

والمعروف أن الذي دبر اللقاء الأول بين عامر وبرلنتي هو مدير المخابرات الأسبق صلاح نصر، في أواخر سنة ١٩٦٠، وقد تطورت العلاقة الى زواج عرفي وقع عليه حسن ومصطفى عامر شقيقا المشير في أوائل عام ١٩٦٥ . . وفي ٢٠ فبراير ١٩٦٧ – وحسب ما قاله هيكل (٢) – قرأ عبدالناصر تقريراً كان بمثابة صدمة. . كان التقرير عن زواج عامر وبرلنتي، وأنهما ينتظران مولوداً نتيجة لهذا الزواج. . ورأى عبدالناصر أن ينتظر أياماً قبل أن يفاتح عامر في الموضوع. . حتى لا تملكه انفعالات الغضب وتصعب المناقشة الجادة في تصرف يصعب السكوت عليه.

وكان شعور عبدالناصر لأول وهلة أن عبدالحكيم عامر يجب أن يبتعد عن منصبه وما دام قد اختار أن يغلب ضعفه الإنساني على شعوره بالواجب فإن الأمور تقتضي حسماً، وقام عبدالناصر باستدعائه لمقابلته يوم أول مارس ١٩٦٧، وكانت مشاعره مختلطة بين الأسى والغضب، فقد كان عبدالحكيم عامر أقرب الناس اليه منذ كانا في عز الشباب ضابطين بالقوات المسلحة، ثم خدما معاً في السودان قرابة عامين. . ثم كان عبدالحكيم عامر ساعده الأيمن في تنظيم الضباط الأحرار، وكان هو الذي يتولى الإشراف على شؤون التنظيم بما فيها الاتصال مع الضباط الذين انضموا الى صفوفه وكان عبدالحكيم عامر بطبيعته إنساناً ودوداً قادراً على كسب ثقة زملائه والاحتفاظ بودهم. . وليلة الثورة كان بجانب عبدالناصر طوال الوقت. . وفيما بعد ولصلته بتنظيم الضباط الأحرار، ولمعرفته الواسعة بهم، وبغيرهم من المتعاطفين مع الثورة أو الذين ساعدوا على قيامها واستقرارها رقي الى رتبة اللواء وأصبح قائداً

عاماً للقوات المسلحة وقد ساعده في هذه المهمة وتولى وزارة الحربية بعد شمس بدران.

ومع أن عبد الحكيم عامر لم يكن في أحسن أحواله أثناء معركة سنة ١٩٥٦ إلا أن ظروف العدوان الثلاثي كانت تغلب على أعصابه، ثم إن تجربته في سوريا لم تكن ناجحة. وبرغم ذلك فإن عبدالناصر كان دائماً على استعداد لأن يعطيه فرصة أخرى وكان عبدالحكيم عامر من ناحيته يشعر بهذه الحقيقة ومن ثم فإنه أصبح في بعض الأحيان حساساً بأكثر من اللازم.

عبد الحكيم عامر وهو كان مع عبد الناصر في الفالوجا ايضا لايصلح لقيادة وحدة عسكرية صغيرة ويقول العقيد عبد الكريم النحلاوي وهو في برنامج شاهد على العصر اثناء حديثه عن فترة خدمة عبد الحكيم عامر في دمشق ان المشير عندما ترك مكتبه على عجل عثرنا فيه على شيء غريب تبين لاحقا انه حشيش وهنا علينا ان نتصور وضع جيش يقوده حشاش ؟

٤. صلاح نصر:

صلاح الدين بن محمد بن نصر بن سيد أحمد النجومي بن هلال الشويخ من قبيلة جذام (٨ أكتوبر ١٩٢٠ - ٥ مارس ١٩٨٢) كان رئيس المخابرات المصرية بين أعوام ١٩٥٧-١٩٦٧.

في ٨ أكتوبر ١٩٢٠ وُلد صلاح نصر في إحدى قرى الدلتا. . والده مدرس . . وأمه توفيت وعمره ١٧ سنة. . تمنت أسرته المتوسطة الحال أن يصبح طبيباً لكنه فضل أن يدخل المدرسة الحربية ليتخرج ضابطاً.. ويدعي البعض أنه "كان يشكو من عقدة نفسية تجاه النساء زادت من انحراف سلوكه. .وترجع الى زواجه من زوجة عمه المتوفي عبدالله نصر والتي كانت تكبره بحوالي ٣٠ عاماً وتعامله كتلميذ وكإبن من أبنائها فحول هذه العقدة الى إذلال لكل الناس خاصة النساء" كما كره أشقاءه وكان يفرض عليهم طغيانه حتى أن شقيقه الأصغر الضابط "أسامة" انتحر أمام عينيه عندما فوجئ به يحاول اعتقاله في وشاية انضمامه للإخوان المسلمين..

ويعد صلاح نصر من الشخصيات القليلة المهمة التي تختلف حولها الآراء ، وليس ذلك واقعاً في الرأي العام فقط بل احتار في أمره كثير من الباحثين والمؤرخين ، على الرغم من كثرة الأقاويل التي تدين الرجل والتي باتت براءته معها شيئاً من المستحيل.

وفي السطور التالية تكشف لنا السيدة اعتماد خورشيد عن كثير من شخصية الرجل الذي صورته في كتابها علي أنه شاذ " صلاح نصر " وتجربتها الخاصة معه من خلال مذكراتها في كتاب " اعتماد خورشيد شاهدة علي انحرافات صلاح نصر" الصادر عن دار نشر مؤسسة آمون الحديثة للطبع والنشر عام ١٩٨٨ . كما كشفت خورشيد أسرار

كثير من رجال الانقلاب الذين تورطوا في قضية الانحراف المشهورة أمام محكمة الثورة ..كما كشفت أمام جمال عبد الناصر صور الشذوذ والانحراف وحياة الجنس وتحطيم حياة الأبرياء التي دبرها صلاح نصر ليكون موصوماً بتصرفات النساء والغانيات والمحظيات .. وقرر عبد الناصر أن تكون اعتماد خورشيد شاهدة الإثبات الوحيدة عليه عندما اراد التخلص من صلاح نصر .. كما كشفت كل ذلك أمام أمين هويدي المسئول الأول عن المخابرات بعد اعتقال نصر .. و عكست صورة للحكم في مصر تحت سيطرة هذا الرجل وأعوانه وأصدقائه من رجال السلطة ومنهم المشير عبد الحكيم عامر وعباس رضوان وشمس بدران وجلال هريدي ، وغيرهم ممن كانوا سبباً في هزيمة عام ١٩٦٧ حيث قام عبد الناصر بجعلهم كبش فداء لإرضاء الشعوب العربية الغاضبة .

روت اعتماد خورشيد أمام المحكمة كيف اغتصبها صلاح نصر من داخل أسرتها الصغيرة وفرض على زوجها أن يشهد على ورقة الزواج الباطل بعد أن فرض عليه كل سبل القهر والإرهاب فامتثل الزوج لأوامره ونفذ ما يريد ، ليفرض نفسه عليها طوال أربع سنوات ذاقت فيها ألوان الشذوذ والهوان . وتسمي اعتماد خورشيد تلك الفترة من تاريخ مصر بـ " بالفترة السوداء" والتي وقع فيها خلف كواليس الحكم كثير من صور الفساد والدنس ، وأخذت تسجل كل ما جرى لها ليكون وثيقة وشهادة على تاريخ فترة سوداء كانت هي شاهدة عليها .

وتبدأ سرد الذكريات منذ اللحظة التي جلست فيها أمام جمال عبد الناصر تحكي له قصتها وتكشف له عن مؤامرة قلب نظام الحكم التي دبرها صلاح نصر وأعوانه ضده ، وكان ذلك بعد خمسة شهور من وقوع هزيمة ٦٧ والتي كانت متوقعة ـ على حد قولها ـ لأن رجال الحرب كانوا منشغلين بأمور بعيدة تماماً عن مجال الحرب . طلب منها الرئيس جمال عبد الناصر أن تواجه صلاح نصر ، قائلاً " أنا مصمم على مواجهتك بصلاح نصر أمام المحكمة.علشان يعرف إنه انتهى .. وموش فوق القانون.. علشان الناس تعرف الحقيقة . لا تخافي . أريد أن أسمع منك كل شيء فهذا الرجل أعطيته كل ثقتي في أن يفعل كل شيء دون الرجوع إليّ .. فهو المسئول الوحيد عن الأمن في البلد .. " تقول اعتمد خورشيد : " وصمت الرئيس لحظة .. ثم جز على كلماته : المشكلة أنني قلت له تصرف في كل حاجة بدون الرجوع إليّ .. كنت أضع فيه ثقتي .. وموش مصدق إنه بيعمل كل حاجة لمصلحته ومصلحة عبد الحكيم " .

وتواصل حديثها مع الرئيس قائلة : " سألني الرئيس : مين هم أعوان صلاح نصر اللي تعرفيهم ؟ وذكرت له الأسماء التي أعرفها والتي استمعت إليها من صلاح نصر ، أو اتصل بهم أمامي من تليفون فيلتي في الهرم . وعلق الرئيس .. إنهم فقاقيع !! ورويت له أسرار العلاقة بين المشير عبد الحكيم عامر وصلاح نصر .. وقلت له : يا سيادة الريس دول كانوا يتآمروا عليك .. ولا يمكن يكونوا بيحبوك .. وقلت : كانت

علاقتهم كلها نسوان . وقعدات شرب . وشم حشيش .. وقعدات قمار .. واستغلال نفوذ . ورويت له أسرار علاقات المشير بالفنانات ابتداء من المطربة العربية (و) إلى الممثلة (ب) والراقصة (ث . س) ودورهم في تجارة البضائع المستوردة التي كان الضباط يحضرونها معهم من اليمن . وتصاريح السيارات "النصر" التي كانوا يحصلون عليها بأسماء أسر الشهداء وأذونات الخشب والحديد والأسمنت .. بأسماء وهمية " .

كما ذكرت اعتماد خورشيد للرئيس تفاصيل اغتيال الملك السابق فاروق في روما.. وذكرت أيضاً واقعة "الذهب" الذي دفنه صلاح نصر في أرض فلتها ، وقال لها : " دول ٥ ملايين جنيه حندفنهم كام يوم قبل ما نسفرهم للخارج علشان نصرف منهم على الشغل" .

وسألها الرئيس عما تعرفه عن زواج المشير من الفنانة (برلنتي عبد الحميد) وقالت : إن المشير لم يتزوج هذه الفنانة أبداً .. وأنها كانت على علاقة بشقيقه (مصطفي) وأنها كانت من عميلات صلاح نصر المفضلات وكان نشاطها السفارات الأجنبية".

وقبل أن تغادر اعتماد مكتب الرئيس قال لها : " بالمناسبة يا اعتماد .. موضوع مصطفى عبد الناصر .. أظن دلوقت ما بقاش بيضايقك .. وردت عليه قائلة : خلاص يا سيادة الرئيس ده كان موضوع وانتهى " . وكان مصطفى عبد الناصر شقيق الرئيس جمال عبد الناصر ضابطاً في المخابرات الحربية عام ١٩٦٠ وحاول إقامة صداقة مع اعتماد خورشيد في غياب زوجها ، وعندما صدته حاول الانتحار وتم إسعافه في مستشفى المواساة بالإسكندرية وقام الرئيس بإيفاده إلى سوريا بعد مغادرته للمستشفى .

وتؤكد اعتماد خورشيد أن العناصر النسائية كانت هي الركيزة الأساسية في نشاط صلاح نصر "السري" ، وكانت أثناء إدلائها بشهادتها أمام الوزير أمين هويدي قد لاحظت وجود عدد كثير من النساء قالت: " خارج الحجرة المغلقة سمعت دقات عديدة للكعوب النسائية في طريقها إلى غرف التحقيق .. كانت الدقات كثيرة جداً .. ودخل حجرات التحقيق المئات من الفتيات والسيدات اللائي جندهن صلاح نصر من مختلف الأنواع والمستويات .. فنانات .. وكومبارس .. وسيدات مجتمع وخادمات وطالبات جامعة وموظفات .. كان الجميع يعملن لحسابه شخصياً ويكلفهن بمهمات خاصة .. و واجهني الوزير هويدي باعترافات وتفصيلات فاقت ما رويته في التسجيلات .. وعرفت أن اثنتين أو ثلاث سيدات دافعن عن صلاح نصر وجرائمه : وكانت الأولى الفنانة (ب . ع) صديقة شقيق المشير عبد الحكيم عامر . والثانية السيدة (س . ق) التي قدمتني لصلاح نصر . والثالثة الفنانة (ش . م) . أما البقية فقد اعترفن بكل شيء . وعرفت أن عدد الفتيات التي تم سؤالهن بلغن حوالي ٥٠٠ من طالبات الجامعة " .

وتختم اعتماد خورشيد هذه الفقرة بقولها : " إن صلاح نصر أخبرني أنه سرب مجموعة من الأشرطة والأفلام السينمائية (١٦ مللي) تصور الحياة الشخصية لعدد من المسئولين وحياة أسرهم .. لو أطلع عليها أحد فسوف تقود أصحابها للسجن أو الانتحار " .

كان دور صلاح نصر قد انكشف كاملاً في ما سمي قضية مؤامرة المشير عبد الحكيم عامر لقلب نظام الحكم وقدمت القضية لمحكمة الثورة وحملت رقم (١) محكمة الثورة لعام ١٩٦٨ حيث مان عبد الناصر يسعى للتخلص من هؤلاء وجعلهم ضحية امام الشعب لكارثة ٦٧ .و حدد قرار الاتهام بأنه جهز مجموعة من أعوانه لمساعدة الانقلاب والاستيلاء على القاهرة بالقوة المسلحة واحتل صلاح نصر المركز الثالث في قائمة الاتهام. وحملت قضية الانحراف رقم (٢) . تقول اعتماد خورشيد " كان صلاح نصر يمسك بتلابيب الحاكم يفرض عليه إرهابه .. يتلاعب بمقدراته تماماً.. مشغول بتخطيط المؤامرات الوهمية ليضعه تحت سيطرته الكاملة بعد أن فشل في أن يضع له ملف يحوي تناقض حياته .. كانت السلطة الفعلية في يد صلاح نصر وأعوانه المشير عبد الحكيم عامر وشمس بدران وعباس رضوان وغيرهم .

كان الصراع خلف الكواليس دموياً ، ولم أكن أستطيع أن أخترق هذا الصراع لأشكو لهم حكايتي مع أخطرهم ، كنت سأفشل وأقع تحت إرهاب هذا الشيطان وانتقامه . والصورة الماثلة أمامي مع الفارق طبعاً .. عندما اشتكى المؤلف محمد كامل حسن (زوج الفنانة سهير فخري) من خطف زوجته وفرض زواجها من ساعي المشير (عبد المنعم أبو زيد) فأدخلوه مستشفى الأمراض العقلية يقضي فيها سنوات .. كانت السلطة في الفترة السوداء تحت سيطرة أنصاف الحكام وتقارير صلاح نصر والأجهزة المنحرفة وبعض أعوانهم من الغانيات والشواذ " .

وزاد شذوذه بعد تنوع زياراته إلى مراكز التدريب على الأعمال القذرة في ألمانيا الغربية حيث درس أساليب النازي ، ثم في الولايات المتحدة حيث تدرب على استخدام أجهزة التعذيب ، وفي الهند حيث تدرب على استخدام الجنس ، ثم في اليابان للتدريب على استخدام الأجهزة الدقيقة وأجهزة التصنت والتسجيلات والتصوير السري . وعشق صلاح نصر الأعمال القذرة واعتبرها حياته ومركز تفوقه ، فنقل تصميمات مباني الـ C.I.A في أمريكا إلى مباني القبة .

استخدم صلاح نصر كل ذكائه في السيطرة على زملائه في الحكم وخارج الحكم .. سيطر على عبد الحكيم عامر بعد أن فرش له طريقه بالنساء والمخدرات ، وأطاح بصلاح سالم وجمال سالم وحسن إبراهيم بد أن قدم لعبد الناصر تقارير عن سلوكياتهم وخاصة علاقة صلاح سالم بالأميرة فايزة شقيقة الملك فاروق . وكان يعمل حساباً لزكريا محيي الدين وكمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادي من أعضاء مجلس

الثورة ، وكان يرتعد من علي صبري وسامي شرف بشكل عجيب !! ولم يكن يعمل حساباً للشافعي والسادات .. ويتهمهم بأنهم نواقص قيد .

وتواصل اعتماد خورشيد قص حكايتها مع صلاح نصر أمام المحكمة فتقول :" قلت أمام المحكمة: كان صلاح نصر يلعب معي لعبة القط والفأر .. يبث لي غرامه بالتليفون في الصباح ويهددني بقتل أولادي في المساء .. كانت ليلة الغلاية تصيبني بالرعب والهلع والخوف بعد أن رأيت الموت بعيني ، وعندما رفضت محاولاته القذرة قال لي سأجعلك تخضعين بأسلوبي وطريقتي وكان كثير من ذكر ما وقع ليلة الغلاية تحت ستار الأعذار !! " .

ثم تسرد لنا قصة الغلاية فتقول: "كانت رحلتي للغلاية بداية المأساة .. كانت فيلا المريوطية إحدى بؤر التعذيب التي تفنن صلاح نصر في إرسال ضحاياه إليها وخاصة الأخوان المسلمين والشيوعيين ليلقوا مصيرهم تحت نيران مائها المغلي والمواد الكيمائية ، التي تذيب الأجساد الآدمية .. وكانت الأرض الواقعة خلف الفيلا .. المكان الذي يدفن فيه الضحايا.. "، وتقول أيضاً : " قد روى لي صلاح نصر أن عملية الدفن أمر متعارف عليه في أعمال التعذيب ومن السهل تقديم التبرير .. هروب من السجن .

وحاول الشيطان السيطرة على حياتي منذ ليلة الغلاية .. يفرض نفوذه على زوجي وأولادي ، يدخل ويخرج دون قيود .. أو خجل . لم يعترف بأنني زوجة وأم .. كان يتصرف تصرفات صبيانية مراهقة أمام الخدم دون شعور " .

وتؤكد اعتماد قائلة:" حاول صلاح نصر أن يستدرجني إلى الاقتناع بنظرياته عن استخدام الجنس بشكل عملي .. وبدأ يصحبني إلى أماكن الرذيلة والانحراف والشذوذ ، وكان أول مكان ذهبت إليه فيلا قتيلة سموحة !! ففي البهو الفسيح للفيلا هالني ما رأيت .. عشرات الفتيات الصغيرات يتراوح أعمارهن بين ١٦، ٢٠ عاماً يدل مظهرهن على أنهن من طالبات الجامعة .. كن في أوضاع شاذة مع مجموعة أخرى من الشبان . وسألت صلاح نصر: ما هذا. وما هؤلاء .. وما هذا المنظر المقزز الحقير ؟

قال الشيطان: زي ما أنت شايفة .. ناس بتنبسط !! .

وزادت دهشتي عندما عرفت أن الفتيات كن من بنات الذوات وأسر المجتمع .. ولكنهن سقطن في حبائل الشيطان بطرق مختلفة . وكان صلاح نصر يصاب بحالة غريبة وهو يرى الأفعال الحيوانية التي تمارسها الفتيات بينما السيدة (س . ق) سعيدة هي الأخرى .. تنادي الفتيات بأسمائهن واكتشفت أنه كان يأمر أعوانه بالتصوير لإعادة عرض الأفلام على أصدقائه في اليوم التالي.

٥. عبد اللطيف البغدادي:

عبد اللطيف البغدادي (٢٠ سبتمبر ١٩١٧ - ٨ يناير ١٩٩٩)، عسكري وسياسي مصري، شغل منصب وزير الحربية في الفترة (١٩٥٣ - ١٩٥٤). من أعضاء تنظيم الضباط الأحرار ومجلس قيادة ثورة يوليو ١٩٥٢.

عبد اللطيف البغدادي أحد الضباط الذين استولوا على مصر في يوم الأربعاء الأسود ٢٣يوليو٥٢. وأعتقد أنّ قراءة مذكرات ضباط يوليو، ومقارنة ما كتبوه ، وإلى أي درجة كان الاتفاق أو الاختلاف فيما بينهم . ثم مطابقة كتاباتهم بكتابات من غدروا بهم (مثل بعض الوفديين) وكتابات بعض المؤرخين ، فإنّ تلك القراءة (المقارنة) تُتيح للقارئ التعرف على تاريخ تلك الفترة الحالكة من تاريخ مصر والعرب.

فإذا كان الناصريون / العروبيون كتبوا كثيرًا أنّ ما حدث في يوليو٥٢ ((ثورة عظيمة قام بها الجيش وأيّدها الشعب)) فإنّ البغدادي نقل ما دار في جلسة من جلسات مجلس الوزراء في مارس ٥٤ أنّ الأعضاء كانت أعصابهم مشدودة والجو مكهرب فقال عبد الناصر((إنّ هذه (الثورة) ليستْ لها قاعدة شعبية تعتمد عليها ، وليس هناك من يؤيدها لا من الشعب ولا من الجيش . وأنّ الذين قاموا بها ٩٠ضابطـًا وأنهم في تناقص حتى أصبح عددهم ٥٠(المكتب المصري الحديث- عام ٧٧- ج١- ص ١٧٢) والأكثر دلالة أنّ البغدادي قال لعبد الناصر((معنى هذا أننا نفرض أنفسنا على البلد)) فردّ بالإيجاب (١٧٣) وعن حقيقة دور محمد نجيب ذكر أنه ((كان في البداية خاضعًا لا حول له ولا قوة وأنه لم يكن إلاّ صورة ، ثم حاول أنْ يظهر أمام الشعب بأنه قائد (الثورة) فأخذ يُدلى بالتصريحات المختلفة. وأصبح الموضوع مزايدات سياسية بينه وبين جمال في خطبهم عن الدكتاتورية والحريات النيابية (١٧٥) وفى مشادة عنيفة قال صلاح سالم لنجيب ((من الذى أتى بك قائدًا للثورة؟ ومن الذى كان يعرفك من قبل)) وفى جلسة أخرى بكى نجيب وقال ((البلد ح تروح في كارثة الانقسام . يا رب بتعذبني ليه؟ موتني . انفضحتْ يا محمد نجيب . حاكموني)) وفى اليوم التالي قال عبد الناصر أنه يعتقد أنّ نجيب سيعود إلى الحظيرة كما كان في أول (الثورة) (١٦٣، ١٦٤) هذه الثقة من عبد الناصر(نجيب سيعود للحظيرة) تؤكد ما ذكره كل من أرّخوا لتلك الفترة من أنّ عبد الناصر هو المحرك لكل الأحداث وهو ما صاغه البغدادي في تعبير((أصبح مجلس القيادة هو عبد الناصر)) (١٦٩، ١٧٤) وكان عبد الناصر صريحًا ومباشرًا عندما قال لزملائه الضباط ((كل ما أطلبه منكم أنْ تـُعطوني حق حرية التصرف دون الرجوع إليكم)) (١١٥)

ومن بين نقط الاتفاق في مذكرات الضباط والمؤرخين قرارات مجلس قيادة (الثورة) بهدم ما كان قبل استيلائهم على مصر، فتقرّر إلغاء دستورسنة٢٣فى ١٠ديسمبر٥٢. وفى ١٧يناير٥٣ قرار بحل الأحزاب والهيئات السياسية ومصادرة أموالها فيما عدا جمعية الإخوان المسلمين . ولترسيخ نظام السلطة الفردية المطلقة، صدر في

١٠ديسمبر٥٣ الدستور المؤقت الذى منح سلطة السيادة لقائد (الثورة) ومجلس الوزراء له حق ممارسة السلطة التنفيذية والتشريعية (٧٢) وفى واقعة ذات دلالة حكى البغدادي أنه في إحدى الجلسات قرّر مجلس القيادة خضوع الأغلبية لرأى الأقلية (١٥٣) وفى جلسة ٧ أغسطس ٥٥ طلب حسن إبراهيم ((أنْ تُخول السلطة كاملة لعبد الناصر)) وأيّده في ذلك كمال الدين حسين وصلاح سالم وعبد الحكيم عامر والسادات وزكريا محيى الدين وجمال سالم)) وكتب البغدادي عن نفسه أنه ((يرى أنْ تكون قيادة واحدة وفى شخص واحد هو عبد الناصر)) (٢٥٣، ٢٥٤) فالبغدادي تطابق مع زملائه في ((تخويل عبد الناصر السلطة كاملة)) ولكنه تعمّد أنْ يكتب بصياغة مُغايرة ليبدو (في الظاهر) مختلفًا وهو ما تأكد بعد صفحتيْن فكتب أنه شعر أنّ زملاءه ((يُكيّفون سياستهم حسب ظروف مصلحتهم فقط ، وأنه يجب علينا أنْ نخرج بكرامتنا ونعمل على إضعاف عبد الناصر، لأنّ غروره لقوته سيضر هذه البلاد في المستقبل. ولابد أنْ يشعر أنّ هناك قوى أخرى تُناوئه حتى لا يشتط في تصرفاته)) (٢٥٦) وهذا الكلام من البغدادي يتناقض مع موقفه عندما منح عبد الناصر (السلطة كاملة) ومع هذا زعم أنه قال ((إنّ تنازلنا عن السلطة وهى في أيدينا لها دلالتها وقوتها وبها نضرب المثل للأجيال القادمة)) فردّ عبد الناصر عليه بأنه ((غير مستعد لأنْ توضع البلاد تحت التجربة ويخشى من السلطة التنفيذية المدنية المقترحة أنْ تخبط منه البلد)) (٢٦٣) ولا أعرف إذا كانت كلمة (تخبط) التي جاءتْ في جملة (تخبط منه البلد) قالها عبد الناصر، أم من صياغة البغدادي، لأنّ المعنى المقصود من السياق (تخطف) وليس (تخبط) ولكن المهم أنّ الدرس المُستفاد من تلك الجلسة أنّ عبد الناصر اعتبر مصر(غنيمة) ويخشى أنْ يخطفها آخرون بعد أنْ منحه زملاؤه صك السلطة المُطلقة. وهو ما تأكد عندما اقترح عبد الناصر حل مجلس القيادة بشرط اشتراك بعض أعضائه في السلطة التنفيذية. وأنّ نظام الدولة رئاسي . ومن يتولى رئاسة الجمهورية يُصبح مسئولا عن السلطة التنفيذية. فكان تعقيب البغدادي (في المذكرات وليس في المجلس) ((وهذا الحل بالصورة المقترحة سيسير بنا إلى طريق الدكتاتورية الفردية مع مرور الوقت)) ثم كرّر تعبير (دكتاتورية عبد الناصر) في معظم صفحات كتابه ، ومع ذلك ذكر أنه كتب في يومياته التي كان يُسجلها عقب كل جلسة أنه عاجز عن اتخاذ القرار المناسب ((وليس أمامي من مفر غير الانتظار)) (٢٦٦، ٢٦٧) أي أنه تخاذل مثله مثل باقي ضباط المجلس عن التصدي لعبد الناصر الذى أصرّ على أنْ تكون كل السلطات في يده . وكانت مكافأة البغدادي أنْ وافق زملاؤه الضباط على ترشيحه لرئاسة مجلس الأمة. وهو ما تحقق مع مجلس يوليو٥٧، رغم أنه ((كان ضد الحياة النيابية منذ البداية ويقول نحن ثوار ولن نستطيع احتمال أو مواجهة برلمان مُنتخب من الشعب)) كما ذكر خالد محيى الدين في مذكراته (٣٣٤، ٣٣٥)

يتفق البغدادي مع غيره من ضباط يوليو الذين كتبوا مذكراتهم بشأن انفصال السودان عن مصر الذى تم بوسيلة رشوة ((كثيرين من السياسيين السودانيين)) وأنّ ما تم ((كان له أثر سيئ على أغلبية الشعب السوداني)) وأنّ سمعة مصر في السودان أصبحتْ ((سيئة للغاية بسبب الرشوة)) ولكن مذكرات البغدادي تميّزت بذكر الصراع داخل مجلس

الضباط ، بحيث بدتْ مسألة فصل السودان عن مصر أشبه بكرة النار ، الكل يُحاول إبعادها عنه. لدرجة أنّ صلاح سالم قال لعبد الناصر ((لابد أنْ تعلم أنّ هناك مؤامرة كبرى تُدبّر لعدم إتمام اتحاد مصر مع السودان)) وأنّ السادات وزكريا محيى الدين وعلى صبري يُنفذون سياسة الأمريكان والإنجليز (تأييد انفصال السودان عن مصر وضد أي محاولة للوحدة) فكان رد عبد الناصر على صلاح سالم ((ألستَ أنتَ الذى اقترحتَ إعلان استقلال السودان وذكرتَ أنك أصبحتَ كرتًا محروقـًا)) ثم قال لزملائه ((المسألة أخطر مما نتصورّ وهى اتهام بعض أعضاء المجلس بالخيانة. وكذلك مدير مكتبي (على صبري) ومعنى هذا أنني أيضًا أنفذ سياسة الأمريكيين والإنجليز)) (من ٢٧٣- ٢٨٨) ولأنّ لكل ظاهرة تناقضاتها الداخلية كما قال ماركس بحق ، فإنّ تلك التناقضات بين الضباط، ومحاولة إبعاد كرة النار عنهم في كارثة انفصال السودان عن مصر، عرّتْ الصراع الكامن فيما بينهم .

ويتفق البغدادي مع كثيرين كتبوا عن علاقة عبد الناصر بالأمريكان ، فذكر أنّ عبد الناصر اجتمع مع كيرمنت روزفلت في منزل السفير الأمريكي (بايرود) يوم ٢٨سبتمبر٥٥(٢٠٧) وذكر معلومة يتجاهلها كثيرون وهى أنّ السفير الأمريكي (كافري) يوم ٢٦يوليو٥٢ كان مع الضباط المصريين في وداع الملك فاروق (٦٢) أي أنّ السفير الأمريكي كان يطمئن ويتأكد بنفسه أنّ أميركا انفردتْ بمصر دون منافس . وبذلك تحقق تحليل كل من كتبوا أنّ أميركا أصبحتْ بعد الحرب العالمية الثانية القوة الاستعمارية الأولى في العالم وأنها سوف تُزيح الاستعمار القديم (أنجلترا وفرنسا إلخ) لتحتل هي الدول التي كانت في قبضة ذاك الاستعمار بأساليب جديدة : اقتصادية وثقافية بالدرجة الأولى . وهو ما تحقق بالفعل وتأكد بالمعلومات التي ذكرها كثيرون أمثال خالد محيى الدين ومحمد نجيب عن علاقة علي صبري بالأمريكان فكتب البغدادي ((كنتُ أعرف مدى صداقة علي صبري (قبل يوليو٥٢) وكان مديرًا للمخابرات الجوية بالملحق الجوي الأمريكي بالقاهرة (إيفانز) لذا اقترحتُ على باقي الزملاء فكرة استدعاء على صبري لإبلاغ السفير الأمريكي عن طريق الملحق الجوي بالانقلاب . على أنْ يقوم السفير الأمريكي بإبلاغ السفير البريطاني بتلك الرسالة. وقام على صبري بهذه المهمة بالفعل. وهذه الخطوة كانت عاملا مساعدًا في توثيق العلاقة بين أمريكا ومصر في السنين الأولى من الانقلاب)) (٥٦) ولكن البغدادي حاول غسل يديه- كما فعل كثيرون- من تهمة أنّ الأمريكان كانوا وراء ضباط يوليو لخروج الإنجليز من مصر، لذلك أضاف في نفس الفقرة أنّ إبلاغ الأمريكان بحركتهم أعطى ((انطباعًا خاطئـًا عند البعض فيما بعد على أنّ (الثورة) كانت على اتصال مُسبق بالأمريكان قبل قيامها)) وهنا نلاحظ تناقض البغدادي ، فبعد أنْ اعترف بإبلاغ السفير الأمريكي بتحركهم وعليه إبلاغ السفير البريطاني بذلك ، يُحاول نفى الاتصال (المُسبق بالأمريكان) بينما العقل الحر يرى في تلك المعلومة وجود تنسيق بين ضباط يوليو والأمريكان وأنّ (اللعب كان على المكشوف) كما يقول شعبنا الأمي في أهازيجه العبقرية. ويتأكد ذلك من اعتراف كثيرين بما فيهم البغدادي من أنّ الملك فاروق كان في يناير٥٢على علم بتنظيم الضباط داخل الجيش (٤٣) والسؤال المسكوت عنه :

لماذا تخاذل الملك عن اتخاذ أي موقف لوأد محاولة الضباط الانقلاب عليه؟ مع ملاحظة أنه بين يناير ويوليو ستة شهور، فلماذا لم يتحرك الملك قبل تحرك الضباط ؟ وهل هناك تواطؤ بين الأمريكان والإنجليز (أو اتفاق غير مكتوب على نسق الاتفاقات السابقة بين دول الاستعمار المكتوبة) على عدم تحرك القوات الإنجليزية ضد حركة الجيش ؟ خاصة وأنْ كان لهم في مدن القناة ٨٠ ألف جندي بريطاني كما اعترف محمد نجيب وأيّده البغدادي (٤٩) وبينما البغدادي يُخالف ضميره ولا ينتبه لتناقضه مع نفسه ، كان خالد محيى الدين صريحًا عندما كتب أنّ عبد الناصر رتـّب علاقة مع الأمريكان قبل الثورة عن طريق على صبري وأنّ السفير الأمريكي في مصر(كافري) كان يتباهى أمام السفراء الأوروبيين بثقته في ضباط يوليو واصفًا إياهم بأنهم My boys أي أولادي (الآن أتكلم – ص ١٨٧، ١٨٨) فمن أين استمد السفير الأمريكي هذه الثقة في الضباط إلاّ إذا كان قد لمس فيهم الطاعة والخضوع للسياسة الأمريكية ؟ وتلك الوقائع وغيرها تؤكد صحة التحليل السياسي الذى يذهب إلى أنّ ضباط يوليو٥٢ خريجو السفارة الأمريكية ، لدرجة أنّ أحد هؤلاء (محمد جلال كشك) كتب كتابيْن : (ثورة يوليو الأمريكية) و(كلمتي للمغفلين) ولماذا رفض عبد الناصر أنْ يتضمّن بيان الضباط جملة (الاستعمار الأمريكي) وطلب شطبها (خالد محيى الدين- من ص٩٤- ٩٦، ١٢٧) وكتب أيضًا ((استمرّتْ العلاقات والاتصالات مع السفارة الأمريكية عبر قناتيْن تصب كل منهما عند عبد الناصر وحده : على صبري وعبد المنعم أمين)) (ص ١٩٢) مع ملاحظة أنّ عبد المنعم أمين ((رجل الأمريكان في مصر. ولم ينضم لحركة الجيش إلاّ يوم ٢٢يوليو٥٢ ومع ذلك عيّنه مجلس القيادة ليكون رئيس المحكمة العسكرية التي حاكمتْ عمال كفر الدوار) كما ذكر المؤرخ العمالي طه سعد عثمان . وهو ما أكده خالد محيى الدين الذى أضاف أنّ مجلس القيادة كافأه بتعيينه سفيرًا في أوروبا (ص ٣٣٦) أما مايلز كوبلاد (رجل المخابرات الأمريكية الشهير) ففي كتابه (لعبة الأمم) والأدق أنْ يكون عنوان الكتاب (اللعب مع العملاء) كتب ((إنّ المخابرات الأمريكية التقتْ ثلاث مرات قبل أربعة شهور في مارس ٥٢ بعبد الناصر وجماعته واتفقتْ معه على إشاعة الشعور بين المصريين بأنّ انقلابهم ليس مفروضًا من الإنجليز أو الأمريكان أو الفرنسيين أو الأتراك وسمحتْ له بأنْ يُهاجم هذه الدول في خطبه بعد الانقلاب ليبقى التعاون سرًا بين المخابرات الأمريكية وبين الانقلاب)) وكتب أيضًا أنّ ((عبد الناصر سيصبح قريبًا المتكلم باسم القومية العربية)) وأكد تلك الحقائق (ويلبر كرين إيفلاند) مستشار المخابرات الأمريكية في كتابه (حبال من رمال) فكتب أنّ المخابرات الأمريكية ((قدّمتْ المساعدات السرية لعبد الناصر. وأننا جعلنا منه عملاقـًا))

والبغدادي في مذكراته كان موقفه أكثر سفورًا من غيره ممن كتبوا مذكراتهم عن المذبحة التي دبّرها ضباط يوليو ضد عمال مصانع كفر الدوار، فكتب أنها مؤامرة شيوعية لأنّ ((الشيوعيين كانوا مُتخوفين من (ثورتنا) ووصفوها بأنها (ثورة برجوازية) وأنّ الولايات المتحدة الأمريكية وراءها)) بعد هذه الجملة كان البغدادي أصدق من غيره الذين حاولوا (تجميل) ضباط يوليو بوضع بعض المساحيق التي وضعها الناصريون مثل أنّ

(أصحاب المصانع هم الذين حرّكوا العمال بغرض إفشال حركة الجيش)) والبعض نسب تحرك العمال ل (فلول الملك) إلى آخر تلك الأكاذيب ، فكانت شهادة البغدادي واحدة من الشهادات التي كذبتْ هذا الادعاء إذْ كتب بعد الفقرة السابقة مباشرة ((وكان لابد لنا أنْ نُقابل هذا (الشغب) بحزم وشدة لإيقاف هذا الاتجاه والعمل على منع تكراره حتى لا تسرى هذه العدوى إلى شركات ومصانع أخرى. وقرّرنا تشكيل محكمة عسكرية.. إلخ)) أما عن التصديق على حكم إعدام خميس والبقري فقد كذب البغدادي رواية الناصريين الذين زعموا أنّ خالد محيى الدين وعبد الناصر اعترضا (أو امتنعا) عن التصويت فكتب البغدادي ((صدق على هذه الأحكام مجلس قيادة (الثورة) وبإجماع الأصوات لأنّ القاعدة التي كان قد أتفق عليها أنّ أي قرار بالإعدام يُتخذ من المجلس لابد أنْ يكون بإجماع الآراء)) وكتب مُتباهيًا بهذا الفعل الدموي أنه تم تنفيذ الحكم العسكري بإعدام خميس والبقري فكانت النتيجة : ((ولم يتكرّر ما حدث في كفر الدوار وتجنبنا بذلك مشاكل ربما كانت تؤدى إلى مآس كثيرة وضحايا جديدين)) (٦٨، ٦٩) فهل كان يعنى وهو يكتب هذا الكلام مأساة العمال الذين سُجنوا بخلاف إعدام إثنين ، لمجرد أنهم كانوا يُطالبون بزيادة أجورهم وتحسين أحوالهم كما ذكر هو؟ أم (مأساة) الضباط الذين لم يتوقعوا الإضراب وانحازوا لأصحاب رؤوس الأموال في كذب فاضح لأحد مبادئهم الستة؟ وتأكد ذلك عندما تعرّض البغدادي لما فعله الإقطاعي الكبير(عدلي لملوم) ضد الفلاحين وتحديه لسلطة الضباط لقانون الإصلاح الزراعي وتحديد الملكية. فاكتفى بذكر تحويله لمحكمة عسكرية والحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة (٦٩) ولكنه تجنّب- كما فعل نجيب- ذكر تخفيف الحكم إلى عشر سنوات ثم الافراج عنه بحجة (المرض) أي أنّ ضباط يوليو كانوا في غاية الوحشية مع العمال وفى غاية الكرم والتسامح مع أحد كبار الاقطاعيين. والموقف ضد الطبقة العاملة أكده أحمد الجبالي في كتابه (العمال في الحركة الشيوعية) فذكر أنّ ضابط المخابرات وفاء حجازي قال بعد اضراب عمال مصنع الشوربجي ((لقد أعدمنا خميس والبقري ونحن مستعدون لإعدام مليون لتعيش الثورة)) فكانت مكافأته بتعيينه سفيرًا في أوروبا. ويوم ٥٢/٨/١٤ قال السادات أنه ((سوف يُعلق المشانق في شبرا الخيمة على أبواب المصانع إذا حدث أي تحرك من العمال)) (المؤرخ العمالي طه سعد عثمان في كتابه عن إغتيال خميس والبقري- ص ٣٥) والبغدادي كما أيّد قمع العمال أيّد قمع السياسيين خاصة قيادات حزب الوفد فشكل الضباط لهم محكمة عسكرية برئاسة البغدادي الذى يتباهى في مذكراته بهذا الدور اللاإنساني في قمع المختلفين سياسيًا بحجة أنهم من (العهد البائد) كما وصفه عبد الناصر (رضى الله عنه) كتب البغدادي ذلك ولم يخجل من تناقضه لأنه ذكر أنّ ((فؤاد سراج الدين سكرتير حزب الوفد كان مقتنعًا بفرض ضرائب تصاعدية)) (٦٧) أي أنّ فؤاد سراج الدين (الاقطاعي أو الرأسمالي) مع تطبيق الضريبة التصاعدية على الرأسماليين وأعلن موقفه صراحة لعبد الناصر باعتراف البغدادي ، فهل يستحق سراج الدين محاكمته أم التعاون معه؟

والبغدادي الذى رضى لنفسه أنْ يرأس محكمة (عسكرية) لمحاكمة : (١) مدنيين (٢) لم تُوجّه إليهم أي تُهم جنائية أو مدنية ، وإنما لأسباب سياسية وأنهم من (رموز العهد

البائد) ومع ذلك عندما حاول استخدام صلاحياته ورفض محاكمة محمود أبو الفتح ، فإنّ عبد الناصر كان صريحًا وهو يخلع كل الأقنعة من على وجهه فقال له ((أنتَ لستَ بقاضٍ وإنما تحكم باسم المجلس في قضايا سياسية ، وأننا اتفقنا هنا في المجلس على أنْ تعرض علينا كل قضية قبل صدور الحكم فيها ، والمجلس هو الذى يُقرّر الحكم ، ولكنك اتخذتَ صفة القاضي ولم تعرضها على المجلس)) فردّ عليه البغدادي ((إننا لم نتفق على عرض كل قضية على المجلس)) فقال عبد الناصر((هذه قضايا سياسية ولابد من تقدير الظروف)) فقال البغدادي أليس للمجلس ثقة في ثلاثة من أعضائه لتقدير هذه الظروف ويمكن الاعتماد عليهم؟)) (١٨٠، ١٨١) لم يذكر البغدادي رد فعل عبد الناصر على السؤال الأخير، وللعقل الحر أنْ يتخيل رد فعله في عدم ثقته في ثلاثة من الضباط المُطيعين الطيّعين الذين منحوه (كامل السلطات) ولكن المغزى الحقيقي هو أنه لا يرى أحدًا غيره وأنّ (كل) أعضاء المجلس من الضباط مجرد (ديكور) أو (كومبارس) وهو ما أكده البغدادي في أكثر من صفحة في الجزأيْن ، ورغم ذلك لم يُعلق على كلام عبد الناصر (أنتَ لستَ بقاضٍ) وعند ترجمة هذه الجملة من اللغة العربية إلى لغة المصريين (الأميين) تكون هكذا (هوّ إنت صدقتْ نفسك إنك قاضى بصحيح) أو(هوّ إنت ح تعيش في دور القاضي بحق وحقيق) والخلاصة أنّ عبدالناصر أسفر عن وجهه الدكتاتوري (دون أنْ يشعر) وأعلنها بكل وضوح : أنا كل السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية : أنا الكل في الكل .

اتفق البغدادي مع خالد محيى الدين ونجيب عن دور عبد الناصر في التفجيرات الستة التي حدثتْ في وقت واحد : محطة السكة الحديد والجامعة وجروبي ، اعترف عبد الناصر أنها من تدبيره لأنه كان ((يرغب في إثارة البلبلة في النفوس ويجعل الناس يشعرون بعدم الأمن وبأنهم في حاجة لمن يحميهم)) (١٤٤، ١٤٦) كذلك اتفق الثلاثة على أنّ عبد الناصر منح صاوي أحمد صاوي مبلغ أربعة آلاف جنيه (من خزينة الدولة) ليُحرّض عمال النقل ضد الديمقراطية وأنه اعتقد أنّ خالد محيى الدين ويوسف صديق سيفعلان نفس الشيء ، فكان عليه أنْ يسبقهما (١٨١)

بدّد عبد الناصر أموال وموارد مصر في المؤامرات والصرف على بعض الصحف العربية لتمجيده والترويج لأسطورة (زعيم العروبة وقائد التحرر الوطني) ورغم ذلك عندما أنزلتْ إسرائيل بعض جنود المظلات عند ممر مثلا بسيناء، فإنّ القوات الجوية المصرية لم تتخذ أي رد فعل، فكان تبرير محمد صدقي محمود رئيس هيئة أركان حرب القوات الجوية ((عدم توافر الوقود اللازم للطائرات (المصرية) وفى اليوم التالي ٣٠ أكتوبر٥٦ تم تبليغ مصر بالإنذار الفرنسي/ البريطاني (ولكن عبد الناصر لم يأخذه مأخذ الجد)) وإذا كان عبد الناصر لم يهتم فإنّ البغدادي انتقل إلى الحجرة المقابلة لمكتب عبدالحكيم عامر((ليقص الحلاق شعرى)) وعندما تأكد جميع كبار الضباط بالهزيمة الساحقة الماحقة قال البغدادي أنه سينتحر، فقال عبد الناصر ((من المُستحسن أنْ ننتحر جميعًا)) وطبعًا لم ينتحر أحد وإنما ظلوا في مناصبهم حتى يُجهزوا للكارثة التالية (هزيمة/

يونيو٦٧) الشهيرة باسم الدلع الذى أطلقه عليها هيكل (نكسة) وبعد أنْ كان الكلام عن (الانتحار) وتبين أنه (فض مجالس) كما يقول شعبنا الأمي في أهازيجه العبقرية إذا بعبد الناصر يقترح ((التفاوض مع القوى المعتدية لوقف القتال)) وقال سليمان حافظ الناس بيقولوا عبد الناصر ((بيخلط بين مجده الشخصي ومستقبل البلاد)) واعترف البغدادي ((أنّ الطائرات الإسرائيلية وصلتْ إلى ألماظة وضربتْ المطار بالقنابل)) أي أنّ التضليل الناصري كذب عندما ركز على أنّ الاعتداء كان داخل مدن القناة فقط ، وأنّ عبدالناصر صارحه بأنه لا يعرف شيئًا عن الجيش المصري ، وعندما زار الإسماعيلية ورأى الكارثة التي حلتْ بالقوات المسلحة قال ((إنها بقايا جيش محطم وإنّ ١٣٠مليون جنيه ضاعتْ هباءً ثم قال بالإنجليزية (لقد هُزمتُ بواسطة جيشي) ورغم هذه الكارثة وبعد انسحاب قوات الدول الثلاث فإنّ عبدالناصر منح عبد الحكيم عامر قلادة النيل (من ٣٢٧- ٣٦٦) فأي كابوس هذا الذى كان شعبنا يعيشه ؟ القائد العام للقوات المسلحة الذى أثبت فشله في مقاومة الاعتداء تكون مكافأته بقلادة النيل وليس بمحاكمته أو- على أقل تقدير- عزله عن منصبه. أما البغدادي الذى كتب تلك التفاصيل في فصل كامل ، فإنه لم يذكر كلمة واحدة عن الإنذار الروسي والانذار الأمريكي وشروط إسرائيل للانسحاب ولا كلمة واحدة عن المقاومة الشعبية الباسلة .

والعدوان الثلاثي لابد أنْ يأخذ العقل الحر إلى أسبابه : لقد بدأتْ الكارثة بقرار تأميم قناة السويس ، إنّ صاحب أي سوبرماركت – ولا أقول شركة- يُجرى دراسة جدوى قبل الإقدام على تنفيذ مشروعه ، فهل أجرى عبد الناصر دراسة جدوى عن رد فعل الدول التي ظلّ يشتمها ويتحداها بالخطب والشعارات ، مثل تكرار قوله ((إحنا ما بنخافش من إسرائيل ومن هم وراء إسرائيل)) إنّ العدوان الثلاثي لم يكن بسبب الدفاع عن فلسطين ، فما السبب؟ السبب الرسمي هو الرغبة في تمويل مشروع السد ، وهنا فإنّ الإعلام الناصري يتجاهل الكثير من الحقائق مثل اقتراح الدكتور عبد الجليل العمرى وزير المالية وقتها أنْ يكون عن طريق تدير فائض إنتاجنا من الأرز للخارج مع استخدام الفرق بين سعره العالمي وسعره المحلى في تمويل المشروع دون أنْ نعتمد على أية دولة أجنبية ، ولكن عبد الناصر رفض هذا الاقتراح . وبعد قرار التأميم قامت بريطانيا بتجميد الأرصدة المصرية بالجنيه الاسترليني وتجميد ممتلكات قناة السويس ، فطلب عبد الناصر من الدكتور عبد المنعم القيسوني أنْ يعمل على ((تحويل أكبر قدر من هذه الأرصدة من بنوك بريطانيا وفرنسا وأمريكا إلى دول أخرى ، ولضيق الوقت لم يتمكن القيسوني من تحويل كل أرصدتنا)) هذا غير التعويضات التي دفعتها مصر لأصحاب الأسهم عند إغلاق بورصة لندن في اليوم السابق للتأميم)) (من ٣٢٠- ٣٢٨) كما تسبّب قرار التأميم في ضياع فرصة استرداد مبلغ ٤٠٠ مليون جنيه وهو المبلغ الذى كانت بريطانيا مدينة به لمصر، ووفق ما ذكره أ. طارق البشرى فإنه لم يُفرج عن هذه الأرصدة (الديون) إلاّ بمقادير ضعيفة (الديمقراطية ونظام يوليو- كتاب الهلال- ديسمبر٩١ص٥٦، ٥٧) وإذا كانت الحجة هي بناء السد ، فما علاقة ذلك بما ورد في خطاب التأميم؟ فإذا كانت إسرائيل هي (ربيبة الاستعمار) كما دأب عبد الناصر في خطبه فلماذا قال في خطاب التأميم ((إنّ

الاستعمار أقام إسرائيل من أجل تفكيك الوحدة العربية. سنناضل ضد الاستعمار وضد إسرائيل التي أقيمتْ على يديه)) إنني أرجو العقل الحر أنْ يسأل : لماذا لم يكتف بإعلان قرار التأميم بشكل حضاري؟ هل (الحنجورية) العروبية/ الناصرية لها دور؟ أليس ذكر إسرائيل والاستعمار في قرار التأميم هو بلغة شعبنا الأمي العبقري (جر شكل) فكانت النتيجة تدمير مدن القناة وقتل آلاف المصريين من المدنيين والعسكريين غير تشريد الآلاف . وكان ثمن الانسحاب باهظـًا : حيث ضغطتْ إسرائيل على الأمم المتحدة بأنْ الانسحاب الإسرائيلي سيتم من منطقتي شرم الشيخ وقطاع غزة بشرط حرية الملاحة الإسرائيلية في خليج العقبة ومضايق تيران وهذا الشرط هو ما وافقتْ عليه الأمم المتحدة بقرار مجلس الأمن رقم (١) لسنة٥٧ بالإضافة إلى تمركز قوات الأمم المتحدة في غزة وشرم الشيخ.

كان عقد امتياز شركة قناة السويس ينتهى في عام٦٨ أي بعد ١٢سنة من قرار التأميم. وكان بوسع أي زعيم سياسي يضع مصلحة شعبه في المرتبة الأولى من توجهاته ، أنْ ينتظر المدة القانونية. وأنا أعلم أنّ الناصريين والعروبيين يسخرون من كلامي ، وبعضهم ردّ عليّ بأنه لا يجوز مقارنة مصر بالصين. وهاجمني كثيرون، ولكن هذا رأيي واعتقادي، فأنا لا أملك الصواب المطلق، ولكنني أعتمد على الوقائع التي ذكرها مُقرّبون من سلطة يوليو ومعروفون بولعهم العروبي مثل ثروت عكاشة الذى أرسل خطابًا من فرنسا (وكان وقتها يشغل منصب الملحق العسكري بفرنسا) والخطاب مؤرخ في ٥٦/٥/١٥ وموجّه إلى عبد الناصر. قال فيه ((إنّ فرنسا مًستاءة من هجوم إذاعة (صوت العرب) عليها لتأييد مصر لثوار الجزائر منذ عام ٥٤ وإمدادهم بالمال والسلاح بل وتدريبهم على القتال في معسكرات مصرية)) وحذر ثروت عكاشة في نفس الخطاب من أنّ فرنسا سوف تتخذ عدة مواقف ضد مصر لو استمرّتْ القيادة المصرية في سياستها ضدها ومن بين هذه المواقف (التي تمتْ بالفعل) اشتراك فرنسا في العدوان الثلاثي وامتناع فرنسا عن شراء القطن المصري الأمر الذى تسبّب في خسارة مصر١٥مليون جنيه استرليني . ولكن أهم ما ورد في خطاب ثروت عكاشة ووفق تعبيراته بالنص ((تجنب الصدام مع فرنسا لتفادى تأييدها لإسرائيل ومساعدتها ضد مصر)) (فتحي الديب- عبدالناصر وتحرير المشرق العربي- مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية- عام ٢٠٠٠- ص٨٦، ٢٤٠) وما ذكره فتحي الديب (ضابط مخابرات مصري ومولع بالعروبة والناصرية) أكده خالد محيى الدين في مذكراته (ص٣٤٦) بل إنّ ثروت عكاشة أضاف في مذكراته أنّ ((مصر كانت بالغة السخاء في تعويض شركة قناة السويس بعد تأميمها وأنّ التعويض فاق أحلامها)) (دار الهلال- عام ٨٨- ج٢- ص ١٥٤) وأكد خبراء اقتصاديون أنّ التعويضات التي دفعتها مصر لأصحاب الأسهم فاقتْ دخل مصر من مرور السفن بعد تأميم القناة لعدة سنوات. والدرس هو أنّ (حجة) تمويل السد حجة باطلة. وأنّ قرار التأميم (بغض النظر عن الانتظار١٢سنة ويرفضه الناصريون) تسبّب في تدمير مدن القناة وتدمير الجيش المصري ، ورغم كل ذلك فإنّ عبد الناصر أثناء غزو الدول الثلاث على مصر كان كل همه حماية نفسه وحماية أسرته لدرجة أنه لم يكن في القاهرة كلها أي

قوات عسكرية مصرية ((غير الكتيبة رقم (١٣) المُكلـّفة بحراسة منزل عبد الناصر)) (البغدادي – ص ٣٤١)

٦. زكريا محي الدين:

زكريا محيي الدين (٥ يوليو ١٩١٨ - ١٥ مايو ٢٠١٢)وهو عسكري وسياسي مصري. كان أحد أبرز الضباط الأحرار علي الساحة السياسية في مصر منذ قيام انقلاب يوليو، ورئيس وزراء ونائب رئيس جمهورية مصر العربية وأول رئيس للمخابرات العامة المصرية، تولى منصب رئيس الجمهورية فترة يومين بصورة شكلية في مسرحية تنحى الرئيس جمال عبد الناصر عن الحكم في أعقاب هزيمة ١٩٦٧ ، عرف بميوله يمين الوسط.

وتولى زكريا محي الدين منصب مدير المخابرات الحربية بين عامي ١٩٥٢و ١٩٥٣ ثم عين وزيرا للداخلية عام ١٩٥٣ وأسندت إليه مهمة تأسيس جهاز المخابرات العامة المصرية في ١٩٥٤.

ومدى براعته ورفاقه في الحقيقة اصبحت مثار سخرية وهناك كتاب من تأليف اليهودي باروخ شاوول و هو كتاب يضم تصريحات اكبر جواسيس الموساد الذي تمكن من اختراق القيادة المصرية و المدعو (ارام انور) و الذي كانوا ينادونه في مصر ب (انور بيك) و الكتاب يدعى (تحطمت الطائرات عند الفجر)

هذا الجاسوس الصهيوني تم تقديمه كخبير الماني في المعدات الحربية (لأنه الماني الجنسية) و كان في الجيش النازي لكن الموساد قام بملاحقة النازيين في كل مكان وتجنيد بعضهم - و الجاسوس انور بيك قدم للمصريين على انه تاجر اسلحة و خبير عسكري و اخترق القيادة المصرية حيث اصبح مقربا من المشير عبد الحكيم عامر و ايضا من مؤسس جهاز المخابرات و مديره الاول زكريا محي الدين (و الاثنان من الضباط الاحرار و من اقرب المقربين لجمال عبد الناصر) - في الكتاب يقول الجاسوس (ارام انور) ان زكريا محي الدين قدم له بطاقة خاصة مختومة بختم ادارة المخابرات و بختم زكيا محي الدين تمكنه من الدخول الى كل القواعد الجوية و الثكنات العسكرية و طلب منه زكريا محي الدين ان يقدم له تقرير دقيق عن المعدات العسكرية و النقائص - و طبعا الجاسوس (في ثوب الخبير العسكري الالماني) قام باستغلال الامر - في كتاب (تحطمت الطائرات عند الفجر صفحة ١١٩ يقول الجاسوس قمت بأقناع قائد سلاح الجو المصري الفريق (صدقي محمود) بان الشؤون المعنوية المصرية للضباط تؤدي دور ضعيف و عليهم ان ينضموا حفلات للترفيه على الضباط و الطيارين و اقنعه بتنظيم حفلة يوم الرابع يونيو سبعة ستون (طبعا ليلة الهزيمة) و يذكر (رام انور في الكتاب) ان القيادة الجوية المصرية قررت اقامت حفلات في عدة قواعد جوية اهمها المنطقة الجوية الوسطى (القنال) في قاعدة بير جفجافة بسيناء و المنطقة الجوية الغربية (الدلتا والنيل)

بقاعدة انشاس الجوية --- و يقول الجاسوس انه استغل الفرصة و قام بإحضار عشرات الصناديق من قارورات الخمر (الويسكي) و اقنع احد اصدقائه بان يحضروا عدد من الراقصات المشهورات من بينهم الراقصة (سهير زكي) و الراقصة (زينات علوي) و عدد من الفنانين - و يصف الجاسوس الصهيوني الليلة بدقة ان الطيارين المصريين كانوا يتلهفون و يصفقون كما كان الجاسوس يعطي اشارات للخدم بتزويد الخمر (حتى يسكر الطيارين و يصبحون مثل الحديدة) و الحفلة سموها (بحفلة النصر) و تم بثها على الاذاعة المصرية التي كان يرأسها (احمد فهمي الحديدي) ---- و هذه الحفلات كانت في

الرابع من جوان سبعة و ستين (ساعات قبل قيام الطيران الصهيوني بمهاجمة المطارات الجوية و ظرب الطائرات المصرية على الارض) يعني العدو الصهيوني نجح في تسكير الطيارين المصريين و البهائم في حفلات الرقص - بل الامر الذي يبين شدة اختراق العدو الصهيوني للمصريين هو ان الجيش المصري قام بوضع طائرات مصنوعة من الخشب (للتمويه) وزعوها في عدد من المطارات (حتى اذا ما قام الصهاينة بالقصف يقصفون الطائرات الخشبية و ليست الحقيقية) لكن ليلة القصف قامت طائرات العدو بقصف كل الطائرات العسكرية الحقيقية و تركت الطائرات المزيفة (الخشبية) و لم تقصفها و كل هذا يبين مدى اختراق العدو الصهيوني للقيادة المصرية هذا اذا لم تكن القيادة نفسها مكونة من جواسيس.

وعرف عن زكريا محي الدين بأنه سفاح أول مذبحة ترتكب بالسجون المصرية هي مذبحة ليمان (سجن) طرة في أول يونيو ١٩٥٧م حيث اتصل به مدير اليمان عندما اشتكى له أن المساجين (محكوم عليهم من القضاء العسكري) من الإخوان وغيرهم من المعتقلين السياسيين لديهم تظلم ويريدون وكيل النيابة ليستمع إلى شكواهم فاتصل زكريا محيى الدين بعبد الناصر الذي قال له: ومنتظرين إيه؟ فأصدر زكريا أوامره لقائد اليمان بالتعامل معهم فقتلوا منهم ٢١ وأصابوا ٢٠، هذه القصة معروفة وكتب عنها وقتها الصحفي الماروني روكسي معكرون في كتيب (أقسمت أن أروي) نشر في بيروت وكان محتجزا وقتها في طرة .

٧. صلاح سالم:

صلاح مصطفى سالم (١٩٢٠ - ١٩٦٢)، ضابط مصري، ولد في سبتمبر ١٩٢٠ في مدينة سنكات شرق السودان، حيث كان والده موظفا هناك. أمضى طفولته هناك، وتعلم في كتاتيب السودان. وهو الأخ الأصغر لجمال سالم عندما عاد إلى القاهرة مع والده تلقى تعليمه الابتدائي، ثم حصل على البكالوريا، وتخرج في الكلية الحربية سنة ١٩٤٠ وهو في الثامنة عشرة من عمره. تخرج في كلية أركان الحرب سنة ١٩٤٨، وشارك مع قوات الفدائيين التي كان يقودها الشهيد أحمد عبد العزيز.

تعرف على الجاسوس جمال عبد الناصر أثناء حصاره في الفالوجة، وانضم إلى الضباط الأحرار، وكان عضوا في اللجنة التنفيذية لهذا التنظيم، وعندما قام الضباط الأحرار بحركتهم الانقلابية في يوليو ١٩٥٢ كان صلاح في العريش، وسيطر على القوات الموجودة هناك. وما عرف عن صلاح سالم شدته وحزمه في اي قضيه تخص النظام .

ومن كوارث هذا الجاسوس صلاح سالم انه كان يرقص شبه عاري مع القبائل في السودان بعد نجاح انقلاب يوليو اسند إلى صلاح سالم ملف السودان، وكان معيار الاختيار أنه ولد هناك، وكان السودان من أعقد الملفات التي تعترض استقلال مصر في مفاوضاتها مع بريطانيا، فلجأ إلى سياسات وأساليب دفعت السودانيين الموالين لمصر والاتحاد معها إلى النفور من الوحدة مع مصر، وإعلان الاستقلال، وأطلق عليه في الصحافة الغربية الصاغ الراقص لأنه رقص شبه عاري معا القبائل السودانية، ورفض السودانيون أن يكون صلاح سالم أول سفير لمصر في السودان لتاريخه المشين وهو صاحب المهمة التي اوكلها له عبد الناصر بفصل مصر عن السودان .

وساند صلاح سالم جمال عبد الناصر في صراعه مع الرئيس محمد نجيب على السلطة في أزمة مارس ١٩٥٤، ثم ما لبث أن تقدم باستقالة من جميع مناصبه بعد فشله في السودان في نهاية أغسطس ١٩٥٥، وشارك في مؤتمر باندونج.

عمل في الصحافة وشغل منصب رئيس تحرير ورئيس مجلس إدارة جريدة الجمهورية، وعندما وقع العدوان الثلاثي على مصر اقترح وقف القتال والاستسلام للسفير البريطاني. كان صلاح سالم أول أعضاء مجلس قيادة الثورة وفاة، فتوفي عن عمر ٤١ عاما في ١٨ فبراير ١٩٦٢ بالسرطان. وقد مات صلاح سالم في سن صغيرة وكان أول عضو يموت من بين اعضاء مجلس قيادة الثورة وقد شيع جثمانه في جنازة مهيبة تقدمها جمال عبد الناصر وجميع زملائه والوزراء، حيث بدأت الجنازة من جامع شركس بجوار وزارة الأوقاف الي ميدان إبراهيم باشا. وهنا تجدر الإشارة إلى أن عبد اللطيف بغدادي وحينما كان يقوم بالانتهاء من أحد أعماله الانشائية العظيمة واشهرها طريق الكورنيش والطريق الجديد الذي استقطع جزءا من المقطم وامتد في أرض صحراوية أصبحت بعد ذلك مدينة نصر ؛ قد تصادف مع موعد وفاة صالح سالم، فاطلق اسمه على هذا الطريق الطويل الذي أصبح من أشهر شوارع مصر .

ومذكرات الصاغ صلاح سالم تنقل صورة هامة عن مصر في ذلك الوقت ، و القيادات التي تصدرت المشهد السياسي في هذه الفترة ، وصلاح سالم شخصية مثيرة للجدل فهو عصبي حاد المزاج ، كان يرى نفسه أحق بالقيادة من ناصر فدخل في صراع انتهى بإزاحته عن السلطة ، و من مواقفه المثيرة للجدل مطالبته أثناء حرب ١٩٥٦ م بأن يقوم مجلس قيادة الثورة بتسليم نفسه للسفير الانجليزي في القاهرة.

ابتداء من ٤ يونيو ١٩٥٦ بدأ صلاح سالم في كتابة مذكراته بالصحيفة ، ونشرها وكانت الحلقة الأولى بعنوان : " لماذا استقلت من مجلس الثورة ومجلس الوزراء" وتتابعت المذكرات يومياً ، حتى الحلقة الثلاثون يوم ٦ يوليو ١٩٥٦عن " أزمة الجندي المصري والجاويش السوداني " .

وأعلنت الصحيفة بعدها أن مذكرات صلاح سالم سيتم استئنافها ، ولكن ذلك لم يحدث في ذلك اليوم ، وتوقفت المذكرات تماماً ، في الوقت الذى كان أعلن فيه أنه سيكشف الكثير من المعلومات للناس .

صور صلاح مجلس قيادة الثورة في مذكراته بأنه أسوء من الاحتلال البريطاني وقد دارات مذكراته في معظمها حول السودان وما دار من مفاوضات بشأنه سواء مع الإنجليز أو مع السودانيين أنفسهم حتى أعلن استقلال السودان ، و قال صلاح عن توليه شئون السودان أنه لم يقرأ سطر واحد عن السودان ، حتى تولى شئونها .

لقد كان صلاح سالم مثيرا للجدل فقد ألقي خطبة في المحلة الكبرى عام ١٩٥٣ نادي فيها بالصلح والتطبيع مع إسرائيل ، و في أحد حواراته قال :إن مصر علي استعداد لإعادة النظر في موقفها من حلف بغداد، فيما لو وافقت إسرائيل علي السماح لمصر بإقامة ممر بري بين غزة والأردن .

وما يزال دور صلاح سالم بتصفية بطل حرب فلسطين ١٩٤٨ احمد عبد العزيز غامضا حيث كان أحمد عبد العزيز في ٢٢ أغسطس ١٩٤٨م قد حضر اجتماع في دار القنصلية البريطانية بالقدس لبحث خرق الإسرائيليون للهدنة ، وحاول معه الصهاينة أن يتنازل لهم عن بعض المواقع التي في قبضة الفدائيين ، لكنه رفض ، وأتجه في مساء ذلك اليوم إلى غزة حيث مقر قيادة الجيش المصري لينقل إلى قادته ما دار في الاجتماع .

كانت منطقة عراق المنشية مستهدفة من اليهود فكانت ترابط بها كتيبة عسكرية مصرية، وعندما كان أحمد عبد العزيز في طريقه إليها بصحبة اليوزباشي صلاح سالم أشتبه بها أحد الحراس وظنها من سيارات العدو ، فأطلق عليها الرصاص حسب ما ذكرته الرواية الرسمية المصرية ، فأصابت إحداها أحمد عبد العزيز فاستُشهد في الحال دون ان يصاب صلاح سالم.

٨. جمال سالم:

جمال مصطفى سالم ضابط طيران مصري وأحد افراد تنظيم الضباط الأحرار ولد في ١٩١٨ أثناء عمل والده في السودان، وهو يكبر أخاه صلاح سالم بعامين. تخرج من الكلية الحربية سنة ١٩٣٨، وأوفدته الدولة في بعثات عسكرية خارج مصر إلى إنجلترا والولايات المتحدة وربما ليست صدفة ان يدرس في هذه الدول ويعود للعمل تحت امرة جاسوس امريكي اسرائيلي هو جمال عبد الناصر .

انضم إلى تنظيم الضباط الأحرار او في الحقيقة الاشرار، وشارك في حرب فلسطين. وبعد نجاح انقلاب يوليو ١٩٥٢ وسيطرتها على السلطة في مصر، اختير جمال سالم رئيسا للجنة العليا للإصلاح الزراعي التي لعبت دورا بارزا في تدمير الزراعة في مصر الى درجة وصفت فيها بالإفساد الزراعي وهو ما سنناقشه بتفاصيل اكثر في موضوع الاصلاح الزراعي وكذبته.

ساهم في الصراع على السلطة بين الرئيس محمد نجيب وجمال عبد الناصر، وانحاز انحيازا مطلقا إلى عبد الناصر، فيما عُرف في السياسة المصرية بأزمة مارس ١٩٥٤.

كان مجرما ودموي مثله مثل باقي الانقلابيين ورأس ما يسمى محكمة الثورة التي أصدرت الحكم بالإعدام على عدد من المعارضين من قيادات جماعة الإخوان المسلمين وغيرهم. كانت له آراء متطرفة أوردها عدد من زملائه في مجلس قيادة الثورة في مذكراتهم، ومنها اقتراحه بإعدام جميع ضباط المدفعية الذين اعترضوا على بعض قرارات المجلس في يناير ١٩٥٣.

اختير وزيرا للمواصلات في سبتمبر ١٩٥٤، ورأس محكمة الثورة في ذلك العام، وقد شكلت هذه المحكمة لمحاكمة قيادات جماعة الإخوان المسلمين، وأصدر حكما بالإعدام على عدد من قياداتهم البارزة، منهم عبد القادر عودة ومحمد فرغلي.

وصف السادات جمال سالم في مذكراته "البحث عن الذات" بأنه كان حاد المزاج، عصبيا إلى حد غير طبيعي، لا يهاب الدم، وهو ما دفع بالرئيس عبد الناصر في النهاية إلى الحد من اختصاصاته. أصيب بالسرطان مثل شقيقه صلاح، وتوفي في مايو ١٩٦٨ .

٩. كمال الدين حسين:

كمال الدين حسين سياسي وعسكري مصري ولد عام ١٩٢١ وتوفي عام ١٩٩٩ ، أحد اعضاء تنظيم الضباط الأحرار في مصر وكان عضواً بمجلس قيادة الثورة، وعين وزيراً للشئون الاجتماعية عام ١٩٥٤م ثم وزيراً للتربية والتعليم، وساهم في تأسيس نقابة المعلمين واختير نقيباً للمعلمين عام ١٩٥٩م، وعين قائدا لجيش التحرير سنة ١٩٥٦ وعين وزيراً للإدارة المحلية عام ١٩٦٠م ثم رئيسا لمجلس الوزراء سنة ١٩٦١ وعين مشرفا عاما على تنظيم الاتحاد القومي واختير نائباً لرئيس الجمهورية و مشرفا على وزارات الادارة المحلية والصحة والعمل والإسكان و الارشاد والشؤن الاجتماعية والتربية التعليم ، واختير رئيساً للجنة الأوليمبية المصرية عام ١٩٦٠م وتولي رئاسة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ورئيسا لمؤتمر الشباب الأسيوي الأفريقي ويلقب بمدمر التعليم في مصر.

حيث تولى الصاغ أركان حرب كمال الدين حسين- ضابط المدفعية وعضو مجلس قيادة (ثورة) يوليو ١٩٥٢- منصب وزير التربية والتعليم في منتصف الخمسينيات واعتبارها نقطة تحول حقيقية ورمزية تدهور بعدها حال التعليم في مصر بشكل متسارع نتيجة ما صار إليه الوضع من ضعف مستوى أصحاب القرار والخلل في مناهج التفكير واستراتيجية التعليم وأولوية التحكم الأمني على حساب التنمية والتحديث، وهو ما أتفق مع خطوطه العامة بالتأكيد، وإن كان موضوع انهيار التعليم في مصر من الأهمية والخطورة والتعقيد بمكان أن يستحق تحليلًا مستقلًا ومفصلًا في موضع آخر.. لكن ما يهمني هنا في هذا المقال هو الوقوف أمام شخصية كمال الدين حسين، الموصوف برائد انهيار التعليم في مصر الذي عادت سيرته للأذهان من جديد، وتقديم تحليل تاريخي للأدوار التي لعبها رجل كان من أهم ضباط دولة يوليو في مصر ومن أكثر المعبرين عن مسيرتها وتاريخها ومنطلقاتها ومالاتها، برغم ذلك لم ينل ما يستحقه من اهتمام من المؤرخين والإعلام والباحثين.. ومن الممكن القول إن مسيرة كمال الدين حسين كانت كاشفة عن التناقضات داخل نظام دولة يوليو؛ فعلى أرضية سلطوية مشتركة لدولة تحرر وطني استبدادية يجتمع عليها ويتفق عليها جميع فرقاء دولة يوليو تبرز قوة الميل المحافظ اليميني؛ حيث تمكن من فرض توجهاته وعرقلة ما يراه شططًا في السياسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية تدعو إليه اتجاهات أكثر راديكالية داخل النظام في مرحلة الخمسينيات والستينيات ثم فرض الهيمنة والسيطرة الكاملة لاحقًا.

كمال الدين حسين هو من الرعيل الأول المؤسس لتنظيم الضباط الأحرار، وكان عضوًا من خمسة أعضاء شكلوا أول لجنة قيادية للتنظيم سنة ١٩٤٩ (جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وخالد محيي الدين وحسن إبراهيم وعبد المنعم عبد الرؤوف).. كان شديد المحافظة على المستوى الديني والاجتماعي والثقافي، وكعادة الكثير من ضباط الجيش من أبناء جيله ارتبط عاطفيًا وتنظيميًا بجماعة الإخوان المسلمين خلال سنوات الأربعينيات (من أصل ١٣ عضوًا في مجلس قيادة الثورة سنة ١٩٥٢ ارتبط ثمانية أعضاء منهم تنظيميًا بجماعة الإخوان عبر مرحلة ما من حياتهم: جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وأنور السادات وكمال الدين حسين وحسين الشافعي وخالد محيي الدين وعبد اللطيف البغدادي وحسن إبراهيم، وبعضهم مثل عبد الناصر والشيوعي خالد محيي الدين كانوا أعضاءً في النظام الخاص تحديدًا، وبايعوا حسن البنا على المصحف والمسدس).. بقي كمال الدين حسين على ميوله المحافظة والإسلامية حتى النهاية كما سنرى.

أصبح كمال الدين حسين عضوًا في مجلس قيادة الثورة بعد نجاح الحركة في الإطاحة بالملك والاستيلاء على السلطة في يوليو ١٩٥٢، وانضم إلى جانب جمال عبد الناصر في معركته اللاحقة ضد محمد نجيب داخل المجلس، وانضم إليه أيضًا في معركته ضد القوى الديموقراطية داخل الجيش التي طالبت بعودة الجيش إلى الثكنات وعودة الحكم البرلماني الديموقراطي، وحاولت التحرك ضد مجلس قيادة الثورة- مجموعة سلاح المدفعية سنة ١٩٥٣ ومجموعة سلاح الفرسان سنة ١٩٥٤-، وانضم إلى عبد الناصر

أيضًا في معركته ضد القوى الديموقراطية والشعبية المدنية في المجتمع- حزب الوفد والشيوعيين والنقابات والجامعات والمثقفين والصحافة-، بالإضافة إلى الإخوان بين ١٩٥٢ و١٩٥٤، وهدف المعركة كان واضحًا وصريحًا: تأسيس نظام سلطوي جديد قائم على الانفراد بالسلطة المطلقة والوصاية التامة على الشعب والمجتمع وقتل السياسة ومنع التعددية والتنظيم المستقل والحريات، بحجة أن هذا ضروري من أجل تغيير المجتمع وهندسته من أعلى لتحقيق "أهداف الثورة"، كما حددتها هذه المجموعة التي نصبت نفسها بوصفها القيادة الطليعية الضرورية لإنجاز هذا التغيير الثوري التاريخي، القيادة التي "جاءت على موعدها مع القدر" حسب التعبير الناصري الشهير.. وانتهت المعركة بالانتصار الحاسم في مارس/أبريل ١٩٥٤، ثم اكتمال وتتمة هذا الانتصار في نوفمبر ١٩٥٤، كما هو معلوم وكل ما حدث بعد هذا كان تحصيلًا لما هو حاصل. أيضًا انضم كمال الدين حسين إلي صف عبد الناصر في معركة الإصلاح الزراعي وتمصير الاقتصاد وضرب الإقطاع الزراعي والبرجوازية التجارية والرأسمالية- دارت هذه المعركة بين ١٩٥٢ و١٩٦٣، وكان الهدف الأول لها (بعيدًا عن ديباجات أهداف التنمية)، كان كما وصفه زكريا محيي الدين لاحقًا بمنتهي الصراحة: "السيطرة على موارد الرزق بهدف تأمين السلطة السياسية".. ما أريد أن أثبته هنا هو أن كمال الدين حسين كان انحيازه واضحًا ومطلقًا للاستبداد والسلطوية من اليوم الأول، وأنه لم يكن مهتمًا بالحريات والحقوق والتعددية الديموقراطية في أي يوم من الأيام عكس ما ادعى بعد ذلك في رسالته الشهيرة بعنوان: "اتق الله يا عبد الحكيم"، والتي أرسلها لعبد الحكيم عامر سنة ١٩٦٥ معترضًا فيها على ممارسات الدولة البوليسية في الستينيات.

تقلد كمال الدين حسين العديد من المناصب الوزارية بداية من وزارة جمال عبد الناصر الأولى بعد انتخابه رئيسًا للجمهورية سنة ١٩٥٦، وتولى أيضًا منصب أمين عام الاتحاد القومي (التنظيم السياسي الرسمي للنظام)، وفي وقت من الأوقات تولى كمال الدين حسين ٩ مناصب في وقت واحد، ألا وهي: رئيس المجلس التنفيذي والمشرف العام على الاتحاد القومي ووزير الإدارة المحلية ورئيس المجلس الأعلى للعلوم ورئيس المجلس الأعلى للفنون والآداب ورئيس المجلس القومي للبحوث ونقيب المعلمين ورئيس المجلس الأعلى للجامعات ورئيس المعاهد القومية.. ويلاحظ هنا ميله إلى تولي مناصب لها صلة بالتعليم والثقافة ومن ثم حرصه على إسباغ ميوله المحافظة على سياسات الإرشاد القومي والتربية وتوجيه الرأي العام للدولة الجديدة عكس الأسطورة الشائعة في التحليلات المستهلكة عن تقدمية وعلمانية دولة يوليو.

لعب كمال الدين حسين دورًا مركزيًا في أعمال مجلس الأمة والاتحاد القومي في أواخر الخمسينيات، وأي مؤرخ مطلع على محاضر جلسات هذا المجلس والاتحاد سيندهش من كم المحافظة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية المهيمنة على ميول ومزاج النخب السياسية للنظام الناصري الجديد بشكل لا يختلف عن مناخ السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات إلا قليلًا... وتألق كمال الدين حسين مرة أخرى في مداولات

اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطني الأول للقوى الشعبية سنة ١٩٦١، والمنوط به تقديم أول وثيقة فكرية تحدد برنامج عمل النظام- عشر سنين من الحكم اليوليوي والسلطة المطلقة بلا أي إيديولوجية أو برنامج عمل واضح وبلا تنظيم سياسي حقيقي والاعتماد الكامل على الارتجال والعشوائية والتجربة والخطأ، لكن طبعًا قوى المعارضة هي فقط من لا تستحق الحكم في مصر الآن فقط؛ لأنها لا تمتلك البدائل المسبقة كما تقول الأسطورة. أنصح بشدة بقراءة مداولات اللجنة التحضيرية هذه؛ لأنها كاشفة عن حقيقة الميول الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لضباط يوليو بصفيهم الأول والثاني، ونخب النظام البيروقراطية والتكنوقراطية والإعلامية والقوى الاجتماعية والاقتصادية الرجعية التقليدية، والتي كانت متوغلة داخل دولة يوليو الناصرية من القمة إلى القاع.. وهذا يشكل نفي الأسطورة لأسطورة أخرى روجها بعض الكتاب الناصريين واليساريين، فحواها هو أن انقلاب "الثورة المضادة" اليميني الرجعي- كما سماها الراحل الدكتور غالي شكري في كتابه "الثورة المضادة في مصر"- على "ثورة عبد الناصر التقدمية العلمانية" حدث فقط في سبعينيات السادات. ومن المهم التأكيد على أن كمال الدين حسين لم يكن معبرًا عن نفسه فقط، ولكن عن ميل عام وسط الكثير من ضباط الجيش ونخب النظام الإدارية والتنفيذية والإعلامية والبيروقراطية والاقتصادية وقتها، ميل عام قوامه: الحساسية الشديدة ضد الاشتراكية والشيوعية والميل الواضح للغرب الأمريكي، والمحافظة الدينية والثقافية والاجتماعية.

عندما تمت كتابة الميثاق- على يد مجموعة قريبة من عبد الناصر ومعبرة عن توجهه الخاص- وإرساله إلى المؤتمر الوطني للقوى الشعبية لم يعجب كمال الدين حسين؛ لأنه كان له "وجه ماركسي"، فقرر تشكيل لجنة الرد على الميثاق من ١٠٠ عضو، وقامت بكتابة تقرير الرد على الميثاق والتقرير كان له "وجه إسلامي عربي"، وأنا هنا أستخدم تعبيرات كمال الدين حسين نفسه والمذكورة في شهادته في كتاب سامي جوهر "الصامتون يتكلمون".. والاتفاق بين عبد الناصر وكمال الدين حسين والآخرين على أن الميثاق وتقرير اللجنة معًا يشكلان برنامج عمل النظام.. ومن الجدير بالذكر أن الاختلاف بين الميثاق والتقرير كان على ٣ محاور:

١- الميثاق تكلم عن "الاشتراكية العلمية"، وهو مصطلح ماركسي معروف، بينما تكلم التقرير عن "الاشتراكية العربية المتميزة التي تؤمن بالله وبرسالاته وبالقيم الدينية والخلقية"، وتكلم التقرير أيضًا عن ضرورة الحفاظ على قيم الأسرة والمجتمع.

٢- الميثاق قال بضرورة إزالة الطبقة المستغلة: "ولكن إزالة هذا التصادم بإزالة الطبقة التي فرضت الاستغلال توفر إمكانية السعي إلى تذويب الفوارق بين الطبقات سلميًا".

بينما رفض التقرير مبدأ إزالة الطبقة البرجوازية والإقطاعية المستغلة؛ حيث قال: "إن تذويب الفوارق بين الطبقات هو البديل السلمي لما نرفض الأخذ به من الصدام الدموي بين الطبقات".

٣- يؤمن التقرير بإتاحة الفرصة لنشاط الفرد في الاستثمار والربح والفوارق في الدخل التي تترتب على هذا؛ حيث يقول: "في مجتمعنا الاشتراكي يعتبر العمل أساسًا لتقرير مكان الفرد في المجتمع وما دام الأفراد لا بد وأن يتفاوتوا في الاستعداد والنشاط؛ فإن النتيجة المنطقية لذلك أن يتفاوتوا فيما يحققون من نتائج.. "فالتقرير هنا أكثر يمينية من الميثاق بشكل واضح.

وكان المفهوم داخل دوائر الحكم أن الميثاق والتقرير سيتم تطبيقهما سويًا وأنهما معًا يشكلون برنامج النظام.. استقال كمال الدين حسين من بعض مناصبه في مجلس الأمة ووزارة التربية والتعليم أكثر من مرة في أواخر الخمسينيات لاعتراضه على مخالفات مالية وإجرائية، لكنه كان يعود إلى الصف بعد حل أسباب الخلاف، بيد أن الافتراق النهائي بين عبد الناصر وكمال الدين حسين كان لابد ان يحدث بالأخير وهو ما حصل في أجتماع ال ٨ ساعات الحاسمة في ٤ مارس ١٩٦٤ : وكان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر قد صحبوا كمال الدين حسين في سيارتهم بعد تشيع جنازة محمد فهمى السيد -المستشار القانوني لرئيس الجمهورية- وقد حضر الأجتماع باقي أعضاء مجلس قيادة الثورة المتبقيين وقد طلب الرئيس من كمال حسين أن يتكلم ويذكر ما يضايقه .فتكلم وذكر خطاب أستقالته وما كان قد ورد فيه عن الصداقة والعلاقة التي تجمع أعضاء مجلس الثورة وكيف أن الرئيس قد رد علية وقتئذ بأن العلاقة التي بيننا هي علاقة عمل وليست الصداقة وعندما ذكر كمال حسين ذلك حاول الرئيس أن يفسر هذه العلاقة بأنها علاقة دم ولأيمكن الفصل بين الصداقة والعمل وأن الثورة ثورتنا جميعا وأنه لم يفكر في أنه هو صاحبها بمفردة في يوم من الأيام ولهذا فهو لايفرط في أحد من المجموعة . وأنتقل كمال حسين بعد ذلك في حديثة إلى الحريات وعدم توافرها وأن لا أمن على حرية من يقومون بالنقد وأنهم مهددون في مورد رزقهم وتناول في حديثة كذلك الاشتراكية وأنها لابد أن تنبع من ديننا وليست من نظريات وأفكار ماركس ولينين وسألة الرئيس :هل عبود باشا أحسن أم لينين ؟ (كان عبود باشا يمثل الرأسمالية المتطرفة، أما لينين فيمثل الاشتراكية المتطرفة)، فأجابه كمال حسين أنه يخيره بين الشيطان وإبليس ووجه استفسارًا إلى الرئيس هل الميكانيكي الذي يملك ورشة صغيرة ويعمل عنده اثنين من العمال يشاركونه في الأرباح بنسب متساوية. فأجابه الرئيس في تصوري أيوه وجاء رد كمال حسين مفاجأة له للجميع وذلك بقوله: "يبقى في المشمش"، وفي ١٤ أكتوبر ١٩٦٥م صدر قرار بتحديد إقامة كمال الدين حسين وزوجته في إحدى الاستراحات بالهرم.

١٠. جمال حماد:

اسمه بالكامل محمود جمال الدين إبراهيم محمد حماد وهو ضابط مصري شارك في حركة الضباط الأحرار وكتب البيان الأول لها.

ولد جمال حماد في مدينة القاهرة في ١٠ مايو سنة ١٩٢١ ــ م . والده هو الشيخ إبراهيم محمد حماد من قرية "شبرا ريس" بمركز شبراخيت محافظة البحيرة، وهو من خريجي الأزهر الشريف وكان يعمل مدرسا للغة العربية، فتعلم منه ابنه جمال علوم اللغة العربية والشعر والتاريخ.

بعد حصوله على شهادة البكالوريا التحق جمال حماد بالكلية الحربية وتخرج منها في منتصف إبريل عام ١٩٣٩ وكان من زملائه الذين تخرجوا معه في نفس الدفعة كل من المشير عبدالحكيم عامر، وصلاح سالم، وصلاح نصر النجومي مدير المخابرات العامة الأسبق. بدأ خدمته العسكرية في السودان ثم انتقل لمنطقة القناة ثم إلى الإسكندرية.

أثناء الحرب العالمية الثانية، عمل مدرسا لمادة التكتيك العسكري والأسلحة في مدرسة المشاة والكلية الحربية في مصر بين عامي ١٩٤٢و ١٩٤٦

تولى جمال حماد أركان حرب سلاح المشاة (قبل قيام انقلاب يوليو) وكان برتبة صاغ (رائد)، وكان اللواء محمد نجيب مديراً لإدارة المشاة، وتعرف عليه عن قرب وازداد به وثوقا، فانضم في هذه الفترة لتنظيم الضباط الأحرار عام ١٩٥٠ عن طريق صديقه الصاغ أ.ح عبدالحكيم عامر، واشترك في الفاعليات الأولى لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وكتب بنفسه البيان الأول للثورة الذى ألقاه البكباشي أنور السادات صباح يوم ٢٣ يوليو من مقر هيئة الإذاعة.

اتصل جمال حماد بعد ذلك باللواء محمد نجيب الذى حضر بسيارته الخاصة إلى مبنى رئاسة الجيش بعد أن تم الاستيلاء عليه بمقدمة الكتيبة الأولى مشاه التي يقودها البكباشى يوسف صديق والذى لولاه لفشل الانقلاب وذلك لأن الملك فاروق الذى كان يحتفل بتشكيل وزارة الهلالي في قصر رأس التين بالإسكندرية، علم بالأمر وكلف الفريق حيدر باشا بالقضاء على هذه الحركة الذى كلف بدوره الفريق حسين فريد رئيس هيئة الأركان العامة للجيش الذى اجتمع بكبار قيادات الجيش لمناقشة، وبينما هو جالس في مكتبه وصلت قوات يوسف صديق وتم القبض عليه وهو مجتمع بهم، ونجح الانقلاب الاسود وغادر الملك يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ بعد أن وقع على التنازل عن العرش لابنه الرضيع أحمد فؤاد الثاني تولى جمال حماد بعدها منصب مدير مكتب القائد العام محمد نجيب، وتطور الأحداث وحدثت خلافات داخل مجلس قيادة الثورة الذى كان رجاله من أنصار جمال عبدالناصر. بعد أحداث فبراير ومارس ١٩٥٤، قدم نجيب استقالته ورجع تحت ضغط الإرادة الشعبية، ولكنه كان بلا سلطات لأن السلطات التي كانت بيده انتزعت

منه فتولى قيادة الجيش الصاغ عبدالحكيم عامر الذى تم ترقيته أربعة ترقيات دفعة واحدة إلى رتبة اللواء، وتولى عبد الناصر منصب رئيس الوزراء واصبح نجيب رئيسا بلا صلاحيات إلى أن تم القبض عليه و تحديد إقامته في فيلا زينب الوكيل حرم النحاس باشا.

عارض اعتقال محمد نجيب ووضعه محددا إقامته في فيلا المرج ١٨ عاما وأوضح في كتبه ان لنجيب فضل في نجاح الانقلاب كضابط برتبه لواء معروف للشارع المصري وانه بدونه كانت نسبه الفشل ستكون أعلي لان الباقين شخصيات غير معروفه داخل مصر او خارجه.

بعد الإطاحة بمحمد نجيب أنتدب للعمل ملحقا عسكريا لمصر بين عامي ١٩٥٢ و١٩٥٧ في كل من سوريا ولبنان والأردن والعراق.

عين محافظا لكفر الشيخ ثم محافظا للمنوفية وذلك بين عامي ١٩٦٥و ١٩٦٨.

وضع اسمه على رأس قائمة الضباط الأحرار حينما صدر قرار جمهوري عام ١٩٧٢. أصدر عدة كتب عن ثورة يوليو وأسرارها حتى لقب بمؤرخ (الثورة) .

حماد يكشف كذب محمد حسنين هيكل بقلم الاعلامي احمد منصور:

غير أن اللواء جمال حماد الذي كتب البيان الأول لانقلاب يوليو عام ١٩٥٢ أفرد فصلا كاملا في كتابه المؤلف من جزئيين عن «ثورة يوليو» ونشرته دار الشروق مرة واحدة ثم أوقفت نشره بعد غضب هيكل للحديث عن أكاذيب هيكل وعلاقته بعبد الناصر والثورة وادعائه معرفته بموعدها بل وحض عبد الناصر وعامر على القيام بها، لكن رواياته المتضاربة عنها والتي رواها في أوقات مختلفة وإلى جهات مختلفة كشفت أكاذيبه، وقد التقيت قبل سنوات وتحديدا في الفترة بين عامي ٢٠٠٨ و٢٠١١ مع اللواء جمال حماد وسجلت معه شهادته على العصر واطلعت على ما كتبه عن تناقضات وأكاذيب روايات هيكل التي أضاف إليها الكثير وقرر أن ينشرها في كتاب مستقل كما أن صحيفة «الأخبار» المصرية نشرت سلسلة من كتابات اللواء حماد على أكاذيب هيكل التي اخترعها عن دوره في الثورة وقد استند اللواء جمال حماد إلى مذكرات اللواء محمد نجيب أول رئيس لمصر بعد الثورة وكذلك أوراق عبد الناصر عن حرب فلسطين أو شهادة جمال حماد بنفسه أو روايات جلال ندا وعضو مجلس قيادة الثورة عبد اللطيف البغدادي وآخرين، حيث أكد الجميع أن كل ما رواه هيكل عن لقاءاته بعبد الناصر قبل الثورة كانت أكاذيب وأنه بدأ التقرب من عبد الناصر بعد الثورة حينما لمع نجمه ولم تكن له أية علاقة به قبلها، وقد أكد على ذلك عشرات الكتاب والباحثين من بعد ليس على هذا فقط بل على تجاوزات وأكاذيب وقصص مفبركة وتضارب في الروايات أظهرت هيكل شخصية انتهازية أطاحت وأضرت بكل من قدم لها مساعدة بل إن كل صعوده كان على جثث الذين ساعدوه بدءا بأستاذه محمد التابعي مرورا بعلي ومصطفي أمين وجلال ندا أو فتحي غانم

الذي فصله هيكل بعدما كتب عنه رواية «الرجل الذي فقد ظله» وغيرهم، فلم يكن هيكل يقدم لعبد الناصر المعلومات من أصدقائه الصحفيين الغربيين أو موظفي الدولة الذين كانوا يعرفون علاقته مع عبد الناصر فقط ولكنه كان واشيا حاقدا حتى أن الجميع كانوا يتحاشون الصدام معه، هذا هيكل الذي كتب الكثيرون ممن عاصروه عن خداعه وانتهازيته وذاتيته، أما على صعيد علاقتي المحدودة معه فقد سألني كثيرون خلال السنوات الماضية لماذا لم تسجل معه في برنامج «شاهد على العصر».. سأجيب غدا.

١١. خالد محيي الدين:

خالد مُحيي الدين (١٧ أغسطس ١٩٢٢) ضابط سابق في الجيش المصري إبان العصر الملكي وأحد اعضاء الضباط الأحرار، وعضو سابق في مجلس الشعب المصري، ذو فكر يساري، وهو مؤسس حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي حتى اعتزاله العمل العام.

ولد خالد محيي الدين في كفر شكر في محافظة القليوبية عام ١٩٢٢. تخرج من الكلية الحربية عام ١٩٤٠، وفي ١٩٤٤ أصبح أحد الضباط الذين عرفوا باسم تنظيم الضباط الأحرار والذين انقلبوا على حكم الملك فاروق سنة ١٩٥٢، وكان وقتها برتبة صاغ، ثم أصبح عضوا في مجلس قيادة الثورة، حصل على بكالوريوس التجارة عام ١٩٥١ مثل كثير من الضباط الذين سعوا للحصول على شهادات علمية في علوم مدنية بعد الثورة وتقلدوا مناصب إدارية مدنية في الدولة.

وصفه جمال عبد الناصر بالصاغ الأحمر في إشارة إلى توجهات محيى الدين اليسارية وحينما دعا الصاغُ خالد محيي الدين رفاقَه في مارس ١٩٥٤ إلى العودة لثكناتهم العسكرية لإفساح مجال لإرساء قواعد حكم ديمقراطي نشب خلاف بينه وبين جمال عبدالناصر ومعظم أعضاء مجلس قيادة الثورة استقال على إثره من المجلس، وآثر - ربما تحت ضغوط من جمال عبدالناصر - الابتعاد إلى سويسرا لبعض الوقت.

يذهب خالد محيي الدين بمذكراته في الصراحة إلى أبعد من ذلك حين يكشف خبيئة البكباشي: «وكثيراً ما كنت أناقش جمال عبدالناصر عن الديمقراطية وعن ضرورة إشراك الجماهير، فكان يرد عليَّ باسماً: ألا ترى أن الجماهير تؤيدنا؟!» (ص ٢٠٨)؛ أي: إن التأييد المدفوع مسموح به، أما المعارضة فغير مسموح لها.

ويذكرنا خالد بأن عدم مقاومة الأحزاب والقوى السياسية كانت من وراء تشجيع العسكر على الاستمرار في غيّهم والتلاعب بمصير الشعب وحرمانه من حقه في التعبير عن إرادته:

«يضاف إلى ذلك أيضاً (يقصد عدم مقاومة الدكتاتورية العسكرية) أن الأحزاب السياسية لم تقاوم ولو بأقل قدر ما وجه إليها من صفعات، بل استسلمت استسلاماً مثيراً

للدهشة وخيبت الآمال فيها، بما شجع الزملاء في مجلس القيادة (يقصد ضباط الانقلاب) على المضي قدماً في طريقهم (يقصد الحكم العسكري) فباستثناء الإخوان المسلمين والشيوعيين لم يتحرك أحد.

والمثير للدهشة أن أكثر من حذرنا من دعوة البرلمان الوفدي أو إجراء انتخابات جديدة كان د. عبدالرازق السنهوري باشا رئيس مجلس الدولة، وسليمان حافظ وكيل مجلس الدولة، كما كان علي ماهر، رئيس الوزراء، ضد دعوة البرلمان وضد إجراء انتخابات جديدة.

وأجهد الفقهاء الدستوريون أنفسهم لإيجاد مخرج، لم أكن راضياً عنه، فقد كنت راغباً في دعوة البرلمان للاجتماع» (ص ١٧٧).

ودهش الضابط الشاب (خالد محيي الدين) إذ وجد أن أساطين القانون الدستوري، الذين طالما تحدثوا عن الدستور والبرلمان؛ كانوا يستحثون الضباط ويحرضونهم على تأجيل الانتخابات ورفض اجتماع مجلس النواب، ومن ثم تأجيل قضية الديمقراطية.

«وللتاريخ أسجل أن د. عبدالرازق السنهوري، وسليمان حافظ، وعلي ماهر كانوا جميعاً يحرضون الضباط على تجاهل البرلمان والدستور، وطبعاً كانت هناك الكثرة الغالبة من الضباط الذين يستجيبون لذلك ويتقبلونه بحماس، بحكم أنهم يستشعرون مصلحتهم في الاستمرار في حكم البلاد بأنفسهم» (ص ١٨٠).

«أما المثير للدهشة فهو أن السنهوري باشا اتخذ من قانون الإصلاح الزراعي ذريعة لضرب أي توجه ديمقراطي.. فقد قال: إذا كنتم تريدون كسب الشعب من خلال قانون الإصلاح الزراعي، فإن آثار هذا القانون لن تظهر قبل خمس أو ست سنوات، فكيف تسارعون بإجراء الانتخابات في فبراير؟ وبدأ يستحثنا على ضرورة تأجيل الانتخابات لفترة تكفي لضمان اكتساب جماهيرية حقيقية.

خالد محي الدين يتكلم عن عبد الناصر والقانون:

ومرة أخرى أصدم.. فها هو كبير الفقهاء الدستوريين يستخدم قانون الإصلاح الزراعي ذريعة لضرب التوجه الديمقراطي، وطبعاً كان يجد آذاناً صاغية، ونفوساً تتقبل ما يقول بصدر رحب وترحيب شديد» (ص ١٨١ - ١٨٢).

وسجل التاريخ بعدئذ أنه تم ضرب السنهوري في مجلس الدولة، جزاء خدمته للدكتاتورية العسكرية التي قادها البكباشي «جمال عبدالناصر»!

ويواصل خالد محيي الدين سرد الدور النفاقي الإجرامي لبعض أهل القانون على أيامه في التآمر على الشعب لحساب البكباشي الطاغية الصاعد فيقول: «وبدأ أساطين

القانون الدستوري يدبجون للثورة نصوصاً تمكنها من التلاعب بالحياة الحزبية، ويرسمون لها خطوات ماكرة أربكت الأحزاب التي كانت مرتبكة بذاتها وضعيفة وعاجزة عن ممارسة أي فعل يمتلك صفة الاعتراض والمقاومة» (ص٢٠٨ - ٢٠٩).

«والحقيقة أن عبدالناصر كان يضمر في هذا الوقت الدخول في تصادم مع الأحزاب السياسية، فأراد أن يكسب الإخوان إلى صفه في هذه المعركة، ولكنه في نفس الوقت لم يسمح بإعطائهم أي نفوذ داخل الثورة، بل ومارس داخلهم لعبة استقطاب البعض إلى صفه، فأحدث انقساماً خطيراً في صفوفهم، وشجعه ذلك على المضي قدماً في طريق تصادمه مع القوى الحزبية عامة» (ص ١٩٧).

«ارتفعت أصوات تقول: هذا الشعب الجاهل لا يصلح للديمقراطية، وأصوات تقول: هذا الشعب الذي كان يبيع أصواته في الانتخابات تريدون أن تعطوه الفرصة ليبيع أصواته من جديد؟» (ص ٢٦٨).

«وساد وسط الفرسان بأن هناك اتجاهاً دكتاتورياً يحاول إجهاض أي محاولة لعودة الديمقراطية، وأن هذا الاتجاه يريد أن يحرف المسألة إلى مسألة شخصية: بقاء نجيب أو إبعاده، وأن المسألة يجب أن تحدد.. ديمقراطية أم دكتاتورية» (ص ٢٦٩).

«ثم يتكلم عبدالناصر ليحدد موقفه: فترة الانتقال ضرورية، ولا بد منها، فشعبنا لا يستطيع تقدير مصلحته الحقيقية بسرعة، وربما لا تكفي ثلاث سنوات، وشعبنا لا يمكنه تحمل مسؤولية الحرية، وقد سبق للإقطاعيين أن اشتروا أصوات الناخبين،

وقال: الشعب الذي لا يستطيع أن يتحمل مسؤولية الحرية، لا يمكنه أن يستمتع بالحرية» (ص ٢٧٣).

بعد حل الأحزاب وشن حملات اعتقال لقياداتها وإعلان فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات، وقيام هيئة التحرير، والدستور المؤقت ونقل سلطة السيادة في الدولة إلى ضباط مجلس قيادة الثورة (الانقلاب) ورئيسه (البكباشي) بفضل ألاعيب القانونيين، وتشكيل المؤتمر المشترك من مجلس قيادة الثورة والوزراء، علق خالد محيي الدين على ذلك قائلاً: «إنه الحكم العسكري المباشر، وأحسست أن كل أحلامي عن حكم نيابي وديمقراطي تتلاشى» (ص ٢١٢)، ويضيف: «والحقيقة أن الموج المعادي للديمقراطية كان عالياً» (ص ٢١٣).

ودفع خالد محيي الدين ثمن موقفه من تأييد الديمقراطية ثمناً يعد بسيطاً بالنسبة لغيره، فقد تم نفيه إلى سويسرا براتب معقول، أما رفاقه في سلاح الفرسان فقد أطيح بهم وفصلوا من السلاح، ليستوي البكباشي على عرش مصر دون منازع!

أمريكا والانقلاب من مذكرات خالد محي الدين:

يحاول خالد محيي الدين فيما يتعلق بعلاقة الضباط الانقلابين بالولايات المتحدة أن ينفي أن يكون الانقلاب صناعة أمريكية، ولكنه لا ينفي أن هناك علاقة بين الطرفين، وأن السفير «كافري» كان يسميهم أولاده، وأن محمد حسنين هيكل، عرّاب الانقلابَيْن، كان واسطة بين الأمريكيين والعسكر. يقول خالد: «أخذ الأمريكيون يتقربون من الحركة، وفي عشاء لدى عبدالمنعم عبدالرؤوف في بيته، كان هناك مجلس قيادة الثورة، وحضر كافري السفير الأمريكي والمستشار السياسي للسفارة الأمريكية، وكانت هذه الجلسة تمهيداً لعلاقة حسنة مع الأمريكيين، وكانت أغلبية المجلس تتحسس طريقها للبحث عن استقرار للحكم دون تصادم مبكر مع قوةكبرى مثل أمريكا(ص٩٧-٩٨).

ويشير إلى أن «جمال سالم بطبيعته كان معجباً بأمريكا، وقد قضى في أمريكا فترة للعلاج على نفقة الدولة بعد إصابته في حادث سقوط طائرة، وعاد من أمريكا معجباً ومبشراً بنظام الحياة فيها، وبدأ جمال سالم ينتقد الإشارة في منشوراتنا إلى الاستعمار الأنجلو - أمريكي، وطالب باستبعاد الأمريكيين والاكتفاء بمهاجمة الإنجليز، فلا فائدة لنا في مناصبة الأمريكيين العداء» (ص ١٢١).

ويضيف: «وسألت من هو علي صبري؟ وأجاب بغدادي: إنه مدير مخابرات الطيران، وهو معنا وقد أخذ بعثة في أمريكا وهو على علاقة حسنة بالأمريكيين، وأنه من خلال علاقته بالملحق الجوي في السفارة الأمريكية سمع منه تلميحات بأنه في حالة تحرك الجيش فإنهم سيطلبون من الإنجليز عدم التدخل إذا كانت الحركة غير شيوعية ولا تهدد مصالحهم، وانتهز بغدادي الفرصة ليعود إلى المطالبة بعدم مهاجمة الأمريكيين» (ص ١٢٢).

ويحاول خالد أن يصف البكباشي بالبراغماتية في العلاقة مع الأمريكيين، فيقول: «الحقيقة أن جمال عبدالناصر كان قد رتب - كما قلت - قبل الثورة علاقة مع الأمريكيين، عن طريق علي صبري، ومنحهم قدراً من التطمينات من أن الثورة القادمة لن تقف ضدهم»(ص ١٨٧).

«والحقيقة أيضاً أن كافري كان يتصرف - بالحق أو بالباطل - على أساس أنه يمتلك نفوذاً في صفوف الثورة.. ولقد أدهشني أن طالعت فيما بعد في بعض الوثائق وزارتي الخارجية البريطانية والفرنسية أن كافري كان يزهو أمام السفراء الغربيين موحياً إليهم بأنه على علاقة خاصة جداً مع الثورة، بل لقد كان يتحدث عنا قائلاً: myboys (أي أولادي)، والحقيقة أنه كان مبالغاً في ذلك أشد المبالغة، فلم نكن أولاده، ولم يكن يمارس علينا نفوذاً حقيقياً، لكنه استفاد من غموض الموقف، ومن بعض العلاقات ليتظاهر بأنه يملك نفوذاً ما» (ص ١٨٨).

ويتحدث خالد محيي الدين عن لقاءاتهم مع السفير «كافري» ومستشاره السياسي «إيفانز»، وتحذيره لهم من العناصر الوطنية مثل فتحي رضوان، ونور الدين طراف؛ لأنهم يصطفون في نهاية الأمر مع الشيوعيين، ومهاجمته للوفد لأنه يخضع للضغط الشعبي، وقد اعترض «كافري» على ترشيح السنهوري باشا لرئاسة الوزراء تحت دعوى أنه شيوعي. (ص ١٨٨ وما بعدها).

ويزعم خالد أن «عبدالناصر» لم يكن خاضعاً للأمريكيين، لكنه كان يتفاهم مع القوى المختلفة بل مع الأضداد؛ محاولاً استخلاص مصلحته هو من مثل هذا التفاهم. (ص ١٩٠)، وأن «عبدالناصر» كان حريصاً على تحييد أمريكا. (ص ١٩١)، وأنه كان هكذا دوماً ومع كل الأطراف.. حتى مع «إسرائيل»، فيقول خالد: «ففي فترة إقامتي بالمنفى وأثناء زيارتي لباريس، أبلغني الأستاذ عبدالرحمن صادق، المستشار الصحفي في سفارتنا بباريس، أنه مكلف من عبدالناصر بعمل علاقة ما بالسفارة «الإسرائيلية»، وأن هدف العلاقة هو التعرف على كل أفكار «الإسرائيليين» ورؤيتهم للثورة وموقفهم إزاءها، ويمكن القول: إن «إسرائيل» في هذه الفترة لم تكن مدرجة في الأسطر الأولى لجدول الأعداء» (ص١٩٢).

«وفيما أعتقد استمرت العلاقات والاتصالات مع السفارة الأمريكية عبر قناتين تصب كل منهما عند عبدالناصر وحده: عبدالمنعم أمين، وعلي صبري، ولعل هذه العلاقة قد استمرت زمناً ليس بالقصير» (ص ١٩٢).

ويشرح خالد بعض الأبعاد الخاصة في دور أمريكا، وخاصة بالنسبة لإنجلترا، فيقول: «ولعبت أمريكا دور الوسيط - بين مصر وإنجلترا - وكانت المفاوضات تجري عبر محورين: اتصالات مباشرة مع الإنجليز، ووساطة دالاس بين الطرفين التي كانت تنسقها بشكل مستمر سفارة أمريكا بالقاهرة، وخصص الأمريكيون دبلوماسياً من سفارتهم بالقاهرة اسمه بيل ليكلاند للاتصال المباشر والمستمر مع عبدالناصر حول هذا الموضوع، وكان ليكلاند هذا صديقاً للأستاذ محمد حسنين هيكل، و كان هيكل مطلعاً على بعض تفاصيل المفاوضات» (ص ١٩٣).

الهزيمة والإعلام:

ونختم برأي خالد محيي الدين في هزيمة عام ١٩٦٧م، وهو رأي قريب إلى السواء، ولكنه يتكلم كأن في فمه ماء، فلم يفصل كثيراً، ويكتفي بالإشارة إلى أنها هزيمة سياسية لنظام فاشل، وأن «عبدالناصر» لم يتنازل للشعب بعد هزيمته المذلة: «وفي اعتقادي أن هزيمة يونيو ١٩٦٧م لم تكن هزيمة عسكرية، بل هي في الجوهر هزيمة سياسية لنظام فشلت آلياته في اكتشاف ما إذا كانت البلاد جاهزة للحرب أم لا، وبعد الهزيمة كانت هناك فرصة تاريخية لتحقيق الديمقراطية، لكن هذه الفرصة ضاعت؛ لأن

الديمقراطية تتطلب من الحاكم أن يقدم تنازلات للشعب، ولم يكن عبدالناصر مستعد (كذا!) - حتى رغم هزيمته - أن يقدم أي تنازلات» (ص٢١٥).

كما يشير خالد إلى الاهتمام البالغ الذي كان يوليه «عبدالناصر» للأذرع الإعلامية، وكانت الصحافة في ذلك الحين أهم الأذرع وأقواها: «كان عبدالناصر يتوجه كل مساء إلى دار «الجمهورية» ليراجع بنفسه المانشيتات والعناوين الرئيسة، ولعل هذا وحده يكفي للدلالة على مدى اهتمام عبدالناصر بالصحافة كوسيلة لمخاطبة الرأي العام» (ص ٢٢٨).

ويقول: «عندما توليت مسؤولية دار «أخبار اليوم»، كان هناك موتوسيكل مخصص لإرسال أول خمس نسخ تصدر من الطبعة الأولى ليسرع بها إلى بيت عبدالناصر» (ص ٢٢٨).

كما كان عبدالناصر يتابع صحف بيروت لمعرفة اتجاهات الدول العربية، وملخصات مترجمة من الصحف العالمية، ويتصل يومياً مرات عديدة بخالد ليعرف أهم الأخبار والتوجهات، ويبدي رأيه وتوجيهاته.(ص ٢٢٨ - ٢٢٩).

يتناول خالد قضية فصل السودان وعلاقته باليهودي «هنري كوربيل»، مؤسس الأحزاب الشيوعية المصرية والعربية وقضايا أخرى، وكلها تصب في اتجاه الاستبداد وخيبة الوطن، وللأسف الشديد يصر بعض الناس على استعادة التاريخ في صورته الدامية الكئيبة، ولله الأمر من قبل ومن بعد!

١٢. يوسف صديق:

ويوسف منصور يوسف صديق الأزهري (٣ يناير ١٩١٠ - ٣١ مارس ١٩٧٥) ضابط مصري كان ضمن تنظيم الضباط الأحرار في مصر.

بدأت قصة يوسف مع الانقلاب قبل ليلة ٢٣ يوليو في أحد ايام أكتوبر سنة ١٩٥١ حينما زاره الضابط وحيد رمضان الذي عرض عليه الانضمام للضباط الاحرار واطلعه على برامجهم والتي كانت تدعو للتخلص من الفساد وارساء حياة ديمقراطية سليمة فوافق واسندت اليه من قبل تنظيم الانقلاب قيادة الكتيبة الأولى مدافع ماكينة، وقبل الموعد المحدد بقليل تحرك البكباشي يوسف صديق مع مقدمة كتيبته مدافع الماكينة من العريش إلي مقر الكتيبة الجديد في معسكر هايكستب قرب مدينة العبور ومعه معاونه عبد المجيد شديد.

ويرويأحمد حمروش في كتابه"قصة ثورة يوليوفيقول: اجتمعت اللجنة القيادية لل ثورة وقررت أن تكون ليلة ٢٢-٢٣ يوليو ١٩٥٢ هي ليلة التحرك وأعطيت الخطة اسماً كودياً(نصر) وتحددت ساعة الصفر في الثانية عشرة مساء إلا أن جمال عبد الناصر

عاد وعدل هذ الموعد إلى الواحدة صباحاً وابلغ جميع ضباط الحركة عدا يوسف صديق لكون معسكره في الهاكستيب بعيد جدا عن مدي تحركه ذلك اليوم فآثر انتظاره بالطريق العام ليقوم برده إلى الثكنات وكان لهذا الخطأ البسيط على العكس أعظم الأثر في نجاح الثورة. فقد كان تم ابلاغ يوسف صديق (بواسطة رسول قيادة الحركة الضابط زغلول عبد الرحمن كما ورد علي لسان يوسف صديق نفسه في مذكراته التي نشرها الدكتور عبد العظيم رمضان باسم أوراق يوسف صديق عن الهيئة المصرية للكتاب عام ١٩٩٩م - ص١٠٠) ووفقا لذلك فقد تم ابلاغ يوسف صديق أن ساعة الصفر هي ٢٤٠٠ أي منتصف الليل وليست الواحدة صباحا وهو الموعد الذي تم التعديل له ، وكان يوسف قائدا ثانياً للكتيبة مدافع الماكينة ولم يخف الموقف على ضباطه و جنوده ، وخطب فيهم قبل التحرك وقال لهم إنهم مقدمون هذه الليلة على عمل من أجل الأعمال في التاريخ المصري وسيظلون يفتخرون بما سيقومون به تلك الليلة هم وأبناؤهم واحفادهم واحفاد احفادهم.

تحركت القوة من معسكر
الهايكستب أن تدري ما يدبر في مركز القيادة، وكان يوسف صديق راكباً عربة جيب في مـ
قدمة طابور عربات الكتيبة المليء بالجنود وما أن خرجت القوة من المعسكر
حتى فوجئت باللواء عبد الرحمن مكي قائد الفرقة يقترب من المعسكر فإعتقله القوة
بأوامر من يوسف صديق وتم اقتياده بصحبة طابور القوة بسيارته التي يرفرف عليها علم
القيادة
محصورا بين عربة الجيب التي يركب بها يوسف في المقدمة والطابور وعند
اقتراب القوة من مصر الجديدة صادفت أيضاً الأمير الاي
عبد الرؤوف عابدين قائد ثاني الفرقة الذي كان يسرع بدوره للسيطرة علي معسكر هايكست
ب فأمر يوسف صديق أيضا باعتقاله وأركبه إلى جانب اللواء المعتقل من قبل بنفس سيارة
اللواء وساروا مع القوة والمدافع موجهة عليهما من العربات الأخرى.
ولم تقف الاعتقالات عند هذا الحد، فقد فوجئ يوسف ببعض جنوده يلتفون
حول رجلين تبين أنهما جمال عبد الناصر وعبد الحكيم
عامر، وكانا حسبما روي يوسف في ملابس مدنية، ولما استفسر يوسف عن سر وجودهما
حدث جدل بين جمال عبد الناصر ويوسف صديق حيث رأى جمال خطورة تحرك يوسف
قبل الموعد المحدد ضمن الخطة الموضوعة سابقا للثورة على أمن ضباط الحركة الأحرار
وعلى إمكانية نجاح الثورة ورأى رجوعه إلى الثكنات لكن يوسف صرح له انه لم يعد
يستطيع العودة مرة ثانية دون اتمام العمل (الثورة) وان الثورة قد بدأت بالفعل حينما قامت
قوة يوسف بالقبض على قائده اللواء عبد الرحمن مكي ثم الأميرالاي عبد الرؤوف عابدين
(قائده الثاني) وقرر انه مستمر في طريقه إلى مبني قيادة الجيش لاحتلاله ولم يكن أحد يعلم
على وجه اليقين مايتم في رئاسة الجيش (حيث كان خبر الانقلاب قد تسرب إلى الملك
الذي ابلغ الأمر للقيادة لاتخاذ إجراء مضاد على وجه السرعة وكانت قيادة الجيش -التابع
للملك- مجتمعة في ساعته وتاريخه تمهيدا لسحق الانقلاب بقيادة الفريق حسين فريد قائد

الجيش قبل الانقلاب) (وقد حسم يوسف صديق الجدل بينه وبين جمال حينما أصر على مواصلة طريقه لاحتلال القيادة وأغلب الظن اتفاق الرجلين على ذلك لأن جمال عبد الناصر الذي استمر يراقب التحركات عن كثب وجه بعد ذلك بقليل بأرسال تعزيزات من أول الأجنحة التابعة للانقلاب التي تحركت في الموعد الأصلي اللاحق لمساندة يوسف بعد أن قام يوسف صديق مع جنوده باقتحام مبنى القيادة العامة للجيش والسيطرة عليه بالفعل).

بعد هذا اللقاء وفي الطريق أعد يوسف خطة بسيطة تقضي بمهاجمة مبنى قيادة الجيش وبالفعل وصل يوسف إلى المبنى وقام يوسف صديق وجنوده باقتحام مبنى القيادة بعد
معركة قصيرة مع الحرس سقط خلالها اثنان من جنود الثورة واثنان من قوات الحرس ثم استسلم بقية الحرس فدخل يوسف مع جنوده مبنى
القيادة وفتشوا الدور الأرضي وكان خاليا، وعندما أراد الصعود إلى الطابق الأعلى اعترض طريقهم شاويش حذره يوسف لكنه أصر على موقفه فأطلق عليه طلقة
أصابته في قدمه، وعندما حاول فتح غرفة القادة وجد خلف بابها مقاومة فأطلق جنوده الر صاص علي الباب ثم اقتحموا الغرفة، وهناك كان يقف الفريق
حسين فريد قائد الجيش، والأميرالاي حمدي هيبة وضباطاً آخرين أحدهم برتبة عقيد وآخر غير معروف رافعين منديلا أبيضا، فتم القبض
عليهم حيث سلمهم لليوزباشي عبد المجيد شديد ليذهب بهم إلى معسكر الاعتقال المعد حسب الخطة في مبنى الكلية الحربية. وبذلك يعتبر يوسف صديق هو بطل الثورة الحقيقي الذي أنقذ ثورة يوليو من الانتكاسة في اللحظة الأخيرة وهو الذي نفذ خطة الاستيلاء على قيادة الجيش ومن ثم السلطة بأسرها في مصر في ذلك التاريخ (الساعة الثانية عشرة مساء ٢٣/٢٢ يوليو ١٩٥٢).

وفي فجر ٢٥ يوليو تحرك عدد من قادة الانقلاب ومنهم يوسف صديق وحسين الشافعي وعبد المنعم أمين ليواجهوا الملك فاروق الذي كان متمركزاً مع أعوانه. ثم عاد الشافعي ويوسف إلى الإسكندرية في طائرة هليكوبتر مع أنور السادات وجمال سالم ومحمد نجيب وزكريا محي الدين. وفي أغسطس١٩٥٢ دخل يوسف الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار مع محمد نجيب وزكريا محيالدين.

تخلص عبد الناصر من يوسف صديق:

عقب نجاح
انقلاب الضباط الأحرار دعا يوسف صديق عودة الحياة النيابية، وخاض مناقشات عنيفة من أجل الديموقراطية داخل مجلس قيادة الثورة بعد ان اكتشف انه خدع بشعارات الانقلابين. ويقول يوسف عن تلك الخلافات في مذكراته:

"كان طبيعيا أن أكون عضواً في مجلس قيادة الثورة، وبقيت كذلك حتي أعلنت الثورة أنها ستجري الانتخابات في فبراير ١٩٥٣، غير أن مجلس الثورة بدأ بعد ذلك يتجاهل هذه الأهد اف، فحاولت أكثر من مرة أن أترك المجلس وأعود للجيش فلم يُسمح لي بذلك، حتي ثار فريق من الضباط الأحرار علي مجلس قيادة الثورة يتزعمه اليوزباشي
محسن عبد الخالق وقام المجلس باعتقال هؤلاء الثائرين ومحاكمتهم، فاتصلت بالبكباشي ج مال عبد الناصر وأخبرته أنني لايمكن أن أبقي عضواً في مجلس الثورة وطلبت منه أن يع تبرني مستقيلا، فاستدعاني للقاهرة، ونصحني بالسفر للعلاج في سويسرا في مارس ١٩٥٣".

وعندما وقعت أزمة فبراير ومارس عام
١٩٥٤، طالب يوسف صديق في مقالاته ورسائله لمحمد نجيب بضرورة دعوة البرلمان ال منحل ليمارس حقوقه الشرعية، وتأليف وزارة ائتلافية
من قبل التيارات السياسية المختلفة من الوفد و
الإخوان المسلمون والاشتراكيين والشيوعيين، وعلى أثر ذلك اعتقل هو وأسرته، وأودع في السجن الحربي في أبريل ١٩٥٤، ثم أفرج عنه في مايو
١٩٥٥ وحددت إقامته بقريته بقية عمره إلى أن توفي في ٣١ مارس ١٩٧٥.

٦. أحداث سبقت انقلاب ١٩٥٢:

كان الوضع الاقتصادي المصري قبل انقلاب يوليو في حالة يحسد عليها، فقد كان الجنيه المصري أعلى قيمة من الجنيه الذهب، وخرجت مصر من الحرب العالمية الثانية وهي دائنة لبريطانيا. وكان الاقتصاد المصري يخطو خطوات واسعة باتجاه التحديث والتمصير وظهور طبقة برجوازية مصرية وطنية لعبت دورا قويا ضد الانجليز وفي ثورة ١٩١٩ وأسست أول بنك مصري وأصدرت العملة الورقية.

كانت هناك ثورة مصرية تغلي تحت التراب مما استوجب إجهاضها بثورة مضادة فكان انقلاب يوليو. فقد شهدت الفترة من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى انقلاب يوليو حراكا مصريا قويا تمثل هدفه في الخلاص من الاستعمار والملك مع المناداة بالجمهورية والديمقراطية. فقد شهد عام ١٩٤٦مظاهرات واسعة للطلبة تنادي بالجلاء التام عن مصر شهدت قمعا واسعا للطلبة، وتلاه إضراب عام للطلاب على مستوى الجمهورية شاركت فيه كافة فئات المجتمع وسقط في هذه الأحداث ٢٣ قتيلا وما يزيد عن ٤٠٠ مصاب.

توالت الإضرابات والمظاهرات التي تحركت فيها كافة فئات المجتمع من الإخوان إلى الشيوعين، ومن الطلبة إلى العمال والفلاحين، وساندها بعض من كان في الحكومة وقتها، فؤاد سراج الدين. حيث نقرأ في الوثائق البريطانية الاتهام المباشر لفؤاد

سراج الدين بالتورط في الأعمال الإرهابية. وأما بريطانيا فقد وضعت الخطة Rodeo لإعادة احتلال القاهرة والإسكندرية، ولمواجهة ثورة حقيقية كانت تتشكل.

كان هذا الحراك رغم ما فيه من تعدد الاتجاهات والأفكار والأيديولوجيات يحمل خطرا شديدا علي الاستعمار الأنجلو-أمريكي، فكان لزاما عليه التخطيط لتحرك استباقي لضرب الثورة. وقد وضع السفير الأمريكي تقديرا للموقف في مصر حذر فيه من غضب الشباب والفلاحين، وانتشار الأسلحة الفردية في مصر، واحتمال قيام تحالف بين الاخوان والوفد، وقال أيضا أن الجيش والشرطة يمكنهم السيطرة على القاهرة لكن الاضطرابات في الأقاليم سوف تكون خارج قدرتهم وإمكانياتهم، وهناك شكوك حول إذا ما كان صغار الضباط سينفذون الأوامر اذا تضمنت استخدام العنف.

أما الإنجليز فقد كانوا على وعي بانتهاء دورهم في المنطقة، وكانوا على استعداد للتسليم والجلاء عن مصر؛ ولكن في ظل شرطين مهمين: الأول ألا تنتقل مصر إلى الهيمنة الأمريكية أو السوفييتية، والثاني هو فصل مصر عن السودان، والذي كان عماد المشاريع الإنجليزية في أفريقيا وبالطبع الاستعمار لم يكن ليسمح باستبدال النظام الملكي بالديمقراطية فكان لابد من ايجاد حكم عسكري ينفذ اهدافه.

حريق القاهرة ١٩٥١م وحقيقته:

في يناير (كانون ثاني) ١٩٥٢، أحرق مجهولون مدينة القاهرة، مما أدى إلى استقالة وزارة الوفد ذات الشعبية الجماهيرية الكبيرة، ثم قيام مجموعة الضباط الأحرار بقيادة جمال عبد الناصر بقلب نظام الحكم وإبعاد الملك فاروق خارج البلاد في ٢٣ يوليو (تموز) من العام نفسه. ولا يزال الفاعل مجهولا ليومنا هذا. كانت بعض الإشاعات وجهت أصابع الاتهام إلى الملك فاروق والإنجليز، وحتى أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكي وجماعة الإخوان المسلمين، بتدبير الحريق، إلا أن تحقيقات رجال الأمن - سواء قبل ٢٣ يوليو أو بعده - لم تؤكد أيا من هذه الإشاعات. ولو كانت هناك أدلة تدين أيا من هذه الأطراف لما ترددت حكومة الثورة في الإعلان عنها، لكنها لم تفعل، لماذا؟

في مساء ٨ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥١، أعلن مصطفى النحاس باشا، رئيس الوزراء، إلغاء معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا، ووضعت حكومته قرارها موضع التنفيذ، فألغت جميع الإعفاءات التي كانت ممنوحة للسلطات العسكرية البريطانية بمقتضى المعاهدة، والتي تشمل الرسوم الجمركية على المهمات والأسلحة والعتاد ومواد التموين والرسوم المستحقة على مرور سفن القوات البريطانية بقناة السويس. كما شجعت حكومة الوفد الحركات الشعبية في تنظيم المقاومة ضد القوات البريطانية الموجودة بمنطقة القناة.

وفي يناير ١٩٥٢، كانت عمليات المجموعات الفدائية ضد القوات البريطانية قد ازدادت، فقامت القوات البريطانية بمحاصرة قسم البوليس الموجود بمدينة الإسماعيلية،

وطلبت من قوات البوليس تسليم سلاحهم والانسحاب من المنطقة إلى مدينة القاهرة. لكن وزير الداخلية المصري - فؤاد سراج الدين - أصدر أوامره بعدم قبول الإنذار والمقاومة حتى آخر طلقة، فقاوم رجال البوليس هجمات الجيش البريطاني، وسقط منهم خمسون قتيلا وما يزيد على سبعين جريحا.

عندما شاع خبر هذه المعركة في القاهرة عمت الشعب المصري كله موجة من الغضب، وفي الساعة السادسة من صباح ٢٦ يناير قام جنود بلوكات نظام الأقاليم بتمرد في ثكناتهم بمنطقة العباسية، وامتنعوا عن القيام بمهامهم الخاصة بحفظ النظام. وعند الظهر تجمعت مظاهرات طلاب المدارس الثانوية في ميدان الأوبرا بوسط القاهرة، وكنت أنا واحدا منهم. فقد اتصل بنا في الصباح - ونحن في مدرسة الخديوية الثانوية - من أبلغونا بضرورة الخروج في مظاهرة، حيث يتجمع الطلاب في ميدان الأوبرا قبل التوجه إلى جامعة القاهرة، للاحتجاج على ما جرى بالإسماعيلية. سرنا في درب الجماميز وشارع محمد علي، حتى وصلنا إلى ميدان العتبة ثم ميدان الأوبرا. عندئذ فوجئنا ببعض الرجال في الثلاثينات من العمر، جاءوا بسيارة نقل مفتوحة أخرجوا منها صفائح من البنزين أفرغوه في مبنى كازينو بديعة وأشعلوا فيه النيران. وسرعان ما انتقلوا بسيارتهم إلى الجانب الآخر من الميدان، حيث أشعلوا النيران في فندق شبرد. بعد ذلك انفضت المظاهرة وسادت الفوضى، وانضم الغوغاء إلى المسيرة، وصاروا يحطمون واجهات المحلات العامة، ويسرقون ما بها. وفي ذلك اليوم المشؤوم التهمت النيران الكثير من الأماكن العامة في وسط القاهرة، من فنادق وسينمات ومحلات تجارية ومكاتب، كما مات الكثيرون وجرح آخرون.

كانت تلك لحظة نادرة في تاريخ الشعب المصري منذ ثورة ١٩١٩، تحدت فيها الحكومة الوفدية سلطات الاحتلال البريطاني، فقامت بإلغاء معاهدة ١٩٣٦، وحاولت إجبار بريطانيا على قبول إجلاء قواتها الموجودة في مصر. فجاء حريق القاهرة ليضع نهاية لكل هذا، حيث أعلنت الأحكام العرفية، وأقيلت الحكومة، وبعد بضعة أشهر قام الضباط الأحرار بقلب نظام الحكم في ٢٣ يوليو. ولنا أن نتساءل: من هو المستفيد من حريق القاهرة الذي أدى إلى سقوط حكومة الوفد وإفشال مشروعها القومي؟

كان الضباط الأحرار قد حددوا موعدا لانقلابهم بعد ثلاث سنوات في ١٩٥٥، لكنهم بعد الحريق قدموا الموعد، وجعلوه بعد ستة أشهر فقط. فلماذا فقد الضباط صبرهم وقرروا الإسراع بقلب النظام، قبل موعده بثلاث سنوات؟ هل كانت لتنظيم الضباط الأحرار علاقة بحريق القاهرة؟ هل أدرك عبد الناصر أن نجاح الحكومة الوفدية في تحقيق الجلاء سوف يضيع عليه فرصة الانقلاب على النظام؟ ومن الملاحظ أن أنصار ثورة يوليو هم أول من صار ينفي وجود فاعل في جريمة حرق القاهرة، حيث ينسبونها عادة إلى المظاهرات والغوغاء. فقد اعتبر حسنين هيكل - الذي كان مقربا من جمال عبد الناصر - الفاعل في هذه الجريمة مجهولا. وفي برنامج «مع هيكل» في قناة الجزيرة،

الذي أذيع في ١٢ يناير ٢٠٠٦، قال هيكل: «أنا.. لغاية هذه اللحظة مش معتقد أن عملية حريق القاهرة بدأت بتدبير مقصود». لماذا يصر هيكل على إنكار وجود فاعل لجريمة حرق القاهرة؟!

وقد تحدث صلاح شادي - الذي كان عضوا في جماعة الإخوان المسلمين وصديقا لجمال عبد الناصر ومحل سره - عن حالة الاضطراب التي كان فيها عبد الناصر أثناء حريق القاهرة، وخوفه من مداهمة رجال البوليس لمواقعه. وذكر صلاح أن جمال اتصل به تليفونيا ظهر ٢٦ يناير، في الوقت ذاته الذي بدأت فيه الحرائق تشتعل في ميدان الأوبرا، وطلب منه الذهاب للقائه في منزله. وعندما وصل صلاح إلى منزل جمال، وجده في حالة من الاضطراب لم يعهدها فيه من قبل. وطلب منه جمال نقل بعض الأسلحة والذخائر التي كان يخفيها لخوفه من أن تدهم الشرطة مواقعه بسبب حريق القاهرة، وتعثر على الأسلحة المخبأة (الموقع الإلكتروني «إخوان أون لاين»، بتاريخ ١٤ أغسطس/ آب ٢٠٠٨).

وفي لقاء مع اللواء جمال حماد، الذي كان أحد كبار الضباط الأحرار، أذاعته قناة «الجزيرة» في ١٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠٠٨، قال له أحمد منصور: «هناك علامات استفهام كثيرة طالما ذكرت جمال عبد الناصر، حول دور أو علاقة لجمال عبد الناصر في حريق القاهرة». وسأله منصور عن العلاقة بين حريق القاهرة وقرار الضباط الأحرار بالإسراع في تنفيذ خطة الانقلاب الذي كانوا يعدون له، فرد جمال حماد قائلا: «يوم ٢٦ يناير ده، يعني (هو) اللي أيقظنا انه لازم نعجل بالثورة.. كان أول تحديد ان الثورة تقوم في ١٩٥٥.. (لكن) بعد حريق القاهرة، بعدين، حددناه في ١٩٥٢».

من الجاني؟:

أجمع شهود العيان أن الحادث كان مدبرًا وأن المجموعات التي قامت بتنفيذه كانت على مستوى عالٍ من التدريب والمهارة، ويعرفون جيدا كيفية إشعال الحرائق كما كانوا على درجة عالية من الدقة والسرعة في تنفيذ العمليات ويحملون معهم أدوات لفتح الأبواب المغلقة ومواقد إستيلين لصهر الحواجز الصلبة على النوافذ والأبواب وقد استخدموا نحو ٣٠ سيارة لتنفيذ عملياتهم كما أن اختيار التوقيت يعد دليلاً آخر على مدى دقة التنظيم والتخطيط لتلك العمليات.

التحقيقات التي أجرتها النيابة أثبتت أن السرعة التي إقتحمت بها المباني كشفت أن الذى قام بذلك تنظيم فريد إستعان فيه المخربون بشخص أو إثنين على دراية تامة بكل مبنى والنقاط الحيوية به وأن إشعال الحرائق تم بإستخدام الكيروسين والبنزين وبعض المواد الفوسفورية مثل البودرة الحارقة وشهد رجل له ملامح أوروبية يرتدى (مريلة) يكتبش من هذه البودرة ويقوم بإلقائها وكانت مادة نادرة غير متوافرة في الجيش ذاته ولا تباع في مصر!! كما شوهد أعضاء عديدون لجماعة (إخوان الحرية) وهم يشاركون في

أعمال التخريب يوم الحريق وهى الجماعة المريبة التي تأسست بواسطة المخابرات البريطانية برئاسة "روبرت فاي" البريطاني مع الأخذ في الإعتبار أن يوم الحريق (السبت) كان عطلة في معظم المحال الأجنبية مثل شيكوريل فتمت الإستعانة بالبلط لكسر هذه المحال وفتحها وقذفها بكرات مغموسة بالبنزين وصفائح البنزين لتتحول إلى قطعة من جهنم.. أما الشيء المؤسف حقاً الذى إكتشفته النيابة فيتعلق بإستخدام علب البنزين الصغيرة المخصصة لملء الولاعات التي كانت تنتجها شركة شل الإنجليزية.. وأثبتت التحقيقات أن رصيد الشركة نفذ منذ ١٨ ديسمبر ١٩٥١.. أي أن جهة ما قامت بشراء كل المخزون لإستخدامه يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢.

وأشارت الصحافة آنذاك بأصابع الإتهام إلى الإنجليز حيث غادر موظفو الشركات الإنجليزية مكاتبهم قبل الحريق بساعات وقام بنك باركليز بنقل جميع تعاملاته من فرع قصر النيل إلى الموسكى قبل الحريق بيوم واحد وخلا النادي الإنجليزي (الترف كلوب) من الرواد على غير عادته.. ومن الشائع أن الجنرال أرسكين كما جاء في كتاب أدجوبى عن (مصر المعاصرة) قد حذر كبار الإنجليز من أصدقائه ونصحهم بمغادرة القاهرة قبل ٢٦ يناير ببضعة أيام قليلة.

ومن المعروف أن فؤاد سراج الدين حين ذهب للإستنجاد بقائد الجيش محمد حيدر إنتظره في غرفة رئيس الديوان الملكي حافظ عفيفي. وإبان إنتظاره حين يستأذن محمد حيدر من مأدبة الملك سأل حافظ عفيفى فؤاد سراج الدين: هل حقيقة أنكم تنوون قطع علاقة مصر الدبلوماسية بإنجلترا؟ ومن الغريب أن ذلك كان يدور في أذهان الكثير من وزارة الوفد. فقال فؤاد سراج الدين: ليس صحيحاً. من الذى أبلغك بذلك؟ فقال حافظ عفيفي: السفير البريطاني. إذن هناك صلة قائمة ومستمرة بين رئيس الديوان الملكي والسفارة البريطانية.

ثم يبدوا غريباً أن يدعو الملك ضباط الجيش وضباط البوليس كذلك على مأدبة الغداء فلقد جرت العادة أن تكون الدعوة على العشاء ولكن توقيتها للغداء مرتبط تماماً بالحرائق في القاهرة التي بدأت في الساعة ١٢ و ٢٧ دقيقة ظهراً.

ويرى إبراهيم فرج باشا في حوار سجله معه الصحفي والمؤرخ جمال الشرقاوي أن المخابرات الأمريكية والمخابرات البريطانية هما اللذان أحرقا القاهرة، وأن الأساس في العملية هو المخابرات المركزية الأمريكية، حيث كانت أمريكا هي القوة الرئيسية المحركة للأحداث في تلك الفترة، ولم تكن راضية عن سياسة حكومة الوفد برئاسة النحاس باشا، ولذلك قد أدت كل عمليات الضغط التي مورست على الحكومة.. فهم الذى قادوا عملية الحلف الرباعي ، وكانوا القوة الأساسية فيه وحركوا بقية الدول.. كمل بذلوا ضغوطا شديدة علينا لكى نحارب معهم في كوريا. لكن النحاس باشا والحكومة رفضوا.. وقال النحاس باشا: إحنا لا نحارب لصالح أمريكا.

وبالطبع هدف العملية التمهيد لنجاح انقلاب الضباط الاحرار بقيادة جمال عبد الناصر وقد اعترف عبد الناصر ان حريق القاهرة احد اسباب نجاح انقلاب يوليو وفى ذلك قال جمال عبد الناصر :«حرقت القاهرة وحرق معها كفاحنا في القنال، ومن ذلك اليوم – ٢٦ يناير ١٩٥٢ – بدأنا نفقد الصبر، وبدأنا نفكر في العمل الإيجابي، وآثرنا أن نصرع الفساد قبل أن يصرعنا، وأن نحطم الطغيان قبل أن يحطمنا»..

٧. تنظيم (الضباط الاحرار) نشأته وعمالته:

كانت الولايات المتحدة وبريطانيا قد قررتا منذ اكتوبر ١٩٥١ ان فاروق يجب ان يذهب وكانت توجد إيحاءات بان علاقة مستترة خفية بين مسؤولي المخابرات الاميركية والضباط الاحرار .

وكان الهدف الاميركي انهاء القتال في فلسطين عن طريق صلح بين مصر واسرائيل وتسليم المتبقي من فلسطين لليهود وهو ما تحقق في نكسة حزيران .

واحباط اي خطة تكون لدى مصر لشن حرب ثانية ،وكان اخلاص فاروق للقضية الفلسطينية ، ورفضه ايه رشوة لتخلي عنها هو عقبة كبيرة امام الامريكان واسرائيل ولا بد لهم من تذليلها .

وكان حيدر باشا وعصبة القصر بعزلهم الملك عن الشباب الأحرار قد هيئوا لوزارة الخارجية الاميركية موقفا جاهزا للاستغلال خاصة بعد رفض الملك فاروق إرسال قوات إلى الحرب الكورية، في حين وافق عدنان مندريس التركي وانضم للناتو وكان سبب رفض فاروق ارسال قوات الى كوريا بسبب غضبه من اتفاق كوينسي ١٩٤٥ الذي اعطى السعودية دور الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة وليس مصر ..

اعترى تدهور شديد العلاقات الأمريكية-المصرية عقب لقاءات الرئيس روزفلت على متن الطراد كوينسي في البحيرة المرة الكبرى، أمام الإسماعيلية، مع كل من الملوك فاروق وعبد العزيز وهيلاسيلاسي في فبراير ١٩٤٥.

لذلك ففي مايو ١٩٤٦، أرسل وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيرنز برسالة عبر وزيره المفوض بمصر، سمر□ل پنكي تك (١٩٤٤-١٩٤٨) الذي كان أيضاً مراقباً على شركة قناة السويس العالمية. إلا أن الملك فاروق رفض استقباله بحجه أنه مسافر إلى أنشاص. وطلب منه تسليم الرسالة خطياً. خطاب جيمس بيرنز فحواه: اسمع كلام بريطانيا وما تثير مشاكل في أمن المنطقة، وبريطانيا سوف تجد لك حلاً مرضياً.

اقرأ نص الرسالة ونص رد إسماعيل صدقي باشا عليها. فكانت إحدى خطوات سقوط فاروق.

وفي هذا الصدد فان الدور الذي قام به صحفي شاب يدعى ذكي حسنين هيكل الذي تدرب في الجامعة الاميركية بالقاهرة يتخذ اهمية خاصة وقد ذكر مايلز كوبلاند، العميل السابق لوكالة المخابرات المركزية الاميركية صراحة في كتابه ((لعبة الامم)) ((ان بيل كوبلاند كبير المسئولين السياسيين بالسفارة الاميركية ، اصبح على علاقة ودية لأول مرة مع ضباط عبد الناصر الاحرار عن طريق محمد حسنين هيكل))

ومن المفترض ان حسنين هيكل قام بدور بارز كحلقة وصل بين الاميركيين والضباط المصرين في الشهور التي ادت الى تنازل الملك عن العرش.

وقد نفى هيكل مزاعم كوبلاند وقال انه لم يتورط قط في مثل هذه المسائل.

واريد الاشارة الى موت القائمقام احمد عبد العزيز الذي قتل بيد حارس مصري في فلسطين في ظروف غامضة بأطلاق النار عليه وكان من احد المؤسسين الاصليين لحركة الضباط الاحرار ((فهل سرقت حركة الضباط الاحرار الاصلية لتصبح انقلابا عسكريا)) ومن هنا ممكن ان نجعل مقارنة بين هذه الحركة وبين قتل قائد الثورة الليبية العسكري ضوء الجدك وتهميش ابو غزالة سابقا برغبة امريكية، وهذا الرجل كان من منتقدي ادارة حيدر للحرب وخطرا على الامريكان ولا زال المصريين الى اليوم يعتقدون بقتله عمدا ومما يثير الدهشة لماذا ارسل كيرمت روزفلت الى القاهرة في يناير عام ١٩٥٢بواسطة الن دلاس بأوامر من الجنرال بيدل سميث . كما كان هنالك عملاء اخرين لوكالة المخابرات المركزية الاميركية مثل مايلز كوبلاند وبات ايتشلبرجر يجعل المشروع كله مثيرا للشبهات واهمه وصول ((فرقة هجوم)) تابعة لوكالة المخابرات المركزية الاميركية الى القاهرة .

وبعدها كشف المؤلف جون رانيلاغ نقلا عن كيرميت روزفلت فيما يتعلق بمشاركته النشيطة في ايران ، حيث ساعد في الاطاحة بالدكتور مصدق عام ١٩٥٣ قوله ان هذه العملية نجحت لان ارادة الشعب واغلب الجيش كانوا يريدون نفس الشيء الذي فعلناه .

وقد اكد رانيلاغ ان عبد الناصر كان يحظى بمساندة من وكالة المخابرات المركزية الاميركية للوصول الى السلطة وقد قام كيرميت روزفلت بنصح وتمويل زعماء الانقلاب بطريقة سرية ضد السياسة البريطانية في مصر التي كانت لا تزال تريد بقاء فاروق وللوصول الى هذه المعلومات مفصلة فهي موجودة في كتاب مايلز كوبلاند ((لعبة الامم)) وتسربت معلومات عن ١٢ مليون دولار اعطت للواء محمد نجيب من الامريكان وقد حصل عبد الناصر على جزء منها بحجة بناء برج القاهرة والذي سماه عبد الناصر وزملاءه

((نصب روزفلت)) ثم بعد لدينا ان الجنرال فارمباخر احضر الى مصر بواسطة جيمس ه كريتشفيلد احد عملاء وكالة المخابرات المركزية الاميركية في المانيا ومثل هذا النقل لا بد ان يوافق عليه الجنرال جيهلن الرئيس السابق لمخابرات الجيش الالماني وكان لهذا الجنرال اتصالات وطيدة مع اجهزة المخابرات الاسرائيلية كما يشهد على دوره في المساعدة على غرس الجاسوس الاسرائيلي فولفجانج لونس في القاهرة .

واسئلة هامة :

١ – كيف اكتشف الامريكان وجود الجنرال الالماني شميت المحاط بالسرية الذي جلبه فاروق لبناء جيش مصري قوي ليثأر به من خسارته في فلسطين

٢- ولماذا يتم طلب جنرال الماني بديل مرتبط بجيهلن بعد كشف موضوع شمث وهل جلب فارمب باخر مستشارا فقط

٣-هنا بدأت تصعد العمليات ضد فاروق وما كان وراء ارسال كيرميت روزفيلت الى القاهرة وما كانت تعليماته وما هو دور السفير كافري في السفارة الامريكية كل هؤلاء ساعدوا ضد فاروق

٤- ما هو الجدول الزمني الذي كان بين فاروق وكيرمت روزفيلت منذ لقائهم الاول السري في قبرص

من ذلك الزمن الى اليوم لم يجب احد عن هذه الاسئلة وربما ضاعت هذه الاوراق تحت غبار الزمن والاحداث

يشير مايلز كوبلاند في كتابه لعبة الامم ان الراس المخطط للثورة المصرية ضد فاروق هي المخابرات المركزية الاميركية وان البريطانيين ايضا هزموا في هذه المعركة. وهنالك اراء تشير ان الضباط الاحرار خافوا من تحرك بريطاني في قناة السويس قريب منهم قد يتحرك لمصلحة فاروق فاعتمد الأمريكان كحماية لهم (تقاطع سياسي).

وهنالك حقيقة جوهرية واضحة كان كيرمت روزفيلت وكافري سفير امريكا يطمحون لتحقيق سلام بين مصر واسرائيل والملك ضده فكان لا بد من التعبئة ضد الملك

وقد نفى فيما بعد صبري رئيس مخابرات السلاح الجوي المصري اي علاقة للضباط الاحرار بالأمريكان

وفي النهاية اعتبر الامريكان نجاح الانقلاب ضد الملك هو انتصار لهم ايضا

وقد مضى كافري بعدها يشير الى الضباط الاحرار بكلمة اولادي في حين ان كوبلاند وهو مسؤول سياسي كبير بالسفارة استمر يشير الى الضباط الاحرار في محادثاته ب((نحن)) كأنما هو واحد منهم وقد صرح احد العملاء الامريكان في بيت الاميرة فائزة بانه تدرب في احد مراكز الوكالة في الولايات المتحدة على تنظيم ثورة في دول الشرق الاوسط

لماذا دعمت امريكا (ثورة) الضباط الاحرار ؟؟؟

ان تعاون فاروق مع عبد الرحمن عزام باشا لإيجاد شكل جديد للوحدة العربية على اساس دول فيدرالية عظمى

والاعتماد على الالمان في تشكيل جيش عربي من مليون مقاتل في زمن فاروق وانشاء سلاح جوي من الفي طائرة وان النجاح الجزئي او الكلي لهذه الفكرة يشكل خطرا على بقاء اسرائيل ومصالح اميركا .

ثم ان استمرار الصراع مع اسرائيل سيدعم الخطر الشيوعي براي الامريكان

وكان الهدف ابرام صلح مع مصر واسرائيل وفاروق كان ضد هذا وقد جربوا ان ينظموا مع فاروق لقاء سري في فرنسا وتقديم عرض دعم مالي ولكن فاروق اعتبره رشوة ورفضه وفشلت معه كل المحاولات لتحطيم ولاءه للقضية الفلسطينية والبديل الوحيد لديهم كان هو التحريض على الثورة ضده.

رحيل فاروق:

في عصر ذلك اليوم توجه السفير الامريكي كافري بصحبة انور السادات وبوب سيمبسون لحضور رحيل الملك فاروق وسال كافري ((حسنا يا قائمقام هل ستبرمون صلحا مع اسرائيل الان)). فأجاب انور السادات ((سوف نفعل ذلك بمجرد تطهير الفساد)) وقد فعل ذلك بعد ثلاثين عاما.

وضوح عمالة جمال عبدالناصر لأمريكا:

بالرغم من ان هناك كتبا مثل كتاب لعبة الامم لمايلز كوبلاند وغيره من الكتب، وبالرغم من وجود العديد من المقالات والتحليلات تربط الرئيس المصري الاسبق جمال عبد الناصر بأمريكا، بالرغم من ذلك كله، الا ان هناك وثائق معروفة لكنها لم تشتهر تربط عبد الناصر بأمريكا بشكل واضح وجلي ولكنها غير متاحة للكثيرين ممن يهتمون بالسياسة والفكر السياسي.

ومن هذه الوثائق:

١ – جاء في موسوعة السوفياتية سنة ٥٢ ١٩ بشأن الثورة المصرية:

"قام انقلاب في مصر يقوده ضباط رجعيون تابعون للولايات المتحدة الأمريكية".

٢ – وجاء في الصحيفة الرسمية للاتحاد السوفياتي (برافدا): "الثورة المصرية إنما هي ضربة قامت بها أمريكا ضد النفوذ الإنجليزي في المنطقة نتيجة لصراع الدول الاستعمارية للسيطرة على تلك المنطقة في تلك الفترة".

٣ – السادات في كتابه (البحث عن الذات) في الفصل الرابع من الكتاب يقول: "قبل أن نعلن قيام الثورة فكّرنا بالاتصال بالأمريكان لنعطيهم فكرة عن أهداف الثورة وطبيعتها وكانت وسيلة الاتصال عن طريق علي صبري الذي كان مسؤولاً عن مخابرات الطيران وكان الملحق العسكري الأمريكي بالقاهرة صديقه والذي قام بنقل الرسالة إلى مستر كافري السفير الأمريكي آنذاك".

ويقول السادات في نفس الفصل: "إن كافري اعتبر هذا لفتة طيبة حيث قام بدعوتهم إلى الاجتماع بعد ليال من قيام الانقلاب حيث تناول أعضاء مجلس الثورة جميعاً العشاء في بيته في السفارة في الوقت الذي كان الإنجليز يبذلون جهدهم لمعرفة رجال الثورة".

ويقول السادات وفي الفصل السادس من الكتاب: "بعد رفض الإنذار الإنجليزي الفرنسي أرسل عبد الناصر في طلب سفير أمريكا رانموند هير وبعث رسالة لآيزنهاور يقول فيها: (أرجو أن تتكفل أنت بحلفائك بريطانيا وفرنسا واترك لي أنا إسرائيل أتكفل بها)، ورد آيزنهاور وقال: (إنه سيفعل كل ما يمكن فعله)".

ثم يستطرد السادات ويقول: "إنه في ٥ نوفمبر ٥٦ ١٩ تدخل آيزنهاور ووجه إنذاراً لفرنسا وإنجلترا وإسرائيل وطلب فيه انسحابهم ونتيجة لذلك انسحبوا" ... مما جعل بن غوريون يقول كلمته المشهورة: "لا بد من الخوف مما لا بد من الخوف منه".

٤ – يقول محمد حسنين هيكل: "كان يوجد في القاهرة ممثل دائم للمخابرات الأمريكية يدعى جيمس ؟؟؟؟ وكانت اتصالاته بالريس عبد الناصر عن طريق هيكل نفسه".

وفي كتابه (الطريق إلى رمضان) نص دل على أن الاتصال بين المخابرات الأمريكية والمصرية ظل قائماً طوال عهد عبد الناصر بالرغم من قطع العلاقات بين البلدين.

٨. وضع مصر في العهد الملكي:

بالطبع ان وضع مصر لم يكن بأفضل حال في العهد الملكي لكنه بالتأكيد افضل مما بعد انقلاب يوليو وهو ما سنضعه امامكم مقارنة بسيطة بين يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ وبين يوم ٢٣ يوليو عام ٢٠١٠ (بعد حوالى ٦٠ عاما):

أولا: التعليم: التعليم المتميز هو ما يفرق بين الأفراد وبين الشعوب، التعليم في مصر كان قبلة لكل العرب والجامعات والمدارس المصرية كانت منارة للمنطقة كلها، كل الأجيال قبل ١٩٥٢ كانت تدخل المدارس الحكومية، وكان يدخل المدارس الخاصة أفشل التلاميذ والذين لم يتحصلوا على الدرجات العالية والتي تؤهلهم لدخول المدارس الحكومية، اما الآن فإن المدارس الحكومية أصبحت سبة ولا توجد أسرة مصرية متوسطة أو فوق المتوسطة أو تحت المتوسطة ترسل بناتها وأبنائها إلى المدارس الحكومية، وأسالوا كل أعضاء مجلس الشعب وأعضاء الحكومة إن كانوا يرسلون ذويهم إلى المدارس الحكومية والتي أصبحت مثل مزارع الدواجن لتخريج ملايين من الشباب كل سنة إلى مذبح ومسلخ البطالة، أما أسطورة التعليم المجاني فحدث عنها ولا حرج والتي أصبحت بسببها الدروس الخصوصية العبء الأكبر لكل أسرة مصرية لديها تلاميذ ابتداء من سن الحضانة وحتى طلبة كلية الطب، باختصار أصبح التعليم في مصر أضحوكة كبيرة وأصبحت البلاد حولنا تشك كثيرا في كفاءة خريجي الجامعات المصرية، وبدون إصلاح حقيقي للتعليم الحكومي فقل على البلد السلام والرحمة،

ثانيا: الإقتصاد: قامت "ثورة" ٢٣ يوليو بتطفيش الأجانب واليهود من مصر (وكانوا عصب الإقتصاد المصري) في الخمسينيات والستينيات بدون أن يكون هناك بديلا، ثم إخترعت بديلا فاسدا ولد هزيلا ومات هزيلا أسمته القطاع العام رجع بمصر عقودا من الزمان، ثم عادت مصر بعد خراب مالطة بإستجداء المستثمرين الأجانب للعودة إليها، طيب ما كانوا عندنا من زمان!! كانت في يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ودائع وسندات في بنوك إنجلترا تقدر ب ٥٠٠ مليون جنيه إسترليني (يعنى بفلوس الأيام يمكن تقديرها ب ٥٠ مليار جنيه إسترليني)، اليوم مصر مدينة لطوب الأرض بما يعادل هذا المبلغ تقريبا (طوب الأرض يشمل الدين الداخلي).

مصر في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كانت سلة غذاء المنطقة واليوم مصر تستورد معظم خبزها من أمريكا شحاتة!!. مصر وحتى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ كانت قبلة المهاجرين في البحر المتوسط من إيطاليا واليونان وقبرص والأرمن والشراكسة وألاوزبك وغيرهم كانوا يحضرون للعمل في كل المجالات ابتداء من جرسونات المطاعم وحتى إنشاء البنوك ومرورا بمحلات البقالة، وكونوا نسيجا جميلا مع باقي الشعب المصري، والآن الشباب المصري يغرق في عرض البحر محاولا الهجرة غير الشرعية إلى اليونان وإيطاليا، وآخرين يغرقون في عبارة طلبا للرزق عبر البحر الأحمر، وأنا أعرف أسرا مصرية غنية كانت تستقدم مربيات من سويسرا لتنشئة الأولاد والبنات، والآن وزيرة العمل المصرية قامت بزيارة بلاد الخليج لاستجداء فرص عمل للخادمات المصريات بعد أن أثبتت بنات الفليبين وإندونيسيا تفوقا ساحقا على المصريات.

ثالثا: النواحي الإجتماعية : هل نتحدث عن الفساد أم عن الرشوة أم عن أنواع جديدة من الجرائم دخيلة على الشعب المصري أم عن إنعدام القانون تماما حتى أنه أصبح في أجازة، لقد جاءت "ثورة" ٢٣ يوليو لتطهير البلد من الرشوة والفساد، فجاءت بأجيال أكثر فسادا حتى أن فسدة الماضي يعتبروا ملائكة بالنسبة لفاسدي الحاضر، وأصبح الفساد أكبر مؤسسة في البلد وليس إستثناء،

هل نتكلم عن التسامح الديني قبل ٢٣ يوليو تلك الحركة "المباركة" والتي جاءت ليست على ظهر دبابة فحسب ولكنها جاءت على ظهر دبابة وهى تلبس عباءة الإخوان المسلمين، فالضباط الأحرار كان معظمهم منضم إلى جماعة الإخوان ولم يكن بينهم مسيحي واحد! في الوقت الذى كان مسيحي يقوم برئاسة الوزارة ويهودي يرأس وزارة المالية وذلك بالطبع قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وبمراجعة بسيطة للمديونية المصرية بحسب بيانات وزارة المالية والبنك المركزي سنجد أن مصر في عام ١٩٤٥ كانت دائنة لأكبر إمبراطورية في العالم في ذلك الوقت، وهي بريطانيا بمبلغ ٤٠٠ مليون جنيه إسترليني ما يعادل ٦٠٦ ملايين دولار بسعر الصرف الحالي.

وانه حتى رحيل الملك فاروق كان الدين الخارجي، صفر وفائض الاحتياطي الأجنبي ٤٥٠ ألف جنيه إسترليني ما يعادل ٦٨٢ ملايين دولار بسعر الصرف الحالي.

وأن بأيام حكم فاروق الفاسد ملك مصر والسودان وغزة ،كان الجنية المصري يساوي جنية ذهب، وكان أيضا يساوي ثلاثة دولارات

كانت مصر ترسل كل عام إلى السعودية كسوة الكعبة، هذه نبذة عن مصر تحت حكم الملكية الفاسدة.

فماذا فعل العسكر بعد تحريرها من فساد ملكي مستبد؟

بدايتا من عبد الناصر الذي بدأ في الاقتراض الخارجي، ووصلت الديون الخارجية في آخر عهده ٢٨-٩-١٩٧٠ إلى ١.٧ مليار دولار الى السادات الى مبارك الى المجلس العسكري الى السيسي دمروا الباقي.

نعم لم يكن الوضع في عد الملكية في مصر مثاليا لكنه افضل بالتأكيد من حكم الجواسيس بقيادة عبد الناصر .

وبالطبع فترة الملكية على سيئاتها افضل من فترة عبدالناصر التي شهدت حالة تأليب الطبقات وتزوير للتاريخ، و ما واجهه حزب الوفد باعتباره الحزب ذي الشعبية

الكاسحة خلال هذه الفترة وكذلك باقي الاحزاب السياسية كان أمراً مؤسفاً، ولنسترجع التاريخ ونري كيف كانت الحالة الاقتصادية في فترة حكم حكومة الوفد وماذا آلت إليه الحالة الاقتصادية والسياسية بعد انقلاب يوليو، وفي النهاية فترة حكم عبدالناصر.

انقلاب يوليو ١٩٥٢ واستيلاء الجاسوس جمال عبد الناصر على السلطة:

١. تنفيذ انقلاب يوليو ١٩٥٢:

في ليلة ٢٣ يوليو من عام ١٩٥٢، نجحت خطة الانقلاب على الملك فاروق والنظام الملكي بسبب الدور الذي قام به سعد حسن توفيق، وموقف يوسف منصور صديق، واللواء محمد نجيب، واهتراء النظام الملكي، وموقف الولايات المتحدة الأمريكية، كما يقول حسين محمد أحمد حمودة في كتابه القيم "أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمين".

فيما يلي تفاصيل ذلك:-

١ـ الدور الذي قام به سعد حسن توفيق، ودور اللواء محمد نجيب:

تحدثنا عنهما في الجزء الأول من الحديث.

٢- الدور الذي قام به يوسف صديق:

لما ذهب القائم مقام (العقيد) يوسف منصور صديق لمقر وحدته في هاكستب حوالي الساعة ٩ مساءً يوم ١٩٥٢/٧/٢٢ ومعه خمسة ضباط من الضباط الأحرار، استفسر منه البكباشي أحمد المعتز بالله الكامل ضابط عظيم نوبتجي محطة هاكستب العسكرية عن سبب حضوره وحضور الضباط معه. فرد يوسف صديق أن البلد في حالة طوارئ، فقال أحمد المعتز وكيف عرفت وأنا ضابط عظيم المحطة النوبتجي ولا علم لي بشيء. ورفع سماعة التليفون واتصل باللواء مكي قائد المحطة وأخبره بما قاله يوسف صديق فقال له اللواء مكي لا تفعل أي شيء وأرسل لي سيارتي وسأحضر فورًا بمجرد وصول السيارة، فأرسل أحمد المعتز السيارة لإحضار اللواء مكي من منزله.

وهنا تصرف يوسف صديق بسرعة وألقى القبض على أحمد المعتز بالله الكامل وقيده بالحبال ورماه في حجرة ووضع عليه حرسًا من الضباط الأحرار الخمسة الموجودين معه وأسرع بتجهيز قوته للخروج بها من المعسكر قبل وصول اللواء مكي وقبل الميعاد المحدد لبدء الثورة، وفعلًا، خرج بالقوة في الساعة ٩.٣٠ مساء يوم ٧/٢٢ وكان الميعاد المحدد لبدء تحرك قوات الثورة هو الدقيقة الأولى من صباح يوم ٧/٢٣/ ١٩٥٢، كما يقول حسين حمودة في كتابه "أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمين".

وتقابل يوسف صديق مع عربة اللواء مكي وهي في طريقها لمعسكر هاكستب فأوقفها وهجم يوسف صديق على اللواء مكي موجهًا إليه الرشاش القصير الذي يحمله فارتعد اللواء مكي وصاح: «يوسف أنا في عرضك يا يوسف فيه إيه». فقبض يوسف على اللواء مكي ووضع عليه حراسة واصطحبه معه مقبوضًا عليه.

وقبضت قوات يوسف صديق في طريقها على جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وكانا يرتديان ملابس مدنية ويبعثان على الريبة، وقُبض عليهما في المكان الذي يوجد فيه نادي ضباط القوات المسلحة بمصر الجديدة والمعروف باسم نادي الجلاء.

ولما رآهما يوسف صديق أفرج عنهما وأخبر جمال عبد الناصر يوسف صديق بوجود حسين فريد رئيس أركان حرب الجيش وكبار الضباط بمبنى رئاسة الجيش وطلب إليه التوجه لرئاسة الجيش والقبض على المجتمعين هناك من كبار الضباط ونفذ يوسف صديق ذلك على الفور وكان هذا الإجراء هو العامل الحاسم في نجاح الانقلاب.

وهنا نسأل:

لماذا لم يذهب "جمال عبد الناصر"، قائد حركة الضباط الأحرار الحقيقي، مع يوسف صديق للقبض على رئيس أركان حرب الجيش وكبار ضباط القيادة للقوات المسلحة؟! ولماذا كان هو وعبد الحكيم عامر في ملابس مدنية؟!

٣- اهتراء النظام الملكي:

منذ قام الملك فاروق بحل حكومة الوفد الأخيرة (١٩٥٠ – ١٩٥٢) والنظام الملكي يترنح لدرجة أن أربع وزارات حكمت مصر منذ حل الوفد بعد حريق القاهرة المفتعل في ٢٦ يناير ١٩٥٢ وحتى قيام ثورة يوليو ٥٢.

٤- موقف الولايات المتحدة الأمريكية:

الولايات المتحدة هي وراء انقلاب يوليو ٥٢، وهي التي منعت القوات البريطانية المرابضة على ضفاف قناة السويس من إجهاض حركة الضباط الأحرار. ويمكن مراجعة كتاب "لعبة الأمم" لمايلز كوبلاند الذي يقول في ص ٨٤:

ورحل كيرميت روزفلت في شباط فبراير ١٩٥٢ إلى مصر كي يشرف على تنفيذ المخطط الأول عن كثب. وكانت بعثته أول من يحاول تنظيم ثورة سلمية في مصر تحت قيادة الملك فاروق نفسه، يصفي فيها النظام القديم ويشرف على إبداله بنظام جديد مطوقًا بذلك محاولات المتكررة للثورة ضده والتي كانت المخابرات الأمريكية على صلة بها قبل أكثر من سنتين. وكان روزفلت مفوضًا بأن ينتقل إلى المخطط الثاني إذا واجهته صعاب في إخراج المخطط الأول إلى حيز الوجود. ولم يكن المخطط الثاني سوى البحث عن زعيم من النوع الثاني وهو (مجنون السلطة) أو زعيم من النوع الأول (الواجهة) أو الاثنين معًا إن أمكن ذلك.

وفشل روزفلت مع فاروق لأنه فاقد للتركيز وكان يضرب بعرض الحائط كل ما اتفق عليه في اليوم السابق مع اختفائه عن الأنظار ليمارس هوايته في العربدة والجنس.

وعاد روزفلت إلى واشنطن بعد شهرين قدم تقريرًا أهم ما فيه:

– لم يعد هناك أمل في إبعاد الجيش عن القيام بانقلاب قريب، وإثنائه عن استلام السلطة.

– يجب أن توافق الحكومة الأمريكية على إقصاء الملك فاروق، وربما دفن الملك فاروق نهائيًّا في مصر.

– على الحكومة الأمريكية ألا تفكر على الإطلاق ببذل أي محاولة لإقناع العسكريين بإعادة الحياة الدستورية وإجراء انتخابات وما إلى ذلك.

– وعلى الرغم من الاجتماعات التقريرية التي مهدت للانقلاب، فمن المستحسن ألا يفكر المسئولون الأمريكيون بأن الانقلاب كان انقلابًا، بل هو مجرد حدث داخلي متحرر من نفوذنا.

وبعد قيام الانقلاب، كان رجال الانقلاب وعلى رأسهم جمال عبد الناصر يقابلون ليكلاند في شقته المطلة على النيل، وكان محمد حسنين هيكل هو الوسيط بين الضباط وليكلاند كما يقول كوبلاند في كتابه لعبة الأمم ص ٩٦.

يوسف صديق وجزاء سنمار:

بعد قيام الانقلاب بأيام، بدأ يوسف صديق يستشعر بأن مجلس القيادة يتجه إلى حكم عسكري ديكتاتوري وليس حكمًا ديمقراطيًّا كما جاء في المبدأ السادس من مبادئ قيام حركة ٢٣ يوليو:

١– رفض مجلس القيادة إعمال حكم الدستور فيما يقضي به من ضرورة دعوة مجلس النواب المنحل للانعقاد للتصديق على وثيقة تنازل الملك عن العرش وإقرار مجلس الوصاية على العرش.

٢- منح مجلس الوزراء سلطات البرلمان.

٣- إعدام العاملين خميس والبقري وهما من عمال شركة مصر للغزل والنسيج في كفر الدوار نتيجة تظاهرهم من أجل تحقيق مطالب عمالية، وكان الإعدام على يد محكمة عسكرية وبدون محامٍ للدفاع!

٤- في١٥ ديسمبر ١٩٥٢، أعلن اللواء محمد نجيب ١٩٥٢ إلغاء دستور ١٩٢٣، وباسم الشعب!!

٥- غضب السفير الأمريكي بسبب تصريح يوسف صديق بأن سياسة مجلس قيادة الثورة لا شرقية ولا غربية. والولايات المتحدة كانت وراء الانقلاب، وعبد الناصر نفسه كان

في ذلك الوقت عميلًا للـCIA ، فقرر عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة خلع يوسف صديق من قيادة الثورة، وأخبر ناصر السفير الأمريكي بذلك.

٦- فرضت الرقابة على الصحف.

٧- فتحت أبواب المعتقلات للسياسيين والمعارضين وللمثقفين وللطلاب ولأساتذة الجامعات.

٨- أعتقل ٣٥ ضابطًا من الضباط الأحرار في سلاح المدفعية وتم إيداعهم في سجن الأجانب بملابسهم العسكرية خلافًا للأعراف المتفق عليها.

وأخيرًا قدم يوسف صديق استقالته من مجلس قيادة الثورة ثاني يوم من اعتقال زملائه في سلاح المدفعية.

وعندما وقعت أزمة مارس ١٩٥٤، طالب يوسف صديق في مقالاته محمد نجيب بضرورة عودة البرلمان المنحل ليمارس حقوقه المشروعة، وضرورة تأليف وزارة ائتلافية من الوفد والإخوان المسلمين والاشتراكيين والشيوعيين، وعلى أثر ذلك اعتقل هو وأسرته وأودع في السجن الحربي في أبريل ١٩٥٤، وتم الإفراج عنه في مايو ١٩٥٥، وحددت إقامته في منزله بحلمية الزيتون إلى أن توفي في ٣١ مارس ١٩٧٥.

ولماذا اعتقل هذا الرجل الصنديد يوسف صديق؟

وإذا كان سنمار قد بنى قصر الخورنق بمنتهى الجمال والقوة وفي ذات الوقت كان عنده سر هدم هذا القصر فجزاء سنمار سيطبق عليه ويقتل حتى لا يهدم القصر ولا يتسرب سر هدم القصر إلى غيره، وطبق القاعدة ذاتها على الشجاع يوسف صديق

لأنه قائد جسور قام في ليلة ٢٣ يوليو بالقبض على قيادات القوات المسلحة بمنتهى القوة والشجاعة، ومن استطاع أن يفعل ذلك استطاع أن يكرره مع جمال عبد الناصر وغيره، وإذن فلا بد أن يخلع من مجلس قيادة الثورة كما قال جمال عبد الناصر لروزفيلد، ويجب أيضًا ان يوضع في المعتقل وأن يتحفظ عليه في بيته حتى يموت!

كما فعلها ناصر – المنهزم دائمًا في كل معاركه- مع المستشار عبد القادر عودة الذي فض بإشارة من يده الآلاف من متظاهري الإخوان المسلمين في ميدان عابدين عام ١٩٥٤، فكان جزاؤه هو "جزاء سنمار" بأن يقتل؛ لأن من استطاع أن يفض الآلاف بإشارة من يده يستطيع أن يعيدهم مرة أخرى بإشارة من يده أيضًا، بالرغم أن المستشار عودة هذا، كان من المجموعة الإخوانية المتعاطفة مع جمال عبد الناصر ضد مرشد الإخوان المسلمين في ذلك الوقت المستشار حسن الهضيبي.

٢. ترحيل الملك فاروق وتنصيب محمد نجيب وصيا على العرش:

في يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ ، غادر الملك فاروق مصر على اليخت الملكي (المحروسة) متجها الى منفاه وذلك بعد ان تنازل عن عرشه الى ابنه الامير احمد فؤاد ، وذلك بعد ان قام تنظيم الضباط الاحرار بالجيش المصري بزعامة جمال عبد الناصر بتنظيم انقلاب مسلح نجح في السيطرة على الامور في البلاد والسيطرة على المرافق الحيوية في البلاد ، ومن ثم فرض الجيش على الملك التنازل عن العرش لولى العهد الامير احمد فؤاد ومغادرة البلاد في ٢٦ يوليو ١٩٥٢ .

واستجاب الملك فاروق لتلك المطالب حفاظا منه على ارواح الشعب المصري مفضلا التنازل عن عرشه وعرش اجداده خوفا منه ان تسيل قطرة دم واحده من احد من افراد الشعب المصري.

وقد رفض الملك فاروق ان يتدخل الحرس الملكي الخاص به للقضاء على ذلك التنظيم كما رفض ان يتدخل الانجليز ايضا لمساعدته ، حرصا منه على سلامه المصريين .

وبالفعل وفى تمام الساعة السادسة والعشرون دقيقة من مساء يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ غادر الملك فاروق مصر على ظهر اليخت الملكي(المحروسة) وهو نفس اليخت الذى غادر به جده اسماعيل عند عزله عن حكم مصر في ٣٠ يونيو سنة ١٨٩٧ .

وقد كان في وداع الملك فاروق عند مغادرته مصر اللواء محمد نجيب واعضاء حركة الضباط الاحرار الذين كانوا قد قرروا الاكتفاء بعزله ونفيه من مصر .

ويقول اللواء محمد نجيب الرئيس الاول لجمهورية مصر العربية في مذكراته:

جئت متأخرا لوداع الملك بسبب إزدحام الطريق وكانت المحروسة في عرض البحر ، فأخذت لنشاً حربياً دار بنا دورة كاملة كما تقتضي التقاليد البحرية وصعدت للمحروسة وكان الملك ينتظرني ، أديت له التحية فرد عليها ، ثم سادت لحظة صمت بددتُها قائلاً للملك :

لعلك تذكر أنني كنتُ الضابط الوحيد الذي قدم إستقالته من الجيش عقب حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ إحتجاجاً ، فرد الملك : نعم أذكر ، وقلتُ له : حينئذٍ كنتُ مستعداً أن أُضحي برزقي وبرقبتي في سبيلك ، ولكن ها أنت ترى اليوم أنني نفسي أقف على رأس الجيش ضدك ، فرد فاروق : إن الجيش ليس مُلكي وإنما هو ملك مصر ، ومصر وطني ، وإذا كان الجيش قد رأى أن في نزولي عن العرش ما يُحقق لمصر الخير ، فإني أتمنى لها هذا.

وهكذا اختار الملك فاروق الرحيل عن مصر وعن شعب مصر حفاظا منه على مصر وعلى شعبها .

غادر الملك فاروق طواعية وباختياره وبعد ان ادى له الضباط المجتمعين لوداعه التحية العسكرية واطلقت المدفعية احدى وعشرون طلقة تحية له عند وداعه .

غادر فاروق واسرته مصر وليس معهم جميعا سوى القليل من الملابس الصيفية التي كانت بحوزتهم اثناء الرحيل حيث ان اعضاء مجلس قيادة الثورة وقتها رفضوا طلبا للملك بأن يأخذ من قصره في مصر بعض احتياجاته واحتياجات اسرته .

رحل دون ان يأخذ معه الصناديق المليئة بالنقود كما زعموا وكما اثبت التاريخ كذب هذا الافتراء .

رحل تاركا وراءه عرشا دام لمدة ١٥٠ عاما هي فتره تاريخ حكم اسرة محمد على لمصر بداية من محمد على وحتى فاروق الاول .

وهكذا خرج الملك فاروق من مصر مودعا من ضباطها وداعا يليق بملك تنازل عن عرشه وعرش اجداده بإرادته ودون اراقة دم مواطن واحد من شعب مصر .

تولي محمد نجيب رئاسة الوزارة :

وعقب تنازل فاروق ، شكل مجلس للوصاية برئاسة الأمير محمد عبد المنعم، وعضوية كلاً من: بهي الدين بركات باشا والقائمقام رشاد مهنا ، صدرت خلال هذه الفترة عدة تشريعات ومنها إلغاء الألقاب المدنية. وبعد مرور ٥٠ يوم ونتيجة للتصادم مع مجلس قيادة الثورة قدمت وزارة على ماهر استقالتها، وشكلت وزارة جديدة برئاسة محمد نجيب ليكون أول رئيس وزراء غير مدني واختاره عبد الناصر كجسر يمهد لاحقا لاستيلائه على الحكم، وفي ٩ سبتمبر أصدرت وزارة نجيب قانون الإصلاح الزراعي ، وفي ٢١ صدر قانون تحديد الملكية الزراعية ثم قانون تنظيم الأحزاب، ثم في ١٠ ديسمبر عام ١٩٥٢ صدر قرار بإلغاء دستور ١٩٢٣ وصدور مرسوم بحل الأحزاب السياسية، وفي يناير ١٩٥٣ تم تشكيل لجنة لصياغة الدستور مكونة من ٥٠ عضو برئاسة على ماهر، وصدر دستور مؤقت في فبراير ١٩٥٣ ينص على سلطات واضحة لمجلس قيادة الثورة.

وفي أغسطس ١٩٥٢ اندلعت مظاهرات عارمة في شركة الغزل والنسيج بكفر الدوار للمطالبة بحقوق العمال، وبعد أحداث شغب وإشعال بعض العمال النار في سيارات الشركة حدثت اشتباكات بين رجال الشرطة والمتظاهرين تدخلت بعض قوات الجيش، وأسفرت الأحداث عن مصرع ٨ جنود و٥ من العمال وإصابة ٢٨، وجعلت هذه الأحداث الجيش يقوم باتخاذ اجراءات أكثر قسوة فقام بحملة اعتقالات واسعة في صفوف الشيوعيين، وتشكلت محاكمات عسكرية في كفر الدوار برئاسة البكباشي عبد المنعم امين و أصدرت المحكمة حكمها بالإعدام على كلاً من: مصطفى خميس ومحمد حسن البقري وصدرت أحكام بالسجن لنحو ١١ شخصاً وسط شكوك في نزاهة المحكمة، كان نجيب مترددا في التصديق على الحكم ، وطالب مقابلة مصطفى خميس للإفصاح عن أعوانه لكنه رفض، وصدق نجيب على حكم الإعدام الذي تم تنفيذه في ٧ سبتمبر ١٩٥٢، قال نجيب

في مذكراته «إنني التقيت بهما وكنت مقتنعا ببراءتهما بل وكنت معجبا بشجاعتهما ولكن صدقت على حكم إعدامهما تحت ضغط وزير الداخلية – جمال عبد الناصر – لمنع تكرار مثل هذه الأحداث» ، أثارت هذه المحاكمة كثير من ردود الأفعال المحلية والدولية في ذلك الوقت، وأدت إلى اهتزاز صورة الجيش والانقلاب الذي حظي بتأييد شعبي واسع آنذاك.

إعلان الجمهورية:

بالرغم من المشاكل والأحداث التي تعرض لها التنظيم في الشهور التي تلت انقلاب يوليو، خاصة مع وجود خلافات داخل صفوف الجيش، إلا أن مجلس قيادة (الثورة) قد أكتسب قوة كبيرة جعلته يتحكم في مقاليد الأمور، خاصة مع عدم وجود معارضة قوية للانقلابين في ذلك الوقت، وفي ١٨ يونيو ١٩٥٣ تم إعلان قيام الجمهورية وإلغاء الملكية في مصر، وتم أختيار محمد نجيب كرئيس للجمهورية والذي أحتفظ بمنصبه كرئيس للوزراء مع تخليه عن منصب وزير الحربية وقيادة الجيش.

حياة محمد نجيب كرئيس للجمهورية :

كانت أولى أيام نجيب في الرئاسة مفعمة بالمشاكل والصدام خاصة مع رغبة عبد الناصر في تعيين صديقه عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة وترقيته مباشرة من رتبة صاغ إلى رتبة لواء، اذ ان هذا القرار كان يتعارض مع قواعد الجيش بسبب تخطيه العديد من الرتب ويتعدى على نظام الأقدمية المتبع في الجيش، ولذلك رفض محمد نجيب هذا الأمر، وظل يقاومه لأكثر من ٣ أسابيع حتى رضخ في النهاية أمام قرار المجلس وأصدر قراراه بتعيين عامر وهذا يثبت ان اختيار نجيب كان ليكون واجهة للعسكر ليس الا نظرا لانهم كانوا يحملون رتب صغيرة ومتوسطة في الجيش وكانوا بحاجة لنجيب لرتبته العالية ومكانته داخل المؤسسة العسكرية.

كانت أولى قرارات نجيب هو إنشاء قوات الحرس الوطني وهي قوة عسكرية قائمة على التطوّع الشعبي كي تكون عونا للجيش النظامي الأساسي في الذود عن استقلال البلاد، كان الخلاف على تعيين عبد الحكيم عامر نقطة تحول بالنسبة لنجيب حيث وجد أن مقاليد السلطة بدأت تتجمع في يد بعض الشخصيات وأصبحت تتمتع بنفوذ وقوة كبيرة وانه مجرد واجهة لا يملك من الامر الكثير، مما جعله يفكر في إرساء الحياة المدنية مرة أخرى وإنهاء سيطرة الجيش على الحكم.

خلافه مع مجلس قيادة (الثورة):

بدأ الكثيرون في هذه الفترة يلاحظون تغيرا واضحا في سلوكيات وقرارات ضباط الجيش وأعضاء مجلس قيادة الثورة، حتي شاع بين الضباط أن الثورة طردت ملكا واحدا وجاءت بثلاثة عشر ملك، يقول نجيب في مذكراته قائلاً : لقد خرج الجيش من الثكنات وانتشر في كل المصالح والوزارات المدنية فوقعت الكارثة التي لا نزال نعاني

منها إلي الآن في مصر، كان كل ضابط من ضباط القيادة يريد أن يكون قويا. وادعى أيضاً أنه رصد بعض السلوكيات الخاطئة التي يرتكبها بعض الضباط في حق الثورة وفي حق الشعب الذي وثق بهم. فكان أول شيء فعله ضباط القيادة أنهم غيروا سياراتهم الجيب وركبوا سيارات الصالون الفاخرة، وترك أحدهم شقته المتواضعة واستولى علي قصر من قصور الأمراء حتي يكون قريبا من أحدى الأميرات التي كان قصرها قريبا من القصر الذي استولى عليه، وترك ضابط آخر من ضباط القيادة الحبل على الغارب لزوجته التي كانت تعرف كل ما يدور في مجلس القيادة، وتستغل هذا لصالحها ولصالحه، وطارد آخر ناهد رشد زوجة الطبيب بحري يوسف رشاد، طبيب الملك فاروق الخاص . وصدمت هذه التصرفات باقي الضباط الأحرار الذين يتصفون بالمثالية فحمل بعضهم هذه الفضائح وواجهوا بها ضباط القيادة. لكنهم سمعوهم وقرروا التخلص منهم مثلما حدث مع ضباط المدفعية.

كان أول خلاف بينه وبين ضباط القيادة حول محكمة الثورة التي تشكلت لمحاكمة زعماء العهد الملكي، ثم حدث خلاف ثاني بعد صدور نشرة باعتقال بعض الزعماء السياسيين وكان من بينهم مصطفى النحاس، فرفض اعتقال النحاس باشا، لكنه فوجئ بعد توقيع الكشف بإضافة اسم النحاس، وأصدرت محكمة الثورة قرارات ضاعفت من كراهية الناس للثورة ومنها مصادرة ٣٢٢ فدانا من أملاك زينب الوكيل حرم النحاس باشا، كما حكمت على أربعة من الصحفيين بالمؤبد وبمصادرة صحفهم بتهمة إفساد الحياة السياسية.

ويضاف إلى هذه القرارات قرارات أخرى صدرت رغم أنه رفض التوقيع عليها منها القرار الجمهوري بسحب الجنسية المصرية من ستة من المصريين من الأخوان المسلمين، وزاد الصدام بينه وبين مجلس القيادة عندما اكتشف أنهم ينقلون الضباط دون مشورته، ورفض زكريا محي الدين أن يؤدي اليمين الدستورية أمامه بعد تعيينه وزيرا للداخلية وكذلك رفض جمال سالم وبالمختصر اكتشف نجيب انه كان مجرد واجهة للجواسيس اتباع المخابرات الاجنبية واكتشف ذلك للأسف بعد فوات الاوان.

٣. ازاحة الانقلابين لمحمد نجيب واستيلاء جمال عبد الناصر على السلطة:

قال محمد نجيب في مذكراته أنه اكتشف أن رجال الانقلاب كانوا قد عقدوا العديد من الاجتماعات بدونه، كل هذه الأمور دفعته لكي يفكر جديا في تقديم استقالته.

استقالة فبراير:

بسم الله الرحمن الرحيم

"السادة أعضاء مجلس قيادة الثورة .. بعد تقديم وافر الاحترام، يحزنني أن أعلن لأسباب لا يمكنني أن أذكرها الآن أنني لا يمكن أن أتحمل من الآن مسؤوليتي في الحكم بالصورة المناسبة التي ترتضيها المصالح القومية. ولذلك فإني أطلب قبول استقالتي من المهام التي أشغلها، وأني إذ أشكركم علي تعاونكم معي أسأل الله القدير أن يوفقنا إلي خدمه بلدنا بروح التعاون والأخوة".

بهذه العبارات المختصرة قدم محمد نجيب استقالته في ٢٢ فبراير ١٩٥٤.وفي ٢٥ فبراير أصدر مجلس القيادة بيان أقالة محمد نجيب، وأدعى البيان أن محمد نجيب طلب سلطات أكبر من سلطات أعضاء المجلس وأن يكون له حق الاعتراض علي قرارات المجلس حتي ولو كانت هذه القرارات قد أخذت بالإجماع، وادعى أيضا أنه اختير قائدا للانقلاب قبل قيامه بشهرين، وانه علم بقيام الانقلاب ليلة ٢٣ يوليو من مكالمة تليفونية من وزير الداخلية فتحرك إلي مبني القيادة وهناك تقابل مع عبد الناصر الذي وافق على ضمه وتنازل له عن رئاسة المجلس.

لكن بعد إذاعة بيان إقالته على الملأ خرجت الجماهير تحتج عليه وانهالت البرقيات علي المجلس ودور الصحف ترفض الاستقالة. واندلعت المظاهرات التلقائية في القاهرة والأقاليم لمدة ثلاثة أيام تؤيد نجيب وكانت الجماهير تهتف (محمد نجيب أو الثورة) وفي السودان اندلعت مظاهرات جارفة تهتف (لا وحدة بلا نجيب) وهذا يثبت شعبية نجيب بالسودان، وانقسم الجيش بين مؤيد لعودة محمد نجيب وإقرار الحياة النيابية وبين المناصرين لمجلس قيادة الثورة.

وكان سلاح الفرسان أكثر أسلحة الجيش تعاطفا مع محمد نجيب، وأشرفت البلاد علي حرب أهلية وتداركا للموقف أصدر مجلس القيادة بيانا الساعة السادسة من مساء ٢٧ فبراير ١٩٥٤ جاء فيه «حفاظا علي وحدة الأمة يعلن مجلس قيادة الثورة عودة محمد نجيب رئيسا للجمهورية وقد وافق سيادته علي ذلك»، وعاد محمد نجيب مجدداً إلى منصبه كرئيس للجمهورية.

أزمة مارس ١٩٥٤:

يرى البعض ان أزمة مارس لم تكن مجرد صراع علني علي السلطة بين محمد نجيب وأعضاء مجلس قيادة الثورة بل كانت الأزمة أكثر عمقا، كانت صراعا بين اتجاهين مختلفين اتجاه يطالب بالديمقراطية والحياة النيابية السليمة تطبيقا للمبدأ السادس للثورة (إقامة حياة ديمقراطية سليمة)، وكان الاتجاه الآخر يصر علي تكريس الحكم الفردي

وإلغاء الأحزاب وفرض الرقابة على الصحف، بينما يري آخرون ان الأزمة كانت مجرد صراع على السلطة بين محمد نجيب و جمال عبد الناصر.

كانت ضربة البداية في أزمة مارس من جانب محمد نجيب الذي بدأ فور عودته إلي الحكم مشاوراته مع مجلس القيادة للتعجيل بعودة الحياة البرلمانية، وفي ليلة ٥ مارس صدرت قرارات ركزت على ضرورة عقد جمعية لمناقشة الدستور الجديد وإقراره، وإلغاء الأحكام العرفية والرقابة على الصحف والإفراج عن جميع المعتقلين السياسيين.

كانت هذه القرارات في صالح عودة الحياة الديمقراطية، وهنا أدرك الفريق المعادي لمحمد نجيب أن كل الخطط التي أعدت للإطاحة به مهددة بالفشل، فبدأ يدبر مخططات أخرى من شأنها الالتفاف على قرارات ٥ مارس والعودة إلي الحكم الفردي.

في ٢٥ مارس ١٩٥٤ اجتمع مجلس قيادة الثورة كاملا وانتهى الاجتماع إلي إصدار القرارات التالية: السماح بقيام الأحزاب، مجلس قيادة الثورة لا يؤلف حزبا، لا حرمان من الحقوق السياسية حتى لا يكون هناك تأثير علي الانتخابات، تنتخب الجمعية التأسيسية انتخابا حرا مباشرا بدون تعيين أي فرد وتكون لها سلطة البرلمان كاملة والانتخابات حرة، حل مجلس الثورة في ٢٤ يوليو المقبل باعتبار الثورة قد انتهت وتسلم البلاد لممثلي الأمة، تنتخب الجمعية التأسيسية رئيس الجمهورية بمجرد انعقادها.

وقد ضاعف من قلة حيلة محمد نجيب انشغاله مع الملك سعود بن عبد العزيز الذي كان يزور مصر وقتها، بينما كان معارضوه يدبرون لتوجيه الضربة القاضية إلي محمد نجيب، فنشرت الصحف أن هناك اتصالات سرية بين محمد نجيب والوفد.

في يوم ٢٨ مارس ١٩٥٤ خرجت أغرب مظاهرات في التاريخ بتدبير من الجاسوس جمال عبد الناصر ورفاقه تهتف بسقوط الديمقراطية والأحزاب والرجعية، ودارت المظاهرات حول البرلمان والقصر الجمهوري ومجلس الدولة وكررت هتافاتها ومنها «لا أحزاب ولا برلمان»، ووصلت الخطة السوداء ذروتها، عندما اشترت مجموعة عبد الناصر صاوي أحمد صاوي رئيس اتحاد عمال النقل ودفعوهم إلى عمل إضراب يشل الحياة وحركة المواصلات، وشاركهم فيها عدد كبير من النقابات العمالية وخرج المتظاهرون يهتفون "تسقط الديمقراطية تسقط الحرية" ، وقد اعترف الصاوي بأنه حصل علي مبلغ ٤ آلاف جنيه مقابل تدبير هذه المظاهرات.

ربح أعضاء مجلس قيادة الثورة المعركة ضد محمد نجيب وصدرت قرارات جديدة تلغي قرارات ٢٥ مارس.

إعفائه من الرئاسة:

انهزم محمد نجيب في معركة مارس ١٩٥٤ والواقع أنها لم تكن خسارته فقط وإنما كانت خسارة لمسيرة الديمقراطية في وادي النيل وانتهى دور نجيب الذي رسمه له الجاسوس جمال عبد الناصر ورفاقه وحان وقت التخلص منه ، أصر نجيب على الاستقالة لكن عبد الناصر عارض بشدة استقالة نجيب خشية أن تندلع مظاهرات مثلما حدث في فبراير ١٩٥٤، ووافق محمد نجيب علي الاستمرار إنقاذا للبلاد من حرب أهلية ومحاولة إتمام الوحدة مع السودان.

يوم ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ توجه محمد نجيب من بيته في شارع سعيد بحلمية الزيتون إلى مكتبه بقصر عابدين لاحظ عدم أداء ضباط البوليس الحربي التحية العسكرية، وعندما نزل من سيارته داخل القصر فوجئ بالصاغ حسين عرفة من البوليس الحربي ومعه ضابطان و ١٠ جنود يحملون الرشاشات يحيطون به، فصرخ في وجه حسين عرفة طالبا منه الابتعاد حتى لا يتعرض جنوده للقتال مع جنود الحرس الجمهوري، فاستجاب له ضباط وجنود البوليس الحربي، لاحظ محمد نجيب وجود ضابطين من البوليس الحربي يتبعانه أثناء صعوده إلي مكتبه نهرهما فقالا له إن لديهما أوامر بالدخول من الأميرالاي حسن كمال، كبير الياوران، فاتصل هاتفيا بجمال عبدالناصر ليشرح له ما حدث، فأجابه عبدالناصر بأنه سيرسل عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة ليعالج الموقف بطريقته.

وجاءه عبد الحكيم عامر وقال له في خجل «أن مجلس قيادة الثورة قرر إعفاءكم من منصب رئاسة الجمهورية فرد عليهم «أنا لا أستقيل الآن لأني بذلك سأصبح مسؤولا عن ضياع السودان أما أذا كان الأمر إقالة فمرحبا». وأقسم اللواء عبد الحكيم عامر أن إقامته في فيلا زينب الوكيل لن تزيد عن بضعة أيام ليعود بعدها إلي بيته، لكنه لم يخرج من الفيلا طوال ٣٠ عاما.

خرج محمد نجيب من مكتبه في هدوء مع حسن إبراهيم في سيارة إلي معتقل المرج. وحزن علي الطريقة التي خرج بها فلم تؤدى له التحية العسكرية ولم يطلق البروجي لتحيته، وقارن بين وداعه للملك فاروق الذي أطلق له ٢١ طلقة وبين طريقة وداعه.

فعندما وصل إلى فيلا زينب الوكيل بضاحية المرج ، سارع الضباط والعساكر بقطف ثمار الفاكهة من الحديقة. وحملوا من داخل الفيلا كل ما بها من أثاث وسجاجيد ولوحات وتحف وتركوها خالية تماماً ، كما صادروا أثاث فيلا زينب الوكيل صادروا أوراق اللواء نجيب وتحفه ونياشينه ونقوده التي كانت في بيته. ومنعه تماما من الخروج أو من مقابلة أيا كان حتى عائلته.

تحديد إقامته:

أقيمت حول الفيلا حراسة مشددة، وفرض على جميع من بالمنزل عدم الخروج في الفترة من الغروب إلي الشروق، وكان عليهم أن يغلقوا النوافذ في عز الصيف تجنبا للصداع الذي يسببه الجنود، اعتاد الجنود أن يطلقوا الرصاص في منتصف الليل وفي الفجر، كانوا يؤخرون عربة نقل الأولاد إلى المدرسة فيصلون إليهم متأخرين ولا تصل العربة إليهم في المدرسة إلا بعد مدة طويلة من انصراف كل من المدرسة.

كانت غرفته في فيلا المرج مهملة بها سرير متواضع يكاد يختفي من كثرة الكتب الموضوعة عليه، وكان يقضي معظم أوقاته في هذه الحجرة يداوم علي قراءة الكتب المختلفة في شتي أنواع العلوم، خاصة الطب والفلك والتاريخ، ويقول محمد نجيب: «هذا ما تبقي لي، فخلال الثلاثين سنة الماضية لم يكن أمامي إلا أن أصلي أو أقرأ القرآن أو أتصفح الكتب المختلفة».

أثناء العدوان الثلاثي علي مصر عام ١٩٥٦ تم نقله من معتقل المرج إلي مدينة طما في سوهاج بصعيدمصر وقيل إنه كان من المقرر قتله في حاله دخول الإنجليز القاهرة وذلك بعد أن سرت إشاعة قوية تقول إن إنجلترا ستسقط بعض جنود المظلات علي فيلا زينب الوكيل_في المرج لاختطاف محمدنجيب وإعادة فرضه رئيسا للجمهورية من جديد بـ دلا من الرئيس جمال عبد الناصر ولكن بعد فشل العدوان تم إعادته إلى معتقل المرج. وجرى التنكيل به حتى إن أحد الحراس ضربه على صدره في نفس مكان الإصابة التي تعرض لها في حرب ١٩٤٨ مما سببت في حزن عميق لدى محمد نجيب، وأثناء نكسة ١٩٦٧ ارسل برقية لجمال عبد الناصر يطلب منه السماح له بالخروج في صفوف الجيش باسم مستعار الا انه لم يتلق أي رد منه.

الإفراج عن محمد نجيب:

ظل محمد نجيب حبيس فيلا المرج حتى أمر بإطلاق سراحه الرئيس السادات عام ١٩٧١ . ورغم هذا ظل السادات يتجاهله تماما كما تجاهله باقي أعضاء مجلس قيادة الثورة. يقول محمد نجيب في مذكراته:

« قال لي السادات: أنت حر طليق ، لم أصدق نفسي هل أستطيع ان اخرج وادخل بلا حراسة؟ هل استطيع ان اتكلم في الهاتف بلا تنصت؟ هل استطيع أن استقبل الناس بلا رقيب؟ لم اصدق ذلك بسهولة. فالسجين في حاجة لبعض الوقت ليتعود على سجنه، وفي حاجة لبعض الوقت ليعود إلى حريته. وانا لم اكن سجينا عاديا كنت سجينا يحصون انفاسه. ويتنصتون على كلماته ويزرعون الميكرفونات والعدسات في حجرة معيشته. وكنت اخشى ان اقترب من أحد حتى لا يختفي. واتحاشى زيارة الاهل والاصدقاء حتى لا يتعكر صفو حياتهم. وابتعد عن الأماكن العامة حتى لا يلتف الناس حولي، فيذهبون وراء الشمس، ولكن بعد فترة وبالتدريج عدت إلى حريتي وعدت إلى الناس

وعدت إلى الحياة العامة، وياليتني ما عدت. فالناس جميعا كان في حلقها مرارة من الهزيمة والاحتلال. وحديثهم كله شكوى وألم ويأس من طرد المحتل الإسرائيلي. وبجانب هذه الاحاسيس كانت هناك أنات ضحايا الثورة. الذين خرجوا من السجون والمعتقلات ضحايا القهر والتلفيق والتعذيب. وحتى الذين لم يدخلوا السجون ولم يجربوا المعتقلات، ولم يذوقوا التعذيب والهوان كانوا يشعرون بالخوف، ويتحسبون الخطى والكلمات. وعرفت ساعتها كم كانت جريمة الثورة في حق الإنسان المصري بشعة.»

بتاريخ ٢١ أبريل ١٩٨٣ أمر الرئيس حسني مبارك تخصيص فيلا في حي القبة بمنطقة قصر القبة بالقاهرة لإقامة محمد نجيب، بعدما صار مهددا بالطرد من قصر زينب الوكيل نتيجة لحكم المحكمة لمصلحة ورثتها الذين كانوا يطالبون بالقصر، وهو القصر الذي عاش فيه لمدة ٢٩ سنة منها ١٧ سنة وهو معتقل.

وحينما سأله بعض الإعلاميين كيف يخرج من جديد إلى الحياة العامة قال وقتها: « إلى أين أذهب بعد ٣٠ سنة لم أخرج فيها إلى الحياة. ليس لدي معارف أو أحد يهتم بي. أنا أعيش هنا وحدي بعد أن مات اثنان من أولادي ولم يبق غير واحد منهم، فإلى أين اذهب؟»

وفاة محمد نجيب:

تُوفي محمد نجيب في ٢٨ أغسطس ١٩٨٤ بعد دخوله في غيبوبة في مستشفى المعادي العسكري بالقاهرة، أثر مضاعفات تليف الكبد. بعد أن كتب مذكراته شملها كتابه كنت رئيسا لمصر، ويشهد له أن كتابه خلا من أي اتهام لأي ممن عزلوه.

على الرغم من رغبة محمد نجيب في وصيته أن يدفن في السودان بجانب أبيه، إلا أنه دفن في مصر بمقابر شهداء القوات المسلحة في جنازة عسكرية مهيبة، من مسجد رابعة العدوية بمدينة نصر وحمل جثمانه على عربة مدفع، وقد تقدم الجنازة الرئيس المصري حسني مبارك شخصيا وأعضاء مجلس قيادة الثورة الباقين على قيد الحياة .

ماذا فعل جمال عبد الناصر بأبناء محمد نجيب:

تزوج محمد نجيب من زينب أحمد وأنجب منها بنته سميحة التي توفيت وهي بالسنة النهائية بكلية الحقوق عام ١٩٥٠ وبعد طلاقه منها تزوج من عائشة محمد لبيب عام ١٩٣٤ وأنجب منها ثلاث أبناء فاروق وعلي ويوسف.

كان علي الأبن الثاني لمحمد نجيب يدرس في ألمانيا وكان له نشاط واسع ضد اليهود هناك كان يقيم المهرجانات التي يدافع فيها عن مصر والثورة وعن حق الفلسطينيين ولم يعجبهم هذا الكلام، وفي ليلة كان يوصل زميلا له فإذا بعربة جيب بها ثلاثة رجال وامرأة ارسلهم جمال عبد الناصر تهجم عليه وتحاول قتله، وعندما هرب جرت وراءه السيارة وحشرته بينها وبين الحائط نزل الرجال الثلاث وأخذوا يضربونه حتي خارت قواه

ونزف حتى الموت، ونقل جثمانه إلى مصر فطلب اللواء نجيب ان يخرج من معتقله ليستقبل نعش ابنه ويشارك في دفنه لكنهم رفضوا كان هذا في عام ١٩٦٨.

ولم يسلم فاروق الابن الأول من نفس المصير، فقد استفزه أحد المخبرين الذين كانوا يتابعونه وقال له: ماذا فعل أبوك للثورة. لا شيء. أنه لم يكن أكثر من خيال مآتة ديكور واجهة لا أكثر ولا اقل. فلم يتحمل فاروق هذا الكلام وضرب المخبر، ويومها لم ينم فاروق في البيت فقد دخل ليمان طره وبقي هناك خمسة أشهر ونصف خرج بعدها محطما منهارا ومريضا بالقلب وبعد فترة قليلة مات.

أما الابن الثالث يوسف كان يعمل في شركة المقاولون العرب بالإسكندرية وتم فصله بقرار من عبد الناصر، ثم عمل كسائق تاكسي فيما بعد، وتوفي عام ١٩٨٨.

هل كان محمد نجيب ضحية او شريك بالجريمة :

معروف ان ادخال محمد نجيب الى تنظيم الانقلابين بسبب علاقته القوية بالإنكليز ولمنع تدخل الانكليز في التدخل ضد الانقلاب الامريكي الاسرائيلي فمن المعروف ان نجيب كان من عائلة قاتلت مع الانكليز في السودان وان واسطته في دخول الكلية الحربية كان القائد الانكليزي رغم ان طوله لا يسمح بدخول الكلية كما قال في مذكراته و من الصعب ان ندخل قلوب البشر او لكن ليس امامنا سوى ان نحكم على الناس من افعالها والادلة على ذلك ومحمد نجيب بالتأكيد قد ارتكب خطا وجريمة الخيانة عندما اشترك في انقلاب يوليو الاسود وهناك قاعدة تقول من اعان ظالما سلطه الله عليه مهما يكون هل كان محمد نجيب احد الجناة او ضحية او الاثنين معا فهو قد دفع ثمن الحظا ولا يمكننا بالنهاية سوى ان ندعو الله ان يسامحه على جريمة الاشتراك بانقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢م .

٤. بدء حكم الجاسوس جمال عبد الناصر عام ١٩٥٤م:

وفى مطلع عام ١٩٥٤ بدأت البلاد تدخل في أزمة سياسية جديدة، كانت أول بوادرها انتهاء شهر العسل بين مجلس قيادة الثورة وجماعة الإخوان المسلمين، وصدور قرار مجلس قيادة الثورة في ١٤ يناير ١٩٥٤ بحل جماعة الإخوان المسلمين بتهمة التآمر مع رجال السفارة البريطانية، فذاقت الجماعة من نفس الكأس الذى ذاقت منه الأحزاب السياسية، وتم اعتقال أكثر من ٤٠٠ من أعضائها.

وخلال شهر فبراير ٥٤ ظهر على السطح الخلاف بين الرئيس محمد نجيب وأعضاء مجلس قيادة الثورة من الضباط الشبان، هذا الخلاف الذى تصاعد يوم ٢٣ فبراير، ووصل إلى إعلان قبول استقالة محمد نجيب من جميع مناصبه يوم ٢٥ فبراير ١٩٥٤، وتعيين جمال عبدالناصر رئيسا لمجلس قيادة الثورة ورئيسا لمجلس الوزراء، لكن

قبل أن ينتهي شهر فبراير كان محمد نجيب قد عاد مرة أخرى رئيسا للجمهورية في ٢٧ فبراير ١٩٥٤.

هذه الأيام الخمسة من شهر فبراير هي التي شكلت أحداث أزمة مارس ٥٤، هذه الأزمة التي حددت مصير مصر لقرابة ٦٠ عاما باعدت بينها وبين الديمقراطية.

تفجيرات ١٩٥٤م:

حينما سعى اليهود لإقامة وطن قومي لهم في فلسطين ونجحوا في استصدار قرار من الأمم المتحدة بذلك كانت مشكلتهم الأساسية كيف يقومون بإقناع يهود العالم أن يتركوا أوطانهم ويهاجروا إلى فلسطين، فقاموا بأشياء كثيرة كان من أهمها القيام بتفجيرات في أماكن تجمع وإقامة اليهود في الدول الأوربية حتى يشعروهم بأنهم مستهدفون وأن أمانهم في إسرائيل ونفس الشيء عزموا على القيام به في مصر لكن السلطات المصرية اكتشفت الأمر وعرفت هذه القضية باسم فضيحة لا فون نسبة لوزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك بنحاس لافون.

الفكرة نفسها نفذت في مصر حسبما ورد في مذكرات زكريا محيي الدين عضو مجلس قيادة الثورة التي صدرت تحت عنوان «الآن أتكلم» وعبد اللطيف البغدادي عضو مجلس قيادة الثورة في مذكراته التي صدرت في جزأين عن المكتب المصري الحديث والرئيس محمد نجيب أول رئيس لمصر ورئيس مجلس قيادة الثورة، لكن الذي قام بها ونفذها هو جاسوس اسرائيل جمال عبد الناصر حينما خرجت جموع المصريين تنادي بالديمقراطية وعودة العسكر إلى الثكنات فيما عرف بأزمة مارس ١٩٥٤ وقعت بعض التفجيرات لإخافة الشعب من الديمقراطية حسب مخطط عبد الناصر وتجعله يدرك أن الديمقراطية معناها الفوضى، يقول الرئيس محمد نجيب في مذكراته التي صدرت تحت عنوان «كنت رئيسا لمصر» «وقعت ستة انفجارات في ذلك اليوم، لكن في أماكن متفرقة منها السكة الحديد والجامعة وجروبي، ولم يقبض على الفاعل، وقد عرفت بعد سنوات أن هذه الانفجارات كانت بتدبير من جمال عبد الناصر، كما اعترف البغدادي في مذكراته، وذلك لإثبات أن الأمن غير مستقر ولابد من العودة بالبلاد إلى الحالة غير العادية».

ويكمل الرئيس نجيب قائلا «وأنا في الحقيقة شممت هذه الرائحة القذرة في اجتماع اليوم التالي، فقد تعالت الصيحات التي تطالب بالضرب على أيدي المخربين، وقلت لهم صراحة أقرب للاتهام : لا يوجد صاحب مصلحة في التخريب إلا هؤلاء الذين يبتغون تعطيل مسار الشعب إلى الديمقراطية».

ويضيف خالد محيي الدين في مذكراته مع هذه الرواية أن عبد الناصر أخبره أنه هو الذي نظم إضراب العمال الشهير الذين خرجوا ينادون بسقوط الديمقراطية وسقوط الدستور وسقوط المتعلمين في شهر مارس وأبلغ عبد الناصر خالد محيي الدين أن هذا الإضراب كلفه أربعة آلاف جنيه في ذلك الوقت، أما البغدادي فقد أضاف في مذكراته

حينما تحدث عن هذه الرواية أن عبد الناصر أبلغه هو وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم أنه دبر هذه التفجيرات لإثارة مخاوف الناس من الديمقراطية وللإيحاء بأن الأمن سيهتز وأن الفوضى ستسود إذا مضوا في طريق الديمقراطية وهكذا بدأ الجاسوس جمال عبد الناصر حكمه بسفك دماء الابرياء والارهاب الدموي للاستيلاء على السلطة وبنفس التعليمات التي كلفه بها الموساد .

لتبدأ على مصر والعالم العربي والاسلامي فترة سوداء بنجاح اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية بإيصال جواسيسهما لحكم مصر قلب العالم العربي والرابط بين افريقيا واسيا ودولة المواجهة الاولى في الصراع العربي الصهيوني .

فهي بداية حكم الزعيم الاول في التاريخ الذى اقصى كل المعارضين السياسيين له .. واول من استعان بآلات القتل والتعذيب في السجون .. واول من دمر الحياه السياسية برُمتها ، بأن أصّل للحاكم الواحد الملهم الذى يفتى في كل شيء .. والذى يملك الحكمة ومجامع الكلم .. لقد استبدل الحركات السياسية المصرية بالاتحاد الاشتراكي .. وقام بتصفية المعارضين له بالقول او الفعل او حتى بالإيماءة ، في غياهب السجون الحربية .. التي قاد إدارة التعذيب فيها صلاح نصر وشمس بدران .. ومذكرات وخطب إمام الخطباء ومفوه عصره الشيخ عبد الحميد كشك رحمة الله عليه .. وإذا كنا نقيس العمل السياسي بشكل براجماتي أي بالمكسب والخسارة .. فستكون النتيجة جد مفزعه وتدمى القلب وتفوق التصور العقلي .. عندما تعلم انه جاء على لسان بعض الضباط الاحرار .. ان (الزعيم) جمال عبد الناصر ، عندما خُير بين حكم اللواء محمد نجيب على ان تظل السودان تحت حكم مصر .. وبين أن تَؤول السلطة للأول وتنفصل السودان عن مصر .. وباقي الرواية منسوجه ومنقوشه ، في مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، ومراد غالب لمن اراد الاطلاع .. والمشهد كما نعلم ، ان اختار (الزعيم) عبد الناصر الحكم .. والقبول بانفصال السودان عن مصر ، الذى ادى بدوره الى انفصال جنوب السودان .. ونعلم كيف نكل باللواء محمد نجيب .. وفرض عليه الحراسة والإقامة الجبرية كما ذكرنا .. وجرده من أي مَعلم يوحى له بالوجود .. فأي زعيم هذا ؟ ، واين هي الزعامة في ذلك ؟ .. ولا ننسى ان غزه كانت تحت الرعاية المصرية ، ثم تفلتت كالسودان وآلت الى الكيان !.

واحيل القارئ الى قراءة كتابي كلمتي للمغفلين وثورة يوليو الأمريكية للكاتب الصحفي محمد جلال كشك ، ولعبة الامم لمايلز كوبلاند ، وذبح مصر من عبد الناصر الى السادات للكاتب شفيق مقار ، وبعض الدراسات للمؤرخ عبد العظيم رمضان في هذا الشأن.

٥. علاقة جمال عبد الناصر والانقلابين بالإخوان المسلمين:

في الحقيقة لا يختلف الاخوان المسلمين كثيرا عن محمد نجيب فقد كان دورهم يشابه دور نجيب حيث استطاع عبد الناصر والعساكر الجواسيس رفاقه من جعلهم جسرا للسلطة مستغلين غبائهم السياسي وطمعهم بالسلطة ليكون نجيب والاخوان اول ضحايا الانقلابين بعد ان خلصت الحاجة اليهم وانتهى دورهم .

أ. ادلة العلاقة والصلة بين الانقلابين والاخوان المسلمين:

(١) شهادة محمد حامد أبو النصر:

في كتاب "حقيقة الخلاف بين الاخوان المسلمون و عبد الناصر" يقول محمد حامد أبو النصر في شهادته عن علاقة عبد الناصر بالتنظيم (إختصاراً لما رواه):

" كانت دروس البنا كل ثلاثاء يحضرها خليط مجتمعي من ضمنه ضباط بالجيش، حمل بعض الضباط و الجنود لواء الدعوة و نشروها بالجيش ، كان الصاغ محمود لبيب منذ ١٩٣٦ من أبناء الجماعة و ضم ضباط كُثر للتنظيم الخاص بنا داخل الجيش ، ضم محمود لبيب مجموعة من الضباط منهم عبد المنعم عبد الرؤف عام ١٩٤٥ ، قام الطيار عبد المنعم بتكوين مجموعة للجماعة داخل الجيش من ضمنها عبد الناصر و عامر و خالد محيي الدين ، قام عبد الناصر ببيعة الامام ببيت الاستاذ صالح العشماوي بحي الخليفة ، ضمت المجموعة لاحقا حسين الشافعي و البغدادي و صلاح سالم ، كان عبد الناصر يدرب المتطوعين من الاخوان الذاهبين لفلسطين بتكليف من قائد النظام الخاص عبد الرحمن السندي ، في نهاية ١٩٥٠ اعترض عبد المنعم عبد الرؤف على قيام عبد الناصر بضم ضباط من تيارات مختلفة و توجهات سياسية متعددة للتنظيم داخل الجيش تحت اسم الضباط الأحرار (هنا لا يذكر اضافة هامة نذكرها لاحقاً وننوه لمكانها هنا(١)) ، عام ١٩٥١ كان ضباط الجيش الاخوان و منهم عبد الناصر يجتمعون بمنزل عبد القادر حلمي او منير دلة لتدبير خطط التنظيم ، قبل الانقلاب توجه عبد الناصر لمنزل صلاح شادي و ابلغه بضرورة التحرك لاستباق خطوات الملك ووافق المرشد حينما تم ابلاغه و طلب الاحتكام لشرع الله بعد نجاح الحركة ، وافق عبد الناصر و تمت الحركة بتأييد الاخوان و تجهيزها الموقف على الارض من ٢٢ يوليو" .

(٢) شهادة خالد محيي الدين:

في كتابه "و الآن أتكلم" أدلى خالد محيي الدين بتلك الشهادة:

"عام ١٩٤٤ عرفني الضابط الاخواني عبد المنعم عبد الرؤف بعبد الناصر ثم محمود لبيب كضابطين من الاخوان ، قمنا بتكوين مجموعة من العسكريين الاخوان بعضها في منزل أحمد مظهر ، لم نكن جميعا من اصحاب الولاءات للإخوان فمنا من كانوا من الاخوان تماما و منا مجرد ضباط يبحثون عن طريق ، عبد الناصر كان يقول لي انهم -الاخوان- يريدون استغلال الضباط و ليست لهم اهداف وطنية و يتساءل عن سبب عدم قيامهم بالهجوم على الاحتلال و التظاهرات الكبرى ، كان عثمان فوزي ضابط زميل رفض الانضمام لنا كمجموعة اخوانية و بدأ يعطيني كتب عن الشيوعية و العدالة الاجتماعية و السياسة الاشتراكية ، بدأت أسأل و لا أجد اجابات عن برنامج الجماعة و رؤيتها و على الرغم من أسلوب حسن البنا الرائع لم أقتنع ، ظل عبد الناصر مصر على ظنه بالإخوان و انا على ترددي فحاولت الجماعة ضمنا الى النظام الخاص ، في منزل

بحي الخليفة قابلنا عبد الرحمن السندي و اقسمنا اليمين في طقوس خاصة لم تترك اثر في نفوس اي منا ، انضممنا لمجموعة تدريب مسلحة بالقرب من حلوان و كان مستوانا افضل من المدربين مما جعلنا نغترب اكثر ، كان تقارب الجماعة مع اسماعيل صدقي ووقوفها ضد الحركة الوطنية تأكدنا من سوء نواياهم و استغلالهم لنا فتباعدنا دون انفصال عن الاخوان ، عام ١٩٤٧ كان علاقتنا بالإخوان باهتة للغاية و يذكر ان عام ١٩٤٩ تم العثور مع الاخوان على كتاب عن صناعة القنابل يخص عبد الناصر كاد يقيله من عمله مما دفعنا مع كل الاسباب للبداية بتأسيس الضباط الاحرار نصف عام ١٩٤٩ ، كانت خليتنا الاولى بالضباط الاحرار "لجنة القيادة" تضمنا الا عبد المنعم عبد الرؤف الذي فضل الاقتراب من الاخوان عنا ، ببداية ١٩٥١ اصر عبد المنعم عبد الرؤف على ان تنضم هيئة الضباط الاحرار "لجنة القيادة" بالكامل للإخوان و رفضنا بالأجماع ، قبيل الثورة أخبرنا عبد الناصر ان حسن عشماوي قيادي الاخوان عاود الاتصال به و تحدث عن نية الانجليز التخلص من الملك و ابدى تلميحا ان الاخوان داعمين لرحيله ، تم الاتفاق على التحرك يوم ٢٢ يوليو لكن يوم ٢١ يوليو طلب عبد الناصر التأجيل يوم واحد للمزيد من الحشد (نقطة هامة نشير لها لاحقاً نقطة (٢)) ، في هذه الاثناء قابل عبد الناصر الاخوان و حظى بدعمهم للانقلاب بشروط عدة لم يوضحها عبد الناصر و ذكر اضطراره للموافقة عليها مبديا رأيه بضرورة اعادة الحسابات مع الاخوان ، ابلغ عبد الناصر احمد حمروش الذي ابلغ حدتو و كان هذا هدف عبد الناصر".

(٣) شهادة عبد اللطيف البغدادي:

في الجزء الاول من مذكراته "مذكرات عبد اللطيف البغدادي" تناول البغدادي في شهادته التالي:

"كوننا عام ١٩٤٠ مجموعات سرية من الضباط داخل الطيران و سمينا مجموعتنا الخاصة "اللجنة التنفيذية" و تواصلنا مع الجيش ، تقابلنا مع حسن البنا الذي وافق على التعاون بشرط دمج تنظيمنا معهم فرفضنا و اتفقنا على تعاون محدود ، لم يكن هذا التنظيم هو الضباط الاحرار بل تنظيم آخر ، منتصف ١٩٤٩ بدأ عبد الناصر تكوين تنظيم الضباط الاحرار من مختلف فئات الضباط ، ضمت المجموعة عبد المنعم عبد الرؤف و السادات و عبد الحكيم عامر و كمال الدين حسين و خالد محيي الدين و غيرهم ، سميت مجموعتنا "اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار" و كان موقفنا رافض للإندماج في الإخوان المسلمين و المحافظة على موقفنا مستقل عنهم حتى بعضوية ضباط اخوان ، قمنا بطرد عبد المنعم عبد الرؤف من التنظيم بقرار اللجنة التأسيسية لمحاولاته ضم ضباط من التنظيم للإخوان المسلمين ، كان قرارنا تنفيذ الانقلاب مساء ٢١ يوليو ثم اجلنا التنفيذ الى ليلة ٢٣ يوليو مساء ٢٢ لاستكمال الدراسة و تنفيذ الخطة مفصلة".

(٤) شهاد أحمد حمروش:

في شهادته على الأمر قال أحمد حمروش في كتابه "قصة ثورة يوليو مصر و العسكريون" التالي:

"مع اتجاه الاخوان للعمل السياسي منذ الحرب العالمية الثانية و إنطلاقهم السياسي مع عام ١٩٤٤ و إقالة الوفد بدأ الاخوان بالاتصال بضباط من الجيش ، كان الاخوان يضمون مجموعات مختلفة من الضباط أصحاب الاتجاهات المختلفة مثل خالد محيي الدين و عبد الناصر و ثروت عكاشة ، اشترك الضباط مع الاخوان في الانضباط و رفض الحزبية و الايمان بالغيبيات و الماورائيات ، تزايد عدد الضباط الاخوان بشكل كبير و لكن أكثرهم مع عضويته لم يجد في الاخوان الاجابات التي يريدها ، مع نهاية حرب فلسطين و امام عدم قدرة الاخوان على تحضير مشروع ثابت لمستقبل مصر أمام الضباط ضعفت بشدة الصلات التنظيمية بين الضباط و الإخوان ، مع الضربات الموجهة للإخوان ظل تنظيمهم داخل الجيش متماسك بقيادة عبد المنعم عبد الرؤف و كان هذا بنهاية ١٩٤٩ متوافق مع ترك عبد الناصر و غيره قد غادروا الاخوان ، كانت بداية الضباط الاحرار مع خمسة ضباط ناصر و خالد محيي الدين و حسن ابراهيم و كمال الدين حسين و عبد المنعم عبد الرؤف و كلهم انتموا يوما للإخوان، في فبراير ١٩٥٠ تكون تنظيم الضباط الاحرار و ظل به ضباط متصلون بالإخوان دون ان يكون التنظيم تابع للإخوان أو لأي تنظيم اخر بحكم تنوع خلفيات أعضائه ، كانت العلاقات بين الاخوان و تنظيم الضباط ظلت غير عدائية لكنها غير تنظيمية و بهتت بشدة لمواقفهم السياسية التي توقفت عن ممارسة السياسة و الكفاح ضد الانجليز و اتجهت للدعوة و خلت القناة من وجودهم ابان حرب الفدائيين ، كان عبد الناصر يدعم الفدائيين سواء شيوعيين او اخوان متطوعين او غيهم بالتساوي و يمدهم بالسلاح و يدربهم ، قبيل الثورة بشهور تم فصل عبد المنعم عبد الرؤف من الضباط الاحرار لمحاولاته المتعددة ضم الضباط الى الاخوان و مع ذلك ظل عبد الناصر رئيس الجمعية التأسيسية للإخوان متصلا بشكل رسمي مع اليسار و الاخوان ، تم الاتفاق يوم ١٩ يوليو على قيام الثورة ليلة ٢١ &٢٢يوليو و تأجلت الى ليلة ٢٢&٢٣يوليو لزيادة الاعداد ، ذهب عبد الناصر و كمال الدين حسين الى صالح رقيق يوم ٢٢ يوليو و اتفقوا معه على دعم الاخوات للانقلاب ووافق الاخوان".

(٥) شهادة حسين حمودة:

في شهادته كضابط منتمي للإخوان و مؤمن بهم في كتاب "أسرار حركة الضباط و الاخوان المسلمون "قال حسين حمودة التالي:

" بنهاية عام ١٩٤٣ إنضممت للإخوان عبر عبد المنعم عبد الرؤف الذي عرفني على محمود لبيب و الامام البنا و اتفقنا نحن الاربعة على انشاء تنظيم للإخوان داخل الجيش ، التقيت بجمال عبد الناصر و كمال الدين حسين و خالد محيي الدين و اخرين

ببداية ١٩٤٤ و ظللنا نجتمع كتنظيم الاخوان المسلمين بالجيش الى مايو ١٩٤٨ حينما قامت حرب فلسطين ، تم تكليف كل عضو بتكوين شبكة من ٧ ضباط لا يعرف كل فرد بكل مجموعة الاخرين بالمجموعات الاخرى لسرية العمل ، قمنا لاحقا بحلف اليمين للانتماء للإخوان في منزل بحي الخليفة تلتها فترة تدريب شباب الاخوان على السلاح و القنابل بعامي ١٩٤٦ و ١٩٤٧ مع ترجمة و تدريس لكتاب عن حرب العصابات ، شارك هؤلاء الشباب بحرب مسلحة ضد القوات الانجليزية بالقاهرة و الاسكندرية سبقت رحيلهم للقناة ، مع نهاية حرب فلسطين أبدى عبد الناصر حقيقة انتهاء صلة التنظيم القديم للإخوان الذي هو عضو به بالإخوان و نهاية التنظيم بالتالي و حتمية انشاء تنظيم جديد ، وضح عبد الناصر أن التنظيم الجديد سيضم متدينين و غير متدينين و من كل التيارات و أبديت تخوفي فقال ان النهاية ستكون الحكم بكتاب الله لأننا نحن من سيسيطر بالنهاية ، لاحقا اصر عبد الناصر على استقلالية الضباط الاحرار عن الاخوان و انتهاء صفة التنظيم القديم الذي أسسه محمود لبيب فغادر عبد المنعم عبد الرؤوف الضباط الاحرار و حل محله عبد الحكيم عامر ، يوم ٢٠ يوليو علمت من عبد الناصر ان الحركة خلال ايام ثم علمت يوم ٢١ يوليو بأن الحركة ٢٢ يوليو ثم علمت بتأجيلها لمساء ٢٢ يوليو و قامت الثورة ، كان عبد الناصر غير متفق معنا منذ بداية انضمامه للإخوان لكن لم ننتبه في البداية لهذا ، في عام ١٩٥٠ كان عبد الناصر قرر اعادة التنظيم السابق ذكره بعهد محمود لبيب و المتوقف لحرب فلسطين و جرى ما سبق ذكره".

(٦) شهادات متفرقة من سلسلة الملفات السرية لثورة يوليو:

التالي مقتطفات لشهادات تخص الموضوع من السلسلة:

* إبراهيم شكري: عبد الناصر ابان دراسته المتوسطة كان عضو شعبة مصر الفتاة في باب الشعرية.

* ثروت عكاشة: بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ شكلنا خلايا ضمت اخوان مسلمين داخل الجيش.

* محسن عبد الخالق: ببداية ١٩٤٥ فوق سطح مبنى بشارع البراموني عند عبد الفتاح أبو الفضل مع مندوبين لكل أسلحة الجيش و كانت تلقى لهم دروس توعية سياسية لتفتيح أذهانهم لمشكلات الوطن.

* خالد محيي الدين: إنضممت للإخوان ثم تغيرت فكريا مع قراءتي للماركسية و ناصر كان منضم للإخوان و تركناهم معاً.

* مأمون الهضيبي: ناصر و زملاؤه قابلوا المرشد الشهيد البنا و بعد اغتياله انضموا للجماعة.

* لطفي واكد / خالد محيي الدين: عبد الناصر كان مندوب استلام منشورات الضباط الاحرار من مطبعة حدتو و لم يكن عضو هناك بالتنظيم أبداً.

* أبو الفضل الجيزاوي / أحمد كامل / مصطفى كمال مراد: عبد الناصر كان يجمع كل خلايا السياسة بالجيش و يضمها في تنظيم واحد هم الضباط الاحرار مع اختلاف توجهاتها و شخصياتها.

* ثروت عكاشة: بعد حرب فلسطين إتفقنا على تشكيل تنظيم موحد للعسكريين بعيداً عن الاخوان المسلمين يضم كل الاطياف السياسية و تولى ناصر و عامر ها الامر مبتعدين عن الاخوان بسبب سلوكهم و فسادهم.

(٨) شهادة كمال الدين حسين و آخرين من كتاب الصامتون يتكلمون:

- يقول كمال الدين حسين:

"مع تخرجنا انخرطنا بالسياسة و لم يكن هناك رابط بيننا ، كان جاري عبد المنعم عبد الرؤوف عضو تنظيم سري ما بالجيش و ناشط ضد الاحتلال ، و هو من جمعني أول مرة بعد الناصر و محمود لبيب بشقة عبد لناصر ، تكررت اللقاءات قبل حرب فلسطين بسنوات ثلاث و لم نكن وقتها من الاخوان و لكن كنا قد أقسمنا يمين المصحف و المسدس الذي به نكون ضمن التنظيم الخاص تحت قيادة السندي ، مع نهاية حرب فلسطين و حل جماعة الاخوان توقفت اتصالاتنا بهم ، كان عبد الناصر قد ضم لنا الكثير من الاعضاء و قرر الا يكون التنظيم امتداد لسابقه و الا نكون متصلين بالإخوان و منتمين لهم و فعلا حدث هذا مع بقاء اتصالاتنا بهم ، ضم عبد الناصر الحشاشين و رواد البارات و الغرز للتنظيم مع أننا اتفقنا الا ينضم الا الشرفاء المؤمنين بالمبادئ ، قبل قيام الثورة بيوم ذهبت و عبد الناصر لبيت صالح ابو رقيق القيادي الإخواني ، اجتمعنا به و بالعشماوي و منير دلة و غيرهم و ابلغناهم بميعاد الثورة و اتفقنا ان يقوم متطوعين منهم باحتلال طريق السوس القاهرة لاحتمال تحرك الإنجليز ضد الثورة"

- يقول صلاح شادي:

"قابلت صلاح سالم أواخر ١٩٤٩ و حدثني برغبة التنظيم السابق المنتمي للإخوان بالجيش بالعودة من جديد ورحبت ، قابلت عبد الناصر باجتماعات عدة في مكتب محمد العشماوي و عرفت تنظيمهم باسم الضباط الاحرار و هم الاسم الذي اختاره لهم محمود لبيب ، رفض عبد الناصر تجميع الضباط على الفكرة الاسلامية و اختير مجدي حسنين من التنظيم لتدريب شباب الاخوان على السلاح ، يوم حريق القاهرة اخفيت اسلحة تخص عبد الناصر بمنزل عبد القادر حلمي ثم الى منزل حسن العشماوي بالشرقية و هو المكان الذي عام ١٩٥٤ و بنفس السلاح كان اساس اتهام لأحدى القضايا ضد الاخوان ، قبل الثورة حددت له لقاء بشقة عبد القادر حلمي لتحديد ميعاد الثورة مبكرا بناء على طلبه و قرأنا الفاتحة لتطبيق شرع الله بعد نجاح الحركة مقابل دعمنا لها فور قيامها".

- يقول صالح أبو رقيق:

"قبل الثورة بليلتين حضر كمال الدين حسين و عبد الناصر لشقة عبد القادر حلمي قطب الاخوان و ابلغنا بالتعجيل بالقيام بالثورة ، طلبنا منه الانتظار لاستطلاع رأي المرشد فطلب ناصر استطلاع رأي المرشد ايضا في تولي الاخوان الحكم ، اعلن ناصر انه سيؤجل ٢٤ ساعة لحين ورود الرد ، وافق المرشد و اقترحت تولي علي ماهر الوزارة لحياديته و عدنا للقاهرة و دعا صلاح شادي عبد الناصر للاجتماع يوم ٢٢ يوليو صباحاً و ابلغناه الرد بحضور كمال الدين حسين ، قرأنا الفاتحة لإقامة الشرع بعد نجاح الحركة" .

(٨) شهادة عبد المنعم عبد الرؤوف:

يقول عبد المنعم عبد الرؤوف في مذكراته أرغمت فاروق على التنازل عن العرش:

"في أواخر مايو ١٩٤٢ التقيت حسن البنا و محمود لبيب لأول مرة و اقترحت تكوين مجموعة اخوانية من ضباط الجيش و وافق البنا و لبيب ، في اكتوبر ١٩٤٢ دعوت عبد الناصر لحضور جلسات الاخوان و حسين حمودة و كمال الدين حسين و كوننا مكتبة اسلامية و استمرينا الى ١٩٤٦ في ضم ضباط لتنظيم الاخوان بالجيش ، مع الصدامات السياسية ١٩٤٦ تم الاتفاق على تدريب شباب الاخوان عسكريا و ذهبنا نحن السبعة (خالد محيي الدين و ناصر و كمال الدين حسين و انا وعبد المنعم عبد الرؤوف و حسين حمودة وسعد توفيق) بداية ١٩٤٦ الى بيت بحي الصليبة و قمنا بالقسم على السلاح و المصحف بحضور عبد الرحمن السندي ، قمنا بتدريب شباب الاخوان على حرب العصابات من كتاب مترجم و على السلاح و المتفجرات وجهزنا لاحقا كتيبة من ٢٨٠ مجاهد للذهاب لفلسطين ، مع اغتيال المرشد و الحملات ضد الاخوان ضعف التواصل بشدة بين التنظيم و الجماعة و حوصرنا بالجيش مما دفع المرحوم محمود لبيب الى اقتراح تغيير اسم التنظيم للضباط الاحرار بدلا من الاخوان المسلمين ، في سبتمبر ١٩٤٩ ابلغني عبد الناصر نيته ضم ضباط من تيارات و اخلاقيات مختلفة لاستحالة تنفيذ انقلاب يخطط له للتغيير وسط شروط اخلاقية و دينية للضباط المنضمين و زي زوجاتهن و رفض طاعة تعليمات مكتب الارشاد ووصفها بالتزمت و رفعنا الخلاف لعزيز المصري الذي طلب استمرار التعاون و عدم الانفصال و القتال ضد الانجليز، أيدني محمود لبيب في الرأي و اصيب بالمرض و قبيل وفاته سلم عبد الناصر ورقة بها اسماء كل ضباط التنظيم و المبالغ المالية الخاصة بالاشتراكات و اعترف لي عبد الناصر بحصوله على هذا فعلا و نيته اعادة تشكيل الضباط و تنظيمهم من جديد اثر توقف التنظيم لحرب فلسطين ، اخبرني عبد الناصر بإصراره على فكرته بضم ضباط مختلفين عنا و نيه قطع علاقته بالسندي و الاخوان ، منذ ١٩٤٧ الى ١٩٥٢ انشغلت بالخدمة في فلسطين و العريش و ضعفت صلتي بالضباط الاحرار ، في ١٩ يوليو ١٩٥٢ عدت للقاهرة و لم اكن اعلم شيء عن الانقلاب و قابلت صلاح نصر قرب بيت عبد الحكيم عامر مصادفة و علمت منه ان هناك استعداد

لشيء ما فأبلغت مسئولين من تنظيم الاخوان و انتظرت الأخبار ، يوم ٢١ يوليو دعيت لبيت صلاح شادي و علمت بوجود عبد الناصر و عامر اللذان طلبا دعم الاخوان للانقلاب، عدت لبيتي و لم يخبرني احد بشيء حتى سمعت نبا الانقلاب في الراديو ، توجهت للقيادة و تلقيت تكليفات بالتوجه للإسكندرية لمحاصرة قصر رأس التين".

قبل الختام ، عودة إلى حامد أبو النصر:

التالي ما قاله محمد حامد أبو النصر في كتابه سالف الاشارة له بإختصار و بتصرف مني ، كان يمكنني تلخيص ما سبق في تلك العبارات التالية لكن لأن التوثيق حتمي فأردت الختام بخلاصة تسبقها هنا كلمات المرشد عن الجاسوس جمال عبد الناصر التي هي اصدق توصيف لصلة عبد الناصر بالإخوان و التي أوردها في ختام الكتاب و هي كانت كافية فقط لتوضيح كل شيء دون ما سبق:

" هذا الضابط الشاب الصغير ، كان رقيق الدين ، لم يتذوق حقيقة الإسلام بل و لا حقيقة أي دين من الأديان ، وقد دفعه طموحه إلي المجد الذاتي، أن ينخرط في صفوف الإخوان مرة ، والشباب الوفدي ، والخلايا الشيوعية مرة خري ، وأخيرا استقر به المقام في جماعة الإخوان المسلمين ، علي اعتبار أنها الهيئة التي لها المستقبل في إصلاح البلاد ، لا ليعيش في مبادئ ، ولا ليتربى علي منهج ، بل هو مع الحصان الرابح أينما كان ، هذا الضابط الشاب الصغير ، تعشقت نفسه ، وأشربت روحه ، هو وبعض زملائه ، أمجاد مصطفي كمال أتاتورك ، وملئت نفس عبد الناصر ، وبعض زملائه بروح كمال أتاتورك الذي أعلن حربه علي الإسلام ، والقضاء علي اللغة العربية ، هكذا كان أسلوب عبد الناصر في الحكم يمقت مبادئ الإسلام ، ويباعد بينها وبين الحكم ونظام المجتمع ، بكل الصور والأساليب وأصدق ما يوصف به حكمه أنه كان (علمانيا) بحتا ، ومازالت البلاد حتى الآن ترزح تحت ظل مبادئ حكمه البغيض ، فقد أهمل الدين ، وضاعت الأخلاق ، وتبددت معاني الشرف ، وضُيق علي دعاة الدين ، الذي هو مصدر الأخلاق ، ولم تبق في البلاد إلا المادة الصرفة ، وما تحتضنه من وسائل وأساليب غير مشروعة تعوق النهوض بالبلاد ، وليس أدل علي ذلك من اضطراب نظم الاقتصاد ، رغم المجهودات الضخمة في العلاج ، بإقامة المصانع ، وتأسيس الجمعيات ، وما إلي غير ذلك ، وكذلك لا يصلح الله عمل المفسدين . ومن ثم كان حتما وأمرا مقضيا أن يتخلص من جماعة الإخوان المسلمين ، كما تخلص كمال أتاتورك من جمعية الاتحاد والترقي الإسلامية (هذه الجملة أضحكتني أنا كاتب المقال حتى انقلبت على الارض) هذا بعض ما أشهد الله عليه في حقيقة عبد الناصر هذا الضابط الشاب الصغير ، الذي كان ولم يكن .. ، وأصبح في ذمةالتاريخ ...".

ختاماً خلاصة ما سبق و من مجموع الشهادات و ما اتفقت عليه و هو مبتغى ما ورد:

١. تنقل الجاسوس جمال عبد الناصر منذ حداثته بين تنظيمات متعددة الاتجاهات و لم يكن منتمي فكرياً لإحداها.

٢. انضم عبد الناصر للإخوان كأقوى تنظيم موجود يتيح انضمام العسكريين و له أرضية لا ديموقراطية تناسبه.

٣. لم يكن عبد الناصر من الاخوان فكريا بل تنظيمياً لنيل مصلحة دون الايمان بهم وهي اوامر مكلف بها من الموساد.

٤. لا علاقة تنظيمية بين "تنظيم الاخوان ١٩٤٤" و "الضباط الاحرار ١٩٤٩" إذ فصل عبد الناصر تنظيميا بين الاحرار و الاخوان لدرجة دفعت عدد من الاخوان للخروج من الأحرار النقطة (١).

٥. كان التنظيم الجديد "الأحرار" ملئ بأكثرية لا اخوانية و منفصلة كلية عن الاخوان و قادت عمليات قمع و قتل و اعتقال للإخوان خلال عامين من الانقلاب مما يؤكد أن التنظيم فكراً و عملاً كمنفصل عن الاخوان.

٦. الأرجح أن تأجيل الانقلاب من ٢١ الى ٢٢ يوليو سببه بالفعل نيل موافقة المرشد لتجهيز كتلة مدنية تدعم الانقلاب و عناصر مسلحة مدنية (النظام الخاص) و هذا يشير الى استمرار التواصل مع الاخوان و انتفاء الصلة التنظيمية بنفس الوقت نقطة (٢).

٧. بشهادات الاخوان من المرشد لحمودة لعبد الرؤوف عبد الناصر في صناعته للأحرار قطع الله بالإخوان و النظام الخاص (السندي) و عارض توجهاتهم الفكرية و رؤيتهم السياسية ووصفهم بالاستغلال مما يكفي في حد ذاته كشهادة من أهلها.

٨. وصل جهل الاخوان بالضباط الاحرار الى ان أحداً لم يعرف بشأن التخطيط للانقلاب الا بالصدفة و بشكل محدود و باتفاق بين عبد الناصر و الاخوان على اقامة الشريعة مقابل دعم الحركة اليوم التالي (صلاح شادي و العشماوي و غيرهم) وصفه ناصر لخالد محيي الدين بأنه (حظى بدعمهم للانقلاب بشروط عدة لم يوضحها عبد الناصر و ذكر اضطراره للموافقة عليها مبديا رأيه بضرورة اعادة الحسابات مع الاخوان).

ب. انقلاب جمال عبد الناصر على الاخوان:

الاخوان مثلهم مثل محمد نجيب ومثل اغلب من ايد انقلاب الجاسوس جمال عبد الناصر ورفاقه تم التخلص منهم وتصفيتهم على قاعدة (من اعان ظالما سلطه الله عليه) وجاء العام ١٩٥٣ وفيه استتب الأمر للانقلاب بعد خلع ولي العهد الملك أحمد فؤاد الثاني وإقامة جمهورية مصر العربية وبذلك انتهى حكم اسرة محمد علي الذي استمر زهاء القرنين وهنا نذكر أربعة حوادث حدثت بعد ذلك الحادثة الأولى تمثلت في رفض الإخوان

أن يقتصر تمثيلهم الوزاري على حقيبتين وزاريتين وكانت هذه الحادثة هي بداية اتساع الهوة بين الضباط الانقلابين الذين صارت لهم الكلمة العليا في مصر مع جماعة الإخوان أصحاب النفوذ الشعبي الهائل ، وفي نفس الوقت كانت هناك دعوى لانتخابات برلمانية ولكن تم رفض الفكرة في ذلك الوقت بحجة أن تسيطر أحزاب القصر التي طالما أفسدت الحياة السياسية على البرلمان الجديد وبذلك ألغى الجاسوس جمال عبد الناصر الأحزاب وصادر الحياة الحزبية وصار ما يسمى الاتحاد الاشتراكي هو وسيلة النشاط السياسي الوحيدة في مصر بجانب القوة الأخرى وهي جماعة الإخوان المسلمين التي صارت تشكل قوى موازية .

حادثة المنشية عام ١٩٥٤م :

ثم جاء عام ١٩٥٤ وفي خطاب جمال عبد الناصر حدثت محاولة اغتيال فاشلة عند ميدان المنشية بالإسكندرية واكتست تلك الحادث بالطابع الميلودرامي ففي الوقت الذي انهالت فيه طلقات الرصاص قفز عبد الحكيم عامر ليحتضن جمال ليحميه من طلقات الرصاص وخرجت كلمات غاضبة من عبد الناصر عن محاولته قتله وانصبت الإتهامات على فردين من المنتمين لجماعة الإخوان وهما هنداوي دوير وإسماعيل الفيومي الحارس الخاص لعبد الناصر وكانت هذه الحادثة شرارة البدء في تصفية الإسلاميين في مصر عموما والإخوان خصيصا حملة إنطلقت من الصحف بمساعدة المباحث العامة والشرطة العسكرية وفيه دارت رحى التعذيب في وحشية حتى زهقت عشرات الأرواح وتعرض العشرات للتعذيب الشديد ولعل أشهر الوقائع التي سجلت في تلك الحقبة هي حادثة ليمان طرة حيث قتل حوالي ١٥ إخوانيا في يوم واحد .

ومن الصعوبة على الباحث معرفة الحقيقة رغم اعتقادي ان الحادث مدبر من عبد الناصر ومن معه فالقضية شبه مهلهلة في أورقها، وحلقات كثيرة مفقودة في سياقها، بما يضفي ظلالاً من الشك الذي يفسر دائما لصالح المتهم، ربما لو كشفت الأيام عن تلك الحلقات؛ لأوضحت الكثير من الغموض الذي لفّ الحادث، وأضفت على ضفيرة أحداثه تتابعًا منطقيا يجعلها أكثر اتساقًا وإقناعا.. وربما تم تفسيرها لمصلحة المجني عليه**!!**

لكنها يبدو أنها الأمنية شبه المستحيلة؛ فعشرات السنين تفصل بيننا بين الحقيقة، مسرح الحدث لم يعد كما كان، فقد احترق مبنى البورصة بالإسكندرية في أحداث «انتفاضة الخبز» في ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧ واحترقت معه آثار ما جرى، ولم يتبق منه سوى مساحة أرض فضاء تستخدم كجراج للسيارات، ولم يتبقَ لنا سوى نسخة سينمائية غير مكتملة من «الجريدة الناطقة» صوتها أوضح من صورتها، وأعداد من صحف قديمة في دار المحفوظات.

يزيد البحث صعوبة أن طرفا المشكلة (الإخوان وضباط يوليو)، هما طرفا إشكالية الصراع على السلطة آنذاك، ولم يبوحا بأسرارها حتى الآن**!!**

لذا كان التنبيه واجبًا إلى الصعوبة التي واجهها البحث، وخاصة أن عبد الناصر، ومن أتى بعده إلى الحكم قد أصبغوا على وقائع تاريخنا ووثائقه صفة «سرى»، ودون وجود قوانين تنظم تداول المعلومات وسبل الكشف عن الوثائق، أو السنوات اللازمة للكشف عن مكنوناتها، وهو ما جعل من خزانة الوثائق مغلقة دائما!!.

وزاد الأمر صعوبة أن الإخوان المسلمين تنظيم سري، وأنهم يحرقون أوراقهم بعد عقد اجتماعاتهم، لذلك كان الاعتماد على بعض الروايات الشفهية، والمذكرات الخاصة وهذا النوع من المصادر له عيوبه، منها المبالغة والكذب وليّ عنق الحقائق والرؤية الذاتية للأمور.. ولذلك اكتفيت بإبراز المفارقات العلمية بينها!!.

سيد الأدلة.. و «سيء الأدلة»!!

ضباط يوليو مروا عليها عبور غير الكرام في إدانة قاطعة للإخوان بزعم اعتراف الجاني، وأن الاعتراف سيد الأدلة، في مغالطة مفضوحة للمبدأ القانوني؛ فالاعتراف سيد الأدلة في ظل الضمانات التي حددها القانون للمتهم أمام قاضيه الطبيعي، لكنه يصبح «سيء الأدلة»، في ظل ظروف استثنائية مثل احتجاز المتهم في السجن الحربي ومحاكمته أمام محكمة عسكرية.

واكتفت قيادات الإخوان بإنكار هو الأقرب إلى الاعتراف في محاولة لإسقاط المسئولية عن التنظيم بأكمله، باعتبار أن الحادث فردي قام به رجلان ينتميان إلى الجماعة.. وأكدوا في إنكارهم أنهم لو أرادوا لفعلوها!!. بل وفجروا الإسكندرية بأكملها فلديهم الرجال والذخيرة والسلاح والمتفجرات!!

كلٌ طرف يكتب تاريخه وفق هواه، أو وفق ما يعتقد أو يريدنا أن نعتقد أنه الحقيقة!!

الحـادث على الهـواء من إذاعة القاهـــرة:

- (الساعة ٣٠ : ٧) بدأ عبد الناصر خطابه في حشد من ربع مليون شخص:

أيها المواطنون:

يا أهل الإسكندرية الأمجاد.. أحب أن أقول لكم ونحن نحتفل اليوم بعيد الجلاء.. بعيد الحرية.. بعيد الاستقلال، أحب أن أقول لكم - أيها الإخوان - أحب أن أتكلم معكم عن الماضي وعن كفاح الماضي.. أحب أن أعود إلى الماضي البعيد.

أيها المواطنون: أحب أن أتكلم معكم كلامًا هادئًا، (عبد الناصر يوجه كلامه إلى الذين يهتفون بحدة لا تخلو من ملمح استنكار وتجريح لمستمعيه) قائلاً:

كفانا هتافًا - أيها الإخوان - فقد هتفنا في الماضي فماذا كانت النتيجة؟ هل سنعود إلى التراقص مرة أخرى إلى التهليل؟! هل سنعود إلى التهريج؟! إني لا أريد منكم أن

تقرنوا اسم جمال بهذه الطريقة، إننا إذا كنا نتكلم معكم اليوم فإنما نتكلم لنسير إلى الأمام بجد وبعزم، لا بتهريج ولا بهتاف، ولا يريد جمال مطلقًا أن تهتفوا باسمه، إننا نريد أن نعمل لنبني هذا الوطن بناءً حرًا سليمًا أبيًا، ولم يبنَ هذا الوطن في الماضي بالهتاف، وإن الهتاف لجمال لن يبني هذا الوطن، ولكنا - يا إخواني- سنتقدم وسنعمل . سنعمل للمبادئ.. وسنعمل للمثل العليا؛ بهذا سنبني هذا الوطن، وأرجوكم أن تصغوا إليَّ وأنا إذا كنت أتكلم معكم اليوم في الاحتفال بهذه الاتفاقية، وفي الاحتفال بهذا الجلاء، وفي الاحتفال بهذه الحرية؛ فإنما أريد أن أذكركم بالماضي وبكفاح الماضي.. كفاحكم أنتم وبكفاح آبائكم وبكفاح أجدادكم، أريد أن أقول لكم لقد بدأت كفاحي وأنا شاب صغير، من هذا الميدان، ففي سنة ٣٠.. في سنة ١٩٣٠ خرجت وأنا شاب صغير بين أبناء الإسكندرية أنادي بالحرية وأنادي بالكرامة لأول مرة في حياتي، وكان هذا - يا إخواني - أول ما بدأت الكفاح من هذا الميدان، وأنا إذ أتواجد بينكم اليوم لا أستطيع أن أعبر عن سعادتي ولا أستطيع أن أعبر عن شكري لله حينما أتواجد في هذا الميدان، وأحتفل معكم أنتم يا أبناء الإسكندرية، يا من كافحتم في الماضي ويا من كافح آباؤكم، ويا من كافح أجدادكم، ويا من استشهد إخوان لكم في الماضي، ويا من استشهد آباؤكم. أحتفل معكم اليوم بعيد الجلاء وبعيد الحرية، بعيد العزة وبعيد الكرامة.

- (الساعة ٥٥: ٧).. وبعد خمس وعشرين دقيقة من بدء الخطاب، يُسمع صوت تصفيق من الجماهير، وصوت إطلاق أعيرة نارية متتالية، وبعد لحظات من الهرج، يُسمع صوت: امسك اللي ضرب ده.)

يجئ صوت عبد الناصر: يوجه خطابه للجماهير قائلاً:

فليبق كلٌّ في مكانه..

أيها الرجال:

فليبق كل في مكانه..

أيها الرجال:

فليبق كل في مكانه..

أيها الرجال:

فليبق كل في مكانه..

أيها الرجال:

فليبق كل في مكانه:

أيها الرجال:

فليبق كل في مكانه..

أيها الرجال:

فليبق كل في مكانه..

أيها الرجال:

فليبق كل في مكانه..

أيها الأحرار:

فليبق كل في مكانه..

دمي فداء لكم.. حياتي فداء لكم..

دمي فداء مصر.. حياتي فداء مصر.

أيها الرجال.. أيها الأحرار.. أيها الرجال.. أيها الأحرار:

دمي فداءٌ لكم.. حياتي فداء مصر..

هذا جمال عبد الناصر يتكلم إليكم - بعون الله - بعد أن حاول المغرضون أن يعتدوا عليه وعلى حياته.. حياتي فداء لكم، ودمي فداء لكم.

أيها الرجال.. أيها الأحرار:

إن جمال عبد الناصر ملك لكم، وإن حياة جمال عبد الناصر ملك لكم.

أيها الناس.. أيها الرجال:

ها هو جمال عبد الناصر.. ها هو جمال عبد الناصر بينكم، أنا لست جبانًا.. أنا قمت من أجلكم، ومن أجل حريتكم، ومن أجل عزتكم، ومن أجل كرامتكم.

أيها الناس.. أيها الرجال.. أيها الأحرار.. أيها الأحرار:

أنا جمال عبد الناصر.. منكم ولكم.. دمي منكم ودمي لكم، وسأعيش حتى أموت مكافحًا في سبيلكم وعاملاً من أجلكم.. من أجل حريتكم.. ومن أجل كرامتكم.. ومن أجل عزتكم.

أيها الأحرار.. أيها الرجال.. أيها الأحرار:

(صوت عبد الناصر يقول: «أوعى» لأحد زملائه الذين يحاولون منعه من الاستمرار في الحديث حرصًا عليه)، ثم يواصل حديثه:

أيها الرجال.. أيها الأحرار:

(صوت عبد الناصر يقول لزملائه: « سيبوني ».)

ملحوظة: مع محاولة زملائه منعه من الخروج ينسكب مداد أحمر اللون من قلم حبر كان في جيبه الأيسر (ناحية القلب) على صدره، مما أحدث حالة من الإيهام والتأثير النفسي التي أثارت مشاعر الجماهير التي اعتقدت أنه الدم وخلقت حالة التعطف مع عبد الناصر الذي أصر على الكلام وأنه لم يمت!!

(يعود عبد الناصر ليستكمل خطابه)

أيها الرجال:

فليقتلوني. فليقتلوني. فقد وضعت فيكم العزة.. فليقتلوني. فقد وضعت فيكم الكرامة.. فليقتلوني. فقد أنبت في هذا الوطن الحرية والعزة والكرامة من أجل مصر ومن أجل حرية مصر؛ من أجلكم ومن أجل أبنائكم ومن أجل أحفادكم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

(يعود عبد الناصر ليستكمل كلامه بانفعال للمرة الثانية)

السلام عليكم.. كافحوا.. واحملوا الرسالة.. واحملوا الأمانة.. من أجل عزتكم، ومن أجل كرامتكم، ومن أجل حريتكم.

يا أهل مصر.. يا أبناء مصر قمت من أجلكم.. وسأموت في سبيلكم.. في سبيل حريتكم، وفي سبيل عزتكم، وفي سبيل كرامتكم.

يا أهل مصر.. أيها الأعزاء.. أيها الكرماء:

أنا فداء لكم، وسأموت من أجلكم.. سأموت من أجلكم.. سأموت من أجلكم.

والسلام عليكم.

(حالة من الصخب والهرج.. الجماهير تريد أن تطمئن على الرئيس فيخرج إليها ويستكمل حديثه إليهم للمرة الثالثة) قائلاً:

أيها المواطنون:

إذا مات جمال عبد الناصر فأنا الآن أموت وأنا مطمئن؛ فكلكم جمال عبد الناصر.. كلكم جمال عبد الناصر.. كلكم جمال عبد الناصر؛ تدافعون عن العزة، وتدافعون عن الحرية، وتدافعون عن الكرامة.

أيها الرجال:

سيروا على بركة الله.. والله يحمي مصر وأبناء مصر ورجال مصر. سيروا.. تمسكوا بالمبادئ، وتمسكوا بالمُثل العليا، لا تخافوا الموت، فالدنيا فانية.

وإننا نعمل لنموت.. نعمل لنموت من أجلكم ومن أجل مصائركم ومن أجل حريتكم ومن أجل عزتكم.

أيها المصريون.. أيها الرجال.. أيها الرجال.. الأعزاء.. الكرماء:

سيروا على بركة الله.. والله معكم.. لن يخذلكم.. لن يخذلكم.

فلن تكون حياة مصر معلقة بحياة جمال عبد الناصر، ولكنها معلقة بكم أنتم وبشجاعتكم وبكفاحكم، فكافحوا، وإذا مات جمال عبد الناصر، فليكن كل منكم جمال عبد الناصر.. فليكن كل منكم جمال عبد الناصر متمسكًا بالمبادئ ومتمسكًا بالمُثل العليا.

أيها الرجال:

سيروا فإن مصر اليوم قد حصلت على عزتها وحصلت على كرامتها وحصلت على حريتها، فإذا مات جمال عبد الناصر أو قتل جمال عبد الناصر فسيروا على بركة الله نحو المجد.. نحو العزة.. نحو الحرية.. نحو الكرامة.

والسلام عليكم ورحمة الله.

(المذيع: تطالب الجماهير خروج الرئيس إليها، ثم يُسمع صوت عبد الناصر يقول: «سيبونى.. سيبونى.. سيبونى..» فيلبي عبد الناصر نداء الأمة التي تهتف: الله معك يا جمال.)

(يخرج عبد الناصر ليستكمل خطابه للمرة الرابعة):

أيها المواطنون:

كنت أتكلم معكم عن كفاحي سنة ٣٠، وفي سنة ٣٠ - يا إخواني - في هذا الميدان.. في هذا الميدان، وكنت أبلغ من العمر اثني عشر عامًا.. جئت إلى هذا الميدان وكنت طالبا في مدرسة رأس التين، جئت إلى هذا الميدان أهتف بالحرية وأهتف بالكرامة، وحاول الاستعمار وأعوان الاستعمار أن يعتدوا علينا وأن يقتلونا، فقتل من قتل واستشهد من استشهد ومات من مات، ونجا جمال عبد الناصر ليحقق لكم العزة وليحقق لكم الكرامة وليحقق لكم الحرية.

أيها المواطنون.. أيها المواطنون:

إذا كان جمال عبد الناصر لم يمت في سنة ٣٠، وكتب له أن يموت اليوم، فإنه يموت مطمئن البال.. مطمئن الضمير؛ لأنه خلق فيكم العزة، وخلق فيكم الكرامة، وخلق فيكم الحرية.

أيها المواطنون:

إنني اليوم.. اليوم بعد ٢٤ عامًا.. لقد اعتدوا عليَّ مع إخوان لي ولكم في هذا الميدان، في سنة ٣٠ اعتدى الاستعمار واعتدى أعوان الاستعمار، ونجوت بعون الله؛ لأحقق لكم العزة وأحقق لكم الكرامة.

واعتدوا عليَّ اليوم، اعتدت الخيانة؛ الخيانة التي ترجو وتطلب أن تكبلكم وتستبد بكم وتستبد بمصائركم.

فإذا كنت قد نجوت اليوم فبعون الله لأزيدكم حرية، ولأزيدكم عزة، ولأزيدكم كرامة.

فليعلم الخونة وليعلم المضللون أن جمال عبد الناصر ليس فردًا في هذا الوطن؛ فكلكم جمال عبد الناصر بعد أن شعرتم بالعزة، وبعد أن شعرتم بالحرية، وبعد أن شعرتم بالكرامة.

إذا مات جمال عبد الناصر اليوم، أو إذا مات جمال عبد الناصر باكرا، فأنا أموت مطمئنا.

لقد كنت منكم وأنا منكم، لقد كنت أتظاهر معكم في هذا الميدان، وأنا اليوم أتكلم إليكم كرئيس لكم، ولكن - يا إخواني - دمي من دمكم، وروحي من روحكم، وقلبي من قلبكم، ومشاعري من مشاعركم.

أيها المواطنون.. أيها المواطنون:

إذا قتلوا جمال عبد الناصر، وإذا قضوا على روح جمال عبد الناصر، وإذا أنهكوا دماء جمال عبد الناصر فإنهم لن يقدروا على أرواحكم أنتم، ولا على قلوبكم أنتم، ولا على نفوسكم الأبية أنتم، ولا على دمائكم الطاهرة أنتم أيها الأحرار.

أيها الرجال.. أيها الرجال:

لقد استشهد الخلفاء الراشدون.. لقد استشهدوا جميعًا في سبيل الله، وإذا كان جمال عبد الناصر يقتل أو يستشهد أنا مستعد لذلك والله في سبيلكم وفي سبيل الله وفي سبيل مصر.

والسلام عليكم ورحمة الله.

(لكن الخطبة لم تكتمل، ولم ينطق عبد الناصر بحرف يجيب به عن تساؤلات الجماهير حول الاتفاقية وما يرونه من عوار بها ـ من وجهة نظرهم ـ وتحول الاحتفال إلى احتفاليه بنجاته وتحولت مشاعر الجماهير إلى التعاطف معه)

وفي ٣٠ أكتوبر ١٩٥٤ أقيم احتفال ضخم بنادي ضباط الزمالك نقلته الإذاعة على الهواء، وغنت أم كلثوم أغنية يا جمال يا مثال الوطنية، وقد حرص مذيع الحفل على وصف تمايل الضباط طربًا وترديد الكلمات تجاوبًا مع كلمات الأغنية التي ألفها بيرم التونسي ولحنها رياض السنباطي والتي تقول كلماتها:

يا جمال يا مثال الوطنية

أجمل أعيادنا المصرية

بنجاتك يوم المنشية

ردّوا ردّوا عليَّ

***

بنجاتك ونجاة أوطانك

فرحتنا وحسرة من خانك

خاين غدَّار كان قصده يصيب

وتبات النار في صدر حبيب

القلب المليان وطنية

ردّوا ردّوا علي ردّوا عليَّ

***

واجهت النار بثبات وإيمان

وقفة شجعان ما يوقفها جبان

طلقات النـار عندك أوتـار

توهبها وبنفس أبية

ردّوا ردّوا عليّ ردّوا عليَّ

طلقات عديدة سمعناها أخذت قلوبنا وياها

كانت يا ما أطولها ثانية

عدينا واحدة والثانية لحد ثمانية

ضربتها عناية إلهية وبقت لك آيــة وطنية

ردّوا ردّوا علي ردّوا عليَّ

الحادث في صحافة القاهرة:

في غداة يوم الحادث صدرت جريدة الأهرام وفي صدر صفحتها الأولى بالعناوين الكبيرة:

- محاولة أثيمة لاغتيال الرئيس عبد الناصر.
- عامل من الإخوان يطلق عليه ٨ رصاصات في ميدان المنشية.
- الرئيس ينجو من الاعتداء ويقول: إنه يهب دمه وروحه في سبيل عزة الوطن وحريته.
- القبض على الجاني بعد إنقاذه من ثورة الجماهير واعتقال ٣ آخرين من الإخوان.

وذكرت الصحيفة أن الجاني يدعى محمود عبد اللطيف محمد، ويعمل سباكا في شارع السلام بإمبابة، وهو في الثلاثين من عمره، متزوج وله ثلاثة بنين وبنت، ووالداه أحياء وقد اعتقلهم البوليس جميعًا في مركز إمبابة للتحقيق.

وكان المتهم ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين ولكنه في المدة الأخيرة كان يذيع أنه تركهم.

وقد وضعت حراسة شديدة على دكانه ومنزله.

وقد عثر في المكان الذي كان يقف فيه الجاني على أربعة أظرف فارغة من عيار ٣٦ ملليمترا، وهي تختلف عن طلقات المسدس الذي ضبط مع المتهم، إذ إن المسدس الذي عثر عليه مع المتهم من نوع «المشط »، الذي لا يلفظ الأظرف الفارغة، وكان المتهم يردد في ذلك الوقت أنه لم يقصد إصابة أحد، وأنه كان يطلق هذه الطلقات « للتفاريح ».

٥٠ سنتيمترا فقط:

وضبط البوليس في جيبه ٧ رصاصات، وقد طاشت الرصاصات التي أطلقها على الرئيس، وأصابت المصابيح الكهربائية التي كانت منثورة على المنصة، ولا تبعد عن المكان الذي وقف فيه الرئيس بأكثر من ٥٠ سنتيمترًا

خمسة عشر مترًا:

كان الجاني قد احتل مقعده منذ الساعات الأولى لهذا الاحتفال، وهو لا يبعد عن المنصة الرئيسية بأكثر من خمسة عشر مترًا، وكان مرتديًا بذلة قاتمة، ووقف من خلفه اثنان كان أحدهما مرتديا جلبابا أبيض والآخر بذلة قاتمة، أما الثلاثة الآخرون فهم محمد عامر حمادة ويشتغل عاملاً، ومحمد إبراهيم دردير من عمال البحر، والحسيني محمد عرام وصناعته فراش بمنطقة دمنهور التعليمية.

الشاهد الرئيسي:

والشاهد الرئيسي يدعى حبيب محمد حبيب وهو فراش في مديرية التحرير؛ إذ كان أول من ألقى نفسه على المتهم وشل حركته، وأقبل بعض رجال البوليس والمخابرات ليقبضوا على المتهم وتحسسوا جيوبه فوجدوا لفة ظن أنها المسدس، ولكن تبين أنها المقذوفات السبع التي عثر عليها.

ومما يذكر أن المتهم كان من ضمن متطوعي حرب فلسطين لمقاتلة الاسرائيليين.

وقد عرف أن المتهم وصل من القاهرة اليوم ونزل بفندق صغير يسمى فندق السعادة بجهة محطة مصر، فقام البوليس بتفتيش حجرته بالفندق، ولكن لم يعثر فيها على شيء يفيد التحقيق.

وتم نقل المتهم إلى نقطة بوليس «شريف»، وظلت الجماهير تحيط بالنقطة في محاولة للانقضاض عليه والفتك به، حتى تم نقل المتهمين في عربة إلى مكان التحقيق في حراسة شديدة من البوليس والجيش.

عشر رصاصات بدلا من ثمانٍ:

في الحفل الذي أقامه محامي الإسكندرية بفندق سيسل بعد دقائق من انتهاء احتفال المنشية تكريمًا للجاسوس الذي لقبوه بطل الجلاء جمال عبد الناصر وإخوته، قال الصاغ أ.ح. صلاح سالم:

«إخواني المحامون: منذ لحظات وكان الرئيس جمال عبد الناصر يلقي خطابه لشعب الإسكندرية المجيد في جموع هذا الشعب، الذي ثار في وجه الظلم والطغيان والاحتلال،

هذا الشعب الذي حمل الرسالة وحمل الشعلة منذ فجر التاريخ.. وقف جمال يلقي خطابه وإذا بعشر رصاصات تلقى على صدر جمال عبد الناصر»*

.. وذكرت جريدة الأخبار في عناوين صدر صفحتها الأولى:

• محاولة اغتيال جمال عبد الناصر

• إطلاق ٨ رصاصات عليه وهو يخطب بالإسكندرية

• نجاة الرئيس والقبض على الجناة

• جمال يخطب مرتين عقب الحادث

.. وذكرت جريدة الأخبار في عناوين صدر صفحتها الأولى:

• ٨ رصاصات طائشة يطلقها إخواني على الرئيس في الإسكندرية

وصباح يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٥٤ صدرت جريدة «أخبار اليوم» الأسبوعية وفي صدر صفحتها الأولي عنوان رئيسي: « الجاني يتكلم »

• لماذا أطلقت الرصاص على جمال عبد الناصر؟

• محمد حسنين هيكل يدخل الزنزانة ويجتمع مع الجاني ساعتين

• محمود عبد اللطيف يقول: يظهر أني نفعت جمال عبد الناصر بإطلاق الرصاص.

أما قصة المانشيت فقد كتبها مؤسس الاعلام الناصري الكاذب والجاسوس الامريكي محمد حسنين هيكل الذي استطاع أن يدخل إلى زنزانة الجاني في السجن الحربي ويمكث معه ساعتين كاملتين، روى له الجاني خلالهما لماذا أطلق الرصاص على جمال عبد الناصر؟ وماذا كان شعوره وهو يسمعه يتكلم، وماذا شعر بعد أن نجا جمال عبد الناصر، من هم الذين حرضوه؟ ماذا قالوا له عن جمال؟

.. ويبدأ هيكل في رسم صورة بقلمه للمتهم، وكيف يبدو؟ وكيف يفكر؟ وهل ندم على فعله أم لا يزال مصرا عليه؟ وهل أراد أن يقتل جمال؟ وما هو شعوره عندما رأى الشعب يستنكر فعله؟ في محاولة صحفية يصطحب فيها القارئ معه إلى الزنزانة ليرى الجاني ويسمع حديثه!

كتب هيكل:

« قابلت محمود عبد اللطيف الذي وجه إلى الرئيس جمال عبد الناصر ثماني رصاصات في ميدان المنشية.. قابلته على ضوء الشموع؛ لأن أسلاك الكهرباء في سجن

البوليس الحربي كانت قد أصيبت بخلل وساد الظلام! بدا وجهه على ضوء الشموع غريبا عجيبا..

أثار في نفسي مجموعة من الانفعالات لا أظن أنني شعرت بها من قبل.. كان شعر رأسه هائشا، ولم يكن ذقنه حليقا، وكانت في عينيه نظرة زائغة ضائعة، وكان لا يزال يرتدي نفس الملابس التي ارتكب بها جريمته! قميص أزرق مخطط بخطوط بيضاء، وقد شمّر أكمام القميص.. وبنطلون أزرق اللون، وكانت يداه مقيدتين بالحديد خلف ظهره، وجلس على مقعد، وبدأ يتخذ الوضع الذي يريحه ويداه إلى الوراء، وتحركت يداه ولمحت أصابعه وتأملتها على ضوء الشموع المرتعشة.

كانت هناك ظلال مقبضه على هذه الأصابع، لمحت آثار ندب قديم..

قلت له: ما هذا؟

ـ قال: كنت أتدرب على ضرب المسدسات فانطلقت رصاصة خاطئة. لم تخرج من الفوهة بل خرجت من الوراء، وأصابت شظاياها أصابعي.

وكان وهو يتكلم قد ترك أصابعه تأخذ وضع الذي يمسك بمسدس ويصوبه، وأحسست بشعور مقبض.. لقد وقفت وجها لوجه أمام قتلة كثيرين، ولكني لم أشعر نحو قاتل منهم بالشعور الذي أحسست به وأنا أتأمل وجه محمود عبد اللطيف على ضوء الشموع.

شيء غريب لفت نظري فيه! لقد أحسست أني أستمع إلى اسطوانة معبأة تكرر الذي أُلقِي إليها حرفا بحرف، ولست أريد أن أتعرض لتفاصيل التحقيق.. فإن الحظر الذي فرضته النيابة موضع احترامي».

هكذا قدم محمد حسنين هيكل لحديثه مع الرجل الذي حاول اغتيال جمال عبد الناصر ثم دخل مباشرة في تفاصيل الحديث.

ـ هيكل: لماذا أطلقت الرصاص على جمال عبد الناصر؟

ـ المتهم: مضى في صوت كأنه الفحيح يردد مجموعة مثيرة من المعلومات.. « إذا حصلت(اندلعت) حرب في كوريا الجنوبية ـ هكذا بالحرف الواحد فسوف يعود الإنجليز إلى احتلال مصر من الإسكندرية إلى أسوان ».

ـ هيكل: في أي مادة من اتفاقية الجلاء قرأت هذا؟

ـ المتهم بنفس الصوت الذي يشبه الفحيح: في الاتفاقية.. قرأناها معا ودرسناها.

ومضى يتحدث عن الرجل الذي شرح له الاتفاقية.. لم يكن يتحدث عنه وإنما كان يردد كلماته، كان يقول كلاما لا يمكن أن يكون من عنده أو من وحي أفكاره، كان ببغاء من نوع يثير الأعصاب.

ـ هيكل: إنت بتشتغل إيه؟

ـ المتهم: أصلح وابورات الجاز!

ـ هيكل: هل تذكر آخر وابور جاز أصلحته؟

ـ المتهم: نعم قبل الحادث بيومين.. كان الوابور ملك أحد الجيران اسمه محمد سليمان ويعمل نقاشا. وكان قد أعطاني الوابور لإصلاحه فتركته للصبي، ولكن الصبي لم يحسن إصلاحه فأعاده صاحبه لأصلحه من جديد.

ـ هيكل: وبينما أنت تصلح وابور الجاز كنت تدرس اتفاقية الجلاء؟

عاد المتهم يقول بنفس الصوت.. بنفس الفحيح: كنا ندرسها معا، ولم تكن معلوماته عن اتفاقية الجلاء هي وحدها صلته بالببغاوات، بل إن معلوماته عن السلاح كانت هي أيضا من نفس النوع! سمعته يتحدث عن الضرب بالطبنجة، وأستطيع أن أؤكد من الطريقة التي سمعته يقول بها كلماته إنها عبارات محفوظة.

ـ هيكل: أين كنت تتدرب على استخدام السلاح؟

ـ المتهم: في المركز العام للإخوان المسلمين.

ـ هيكل: هل تطيع أي أمر يصدره لك الهضيبي؟

ـ المتهم: في حدود..هو مؤسس الدعوة.

ـ هيكل: وهل الدعوة تبيح القتل وترضى عنه؟

ـ المتهم: سكت ولم يرد.

ـ هيكل: هل القرآن يبيح القتل؟

ـ المتهم: لا يبيحه إباحة صريحة.

ـ هيكل: لماذا كنت تريد أن تقتل جمال عبد الناصر؟. كنت تتدرب على إطلاق الرصاص منذ أربعة شهور.. والاتفاقية وقعت منذ أسبوع.

ـ المتهم: كنا نظن أنها لن توقع.

ـ هيكل: هل عرفت ماذا صنع جمال عبد الناصر بعد أن أطلقت عليه الرصاص؟

ـ المتهم: علمت أنه استمر في إلقاء خطابه.

ـ هيكل: وما رأيك في هذا؟

ـ المتهم: شجاع.

ـ هيكل: كيف إذن تفسر أنه لم يصب؟

ـ المتهم: إرادة الله.

ـ هيكل: معناها أن الله يحبه؟

ـ المتهم: لا أعرف.*

ـ وفي ٢ نوفمبر، صدرت جريدة الأهرام وفي صدر صفحتها الأولى عنوان كبير:

«عامل يعثر على المسدس الذي أطلق منه الجاني الرصاص على الرئيس».

• حضوره من الإسكندرية سيرًا على الأقدام لتقديم المسدس للرئيس.

• الرئيس يقابله بمجلس قيادة الثورة ويشكره ويمنحه ١٠٠ جنيه مكافأة له.

وذكرت الصحيفة قصة شاب يدعى خديوي آدم (من الأقصر ـ ٢٣ سنة ـ ويعمل فاعلاً في صناعة البناء) الذي عثر مصادفة على المسدس الذي أطلق منه الجاني رصاصاته الثماني الطائشة، فقد تعثرت به قدمه أثناء تدافع الجماهير، فالتقطه ووضعه في جيبه، وكان المسدس ساخنًا «لسع يديه»، والمسدس من النوع الذي إذا أطلقت جميع مقذوفاته ينفتح؛ فأدرك آدم أنه المسدس الذي استخدم في الحادث.

وروت الصحيفة أن خديوي آدم قد أبى إلا أن يسلمه إلى الرئيس عبد الناصر بنفسه يدًا بيد، ولما كان شاب فقيرا؛ فلم يستطع الحضور من الإسكندرية إلى القاهرة في سيارة أو قطار؛ فلم يكن أمامه الحضور ماشيًا، وبدأ رحلة السير على قدميه على قضبان السكك الحديدية في الرابعة من صباح يوم الأربعاء ٢٧ أكتوبر حتى بلغ مدخل شبرا يوم الاثنين أول نوفمبر في حوالي الساعة ١٢ ظهرًا، وتلمس مكان الرئيس حتى قابله، وقبَّل يده، فقبَّله الرئيس مقدرًا وشاكرًا، ثم أمر بمكافأته بمائة جنيه.

عن رحلة خديوي آدم من الإسكندرية للقاهرة ذكرت الصحيفة تحت عنوان:

« يجوع فيبيع قفطانه ويأكل.. »:

« إن خديوي آدم مشي بين قضبان السكك الحديدية إلى أن أخذ منه التعب كل مأخذ وشعر بالجوع.. وكان قد وصل إلى سوق مدينة في الطريق لم يعرف اسمها، فباع قفطانه وأكل وشبع وواصل سيره.».

وفي اليوم التالي ذكرت الصحيفة: «عقد الأستاذ محمد عطية إسماعيل ـ المحامي العام ـ والأستاذ على نور الدين الوكيل الأول في نيابة أمن الدولة اجتماعًا قصيرًا دعي على أثره العامل خديوي آدم واستمع وكيل النيابة إلى معلومات عثوره على المسدس».

ـ وفي ٥ نوفمبر ١٩٤٥، صدرت مجلة «المصور» وعلى غلافها صورة بحجم الغلاف لجمال عبد الناصر في ثيابه العسكرية مع عنوان: «كلكم عبد الناصر»، وداخل العدد ملف بعنوان: «السمكري الذي وجَّه ٨ رصاصات إلى قلب عبد الناصر».

وذكرت المجلة قصة الاعتداء على الرئيس وحكاية العامل الذي عثر مصادفة على المسدس الذي استخدمه الجاني، وانتقلت المجلة للقاء المصابين في الحادث، وهما الأستاذان ميرغني حمزة وزير المعارف والري والزراعة السوداني، وأحمد بدر الدين سكرتير هيئة التحرير بالإسكندرية، وقد قال مندوب المجلة نقلاً عن ميرغني حمزة: «عندما انطلق الرصاص، أصابته شظايا الزجاج المكسور، ولم يشعر بالإصابة إلا حينما رأى الدم يغطي يده كلها، وحاول الانسحاب بهدوء، ولكن الدم السائل لفت نظر الجميع فهرع الجميع إليه ونقلوه إلى مستشفى المواساة ».

وقال مندوب المجلة نقلاً عن أحمد بدر الدين (المصاب الثاني): « أصابته رصاصتان، واحدة في أصبعه والثانية في جنبه ».

وتحت عنوان دعائي يستغل ضعف وطفولة ابن المتهم « الابن يستنكر جريمة الأب » كتب محرر المجلة:

اسمه عبد اللطيف محمود عبد اللطيف «٩ سنوات»، هو الابن الأكبر للجاني، قال لمندوب « المصور »:

« أنا كنت باسمع الراديو بالليل، وكان جمال عبد الناصر بيخطب، وبعدين سمعت ضرب الرصاص، فعيطت لأني افتكرت إنه جراله حاجة، وبعدين سمعته بيقول: أنا جمال عبد الناصر، فبطلت عياط، وصفقت من الفرح لما عرفت أن الرصاص مجاش فيه ».

وسكت الطفل ولمعت عيناه وكأنه اهتدى إلى شيء مثير وقال للمندوب:

« اسمع أن عايز أروح لجمال عبد الناصر أبوسه وأقول له مبروك عشان الرصاص ما جاش فيه ».

ـ فقال المندوب: « إنه مشغول وقد لا يستطيع أن يراك ».

ـ فقال الطفل: « طيب استني لما أكتب لك جواب تديهوله ».

.. وكتب الطفل هذا الخطاب:

« أنا عبد اللطيف محمود عبد اللطيف محمد زعلان من بابا عشان هو ضرب جمال عبد الناصر بالرصاص، وإنه مبسوط خالص عشان ربنا سلم ومفيش حاجة حصلت لجمال عبد الناصر.

توقيع: عبد اللطيف محمود عبد اللطيف ـ بتاريخ: ٢٧ ـ ١٠ ـ ١٩٥٤»*

والتقت المجلة والد المتهم والسيدة والدته هدية محمد يوسف، والسيدة حماته نعيمة خليل والسيدة زوجته ونقلت عنهم أحزانهم وإدانتهم للحادث.

وأصبح عبد الناصر بطلاً شعبيًا، واصطفت الجماهير على محطات السكة الحديد في طريق عودته من الإسكندرية لتحيته والهتاف له، ولم يعد لمعاهدة الجلاء ذكر، وأصبح محور حديث المنتديات شجاعة عبد الناصر والإطراء على أفعاله، والإشادة بإنجازاته، وانسحب الحديث عن عوار بعض بنودها إلى هامش النسيان!!

ما لم تذكره الصحف:

لكن ما لم تذكره الصحف أن شعورا بالاستياء عمَّ جماهير الإسكندرية قبل إلقاء عبد الناصر خطابه، امتزجت فيه مشاعر الغضب والسخط ضد اتفاقية الجلاء مع بريطانيا، التي عارضتها كل القوى السياسية في مصر لثلاثة أسباب:

١ ـ السماح للقوات البريطانية بالعودة للقناة في حالة الهجوم على تركيا، عضو حلف الأطلنطي، وهو الأمر الذي يجعل مصر ترتبط عمليًا بالأحلاف، ويعطي الحق لإنجلترا للعودة إلى القناة.

٢ ـ الموافقة على بقاء الفنيين البريطانيين في القاعدة (١٢٠٠ فني) دون خضوع لسلطة الحكومة المصرية، ويتم انسحابهم بعد ٧ سنوات من القاعدة، وتصبح المخازن وكل ما بالقاعدة ملكًا لمصر، وهو الأمر الذي رآه البعض إضعافا للسيادة المصرية على أراضيها، واحتلالا جديدا في صورة مختلفة.

٣ ـ أن الاتفاقية لم تعرض على الشعب في استفتاء عام.

وقد انسحب هذا السخط على عبد الناصر الذي وقعها، وضد نظام الحكم الاستبدادي الذي شرع في إرساء قواعده وما ظهر لاحقا من التفريط بالسودان مقابل ما سمي بمعاهدة الجلاء.

وزاد المناخ العام سوءًا بعد انتشار أخبار عن لقاءات تمت بين عبد الناصر وبن جوريون وبصحبته إيجال ألون على إحدى القطع البحرية في عرض البحر الأحمر قرب مضيق العقبة، وأنه يرتب لبيع قضية فلسطين كما باع مصر.

وعندما أقيم سرادق الاحتفال في ميدان المنشية، احتلته جماهير الإسكندرية، وأخذت هتافاتها تتعالى بالحرية وسقوط الظلم، كانت تقارير البوليس الحربي تدل على الشعور المعادي الذي يسود الإسكندرية.. وتختلف الأقوال في جو سرادق الاحتفال، فبينما يقول إبراهيم الطحاوي سكرتير عام مساعد هيئة التحرير إن رجال الجيش الوطني ـ تحت قيادة اللواء عبد الفتاح فؤاد ـ الذين حضروا إلى السرادق كانوا يهتفون هتافات خاصة بهم لا يذكرون فيها اسم جمال عبد الناصر.. ويقول حسين عرفة رئيس المباحث الجنائية العسكرية إن جماهير الإسكندرية التي احتلت السرادق تعالى هتافها ضد الظلم ومن أجل الحرية.

ويضيف إبراهيم الطحاوي أن رجال الحرس الوطني قد افتعلوا ضجيجًا متعمدًا في السرادق عندما حضر الوفد السوداني معتقدين أنه موكب عبد الناصر، مما اضطر حسين عرفة إلى إخلاء السرادق من هذه الجماهير في الخامسة مساء، وإعادة ملئه من جديد بجماهير مأجورة تتكون من ١٠ آلاف من عمال مديرية التحرير الموالية.

وكانت هذه الجماهير هي التي دخل محمود عبد اللطيف من بينها ليجلس في الصفوف الأمامية (خلسة أو بترتيب من المنظمين) على بعد عشرين مترا من منصة الخطباء والضيوف، وأطلق منها الرصاص على جمال عبد الناصر.

العلاقة بين عبد اللطيف والبكباشي «عــبده»:

لم يكن ارتباط اسم محمود عبد اللطيف باسم جمال عبد الناصر وليد لحظة الإعلان عن حادثة إطلاق الرصاص في المنشية، فالعلاقة بين الرجلين تسبق هذا اليوم وهذه الحادثة بسنوات، فعندما جند قائد الجناح عبد المنعم عبد الرؤوف محمود عبد اللطيف (براد بشركة شندلر للمصاعد الكهربائية) في النظام الخاص عهد بتدريبه على السلاح وإعداد المتفجرات إلى البكباشي عبده، والبكباشي عبده هو اختصار للاسم الحركي للبكباشي عبد القادر زغلول الذي اتخذه جمال عبد الناصر لنفسه وعرف به تنظيميًا.

في ديسمبر سنة ١٩٥١ طلب جمال عبد الناصر (البكباشي عبد القادر زغلول) من النظام الخاص أن يقدم له شاباً من الإخوان فدائياً ميت القلب ليقوم بعملية خطيرة في بور سعيد.. فتم تقديم محمود عبد اللطيف.

ـ سافر محمود عبد اللطيف إلى بور سعيد.. وهناك تم إعطاؤه مبلغ عشرة جنيهات، وتكليفه بالبحث عن عمل في أحد معسكرات الجيش الانجليزي، لأن المهمة المكلف بها هي تسميم الجنود البريطانيين في معسكر بور سعيد بوضع السم في اللحوم المخزنة بالثلاجات..!!

وبعد ١٥ يومًا أمضاها محمود عبد اللطيف في بورسعيد لم يوفق خلالها في الالتحاق بالعمل المطلوب، تم إبلاغه بإلغاء المهمة والعودة إلى القاهرة.

عاد عبد اللطيف ليجد نفسه وقد أصبح بلا عمل بعد أن فصلته شركة شندلر لتجاوزه مدة الغياب المسموح بها، فافتتح دكانًا في إمبابة، لكن بعد اقتحام منزل المرشد وقطع سلك التليفون ومحاولة إجباره على كتابة استقالته في يوم الجمعة ١١ ديسمبر عام ١٩٥٣، تم تكليفه بافتتاح محل في منيل الروضة في عمارة مواجهه لمنزل حسن الهضيبي وعهد إليه بحراسة المرشد، ومراقبة التحركات المريبة حول مسكنه، والإبلاغ عنها، فالدكان لم يكن سوى مجرد ساتر لتنفيذ عمل من أعمال الجماعة، وبعد فترة طُلب منه إغلاق الدكان والعودة إلى البحث عن دكانه القديم في منطقة سكنه بإمبابة، وهو الدكان الذي داهمته الشرطة ليلة الحادث!!

«موريس» والأسطى ملكـــون ملكـــونيان:

لم يكن الجاسوس جمال عبد الناصر «نبتة إخوانية » خالصة؛ فقد كان أيضا عضوا في مجموعة حدتو الشيوعية التي يشكل اليهود اغلب عناصرها، واتخذ لنفسه اسمًا حركيا (موريس)، وكانت حدتو تطبع منشورات الضباط الأحرار وترسلها إليه مع شاب أرمني عضو في حدتو اسمه ملكون ملكونيان ويعمل فني إصلاح راديوهات في شارع المنيل.

وكان قسم الجيش في حدتو يضم بعض الضباط الذين اشتركوا في حركة الجيش مثل البكباشي يوسف صديق واليوزباشي خالد محيي الدين واليوزباشي أحمد حمروش واليوزباشي مهندس أحمد جمال علام والملازم أول آمال المرصفي.

وقبل انقلاب ٢٣ يوليو أخطر عبد الناصر حدتو بموعده عن طريق أحمد حمروش لكنهم لم يفعلوا شيئًا، ولم يعلموا بنجاح الحركة إلا من الراديو بعد إذاعة البيان الأول في الساعة السابعة والنصف من صباح ٢٣ يوليو!!

بعد انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢ شاهد ملكون ملكونيان صور موريس تملأ الصحف، وأيقن أنه أسهم تاريخيًا في إنجاح الانقلاب، لكن زهوه لم يدم طويلاً، فما لبث أن قبض عليه مع زملائه المسئولين عن طبع المنشورات، وحكم عليه بالسجن خمس سنوات قضاها كاملة.

وقد قال لي الأستاذ مصطفى طيبة نائب رئيس تحرير الأخبار وعضو حدتو: « كان موريس يحضر معنا الاجتماعات وكان صامتًا لا يتحدث أبدا، ولكني لاحظت أنه يسترق النظرات إلى الآخرين، ولم أعرف أن اسمه الحقيقي هو عبد الناصر، وأنه مسلم إلا بعد نشر صوره في الصحف بعد انقلاب يوليو، بعدها سجننا جميعًا في المحاريق بتهمة مناهضة الثورة في الأول من يناير عام ١٩٥٩ حتى أفرج عنا في ٤ إبريل ١٩٦٤عام بمناسبة زيارة خرشوف لمصر».

ج- إشكالية الصراع على السلطة بين عبد الناصــر والإخــوان:

بعد قيام الملك فاروق بحل مجلس إدارة نادي الضباط في ١٧ يوليو ١٩٥٢ التقى عبد الناصر بجماعة الإخوان المسلمين في اليوم التالي في منزل عبد القادر حلمي في الحادية عشرة مساء، وحضر اللقاء كمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر ومن الإخوان حسن العشماوي وصالح أبو رقيق.

وفي هذا الاجتماع قال عبد الناصر: إن أسماء قيادات الضباط الأحرار أصبحت معروفة للبوليس السياسي، ونظرا لذلك فإنه قرر الإسراع بالتحرك خلال عشرة أيام، وإن الأمر يقتضي أن يتعاون الإخوان معه. وطلب منهم رأي المرشد العام المستشار حسن الهضيبي، وكان بالإسكندرية.. فقالوا له سيكون الرد جاهزا خلال ٤٨ ساعة أي في يوم ٢٠ يوليو.

وفي الموعد المحدد التقى ناصر بصلاح شادي ولم يكن وفد الإخوان الذي ذهب للإسكندرية لمعرفة رأي المرشد العام قد عاد بعد فتأجل اللقاء إلى اليوم التالي «٢١ يوليو». . وعرف عبد الناصر أن شروط المرشد تتلخص في:

١ ـ تطبيق الشريعة الإسلامية

٢ ـ المشاركة الكاملة بين الإخوان والضباط الأحرار في الانقلاب والمسئولية إزاءه والتعاون في تنفيذه بعد نجاحه.

وفور سماع عبد الناصر شروط المرشد انتحى بصلاح شادي جانبا وأشهدا الله على عهدهما القديم بقراءة الفاتحة، وأن الحكم سيكون بكتاب الله إذا نجحت الحركة في الاستيلاء على السلطة في الدولة.

وبناء على هذا التفاهم واطمئنان كل فريق للآخر قام جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين بإبلاغ كل من حسن العشماوي وصالح أبو رقيق «عضوي مكتب الإرشاد» بموعد تحرك الضباط الأحرار.

ومع الساعات الأولى من صباح ٢٣ يوليو انتشرت كتائب الإخوان على طول طريقي السويس - القاهرة والإسماعيلية ـ القاهرة وفي منطقة قناة السويس لمراقبة تحركات القوات البريطانية والتصدي لها، إذا ما تحركت ضد الانقلاب، وقام الإخوان بحراسة المنشآت العامة والسفارات وأماكن العبادة.

وتم استدعاء حسن العشماوي إلى مقر قيادة الحركة في كوبري القبة وطلب منه أن يتصل بالمرشد العام في الإسكندرية لإصدار بيان بتأييد الثورة لكن المرشد لم يفعل شيئا وظل بالإسكندرية، ولم يحضر للقاهرة إلا بعد مغادرة الملك البلاد.

وفي يوم ١٩٥٢/٧/٢٧ أصدر الهضيبي البيان التالي، ونشر بمجلة الدعوة الأسبوعية عدد ٧٦- بتاريخ ١٩٥٢/٧/٢٩ وجاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وبعد.. في الوقت الذي تستقبل البلاد فيه مرحلة حاسمة من تاريخها بفضل هذه الحركة المباركة التي قام بها جيش مصر العظيم، أهيب بالإخوان المسلمين في أنحاء الوادي أن يستشعروا ما يلقى عليهم الوطن من تبعات في إقرار الأمن وإشاعة الطمأنينة، وأخذ السبيل على الناكثين ودعاة الفتنة، ووقاية هذه النهضة الصادقة من أن تمس روعتها وجلالها بأقل أذى أو تشويه، وذلك بأن يستهدفوا على الدوام مثلهم العليا، وأن يكونوا على تمام الأهبة لمواجهة كل احتمال.

والإخوان المسلمون بطبيعة دعوتهم خير سند لهذه الحركة يظاهرونها، ويشدون أزرها حتى تبلغ مداها من الإصلاح، وتحقق للبلاد ما تصبو إليه من عزة وإسعاد.

وإن حالة الأمن لتتطلب منكم بوجه خاص أعينًا ساهرة ويقظة دائمة؛ فلقد أعدتكم دعوتكم الكريمة رجالاً يُعرفون عند الشدة، ويلبون عند أول دعوة، فكونوا عند العهد بكم، والله معكم.

وستجتمع الهيئة التأسيسية في نهاية هذا الأسبوع بإذن الله لتقرر رأي الإخوان فيما يجب أن تقترن به هذه النهضة المباركة من خطوات الإصلاح الشامل ليدرك بها الوطن آماله، ويستكمل بها مجده.. (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحج: ٤٠)، والله أكبر ولله الحمد».

المرشد العام المستشار حسن الهضيبي:

وفي يوم ٣٠ يوليو الساعة السابعة صباحا تم اللقاء بين المرشد وعبد الناصر لأول مرة في منزل صالح أبو رقيق لقربه من مقر القيادة العامة للجيش، وقد دار الحديث بينهما من منطلق ما اتفق عليه عبد الناصر مع الإخوان قبل قيام الحركة، غير أن عبد الناصر بدأ يتنصل شيئا فشيئًا من بعض الالتزامات التي تقتضيها المشاركة المتفق عليها بصفتهم شركاء في المسئولية، وقال عبارته:

«أنا لم أتعهد لأحد بشيء»، وهنا وجه المرشد حديثه لحسن العشماوي متسائلا بتعجب:

« ألم تتفقوا على المشاركة يا حسن؟!! » فأجاب: نعم اتفقنا. وهنا ظهر على المرشد عدم الارتياح أو الاطمئنان، لدرجة أنه لم يشارك في الحديث حتى نهاية الجلسة التي دامت حوالي الساعتين. بعد أن انصرف عبد الناصر قال الهضيبي للحاضرين: «هذا الرجل لا

خير فيه. »، وبدأت حالة من الود المفقود بين الرجلين فالهضيبي لا يأمن جانب عبد الناصر وعبد الناصر يشكو لزملائه الضباط من أن الهضيبي يتعالى عليه ويعامله باحتقار.. وازدراء.. وأنه يذهب إلى اجتماعاته مضطرًا وأنه لا يطيقه.

.. ومنذ ذلك اليوم بدأ الخلاف بين الضباط أعضاء مجلس قيادة الانقلاب الذين كانوا يطالبون بإقامة الجمهورية، وبين الإخوان المسلمون الذين طالبوا بإلغاء الملكية وإعلان الخلافة الإسلامية فورًا، ارتأى البعض من الفقهاء الدستوريين أن الدستور مازال قائمًا رغم استبدال ملك بملك، ورغم عنصر القهر الذي لازم ذلك التغيير لشخص الجالس على العرش.

.. ولكن تحت تأثير الخوف من الضباط أصدر قسم الرأي بمجلس الدولة برئاسة السنهوري فتوى تنص على أنه:

« في حالة نزول الملك عن العرش وانتقال وصاية الملك إلى خلف قاصر يجوز لمجلس الوزراء، إذا كان مجلس النواب منحلاً، وأن يؤلف هيئة للعرش من ثلاثة تتولى بعد حلف اليمين أمام مجلس الوزراء سلطة الملك إلى أن تتولى هيئة الوصاية الدائمة »، واستمسك علي ماهر بتلك الفتوى، ولم يعترض عليها سوى الدكتور وحيد رأفت الذي أصر على دعوة البرلمان المنحل للانعقاد وقبل مضي المدة الدستورية (عشرة أيام من تنازل الملك)، وبدأت مصر مرحلة تكييف القوانين (ترزية القوانين) لتتلاءم مع رغبات الحكام الجدد تحت تأثير الخوف منهم التي انتهت إلى هاوية اللا قانون.

وقد أصدر سليمان حافظ نائب رئيس مجلس الدولة العديد من الفتاوى بخروقات قانونية بعد الاعتداء على السنهوري واعتكافه في منزله.

ومع ذلك فكرت حركة الجيش في تعيين وزيرين في وزارة محمد نجيب، ورشح الهضيبي الشيخ أحمد حسن الباقوري، وأحمد حسني وكيل وزارة العدل، ومحمد كمال الدين محافظ الإسكندرية، وبعد أن تم الاتصال بالأول والثاني، أبلغ جمال عبد الناصر سليمان حافظ الذي أسهم بقدر كبير في تشكيل الوزارة أن حسن العشماوي ومنير الدلة قد حضرا موفدين من المرشد العام ليبلغاه اختيار الإخوان قد وقع عليهما ليمثلاهم في الوزارة، وأن الترشيح الأول كان شخصيًا من الهضيبي وليس من مكتب الإرشاد.

كان الاعتذار للباقوري وأحمد حسنى بعد تبلغيهما صعبًا، كما أن رأي سليمان حافظ في عشماوي والدلة كان أنهما شباب أكثر مما ينبغي، وكان رد فعل الجماعة فصل الباقوري من مكتب الإرشاد!!

ومع ذلك استمرت العلاقة طيبة بين الحركة وجماعة الإخوان وخاصة بعد الإفراج بعفو خاص في ١١ أكتوبر ١٩٥٢ عن قتلة الخازندار ومحمود فهمي النقراشي، ثم صدر قرار بعد ذلك بمرسوم بالعفو الشامل عن الجرائم السياسية التي وقعت في المدة من توقيع معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ إلى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وقد بلغ عددهم ٩٣٤ واستثني من العفو المحكوم عليهم في قضايا شيوعية باعتبار الشيوعية جريمة اقتصادية واجتماعية وفقًا لـ «التخريجة » القانونية التي أعدها سليمان حافظ!!

واستمرت العلاقة الطيبة بين الحركة والجماعة أثناء الصدام مع الأحزاب، فقد كانت الجماعة دائما ضد الأحزاب والحزبية، لأن ذلك في نهايته يعني خلو الساحة لهم وحدهم.

لكن بعض تصرفات الحركة لم تجد قبولاً لدى الإخوان، كما أن بعض تصرفات الإخوان لم تجد ترحيبًا من جانب مجلس قيادة الحركة، كانت حربًا غير معلنة، لا الإخوان المسلمون يصارحون بالعداء جهاراً ولا مجلس قيادة الحركة يهاجم الإخوان، حتى أصدر مجلس قيادة الحركة بيانا في ١٤ يناير ١٩٥٤ بحل جماعة الإخوان المسلمين وبه الاتهامات الآتية:

١ ـ التقاعس في تأييد المرشد العام للحركة إلا بعد خروج الملك.

٢ ـ عدم تأييد قانون الإصلاح الزراعي والمطالبة برفع الحد الأقصى للملكية إلى ٥٠٠ فدان.

٣ ـ محاولة فرض الوصاية على الحركة بعد حل الأحزاب.

٤ ـ اتخاذ موقف المعارضة من هيئة التحرير.

٥ ـ بدء التسرب إلى ضباط الجيش والبوليس وتشكيل وحدات تحت إشراف المرشد.

٦ ـ تشكيل جهاز سري بعد حل الجهاز السري الذي كان يشرف عليه عبد الرحمن السندي.

٧ ـ حدوث اتصال عن طريق الدكتور محمد سالم الموظف في شركة النقل والهندسة بين مستر ايفانز المستشار الشرقي للسفارة البريطانية في مايو ١٩٥٣ مع منير الدلة وصالح أبو رقيق ثم مع حسن الهضيبي بعد ذلك.

٨ ـ زيارة حسن العشماوي يوم الأحد ١٠ يناير لمستر كريزويل الوزير البريطاني المفوض.

وتزامن صدور البيان مع اعتقال حسن الهضيبي و٤٥٠ عضوا بالجماعة في القاهرة والأقاليم.

وبعد أحداث مارس ١٩٥٤، اكتشف الطرفان أن الصدام بينهما جاء في وقت مبكر وغير مناسب للطرفين لأن خطرًا مشتركا كان يهددهما؛ فتم الإفراج عن الهضيبي في ٢٥ مارس ١٩٥٤، وذهب جمال عبد الناصر لزيارته في منزله وفي صباح اليوم التالي نشرت الصحف:

أنه تقرر الإفراج عن جميع الإخوان، وأن الإخوان استأنفوا نشاطهم وعقدوا اجتماعا مع المرشد العام لجماعتهم الذي أعلن:

« أننا الآن أقوى مما كنا!! »

.. وظل الصراع بين الجانبين مكتوما، فالضباط يتهمون الإخوان عبر الصحف الموالية لهم بالاتصال بجهات أجنبية من وراء ظهرهم وإنشاء جهاز سري مسلح، والإخوان ينشرون بين الناس عبر جهاز شائعاتهم أن عبد الناصر خائن مرتد وناقض للبيعة والعهد ويحكم بنظام لا إسلامي.

وأصبحت كل الدلائل تشير إلى حتمية الصدام بين الحركة والجماعة والذي بلغ مداه في حادث المنشية.

تحييد النظام الخاص:

منذ عام ١٩٤٩ أحكم عبد الناصر قبضته على النظام الخاص للإخوان داخل الجيش، وبعد وفاة الصاغ محمود لبيب أصبح عبد الناصر قائده بعد أن استدعاه الصاغ محمود لبيب (قائد التنظيم) أثناء مرضه إلى منزله بالظاهر وسلمه مذكرة بأسماء الضباط الذين يشملهم التنظيم السري والمبالغ المتبقية من الاشتراكات (قيمة الاشتراك للعضو ٥٠ قرشًا شهريًا) بسبب غياب عبد المنعم عبد الرؤوف وأنور السادات عن القاهرة لنقلهما إلى سيناء.

وفي عام ١٩٥٠ قرر عبد الناصر إعادة التنظيم السري لضباط الجيش والذي بدأه قائد الجناح عبد المنعم عبد الرؤوف والصاغ محمود لبيب عام ١٩٤٤ وتوقف عام ١٩٤٨ بسبب حرب فلسطين، وضم إليه عناصر أخرى من غير تنظيم الضباط الإخوان، وخاصة الضباط الذين حوصروا في الفالوجة مستغلاً حالة المرارة التي خلفتها الهزيمة والحصار في نفوسهم وغيرهم من الضباط ممن يلمس فيهم الشجاعة والكتمان.

وهو ما يعني أن تنظيم الضباط الأحرار تكوّن في غالبه في رحم النظام الخاص لجماعة الإخوان المسلمين.*(٥)، وكان أغلبهم أيضا أعضاء في الحرس الحديدي؛ حتى أن عبد المنعم عبد الرؤوف منشئ جناح الإخوان داخل الجيش كان شخصية محيرة وشديدة الغموض، فقد كان وثيق الصلة بالإخوان، وثيق الصلة بعبد الناصر ووثيق الصلة بعزيز المصري (عضو المحفل الماسوني)، وهو همزة الوصل مع القصر الملكي وتحديدًا يوسف رشاد.

واستطاع عبد الناصر أن يجتذب إليه عبد الرحمن السندي رئيس الجهاز السرى، والذي كان على خلاف مع حسن الهضيبي والشيخ سيد سابق منشئ الجهاز السري؛ واستطاع السندي أن يستقطب عددًا من الإخوان من أعضاء مكتب الإرشاد ومن الجهاز السري ومن الشعب لصالح عبد الناصر، وبذلك ضمن تأييد عبد الناصر النظام السري المدني للإخوان وأحكم قبضته عليه بعد أن توطدت أواصر الصداقة والثقة بين السندي وعبد الناصر فهم بلديات، فالسندي أسيوطي من «بني فهد» وعبد الناصر أسيوطي من «بني مر». . ولذلك لم يعتقل عبد الرحمن السندي في عام ١٩٥٤ ولم يدخل سجون عبد الناصر الذي عينه في وظيفة كبيرة في شركة شل للبترول ومنحه فيلا فخمة مزودة بكل وسائل الراحة في مدينة الإسماعيلية.

وكذلك كان أعوان السندي كلهم خارج السجون، بل إن عبد الناصر قد قبل وساطته فيمن طلب منه الأمان لهم من أعوانه ورجاله المقربين من أفراد الجماعة وعينهم في وظائف حكومية بمرتبات مجزية.

وبعد أن استنفد عبد الناصر أغراضه من السندي، صار السندي « كارت محروق » للجميع حتى توفاه الله في ٢٩ يوليو ١٩٦٢ عن واحد وأربعين عامًا في شقة بشارع سليمان جوهر بالدقي.

اختراق الجماعة:

.. ولم يكن أمام عبد الناصر إلا استكمال اللعبة المعروفة وهي اختراق صفوف الإخوان ومحاولة تعميق التناقضات الموجودة بينهم، وتفجيرهم من الداخل، وقد أسهم في ذلك من جانب الحركة الشيخ الباقوري وصالح عشماوي وعبد الرحمن البنا شقيق حسن البنا بالتعاون مع إبراهيم الطحاوي سكرتير هيئة التحرير، وساعد في هذا تعميق التناقضات الداخلية بين الإخوان التي بلغت حد الانفصال والمواجهة وتمزيق الجماعة من الداخل، وانقسم الإخوان إلى مجموعتين تتنازعان الانتماء للجماعة وتعلن أنها الإخوان المسلمون: مجموعة الهضيبي قيادة الجماعة، ومجموعة صالح العشماوي المطرودة من

الجماعة، وانقسمت مجموعة الهضيبي داخليًا إلى مجموعتين: مجموعة متطرفة بقيادة الهضيبي نفسه، ويساندها الجهاز السري، ومجموعة محمد خميس حميدة التي لا تحظى بتأييد الجهاز السري، وكان عبد الناصر يستغل بذكاء الانقسام فيضرب مجموعة صالح العشماوي المؤيدة له بالمجموعتين الأخريين ويجمع أطراف الموقف لصالحه.

وقد بلغ التناحر ذروته عندما قرر الهضيبي تصفية الجهاز السري الذي كان موجودا في عهد حسن البنا برئاسة عبد الرحمن السندي الموالي لعبد الناصر، وإنشاء جهاز سري جديد موالٍ له بقيادة يوسف طلعت، فكانت تنحية عبد الرحمن السندي هزيمة للفريق المتعاون مع عبد الناصر وانتصارا لفريق الهضيبي الموالي لفكرة الوصاية على انقلاب ٢٣ يوليو، ولكن بعد فترة تبين أن الهضيبي يقوم بتكوين جهاز جديد آخر من أنصاره بعد أن استطاع أن يضم إليه المهندس سيد فايز وهو الرجل الثاني في التنظيم، لكن تم اغتيال المهندس السيد فايز في يوم ١٩ نوفمبر ١٩٥٣ أي في اليوم الذي كان مقررًا أن يتسلم تفاصيل وبيانات الجهاز بواسطة صندوق من حلوى المولد مملوء ديناميت وصل إلى منزله على أنه هدية بمناسبة المولد النبوي وقتل معه شقيقه الصغير ٩ سنوات وطفلة صغيرة تصادف مرورها أسفل شرفة المنزل التي سقطت نتيجة الانفجار.

وقد اتهم في قتله أفراد النظام الخاص، وحصر الاتهام في أحمد عادل كمال أحد أفراد النظام الخاص القديم وقتئذ، وهو ما كان ينذر باقتتال بين أفراد الجماعة، ولكن محمد حامد أبو النصر المرشد الرابع للإخوان كتب في مذكراته أن الذي قتل سيد فايز هو أنور السادات.

وتصاعدت وتيرة الأحداث باحتلال المركز العام واقتحام بيت المرشد بمعرفة بعض أعضاء الجماعة الموالين للسندي وبتدبير من عبد الناصر ومحاولة إجباره على الاستقالة**!!**

.. ولم يكن عبد الناصر بعيدًا عن هذه الأفعال التي تهدف إلى إثارة الفرقة وزرع الفتن بين أفراد الجماعة وإنهاك مرشدها قبل أن يوجه لها ضربته القاصمة.

وهو ما يجعل البعض يعتقد أن محاولة اغتيال عبد الناصر تم رصدها من البداية، وأن عبد الناصر قد رتب لهذا الأمر ترتيبًا جيدا بما لديه من قدرة على اختراق صفوف الإخوان، وأن هذا الترتيب يتفق مع عقلية جمال عبد الناصر الذي كان على علم بنوايا الإخوان وخططهم، فبادر بتنفيذها لكن بترتيبه وتحت سيطرته**!!**

د. الاخوان لا يتعلمون من التاريخ:

بين عام ١٩٥٢ وعام ٢٠١١ حوالي ستين عام لكن الاخوان من الجماعات التي لا تتعلم من دروس التاريخ فهم غدروا بالملك فاروق وشجعوا الانقلاب العسكري عام ١٩٥٢ واستغلهم العسكر لفترة ثم تخلصوا منهم واعدموا قيادتهم وبعد ٦٠ سنة نجح الشعب المصري في التخلص من حسني مبارك في ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وكان هناك امل بالتخلص من حكم العسكر لكن غباء الاخوان وطمعهم للسلطة جعلهم يقفون بجانب المجلس العسكري الذي نصبه مبارك قبل تنحيه لأشغال منصب رئيس الجمهورية طمعا بالسلطة التي سلمهم اياها العسكر طبعا بانتخابات نزيهة لكن كانت نتيجتها معروفة وهي فوز الاخوان ليطيح بعدها في اقل من سنة العسكر برئيسهم محمد مرسي انقلاب ٣ يوليو ٢٠١٣ مستغلين فقدان الاخوان شعبيتهم نتيجة عدم خبرتهم وعدم تسليم العسكر المتحكمين بالسلطة عبر اجهزة الدولة العميقة سلطة فعلية للإخوان لتعود مصر مرة اخرى لحكم العسكر وينتهي مصير الاخوان بين مقتول ومطارد ومسجون حالهم حال كل من يطالب بالحرية والديمقراطية وليكون السيسي دكتاتور عسكري جديد على صدور الشعب المصري .

٨. المعونة الامريكية لانقلاب يوليو ١٩٥٢:

ربما لم يسمع الكثيرين وخاصة المخدوعين بعبد الناصر عدو امريكا والغرب عام ١٩٥٣ وهو العام الذى بدأت فيه مصر تستقبل المعونة الأمريكية وحتى اليوم وطوال هذه الفترة التي تقارب نحو اكثر من ٦٥عاما لم تستطع مصر الفكاك من الفخ الأمريكي الذى وقعت فيه مصر طوال مدد رئاسة عبدالناصر والسادات وأخيرا حسنى مبارك وبعد مبارك الى اليوم لكن ايضا مرت المعونة بفترات انقطاع خلال هذه المدة.

بدأت المساعدات الأمريكية مع بدايات عام ١٩٥٣ من القرن الماضي وهى السنة التي تلت انقلاب يوليو حيث قدمت أمريكا شحنات القمح بحجة دوافع انسانية في ظاهرها ودعم عبدالناصر في باطنها ولم يكد يحل عام ٥٦ حتى بلغت كميات المعونة نحو ١٩ مليون دولار.. وفى هذا العام جمدت الولايات المتحدة مساعداتها الاقتصادية لمصر عقابًا على قرار عبدالناصر بتأميم قناة السويس الذى جاء كرد فعل لقيام الولايات المتحدة بسحب عرضها لتمويل السد العالي. ثم بدأت العلاقات المصرية - الأمريكية تتحسن بعد عامين من حرب السويس حيث رأى الرئيس ايزنهاور أن الفرصة جيدة لإعادة وصل ما انقطع مع النظام المصري ووقع ثلاث اتفاقيات تحت مظلة القانون «٤٨٠» بقيمة ١٦٤ مليون دولار وفى فبراير عام ١٩٦٢ طلب عبدالناصر مساعدة أمريكا في تنفيذ خطة التنمية الاقتصادية واستجاب الرئيس جون كيندي وأرسل إلى مصر وفدا برئاسة الاقتصادي

البارز ادوارد ماسون الذى أوصى باستمرار المساعدات تفاديا لزيادة الاعتماد المصري على الاتحاد السوفيتي وكذا زيادة التوجه نحو الكتلة الشرقية وبناء على توصية ماسون قرر كيندي تقديم مساعدات لمصر بقيمة ٣٩٠ مليون دولار رغم معارضة الكونجرس الأمريكي.

ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن حيث توقفت المعونة مرة أخرى عقابا لمصر بسبب قرار عبدالناصر بإرسال قوات مصرية إلى اليمن لدعم الثورة اليمنية التي أطاحت بالنظام الملكي الموالي للمملكة العربية السعودية.. إذ اعتبرت الولايات المتحدة تدخل مصر في اليمن ضغطًا على السعودية الحليف الاستراتيجي لها بالمنطقة وربما مجاملة للسعودية تم ايقاف المعونة.

ورغم أن «بادو» السفير الأمريكي بالقاهرة حذر في رسالة بعث بها إلى الرئيس الأمريكي من التأثير السلبى لوقف المعونة على المصالح الأمريكية والغرب عموما في الممرات البرية والجوية لمنابع البترول وقال في رسالته إن وقف المساعدات لن يساعد على اعتدال السياسة المصرية واختتم رسالته بقوله: أن المقصلة لا يمكن استخدامها سوى مرة واحدة، وظلت المساعدات الأمريكية متوقفة بناء على تعليمات جونسون وكانت بسبب تأييد مصر لثوار الكونغو في هذه المرة كتعبير عن استياء الولايات المتحدة.

وفى سبتمبر عام ١٩٦٤ أبدى عبدالناصر رغبته في تجديد اتفاقية القانون ٤٨٠ غير أن المظاهرات المصرية التي اندلعت في نوفمبر من نفس العام ضد الأمريكان احتجاجا على مقتل الزعيم الكونغولي بياتريس لومبوما وأعقبها اسقاط طائرة أمريكية فور اقترابها من إحدى القواعد العسكرية بساحل الإسكندرية الشمالي أدت إلى تجاهل طلب عبدالناصر خاصة أن المظاهرات اسفرت عن حرق المكتبة الأمريكية بالقاهرة.

وعندها اعتبرت أمريكا أن طلب عبدالناصر فرصة للضغط عليه وبعد أن علم عبدالناصر بموقف أمريكا وجه خطابا يوم ٢٣ ديسمبر من نفس العام قال فيه:

هو إذا كان الأمريكان بيفهموا أنهم بيدونا المعونة عشان ييجوا يتحكموا فينا ويتحكموا في سياستنا أنا بقول لهم احنا متأسفين احنا مستعدين نقلل من استهلاكنا فى بعض حاجات ونحافظ على استقلالنا استقلال خالص وإذا كان سلوكنا مش عاجبهم أنا باقول اللي سلوكنا مش عاجبه يشرب من البحر في محاولة عبد الناصر كسب شعبية ومزيد من خداع الجماهير حيث انه كعميل امريكي استفاد سنوات من المعونة وعند انقطاعها اراد ان يخدع الجماهير بتمثيلية من اخراج هيكل.

وضغط الكونجرس خلال الاشهر الأولى من عام ١٩٦٥ لإصدار قانون بالوقف الكامل لمساعدات الغذاء في مصر نظراً لقيامها بأعمال عدوانية ضد الولايات المتحدة وأصدقائها وترك الكونجرس حرية تقدير الأعمال العدوانية للرئيس الأمريكي وفى ابريل عام ١٩٦٥ حاولت الولايات المتحدة إعادة المياه إلى مجاريها مع مصر بعدما توقفت شحنات السلاح إلى الكونغو وتوقيع اتفاقية وقف اطلاق النار في اليمن والتزام عبدالناصر بدفع نصف مليون دولار كتعويض عن حرق المكتبة الأمريكية وتم توقيع اتفاقيتين تمنح بموجبها أمريكا ٦٥ مليون دولار لمصر في شكل معونات سرعان ما رفضها عبدالناصر بسبب القيود المتشددة قائلاً: إن الحرية التي اشتريناها بدمائنا لن نبيعها بالقمح أو الارز لقد أوقفوا معونات القمح الأمريكية لأننا نتحدث عن إسرائيل ونفكر في انتاج الصواريخ والاسلحة الذرية في مسرحية جديدة من عبد الناصر لكسب الشعبية.

ظلت العلاقات المصرية- الأمريكية مجمدة حتى قامت حرب أكتوبر وما تخللها من نجاح لخط البترول العربي ولم تجد الولايات المتحدة مناصا من التعاون مع الرئيس أنور السادات وجاء هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية إلى مصر عام ١٩٧٤ الذى اقترح إرسال كميات من القمح إلى مصر كتعبير عن حسن النوايا، ثم بدأت مرحلة جديدة من أشكال المعونة الأمريكية التي استخدمت كأداء للنفوذ الأمريكي والتدخل السياسي يؤكد تلك الحقيقة عندما استدعى جيرالد فورد ليخلف نيكسون بعد قضية ووترجيت نصحه مستشاروه بضرورة استخدامه لسلاح المعونات وكانت هي نفس النصيحة التي قدمها وزير الخارجية كيسنجر بضرورة استخدام المساعدات كأداة فعالة في دبلوماسية الشرق الأوسط لتوقيع السلام بين مصر وإسرائيل، واعتقد انها نجحت وأسفرت عن توقيع اتفاقية كامب ديفيد واستمرت المعونة بين شد وجذب حتى يومنا هذا.

تدمير الجاسوس جمال عبد الناصر مصر من الداخل واكاذيب انجازاته:

١. فصل السودان عن مصر:

ام الكوارث لم يتحدث عنها الا القليل قبل الان فاذا كان احتلال ثلث اراضي مصر سنة ١٩٦٧ (سيناء) هو كارثة فان التخلي عن السودان التي تبلغ مساحته اضعاف مصر هي بحق ام الكوارث والغريب ان الجميع نسى من تسبب في هذا وانه اذا كان هذا هو الخطأ الوحيد ل ٢٣ يوليو فأنه كارثه تكفى لمسح جميع حسناتها اذا كان لها حسنات واسمحوا لي بمقارنة بسيطة قبل الدخول في الموضوع يحضرني مثال النزاع الحدودي بين مصر مع ايطاليا التي كانت تحتل ليبيا في بداية القرن وحيث كان اسماعيل صدقي باشا هو الذى تولى المفاوضات مع موسيليني ثم استقالت الحكومة التي كان عضوا بها فاذا بالحكومة الجديدة تستدعيه وتضع نفس الملف بين يديه لاستكمال المباحثات

في حين ان انقلاب ٢٣ يوليو لم تستشر اي من السياسيين العليمين بموضع السودان واخذوا لموضوع على عاتقهم وضاع السودان !!!!!!!!!

والسؤال الاهم لماذا تم اختيار صلاح سالم لتولى ملف السودان سيصعق الاصدقاء عندما يعرفون سبب اختياره كما صعقت انا ولد صلاح سالم سنة ١٩٢٠ في مدينة سنكات شرق السودان حيث كان والده موظفا هناك حيث امضى طفولته وتعلم في كتاتيب السودان ثم عاد الى القاهرة حيث اكمل تعليمه الابتدائي ثم الثانوي والتحق بالكلية الحربية سنة ١٩٣٨

اي آ ان كل صلته بالسودان انه ولد في احدى مدن السودان الصغيرة اثناء عمل والده بها وتعلم في كتاتيب السودان ثم جاء ليدخل المدرسة الابتدائية في مصر بعد عودة والده من عمله بالسودان

وتبدأ القصة كالاتي:

كان السودان هو الصخرة التي تحطمت عليها سائر المفاوضات المصرية الانجليزية ويذكر الجميع كلمة النحاس باشا "تقطع يدى ولا تقطع السودان " .لذا قرر رجال ٢٣ يوليو انه اذا كان لهم ان يحققوا جلاء الانجليز فيجب لكى يتحقق هذا ان يرضخوا لطلب الانجليز بالتخلي عن السودان وتم اتخاذ القرار بليل وبعيدا عن الامه او ممثلي الشعب تنفيذ للأوامر الامريكية.

ولم تلبث المفاوضات ان بدأت في القاهرة بين مصر وبريطانيا لتعديل دستور الحكم الذاتي السوداني في٢٠ نوفمبر١٩٥٢ وعندما تعثرت المفاوضات بين الوفدين بسبب العقبات التي ظهرت اقترح السفير البريطاني بالقاهرة رالف ستيفنسون علي محمد نجيب قيام الرائد صلاح سالم عضو الوفد المصري في المفاوضات بجولة في جنوب السودان

ليري بنفسها حوال الجنوب وتم لصلاح سالم بالفعل القيام بهذه الرحلة مع عدد من المرافقين في٢٨ ديسمبر١٩٥٢واستغرقت زيارته عشرة ايام كاملة وشارك صلاح قبيلة الدنكا في غابات تيمولي في رقصتهم للحرب عاريا مثلهم فيما عدا ستره لعورته وفقا لتقاليدهم وعلي الرغم من ان هذا العمل قوبل من الاهالي الجنوبيين بالسرور فإنه قوبل بالسخرية من بعض الدوائر السياسية خاصة في بريطانيا مما جعل الصحف البريطانية تطلق عليه اسم(الماجور الراقص Dancing major) و لا يدري احد ما حدث في هذه الرحلة فقد تسارعت بعدها المفاوضات واخيرا نجحت وتم للوفدين المصري والبريطاني توقيع اتفاقية الحكم الذاتي للسودان بمقر رئاسة الوزراء بالقاهرة يوم١٢ فبراير١٩٥٣.

وكان هذا اول خطوة في طريق الانفصال.

وبالنظر الى هذه الاتفاقية فأن ما رفضه جميع احزاب مصر وقال النحاس قولته الشهيرة "تقطع يدى ولا تقطع السودان "ولكن رجال ٢٣ يوليو يقطعون السودان بعد ٦ شهور فقط من وصولهم للحكم وحصلت بريطانيا من الحركة المباركة بعد ٦ شهور فقط على ما لم تستطع الحصول عليه من احزاب مصر جميعا اقلية قبل الاغلبية وهو ما يثير علامات استفهام كثيرة حول موقف انجلترا من الحركة والالتزام بعدم مساعدة الملك فاروق.

وكان صلاح سالم برغم نجاحه المرموق في المرحلة السابقة قد اتبع في السودان سياسة شديدة الخطورة وهي استخدام وسيلة توزيع الاموال والرشاوي لاجتذاب الاعوان والمؤيدين مما جعل الساحة السياسية تخلو من طائفة المؤمنين الحقيقيين بالقضية الخالدة خشية أن تلحق بهم الشكوك في تقاضيهم الرشاوي والأموال من صلاح سالم وأعوانه إذا ما أبدوا مشاعرهم علانية أو تحمسوا لقضية الاتحاد علي رءوس الاشهاد لذا لم يبق بالساحة سوي طائفة من المنتفعين والانتهازيين والمرتزقة .

ويقول رجال يوليو خاصة جمال حماد لان هذا قوله وانا انقل منه بالنص ((ومما يدعو إلي العجب أن صلاح سالم في لقائه المنفرد مع عبدالناصر في مكتبه يوم٢٥ أغسطس١٩٥٥ وبعد أن وصل مركز مصرفي السودان إلي أسوأ حال أدلي باعترافات مثيرة للغاية أمامه فقد اعترف بأن المعلومات التي كان يرسلها إليه عن السودان لم تكن تمثل الحقيقة هناك وانه أصبح كارتا محروقا بالنسبة لمصر في السودان ثم تقدم إلي عبدالناصر باقتراح ظنا منه أنه يمكن التغرير به وهو ان يسافر عبدالناصر في اليوم التالي إلي الخرطوم ليعلن بنفسه أمام البرلمان استقلال السودان وبذا يصبح هو بطل الاستقلال وفطن عبدالناصر بذكائه إلي هدف صلاح سالم من ذلك الاقتراح وهو أن يفلت من المأزق الذي يواجهه بعد انهيار سياسته في قضية السودان الى أن هذا الاقتراح كان يكفل له التنصل من فشل سياسته الخاطئة في السودان ويلقي بها على عاتق غيره ولكن عبدالناصر لم تنطل عليه هذه الحيلة وعبر لأعضاء مجلس الثورة عن سخريته من هذا الاقتراح وذكر لهم أن الأفضل له إذا ما نفذ الاقتراح ان يتوجه من الخرطوم للجوء إلي الكونغو رأسا

وعدم العودة إلي مصر حتي لا يواجه ثورة الشعب ضده.)) انتهى كلام جمال حماد وشهد شاهد من اهلها.

وغرابة هذا القول الذي يلقى باللوم على صلاح سالم ويبرئ عبد الناصر وجود ما يناقضه في تقرير من السفارة الأمريكية في السودان الى وزارة الخارجية واترككم مع التقرير .

من: السفارة الاميركية ،الخرطوم

الى: وزارة الخارجية ،واشنطن

الموضوع: السودانيون وصلاح سالم

التاريخ:١٧-٩-١٩٥٤

((اثار عزل الصاغ صلاح سالم، عضو مجلس قيادة الثورة في مصر، ووزير شئون السودان، ضجة وسط السودانيون. في جانب، عبر الازهري والقادة الاتحاديون عن قلقهم. وفي الجانب الآخر، عبر حزب الامة كان ينادى بانفصال السودان عن فرحه نحو ما يسميه العدو رقم واحد.))

وفسر كثير من السودانيين ما حدث بأنه نتيجة مشاكل بين صلاح سالم وجمال عبد الناصر، رئيس الوزراء آنذاك.

وكتب واحد من الاتحاديين ،يحيى الفضلي، وزير الشئون الاجتماعية، رأيا في جريدة الرأي العام التي تميل نحو الاتحاديين(من ينادون بالاتحاد مع مصر)، قال فيه:

((تحية لك ...انت لم تذهب. انت في اجازة. ستعود بعدها الى منصبك الرفيع، لتخدم مصر والسودان مثلما لم يخدمهما شخص غيرك ... اطلب من الشعب السوداني الوفي لصلاح سالم ان يدعو لعودته ليواصل مهمته النبيلة))

وفي اليوم التالي ،اتصل الازهري تلفونيا بجمال عبد الناصر، وسأله عن ما حدث لصلاح سالم. وقال عبد الناصران صلاح سالم مريض، وطلب اجازة للراحة والاستجمام. وان اشاعات انتشرت بوجود مشاكل بين الاثنين. ولهذا، عاد صلاح سالم الى منصبه.

وقال عبد الناصر للأزهري ان صلاح سالم يجلس الى جواره، وتحدث معه الازهري، وقال له صلاح سالم بأنه لا توجد مشاكل مع عبد الناصر. وفي اليوم التالي ،اصدر يحي الفضلي، وزير الشئون الاجتماعية، بيانا عن هذا الاتصال التلفوني، وطمأن السودانيين...

رأينا:صار واضحا ان السودانيين اقتنعوا بوجود مشاكل بين جمال عبد الناصر وصلاح سالم. وبدأوا يتساءلون عن آثار ذلك على امكانية اتحاد السودان مع مصر

ولكم ان تحكموا من البريء ومن المذنب

يقول جمال حماد ايضا:

((وعندما اتخذ مجلس القيادة قرارا في١٤ نوفمبر ١٩٥٤ بإعفاء الرئيس محمد نجيب من منصب رئيس الجمهورية برغم أنه كان وقتئذ منصبا فخريا لا يمنح صاحبه أية سلطات في يده وتغافل مجلس الثورة عن العواقب الخطيرة والآثار الضارة التي ستلحق بقضية الاتحاد الخالدة بين الشعبين الشقيقين(مصر والسودان) في سبيل تحقيق غرض زائل وهو ضمان الاستمرار في ممارسة السلطة في مصر والبقاء في الحكم. وأثارت الإطاحة بمحمد نجيب وتقييد حريته الشخصية بهذه الطريقة المهينة مشاعر السودانيين الذين كانوا يعتبرونه رمز الاتحاد بين البلدين فضلا عن خشيتهم مما سوف يحيق بهم إذا ما اتحدوا مع مصر بعد أن رأوا ما ارتكبه أعضاء مجلس الثورة ضد رئيسهم وقائد ثورتهم لذا بدأ ابتعادهم تدريجيا عن قضية الاتحاد مع مصر.)) ولكى الله يا مصر فيمن فضل مصلحته الشخصية فبالانفراد بالحكم عن مصلحة مصر

واترككم مع تقرير السفارة الامريكية بالخرطوم

عزل محمد نجيب:

من: السفارة الاميركية، الخرطوم

الى: وزارة الخارجية، واشنطن

الموضوع: السودانيون وعزل نجيب

التاريخ:٢٧-١١-١٩٥٤

((غضب السودانيون وحزنوا عندما سمعوا خبر عزل محمد نجيب، رئيس الجمهورية في مصر، وتولى جمال عبد الناصر ،رئيس الوزراء، منصبه، بعد خلافات بينهما استمرت ربما منذ اول يوم لثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢.

تطور الغضب والحزن اكثر مما توقعنا. وصارت لهما ابعاد سياسية.

ظل نجيب اكثر زعيم مصري تحبه اغلبية السودانيين. وحتى لو ثبت ان محمد نجيب كانت له صلة بمؤامرة دبرها الاخوان المسلمون ضد عبد الناصر، لن يصدق

السودانيون ذلك. بل يعتقد السودانيون ان عبدالناصر ما كان سيعيد محمد نجيب، عندما اختلفا في السنة الماضية، لولا انه كان يعرف حب السودانيين له.

ويعتقد السودانيون ان عبد الناصر وصلاح سالم، رغم الخلافات بينهما، تحالفا ضد محمد نجيب.

في جانب، يخاف الازهري والاتحاديون من ان يقدم عبد الناصر محمد نجيب للمحاكمة، لأن ذلك سيؤثر على تحالفهم مع مصر. خاصة لأن الازهري ربما يريد الآن، بدلا عن الاتحاد الكامل لمصر والسودان ،اتحادا كونفدراليا بين مصر والسودان، يسمى جمهورية وادي النيل و يتبادل فيه مصري وسوداني رئاسة الاتحاد.

لكن، اذا عزل المصريون رئيسهم محمد نجيب، ما هو الضمان انهم لن يعزلوا رئيسا سودانيا؟

في الجانب الآخر ،لا يبدو ان حزب الامة حزين بما حدث لمحمد نجيب. لكنه يرى ان ما حدث ستكون له نتائج سياسية هامة على السودان. لأن ما حدث يدل على ان مجلس قيادة الثورة في مصر: اولا: غير مستقر. ثانيا: غير مسئول ...

ويستمر تقرير السفارة

وقال لي محجوب عثمان، صحافي في جريدة الايام، انه سال مبارك زروق، نائب الازهري، ووزير المواصلات ،عن ما حدث لمحمد نجيب. وان زروق قال له: سيؤثر ذلك تأثيرا مباشرا على تأييد السودانيين لاتحاد وادي النيل

واصدر السيد الصديق المهدي، رئيس حزب الامة، بيانا قال فيه يجب ان يكون ما حدث لمحمد نجيب درسا للذين يريدون الاتحاد مع مصر.

وقال لي خلفاء مؤيدون للسيد على الميرغني انه اتصل بأعضاء في مجلس قيادة الثورة في مصر، وحصل على ضمانات بعدم اعدام محمد نجيب. ورغم ان هذ يبدو امرا مبالغا فيه، اصر الخلفاء على انه حقيقة.

وقاد شيوعيون مظاهرات ضد عزل محمد نجيب. ونشروا اشاعات بأن الولايات المتحدة وراء ذلك. وقالوا ان كافري، السفير الاميركي في القاهرة، هو الذي امر جمال عبد الناصر بعزل محمد نجيب. وان السفير يريد تأمين موقف عبد الناصر كحاكم دكتاتوري في مصر ...

رأى السفارة:

اولا: وكان الازهري لم يكن في موقف حرج، زاد عزل محمد نجيب من حرجه. ومن الضغط عليه ليحدد هل يريد الاتحاد مع مصر، او الاستقلال؟

ثانيا: زاد عزل محمد نجيب الاختلاف داخل الحزب الوطني الاتحادي بين جناح الازهري وجناح الختمية. وصار الختمية يميلون اكثر نحو الاستقلال التام.

ثالثا: اكثر ما يدعو للقلق هو ان الشيوعيين استغلوا عزل محمد نجيب لتسيير مظاهرات، وزيادة نفوذهم في السودان ...

انتهى تقرير السفارة

وهو يؤكد انه في الصراع على السلطة كان هدف عبد الناصر مصلحته في الانفراد بالسلطة ولم تكن مصلحة مصر في حسابة ابدا بل تنفيذ اهداف المخابرات الاسرائيلية التي كان يعمل لصالحها .

تعالوا لنرى كيف تعامل عبد الناصر مع رئيس وزراء دوله يرغب في اتمام اتحاد معها :

من: السفارة، القاهرة

الى: وزارة الخارجية، واشنطن

صورة الى: مكتب الاتصال، الخرطوم

الموضوع: هجوم على الازهري

التاريخ:٢٥-٧-١٩٥٥

بمناسبة احتفالات ذكرى انقلاب ٢٣ يوليو في مصر، دعا المصريون رئيس الوزراء الازهري، مع قادة وحكام عرب آخرين...

وكأنهم لم يدعوه...

وظهر عداء عبدالناصر عندما وصل الازهري الى القاهرة للاشتراك في احتفالات ذكرى انقلاب ٢٣ يوليو.

على منصة الاحتفال والعرض العسكري، لم يجلسوا الازهري في المقدمة، مع رؤساء الجمهورية والوزارة. ولكنفي مكان جانبي، مع الوزراء المصريين، وشخصيات سابقة، مثل الرئيس السوري السابق شكري القوتلي، ومفتى القدس السابق امين الحسيني .

وعندما انتهى العرض العسكري، حيا عبد الناصر رؤساء الوفود، ولم يحيي الازهري، وغادر المكان. وفي الحال، دخلت مظاهرة اشترك فيها خمسمائة شخص تقريبا، وهتفت مع وحدة مصر والسودان. وكان واضحا انها بترتيب من الاستخبارات المصرية.

وقال لنا صحافي من باكستان ان الازهري، الذي كان يجلس قريبا من السفير الباكستاني، قال للسفير انه اصيب بخيبة امل كبيرة لان عبد الناصر تعمد ان يحرجه امام كل هذه الوفود العالمية. وانه ، الازهري، سيعود الى السودان، ويكون متشددا اكثر ضد الاتحاد مع مصر ...

وضاع السودان واستمر الجاسوس عبد الناصر يحاول خداع الملايين بأكاذيب الوحدة العربية وهو صاحب اول انفصال لبلد عربي يحكمه...!!!.

٢. تشريع الجاسوس جمال عبد الناصر للقوانين القمعية:

في عهد الملك فاروق كانت القوانين والدستور تحفظ الحقوق والحريات فأليكم عدد من مواد الدستور التي كانت حينها، بشأن حرية الرأي والتعبير وغيرها من الحقوق:

ففي المادة (٣)

المصريون لدى القانون سواء. وهم متساوون في التمتع بالحقوق المدنية والسياسية وفيما عليهم من الواجبات والتكاليف العامة لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الأصل أو اللغة أو الدين . وإليهم وحدهم يعهد بالوظائف العامة مدنية كانت أو عسكرية ولا يولى الأجانب هذه الوظائف إلا في أحوال استثنائية يعينها القانون .

المادة (٤)

الحرية الشخصية مكفولة.

المادة (٥)

لا يجوز القبض على أي إنسان ولا حبسه إلا وفق أحكام القانون .

المادة (١٠)

عقوبة المصادرة العامة للأموال محظورة .

المادة (١١)

لا يجوز إفشاء أسرار الخطابات والتلغرافات والمواصلات التليفونية إلا في الأحوال المبينة في القانون .

المادة (١٢)

حرية الاعتقاد مطلقة.

المادة (١٤)

حرية الرأي مكفولة . ولكل إنسان الإعراب عن فكرة بالقول أو بالكتابة أو بالتصوير أو بغير ذلك في حدود القانون.

احتفظ الرئيس جمال عبد الناصر لنفسه بوزارة الداخلية قبل أن يصبح رئيسًا. لكنَّ جهاز الأمن في حقبة عبد الناصر يتسم بسمات لم تظهر في العهدين التاليين له. فنتيجة للسياسات الاقتصادية والاجتماعية التي اتخذها النظام تجاه الشرائح الأكبر من الشعب ظهر من الشرطة العنف تجاه المواطن "العادي". أما المواطن "السياسي" فقد ذاق ما لم يذقه غيره من رجال الشرطة.

كان الاستعمار البريطاني قد استحدث جهاز "البوليس السياسي" لمطاردة خصومه السياسيين، تم حلّ هذا التنظيم بعد ثورة يوليو ولكنَّ النظام أنشا تنظيمًا جديدًا عام ١٩٦٨، "مباحث أمن الدولة" الجهاز الذي يحتفظ لنفسه بصورة مريعة في أذهان الشعب المصري. مباحث أمن الدولة مهمته فقط حفظ أمن "الدولة" بالتالي حفظ "النظام الحاكم". وكل ما عداه يعتبر عدوًا. بشكلٍ عام نال المعارضون (الإسلام السياسي والشيوعيون) النصيب الأكبر من التعذيب الممنهج والعنف الذي لا ينتهي في سجون أمن الدولة.

وبدأت القوانين التعسفية بقانون الطوارئ الذي فتح السجون لكل من يعارض النظام وليكون هذا القانون سيف على رقاب المواطنين حتى بعد رحيل جمال عبد الناصر الواقع أنه بعد الانقلاب مباشرة و تولي اللواء محمد نجيب أول رئيس لمصر منصب الحاكم العسكري العام، لكن ذلك لم يمنع عبدالناصر من إنتزاع المنصب لنفسه، ثم اضطر إلي تركه لمحمد نجيب في ٨ مارس ١٩٥٤ بعد إعادته رئيساً للبلاد، ثم عين مجلس قيادة الثورة جمال عبد الناصر وكان رئيساً للوزراء حاكماً عسكرياً لمصر مرة أخري، وتوسع في إصدار الأوامر العسكرية التي كانت أداة للقضاء علي خصومه السياسيين، وكذلك زملاؤه من الضباط الأحرار وفي عام ١٩٥٤، تم إلغاء قانون الأحكام العرفية، وتم إصدار قانون جديد بدلاً منه هو القانون رقم ٥٣٣ لسنة ١٩٥٤، والواقع أنه لم يكن الإلغاء إلا لاسم «الأحكام العرفية».

توسع القانون الجديد في الصلاحيات الممنوحة للحاكم العسكري للبلاد، فبعد أن كانت عمليات القبض تقتصر علي المشردين والمشتبه فيهم في القانون القديم، أصبحت في القانون الجديد تشمل كافة المواطنين بلا استثناء.

ثم ألغي الرئيس عبد الناصر القانون وأصدر قانوناً جديداً يحمل اسم قانون الطوارئ رقم ١٦٢ لسنة ١٩٥٨، وهو الذي يطبق حالياً، ويعد قانون الطوارئ متماثلاً إلي حد كبير مع القوانين السابقة له، لكنه لم يشر من قريب أو بعيد إلي منصب الحاكم العسكري العام للبلاد ولم يتضمن القانون أي ذكر لهذا اللفظ علي الاطلاق.

وأعطي القانون لرئيس الجمهورية متي أعلنت حالة الطوارئ نفس السلطات والصلاحيات التي كانت ممنوحة للحاكم العسكري العام، وعلي الرغم من ذلك، استمر لاحقا منصب نائب للحاكم العسكري العام يعينه الرئيس ايام حكم محمد حسني مبارك، رغم أنه لا وجود للحاكم العسكري حتي يكون له نائب.

ويعتبر محمد إصلاح رجال القانون الاستمرار في استعمال مصطلح «الحاكم العسكري» خطأ قانونياً، تم الاعتياد عليه في ظل حالة الإسهال التشريعي التي تشهدها مصر.

ورغم أن الرئيس عبد الناصر لم يطبق القانون لمدة ٩ سنوات متتالية حتي هزيمة ١٩٦٧، إلا أنه أصدر قانوناً شبيهاً ومكملاً لقانون الطوارئ بشأن التدابير الخاصة بأمن الدولة وهو القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤، وكان يبيح الاعتقال ويوسع دائرته، واستخدمه الرئيس عبد الناصر ضد خصومه من السياسيين، وخاصة من الإخوان، وألغي السادات هذا القانون عام ١٩٧٢ ، وزادت السلطات الاستثنائية لرئيس الجمهورية منذ عهد عبدالناصر، حيث طلب من مجلس الأمة، إصدار قانون الأحكام العسكرية رقم ٢٥ لسنة ١٩٦٦،

ورغم أن القانون جاء منظماً للإجراءات المتبعة بالنسبة للجرائم التي تقع من أفراد القوات المسلحة، إلا أن المادة (٦) منه أعطت لرئيس الجمهورية الحق في إحالة المدنيين للمحاكم العسكرية حال ارتكابهم الجرائم المضرة لمصلحة أمن الدولة من الداخل مثل الإرهاب، وقلب نظام الحكم، وجرائم الدولة من الخارج مثل التجسس والانضمام لجيش العدو لكنها تم استخدامها في محاكمة المعارضين وفي القمع، واستمر إعلان حالة الطوارئ منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ حتي ١٥ مايو ١٩٨٠، وبذلك تكون مصر قد خضعت للقانون لمدة ١٣ عاماً متواصلة، وهو مالم يحدث في عهد الاحتلال البريطاني نفسه واعيد العمل بها وهي مستمرة الى ايامنا هذه مع تقطع.

ولا يمكن لاحد ان ينسى ان الانقلاب العسكري الذي قام به عبد الناصر ومعاونوه من الضباط حول مصر سياسيا من النظام الملكي البرلماني ذي التعددية الحزبية إلى النظام الرئاسي بلا برلمان وحول مصر من النظام الاقتصادي الحر الذي كان متطورا

ومتقدما إلى النظام الاشتراكي كما أنه ادخل مصر في خمس حروب (النكسة - اليمن - الجزائر - الاستنزاف) خلال فترة عشر سنوات تقريبا مما ادى إلى تدمير مصر داخليا وعسكريا واقتصاديا طوال هذه الفترة وما اعقبها من فترات متوالية وطبق فيها بحق كل من يعارض شتى انواع القمع والاضطهاد والاعتقال بقانون او بدونه.

٣. تدمير الزراعة في مصر عبر ما سمي قانون (الاصلاح الزراعي):

موضوع الإصلاح الزراعي الذي يطبل له الناصريون و يتاجرون به ويزَيفون الحقائق:

أولا: الإصلاح الزراعي الذي تم لم يؤدي إلى اشباع عطش فقراء الفلاحين إلى ملكية الأرض.. لو أن ما جرى أدى إلى انتزاع ملكية جميع الأراضي الزراعية وإعادة توزيعها على الـ٢.١ مليون عائلة فلاحية الموجودة عام ١٩٥٢، لحصلت كل عائلة على فدانين. لكن ما تم وقتها كان مختلفاً، ولم يتعدى كونه سلسلة من الإصلاحات المحدودة أثرت فقط على ١٦% من الأراضي الزراعية وتم توزيع ١٣% من هذه الأراضي على حوالي ١٠% من العائلات الفلاحية.

ثانيا: أن المستفيد الأساسي من الإصلاح الزراعي لم يكن الفلاحين الفقراء بل كان الفئات الوسطى من ملاك الأرض الذين شكلوا الجذور الريفية للطبقة الوسطى الحديثة. فقد زادت المساحة الزراعية التي في حوزة هؤلاء من حوالي ١.٨ مليون فدان عام ١٩٥٢ إلى حوالي ٢ مليون فدان عام ١٩٦٥. ولم يحتفظ الملاك المتوسطين فقط بنصيبهم من الأرض بل اكتسبوا نفوذاً اجتماعياً وسياسياً في المجالات التي كانت خاضعة لسيطرة كبار الملاك من قبل.)

لو أضفنا الى ذلك أن عبد الناصر لم يملك الفلاحين الأرض ..و إنما وزعها عليهم بحق الانتفاع مقابل مال كان يتم دفعه سنويا في جمعيات الإصلاح الزراعي ..و لم يحصلوا على عقود تملك إلا في عهد مبارك !!

فسيظهر لك بالتحديد أن عبد الناصر كان يهدف الى خلق ظهير شعبي من المستعبدين المؤيدين للنظام الذين يعتمدون في ارزاقهم على أراضي الدولة
(المسماة بالإصلاح الزراعي) ..!!

وهذا ان اضفنا اضرار هذه القرارات ومنها تدمير الارض الزراعية عن طريق بناء السد العالي في عام ١٩٦٠ بأموال سوفييتيه صهيونيه كما سنناقشه لاحقا بحجه حمايه مصر من الفيضانات وتوليد الكهرباء في حين تم منع الطمي وهي الطبقة الطينية السوداء التي لا تنفع زراعه بدونها وبالتالي تدمير الارض الزراعية وتصحير الدلتا وتدمير الارض الزراعية حتي أصبحت مصر دوله تستورد الفول والقمح بعد ان كانت مزرعة الدولة الرومانية.

و بالطبع تدمير الارض الزراعية وذلك بتقسيمها الي أجزاء صغيره بدعوي الاصلاح الزراعي وخمسه فدادين لكل فلاح حتي لا تعود تنفع الزراعة باستخدام المكنة الزراعية ولا ينفع معها أقامه سياسه زراعه فلجأ كل فلاح الي زراعه البرسيم لإطعام بهائمه وذلك لعدم جدوي زراعه القمح في قطع زراعه صغيره ثم لجوء الفلاحين الي تجريف الارض بعد ذلك وبناء عليها قهاوي وورش تصليح سيارات ومباني حتي وصل بنا الحال اننا نستورد الفول والقمح ولا ننسى الهجرة من الريف الى المدينة بسبب ما سمي الاصلاح الزراعي حيث قام معظم الفلاحين ببيع عقود الانتفاع من الارض والهجرة الى المدن الكبرى وما يصاحب هذا من دمار للريف المدينة.

"لا يصح ولا يجوز نزع الملكية من الأفراد ما لم تكن هناك حاجة ملحة أو مصلحة كبرى يتفق عليها ولا يُختلف فيها، وهذا ما لم يتحقق في قانون الإصلاح الزراعي".. هذه هي وجهة نظر من خالف القانون، اضافة الى أن الإسلام يبيح الملكية المطلقة للأفراد ويوجب بجانب ذلك على الأغنياء حقوقا للفقراء يؤدونها إليهم، وأنه لا يوجد في الشريعة الإسلامية ما يحول بين المرء والتملك، وليس فيها ما يسوغ تسمية الملاك بالمحتكرين مهما اتسعت ثورتهم، وأن العمل على هدم الثروات باعتبارها ضربا من الاحتكار يأبه الإسلام الذي يحترم حق الملكية ويحميها، وأن الشريعة الإسلامية لم تحدد حدا لا يتجاوزه المالك، ولم تلزم أحدا بالنزول عن ملكه مجانا أو بثمن.

ومن الجدير بالذكر أن حجم الملكية الزراعية لا يبقى على حاله بمرور الزمن حيث يضمن نظام الميراث الإسلامي تفتيت هذا الحجم الكبير الذي دفع "ثوار يوليو" لإصدار هذه القوانين التي تحدد حجم الملكية بحجة محاربة الإقطاعيين. إلا أن من عارض القانون لم ينف الاعتراف بوجود ممارسات غير شرعية في أيلولة نسبة غير قليلة من هذه الأرض لمالكيها من الإقطاعيين إلا أنهم طرحوا رفع سقف الملكية إلى ٥٠٠ فدان للمالك الواحد.

وابرز مساوئ (الاصلاح الزراعي) هي :

١. قوانين الإصلاح الزراعي لم تحل مشكلة المعدمين الزراعيين، الذين بلغت نسبتهم قبل الثورة نحو ٤٤ بالمائة، وفي عام ١٩٦٥ انخفضت إلى ٤٠ بالمائة، ثم ارتفعت عام ١٩٧٢ إلى ٤٥ بالمائة، ووصلت في نهاية الثمانينيات إلى ٦٠ بالمائة من جملة سكان الريف.

٢. لم ينجح الإصلاح الزراعي في تحسين وتطوير قوى وعلاقات الإنتاج في الريف المصري إلى الحد الذي كان متصورا حين صدرت قوانين الإصلاح الزراعي.

ومن الجدير بالذكر ان هذا القانون تسبب بخراب الارض الزراعية الى قطع صغيرة مما تسبب بصعوبة الاستثمار في الزراعة وادخال المكننة اليها بالإضافة الى عدم خبرة

اغلب الفلاحين بإدارة الاراضي الزراعية مما تسبب بانخفاض كبير في الانتاج الزراعي وكان قرار (الاصلاح الزراعي) او التخريب الزراعي بالأصح احد اهم الاسباب في زيادة الهجرة من الريف للمدينة في مصر وظهور المناطق العشوائية نتيجة هذه الهجرة مما تسبب بخراب الريف وانخفاض الزراعة وتدمير المدن عن طريق زيادة عدد السكان الذين يعيشون في الفقر.

وحاول الدكتاتور جمال عبد الناصر تطبيق هذا القانون ايضا في سوريا اثناء الوحدة وكان هذا القانون احدى اهم اسباب فشل الوحدة مع سوريا واطاحة الجيش السوري بالوحدة كما سنناقش ذلك في موضوع الوحدة مع سوريا واثار القانون احتجاجات كبيرة في صفوف الشعب السوري الذي رفض القانون وكان هذا احد اسباب وقوع انقلاب عام ١٩٦١ م الذي انهى الوحدة مع مصر.

٤. كارثة وكذبة تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦م:

ان كذبة تأميم قناة السويس هي احدى اشهر كوارث واكاذيب الجاسوس الاسرائيلي الامريكي جمال عبد الناصر، و بالحقيقة أن القرار الصادر من رئيس جمهورية مصر بتاريخ ٢٦ يوليو ١٩٥٢ بتأميم شركة قناة السويس، لم يؤد إلى تأميمها قانونيا وفعلياً، وإنما انتهى إلى مجرد الاستيلاء على مباني شركة قناة السويس، وعلى المجرى الملاحي للقناة. وكانت أسبابي فيما أركن اليه (أولاً) أن قرار التأميم المذكور تضمن بندا بتعويض المساهمين في شركة قناة السويس من البريطانيين، وكانت حصصهم تبلغ مقدار ٤٤٪ من الاسهم. وقد رأى باقي المساهمين وأكثرهم من الفرنسيين أن في هذا القرار مصادرة قانونية (de jure) لأموالهم، كما رأى المساهمون من البريطانيين – في ذات القرار – مصادرة واقعية (de facte) لأموالهم، ذلك لأنهم لم يعتقدوا أبداً أن نظام الحكم المصري سوف يدفع لهم فعلا ما نص عليه قرار التأميم من تعويض.

ونتيجة أخطاء قانونية في قرار التأميم (سوف يلى توضيحها)، ونظرا للظروف الدولية والأوضاع السرية، فقد اضطُر نظام الحكم المصري إلى شراء الأسهم التي كانت معروضة للبيع من حملة الأسهم (share holders) في بورصة باريس، وكلفها ذلك غاليا، ثم إلى الدخول في مفاوضات مع باقي حملة الأسهم، بدأت في روما بتاريخ ١٩٥٨/١٢/١٩، وانتهت إلى موافقة نظام الحكم المصري على دفع تعويض لباقي حملة الأسهم قدره ٨١.٢ مليون دولار، يُسدد على ستة أقساط، كان آخر قسط فيها محدداً لسداده تاريخ الأول من يناير ١٩٦٣ (المرجع Colombia encyclopedia).

وما دام الأمر قد انتهى إلى أن يشترى نظام الحكم المصري من حملة أسهم شركة قناة السويس ما في أيديهم من أسهم بالثمن الذى حددوه، فإنه يكون ثـمّ بيع وشراء، ولا تأميم، في المحصلة النهائية. (ثانياً) وقد ترتب على ما سُمىّ تأميماً أن أضطر نظام الحكم إلى قبول أمرين كلاهما مرّ. ذلك أنه بعد العدوان الثلاثي قبل القرار الصادر من

مجلس الامن في ١٩٥٦/١١/٨بوضع قوات دولية للطوارئ ، على أرض مصر وحسابها، حتى ينتهى النزاع بينها وبين اسرائيل؛ كما قبل اعطاء حق مرور السفن الاسرائيلية في مضايق تيران وخليج العقبة، وهو ما كان نظام الحكم يعرف خطورته فأخفاه عن الشعب المصري والشعب العربي تماماً، لأن العلم به كان يقلب ادعاء النصر على عقبيه ويظهر حقيقة الهزيمة. و (ثالثاً) لأن ما سُميّ تأميماً لشركة قناة السويس أدى إلى حروب أربعة، وهى حرب ١٩٥٦ ثم حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ التي نشبت نتيجة لما قرره نظام الحكم المصري من إزالة آثار الإتفاق السرى الذى أعطى لإسرائيل حق المرور فى خليج العقبة ومضايق تيران، فعمل على إغلاق هذه المضايق وذاك الخليج، أي إن حرب يونيو ١٩٦٧ - التي جعلت من اسرائيل دولة عظمى - كانت أثرا من آثار ما سُمّى تأميم لقناة السويس. وآثار هذه الحرب أخطر من أن تُنكر وأجلّ من أن تُحصر، وكل ما حدث ويحدث للعرب والمصريين من وقتها كان نتيجة لها، وسوف تتوالى الآثار وتتداعى العواقب مدة قرنين من الزمان على الأقل. ثم حرب الاستنزاف خلال عامي ١٩٦٨، ١٩٦٩ مما كانت نتيجته تهجير سكان خط القناة (من السويس والاسماعيلية وبورسعيد وبور فؤاد) بما ترتب على هذا التهجير من آثار اجتماعية رهيبة. ثم كانت حرب ١٩٧٣ للتخفيف من النتائج شديدة السوء لحرب ١٩٦٧.

ولو استمعت لكلام بوق الاعلام الناصري على قناة الجزيرة محمد حسنين هيكل، وسمعت كلمة فهمت منها أنه سوف يتناول في حديثه مسألة تأميم شركة قناة السويس، فشاهدْت الحديث في الليلة المذكورة وفى الأسبوع التالي، لعلى أجد شيئاً مفيداً، لكنى سمعت حديثاً مضطرباً يُحوّم حول الموضوع ولا يدخل فيه بجدية، وإنما يقفز فيه المتحدث من نقطة إلى أخرى، دون تمهيد وبغير ارتباط واضح وممنهج. ولست أدرى إن كان هذا الأسلوب في القفز بين نقاط الموضوع وعدم اتّباع الحديث خطا محدداً، لا يمتلئ بالقفزات التي تكون قبل إتمام الجملة، ودون رابط أو لزوم، قد حدث عفوا أو حدث عمداً، بقصد عدم إيضاح نقاط الموضوع، نقطة نقطة، وتشتيت المشاهد في استعراضات وادعاءات، لا تتصل بالسياق صلة ضرورية. والمتحدث فضلا عن ذلك يكثر من استعمال لفظ (أنا) دون سبب، وبغير أن تكون ذاته عنصراً في الموضوع أو الحديث، وهو أمر يعرف دلالته كل من له صلة بعلم النفس.

وإضافة إلى هذا الأسلوب الذي يجعل الحديث لغوا بغير طائل، فإن المتحدث وقع في أخطاء كثيرة، يقصر المجال عن بيانها كلها وتتبعها جميعاً، ومن ثم نتخير منها ما يلي:

(أ) فهو يقول إن التأميم لم يكن بالبساطة التي جاءت في أغنية عبد الحليم حافظ (قلنا ح نبنى وأدى إحنا بنينا السد العالي). لكنه يعرف تماماً أن نظام الحكم الذي كان يشارك فيه أو يشير عليه هو الذي صورّ التأميم على النحو الذي ورد في تلك الأغنية، وأن إذاعاته الرسمية كان تذيع هذه الأغنية صباح مساء كل يوم، حتى وقَر في أذهان

الشعب أن التأميم كان فعلاً بالبساطة التي وردت في الأغنية. فماذا فعل هو وقد كان إلى جوار نظام الحكم، شريكا أو مشيراً ؟ ولماذا لم يقل ما قاله عن التأميم والأغنية من قبل، أو ينبه إلى ضرورة فكّ الارتباط بين ما حدث في الواقع وما صوّرته الأغنية ؟ إن نظام الحكم أراد، ولمدد طويلة استمرت حتى أغلق مضايق تيران، إقناع الشعب بمفهوم ومضمون الأغنية ؛ وهذه جناية السياسة على الفن، وجناية الفن على الحقيقة.

(ب) ويقول أن إيدن رئيس وزراء بريطانيا تلقى نبأ التأميم وهو يجلس إلى مائدة عشاء في مقر الرياسة (١٠ داوننج ستريت) مع ملك العراق السابق وصحبه، ثم يضيف دون ضرورة أو لزوم : إنه (أي المتحدث) يعرف هذه القاعة (أي قاعة الطعام) وأنه تناول فيها الطعام عشرات المرات. وقاعة الطعام في مبنى رياسة مجلس وزراء بريطانيا مخصصة للمناسبات الرسمية وليست مفتوحة للجمهور يتناول فيها الطعام من يشاء، وتناول المتحدث الطعام فيها عشرات المرات أمر مُبالغ فيه، فضلا عن أنه لا يتصل بموضوع التأميم. يضاف إلى ذلك أنه لا يُزيد المتحدث شيئاً أن يتناول الطعام في القاعة المخصصة لذلك بمبنى رياسة وزراء بريطانيا مرة أو مرتين أو عشرات المرات كما ذكر ؛ كما لا ينقصه شيئاً أن لا يعرف هذه القاعة إطلاقا ولم يتناول فيها الطعام قط.

(ج) وهو يقول إنه سار في الشارع فيما بين منزل دزرائيلي رئيس وزراء بريطانيا ومنزل روتشيلد المصرفي الشهير عدة مرات، بل وظهر على الشاشة رسم تخطيطي لهذا الطريق، ليؤكد بذلك أن دزرائيلي سار فيه إلى منزل روتشيلد ليحصل على مبلغ ٤٠.٠٠٠ جنية إسترليني يشترى بها حصة مصر في أسهم شركة قناة السويس، وهى تبلغ ٤٤٪ من عدد هذه الأسهم.

والحقيقة في ذلك أن دزرائيلي لم يذهب إلى روتشيلد ليستقرضه المبلغ، لكنه علم أن الخديوي إسماعيل يعرض في فرنسا بيع أسهم مصر ليسدد بثمن البيع بعض الديون التي استُحقت على مصر جراء سياسته، فأراد دزرائيلي أن يشترى هذه الأسهم لتكون لبريطانيا. وتحسّبا لطول الإجراءات القانونية (في مجلس العموم وغيره) فقد أرسل سكرتيره مونتاجو كوري إلى منزل روتشيلد يطلب منه القرض، فشحب وجه هذا وسأل وما ضماني لسداد القرض ؟ فلما أجاب مونتاجو كوري: الحكومة البريطانية، رد روتشيلد على الفور: إذن ستحصل على المبلغ (المرجع The Suez canal brief history مؤشر البحث yahoo , Mideast website policy).

(د) وهو يعرّض بزوج (زوجة) إيدن، إذ يقول إنه تزوجها لأنها ابنة أخ تشرشل، رغم ما كان يدور حولها من إشاعات، ثم يضيف (لا داعي لذكرها). وهو أسلوب لا يليق أن يصدر من متحدث جاد محترم، خاصة وأنه لا يتصل بالسياق ولا يرتبط بالموضوع، بحيث كان يختلف وجه النظر فيه لو لم يُلّمح إلى هذه الإشاعات.

(هـ) وهو يقول إن حصة الفرنسيين من أسهم شركة القناة لم تكن كبيرة، فكم كانت بالضبط وهو العليم ببواطن الأمور الخبير بكل شيء على وجه التحديد ؟ ألم يكن من الأجدى لصدقية الحديث أن يحدد عدد هذه الأسهم تحديداً دقيقاً ؟ لا أن يقلل منها بأسلوب العامة الذي لا يفيد شيئاً ولا يزيد علما ولا يغير واقعاً.

(و) وهو يقول (إحنا ما أخدناش بالنا من اتفاقية القسطنطينية) دون أن يعترف أن الاطـّلاع على كل أوراق الملف الخاص بشركة قناة السويس كان ضرورة لابد منـْها قبل اتخاذ أي قرار. وهذا الملف موجود ضرورة في وزارة الخارجية المصرية. فضلا عن أن أيا من القانونيين، ومنهم الدكتور حلمي بهجت بدوى، الذي ذكر إسمه وظهرت على الشاشة صورته، كان يعرف ذلك ولا شك (وهذه الاتفاقية منشورة الآن على كل مواقع البحث الإلكتروني) وكان يلزم للمتحدث أن يكون على علم بها يوم كان صحافيا في دار أخبار اليوم حين صدر قرار الأمم المتحدة رقم ٩ بتاريخ ٩/١/ ١٩٥١، وهو يُلزم مصر فتح المرور في قناة السويس أمام السفن الإسرائيلية بناء على اتفاقية القسطنطينية الموقعة من السلطة العثمانية التي كانت تحتل مصر بتاريخ ١٨٨٨/٣/٢.

(ز) وهو يقول أن لجانا قانونية وإدارية كانت تنعقد في وقت واحد، دون أن يذكر تواريخ اجتماع هذه اللجان ليعرف المستمع والمشاهد إن كان ذلك قد حدث قبل قرار التأميم أم بعده ؟ وذكـْر التواريخ مهمّ جداً في التوثيق والتحقيق والتدقيق. كما أنه يقول إن بعض أعضاء مجلس قيادة الانقلاب (الذي سمي بالحركة المباركة ثم سمي ثورة الجيش، ولم يُذكر تعبير ثورة الشعب إلا في مقدمة دستور ١٩٥٦) قد اعترض على هذا القرار، دون أن يذكر أسماء المعترضين وبماذا اعترضوا، وهل كانت اعتراضاتهم قبل اتخاذ القرار أم كان ذلك عصر يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦. كما يقول إن وزير العدل والدكتور الشرباصى كانا يفضلان ألا يكون التأميم مرتبطا بسحب تمويل إنشاء السد العالي، فمتى حدث ذلك منهما، مع أن الرئيس المصري كان قد ذكره في خطاب التأميم ؟ وإذا كان المتحدث قد كتب عن ذلك، فهو لم يذكر متى كتب وبأي مناسبة كانت الكتابة ؟ وهو لم ينتبه إلى أن ذلك كان يتعارض مع الخطاب الذي ألقاه الرئيس المصري وأعلن فيه قرار التأميم ؟ أليس في هذا صورة واضحة عن التضارب الذي اكتنف مسألة التأميم بحيث يُسقط صدقية (مصداقية) كل قول عنه وأي حديث فيه ؟

وفى الحديث الثاني مساء الخميس ٢١ فبراير ٢٠٠٨ انتقل المتحدث إلى حالة الحرب دون أن يستكمل حديثه عن واقعة تأميم شركة قناة السويس. لكنه فيما ذكر عن الحرب قال إن إسرائيل أعدت خطة حربية للعدوان على مصر من قبل. والحقيقة أنها وضعت هذه الخطة منذ أن صرح الرئيس المصري بتاريخ ٨/٣١/ ١٩٥٥ بتوقيع اتفاقية تسليح الجيش المصري بمعدات تشيكية، أي من تشيكوسلوفاكيا مع أنها كانت في الحقيقة مع الإتحاد السوفييتي (وبيان تفاصيل هذه الصفقة موجود على مؤشرات البحث الإلكتروني يمكن لمن يشاء أن يطـّلع عليها). ومفاد ما قال أننا أمام أعداء يستعدون مُسبقا، ويتجهزون قبل وقوع

الحدث، ويستجمعون المعدات والأصدقاء كي لا يكون ردّهم أو عدوانهم كنمر من ورق أو أسد من رمال، أو مجرد خطب ومحض كلام وترديد أغاني وأناشيد.

وفى هذه المرة كذلك وقع المتحدث في أخطاء كثيرة نجتزئ منها الآتي:

(أ) فهو يقول إن رأى إيدن رئيس وزراء بريطانيا أن الشعب المصري شعب غير محارب، ثم يعقب هو فيقول إن إيدن في ذلك مثل الدكتور حسين فوزي (السندباد المصري). ورأى الدكتور حسين فوزي الذي سمعته منه مرارا وتكرارا، والثابت في كتابه (سندباد مصري) أن الشعب المصري صانع حضارة وليس مُوقد حروب. ولم يذكر أبدا أن الشعب المصري لا يكون إلا فلاحاً، كما ادعى المتحدث.

(ب) وهو يقول إن خطة إسرائيل لغزو مصر كانت تسمى "قادش"، ثم يضيف أن "قادش" مدينة على حدود مصر، وهى التي خرج منها العبرانيون مع موسى، ومن ثم فإن للاسم دلالة عند الإسرائيليين. وحقيقة الأمر أن "قادش" تقع في الأراضي السورية، وليست على حدود مصر، إنما هي إلى الجنوب الغربي من بلدة حمص، وفيها وقعت معركة "قادش" بين رمسيس الثاني والحيثيين عام ١٢٧٥ ق.م والتي انتهت بالنصر المؤزر لرمسيس الثاني. وإذ كان بعض اليهود يظنون أن رمسيس الثاني هو الفرعون الذي في عصره أخرج العبرانيين من مصر، فإن أي معنى في ذهنهم قد يكون مرتبطا بهذه الوقائع.

(ج) وهو يقول إن خطة إسرائيل كانت تسمى قادش، وأنه كانت لفرنسا خطة أخرى باسم (Musketeer) أي الفارس، وأنه عندما اشتركت إسرائيل وفرنسا وبريطانيا في العدوان على مصر – نتيجة برتوكول سيفر – فقد سُميت الخطة (الفرسان الثلاثة Three Musketeers). والحقيقة أن إسرائيل نفذت خطتها المسماة قادش يوم ١٩٥٦/١٠/٢٩، وأن كلا من بريطانيا وفرنسا نفّذا خططهما، فرنسا تحت إسم الفارس Musketeer (بالمفرد ودون جمع، أي بإسم الفارس وليس الفرسان الثلاثة) ونفذت بريطانيا خطتها التي كانت تسمى تلسكوب (Operation Telescope).

والحقيقة باختصار عن اكذوبة تأميم قناة السويس :

قرار عبد الناصر بتأميم شركة قناة السويس لم يكن تأميماً للقناة كما تظن الأغلبية الكاسحة من المصريين، القرار كان ينصب على الشركة صاحبة امتياز ادارة قناة السويس، وبعد الحرب التي هُزم الجيش في مراحلها الاولى، وسحب عبد الناصر للجيش أمام القوات الصهيونية التي احتلت سيناء، واعلان بن جوريون لضم سيناء، وبعد حرب دارت عدة اشهر في مدن القناة، اصدرت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي انذارهما للفرنسيين والبريطانيين بالخروج من القناة، وقد كان.

ومن بعد ذلك بدأت المفاوضات في جينيف وانتهت إلى توقيع اتفاقية مع اصحاب الاسهم سنة ١٩٥٨ تنص على صرف تعويضات للموظفين الاجانب وتشمل معاشاتهم، بالإضافة الى تعويضات للمساهمين في الشركة بلغت حسب الاتفاقية ٢٨ مليونا و٣٠٠ الف جنيه مصري، وهو مبلغ فاحش في تلك الأيام ويكفي أن تعلم أن صحيفة شيكاغو ديلي تريبيون كتبت بعد التوصل للاتفاق في صفحتها الأولى بتاريخ ٣٠ ابريل ١٩٥٨ (مصر تدفع ٨١ مليون للمساهمين في شركة قناة السويس)، فبعد الحرب وبعد ست سنوات من حكم عبد الناصر انهار فيها كل شيء في مصر لم يكن الجنيه المصري قد واصل انهياره وكان يساوي وقتها ٢.٨٧ دولارا امريكيا تقريباً وظلت مصر تدفع ذلك المبلغ على أقساط حتى سنة ١٩٦٤ حسب الاتفاقية !

الأسوأ من ذلك أن الاتفاق نص صراحة على أن تتخلى مصر عن أصول شركة قناة السويس خارج مصر، وهي أصول نشأت اصلاً من استثمار أموال مصرية، فكم كانت قيمة أصول الشركة خارج مصر ؟؟

في مقال له، كتب سامي شرف مستشار عبد الناصر بقلمه، أن أرصدة الشركة في بنوك العالم وممتلكاتها العقارية بلغت أكثر من ٧٥مليار فرنك بحسابات اليوم – بحسابات وقتها – وهو رقم فلكى !! أي أن عبد الناصر طرد موظفي شركة قناة السويس ثم دفع لهم تعويضات ومعاشات ومبلغ فاحش كتعويضات للمساهمين، وتنازل عن ٧٥ مليار فرنك هي ارصدة الشركة وأصولها العقارية خارج مصر !!

والقناة التي ادعى الجاسوس عبد الناصر عودتها للمصريين، كانت في حوزة المصريين فعلياً، وانما قام بطرد الموظفين من شركة قناة السويس، و الأطرف أن الأمريكيين تطوعوا بارسال مرشدين ملاحيين لتسيير الملاحة في قناة السويس، ليعملوا جنباً إلى جنب مع المرشدين الملاحيين السوفييت، وهو ما يكشف أن الخلاف الظاهري بين مصر وأمريكا حول مسألة سحب تمويل السد العالي، كان مجرد مسرحية أخرى ينفذها العسكر بإخراج أمريكي محكم.

أمريكا خاضت معارك دبلوماسية ضد المواقف البريطانية ودعمت عبد الناصر ضد القوى الاستعمارية القديمة، ويكفي لأن يدرك القارئ أن تأميم شركة قناة السويس كان قراراً أمريكياً، أن يعلم أن عميل أمريكا عبد الناصر ابرم اتفاقاً مع شركة قناة السويس قبل تأميمها بشهر يعترف فيه بشرعية الشركة وحقوقها، ولم يحرص على سحب أرصدة مصر من لندن وباريس والتي كانت تبلغ ١١٢ مليون جنيه استرليني في بريطانيا و٦٠ مليون دولار في امريكا تم تجميدهم و٤ مدمرات مصرية تم حجزها في موانئ بريطانيا.

أمريكا كانت بحاجة لطرد بقايا الاستعمار القديم من المنطقة، و عبد الناصر كان بحاجة إلى (شو) إعلامي يقضي على خصومه السياسيين ويرسخ شعبيته في الشارع المصري، أمريكا كانت تردم تركة الاستعمار القديم في بلادنا وتثبت أقدامها بدلاً منه

وكانت واجهتها في ذلك هو عميلهم عبد الناصر، حتى أن الإعلان عن صفقة الأسلحة التشيكية كان بإيعاز من مدير مكتب السي آي في مصر كيرميت روزفيلت وهذا ثابت في الوثائق الأمريكية.

وهكذا يمكننا أن نتخيل أنه في الوقت الذي كان فيه عبد الناصر يهتف في ميدان المنشية (قرار رئيس الجمهورية : تؤمم الشركة العالمية لقناة السويس شركة مساهمة مصرية)، وكان المصريون يصفقون للزعيم وبيوت مصر كلها تنتفض من الفرح على ذلك الانجاز الوطني، كان هناك ضباط من السي آي إيه مثل كيرميت روزفلت ومايلز كوبلاند يسقطون على ظهورهم ضحكاً من طيبة ذلك الشعب (الغلبان) ويشربون نخب نجاحهم في طرد البريطانيين !

بعدما قرأت كل هذا، ادركت أننا كشعب نعيش بالفعل أمام شاشة سينما كبيرة، يتم تلفيق الاحداث عليها بينما يقوم اللصوص بإتمام صفقاتهم خلفها.

٥. كارثة بناء السد العالي واضراره التدميرية:

أدي السد العالي الذي كان بنائه مبرر الجاسوس جمال عبد الناصر لكذبة تأميم قناة السويس وحرب ٥٦ والهزيمة فيها إلي تقليل خصوبة نهر النيل وعدم تعويض المصبات في دمياط ورأس البر بالطمي مما يهدد بغرق الدلتا بعد نحو أكثر من مائة عام وبسبب بعض العوامل الأخرى مثل الاحتباس الحراري وذوبان الجليد بالقطبين الشمالي والجنوبي بتأثير سلبي من طبقة الأوزون

الاثار السلبية للسد العالي:

١- بحيرة ناصر غمرت قرى نوبية كثيرة في مصر واكثرها في شمال السودان، مما أدى إلى ترحيل أهلها، بما يسمى بالهجرة النوبية.

٢- حرمان وادي النيل من طمي الفيضان المغذي للتربة.

٣- زيادة النحر Erosion حول قواعد المنشآت النهرية.

٤-تآكل شواطئ الدلتا.

الايجابيات الكاذبة للسد العالي والرد عليها :

١- توليد الكهرباء من مساقط المياه في السد:

- كمية الكهرباء التي ينتجها السد العالي هي ١٠% فقط من إجمالي ما تستهلكه مصر من كهرباء وأن هناك زياده سنوية تقدر بحوالي ١٠% في معدل أستهلاك الكهرباء أي أننا نحتاج الي سد عالي جديد كل سنة .

- السد العالي لم يحل مشكلة الطاقة الكهربائية في مصر واننا مازلنا ننتج ٩٠% من كهرباء مصر من محطات التوليد الحرارية في جميع أنحاء مصر وهذه المحطات تعتمد على البترول ومشتقاته في تشغيلها وخصوصا الغاز الطبيعي الذي اعطاه نظام مبارك لإسرائيل بتراب الفلوس .

- تكلفة نقل كهرباء السد العالي من أسوان لمناطق الاستهلاك ودراسة الجدوى في هذا الخصوص تؤكد فشل هذا المشروع بما له من تكلفه عائله بخصوص المحولات الرافعة والخافضة العملاقة وكابلات نقل التيار Transmission Lines والابراج الحاملة للكابلات ثم تكاليف أستيراد تلك المحولات وتكاليف صيانتها وقطع غيارها

٢- استعمال هذه الكهرباء في تشغيل المصانع وإنارة المدن والقرى

- هناك الكثير من المدن والقرى والعزب والنجوع في مصر لم تغطى بشبكات كهرباء حتى الأن كما أن المدن التي يصلها تلك التيار تعاني من قطع الكهرباء باستمرار

- تشير بعض الاحصائيات أن إستهلاك مصانع حديد عز وحدها من الكهرباء تساوى ١٨% من إجمالي الطاقة الكهربية في مصر وان صحت هذه الاحصائية فأن كمية الكهرباء المخصصة لمصانع حديد عز تقدم بسعر الدعم أي أن السد العالي يعمل مولدا خاصا لمصانع أحمد عز وأمبراطوريته التي شارك اليهود في بنائها حيت أن والده أحمد عز يهودية وقد تزوجها والده اللواء عبدالعزيز عز ابان حرب ١٩٥٦ .

٣- حماية مصر من مخاطر الفيضان

- في فترات قبل بناء السد العالي، كان الضرر من الفيضانات محدودا ومؤقتا وكان يشمل فقط بعض البيوت المبنية من الطوب اللبن والبوص والطين والمبنية علي ضفاف النيل مباشره وكان يشمل بعض القطع الزراعية الصغيرة والتي يكون منسوبها اقل من منسوب النيل وقت الفيضان .

- الصهاينة وعملائهم في مصر كانوا يصورون لنا بأن مصر كلها كان تغرق وقري بكاملها كانت يتم أبادتها من الفيضانات وعائلات بكاملها تقتل وكانوا ينشرون

قصص عروسه النيل بين البسطاء بدعوا ان المصريين كانوا يلقون بأولادهم في النيل منذ الاف السنين حتي يرضون النيل الهائج

- بعض الحلول البسيطة والتي أقترحها المهندسين المصريين وحتي الفلاحين لحل مشكله الفيضانات وهي حفر ترع جانبية عملاقة وممتدة علي جانبي النيل شرقا وغربا وعمل خزانات صغيرة بجانب تلك الترع وأستخدامها كخزانات مؤقته للمياه الزائدة أثناء الفيضانات ويمكن الاستفادة منها في زراعة واستصلاح الأراضي على جانبي هذه الترع وتعويض إحتياجات البلاد من المياه في فترة إنحسار النيل أو حتى جفافه وقد قام الاتراك في مصر في عهد محمد علي وأبناءه من بناء كثير من تلك الترع والخزانات في جميع أنحاء مصر والملفت للنظر ان كتير من تلك الترع قد تم ردمها بعد أنشاء السد العالي وهناك ترعه شهيرة في منطقه الهرم قد تم ردمها بعد تحويلها الي مقلب زباله

٤- استعمال المياه المخزنة أمام السد في زراعة واستصلاح الأراضي الجديدة.

- هذه أكذوبة كبيره حيت أن المياه المخزنة أمام السد العالي لم تكفي حتي لري الاراضي الحالية والتي تم تكوينها في منطقه الدلتا في خلال مليون عام من فيضان النيل.

أضرار السد العالي:

١- حجز طمى النيل أمام السد وحرمان مصر منها مما سبب كوارث عديدة مثل حرمان الارض الزراعية في جميع أنحاء مصر من العناصر الغذائية والمعادن الهامة التي كان الطمي يحملها ويمتصها النبات مثل الزنك والفوسفات فقلت خصوبة التربة بشكل خطير ولم تعد قادرة على الانتاج لا كما ولا نوعا فانهار الانتاج الزراعي وضعف بشدة تبعته المشاكل التي تعانى منها مصر حاليا بسبب ضعف التربة وقلة خصوبتها

٢- تأثرت صحة المواطن المصري بشكل خطير بسبب فقر التربة والنباتات التي تفتقر للعناصر الغذائية الهامة وحرمان التربة المصرية من عنصر الزنك وهو العنصر الذي ساهم في بناء صحه الانسان المصري وخصوبته منذ قبل وقت الفراعنة وحتي وقت بناء هذا السد اللعين ففقد الانسان المصري عنصرا هاما لبناء جسمه وخصوبته وسبب في تقلص متوسط الطول للمواطن المصري عن ما قبل فضمرت أجسام الشباب والاطفال وحديثي الولادة وهناك دراسة قد تم نشرها ومقارنه متوسط طول الرجل المصري البالغ عمره ٤٠ عاما مع الطفل ألأمريكي البلغ عمره ١٤ عاما فوجدت الدراسة أن الطفل الامريكي أطول من الرجل المصري .

٣- ظهور أمراض جديده بشكل شائع ولم يكن يعرفها المصري القديم بهذه الكثرة مثل أمراض قله الخصوبة لدى الرجل والمرأة وانتشار حالات العقم وعسر الولادة وزيادة الولادات القيصرية في مصر بمعدلات مرتفعة جدا ويؤكد تلك الظاهري كثير من أطباء الامراض النسائية والتناسلية في مستشفيات وجامعات مصر

٤- تراجع الطمي أدى الى انحسار الدلتا المصرية وزيادة معدل نحر البحر والتصحر وقد أكدت بعض الدراسات أن الدلتا المصرية ستختفي في خلال ٥٠ عاما بسبب النحر والتصحر وأغراق المنطقة بالكامل بسبب تغلل مياه البحر المالحة من البحر المتوسط نتيجة قلة الطمي الذى كان يحمى الدلتا من مياه البحر المالحة

٥- بعد ان كان الطمي يزيد من مساحه الدلتا عاما بعد عاما وفي خلال مليون عاما فأن ما يحدث الان هو العكس وانت مساحه تلك المنطقة تتأكل بشكل كبير جدا مما يهدد بتدمير ما بناه الطمي في خلال ٥٠ عاما قادمه فقط

٦- السد العالي بما يخزنه من مياه أمامه يمكن اعتباره بأنه قنبلة موقوتة قد تنفجر في أي لحظه لو انهار لأى سبب سواء كانت بسبب جيولوجي طبيعي كالزلازل أو بسبب تخريبي او عمل عسكري عدائي وفي هذه الحالة ستتعرض معظم قري ومدن مصر والواقعة في طريق مجري النيل للغرق بسبب كميات المياه المهولة التي ستندفع فجأة

٧- السد العالي يعتبر الان نقطه ضعف عسكريه حيث أنه يمكن ضربه بواسطه طائرات معاديه مثل الطيران الاسرائيلي ولا يجب أن يغيب من ذاكرتنا تهديد بعض القادة الصهاينة بضرب السد العالي في حرب ١٩٧٣م

٨- أغراق آثار النوبة وتدمير تاريخ مصر

ما يثير السخرية أن اليهود وجنرالاتهم في أسرائيل يهددونا بتدمير السد العالي وكل هذا من أجل تشتيت أنتباهنا عن المشروع الذي مرروه علينا وبنوه بمهندسيهم السوفييت وبأموالهم السوفيتية ويريدون الحفاظ عليه أكثر منا

وأخيرا أتمني من شباب مصر ومهندسينا وعلمائنا من أعاده النظر في هذا السد وأعاده تصميمه وتعديله وأن لزم الامر بأزالته نهائيا حتي نتمكن من أصلاح ما أفسده جمال عبدالناصر وأسياده اليهود واعاده مياه النيل الي مجراه الطبيعي كما كان منذ مليون عام

وبالمختصر:

السد العالي ... كارثة كوارث مصر علي المدي الطويل ... حل قصير المدي جدا تتلاشي فوائده و تظهر عيوبه أمام أعيننا و نعاني منها بمضي الزمن ... فلسفة عبد

الناصر في بناء السد العالي ... حمايه مصر من الفيضان ... توليد الطاقة الكهربائية ... تحويل نظام الري إلي الري الدائم .... عارف عبد الناصر عمل ماذا... النيل يغرق مصر كل سنة ... راح سيادة البكباشي ذبح النيل ... المشكلة كانت كيف تعرف تسيطر علي مجري النهر و مواسم فيضانه ... الموضوع كان يحتاج لدراسة مستفيضه من البيئة و الهيدرولوجي و غيرها من علوم إستعمال المياه و إستغلال الثروة المائية ... من أول منابع النهر لغاية مصبه في البحر المتوسط ...و لعلمك السد العالي كان أحد الحلول المطروحة قبل ٥٢ و رفضته الحكومة و بيوت الخبرة المصرية و العالمية مرات عديده بسبب الخوف من غرق الدلتا تحت مياه البحر الأبيض ... وهذا إلذي يحصل الآن ... عارف لماذا الأمريكان لم يقبلوا يمولوا المشروع... لانه كما يقول الناصريين لا يريدوننا ننهض ولا يحبوا الخير لمصر اكيد لا .... واترك من كلام الجعجعه هذا ... الأمريكان رفضوا لأن المشروع ليس مدروس كفاية و التخطيط غير متكامل ... هذا السبب الحقيقي اللي البنك الدولي رفض التمويل بسببه... عبد الناصر قالك ها ندرس و ها نخطط ... و راح علي الروس اللي لا يدرسوا و لا يخططوا .... أمريكا فرحت و قالت خليه يعطيهم بعض فلوس حتى يأكلوا بدل يرموا بلاويهم علينا .... و قلنا سنبني و الان بنينا السد العالي ... و غرقت النوبة ... و إتحجز طمي النيل وراء السد بعد آلاف السنين من الفيضانات ... و خربت الأرض الزراعية و إستعملنا السماد الكيماوي لأن لا يوجد طمي ... و دمرت و إنخفضت جودة القطن المصري... و دمرت المصارف وانتشرت بسب الكيمياوي امراض السرطان والفشل الكلوي ... و إرتفع منسوب المياه الجوفية في كل مصر ... و بعض الكهرباء اللي ينتجها منه لا تكفي سوى أسوان ... السد العالي مجرد مشروع هندسي إنشائي ضخم ... لكن الفائدة منه بالنسبة للكوارث اللي سببها ...لا تجلب ثمنها .

٦. جمال عبد الناصر وافساد الحياة السياسية:

علي مدار ربع قرن من عمر مصر شهدت البلاد حالة من الجمود السياسي علي أثر تولي الرئيس الراحل جمال عبدالناصر سدة الحكم.. وبزعم العمل علي استقرار البلاد تخلفت مصر وانقطعت الصلة بينها وبين سابق عهدها حينما شهدت علي مدار حكومات الوفد المتعاقبة نهضة سياسية وديمقراطية وإقراراً بحرية الرأي علي نحو غير مسبوق .

تميزت الفترة ما بعد ١٩٥٢ في تاريخ مصر بتغيير الظروف والفكر والوجهة سواء علي الصعيد المحلي أو الصعيد الخارجي واستطاع الإخوان المسلمين إقناع مجلس قيادة الثورة بعدم جدوي وجود الأحزاب ليكونوا لاحقا م اول ضحايا هذا الامر وتكونت لدي مجلس قيادة الثورة قناعة بضرورة حلها وذلك لرغبة العسكر بالاستيلاء على السلطة، وبدعوي أنها غير قادرة - وحسب قناعتهم - علي تحقيق التغيير الذي يحتاجه الشعب مما دعي مجلس قيادة الثورة وبعد ٤ أشهر من قيام الانقلاب بإصدار قانون بحل الأحزاب السياسية وتم إلغاء كافة الأحزاب واستبدالها بالاتحاد الاشتراكي.

وبعد توجه ما سمي مجلس قيادة الثورة إلي سياسة التنظيم الواحد وهو من الامور التي دمرت الحياة السياسية وصادرت علي آراء الآخرين.

انقلب الضباط الأحرار ضد الملكية باعتبارها حكماً توارثياً حسب ما ادعوا واستبدلوها بنظام جمهوري يقوم علي نقل السلطة إلي الشعب، في حين استمر الشعب غير مشارك في الحكم سوي من الموافقة علي الاستفتاء لمد فترة الرئاسة، الأمر الذي قتل طموح الشعب، وكان سبباً في عدم وجود قيادات بديلة وتداول السلطة.

كان هذا الاتجاه - التنظيم الواحد - سبباً في تكريس السلطة في يد فرد أو تنظيم واحد. كما كان سبباً في توزيع السلطة علي طبقة من الموالين، الأمر الذي جعل معيار اختيار القيادات علي أساس الولاء وليس الكفاءة.

وسياسة التنظيم الواحد كان سبباً في وأد أي فكر معارض وقضي علي أي مبادئ للديمقراطية في سبيل تأمين نظام الحكم الثوري المطلق مما أدي إلي سحق المعارضة وخلق اتجاه أحادي منفرد أبعد الشعب عن الإمساك بزمام أمره، أو المشاركة في تقرير مصيره أو إعداد كوادر من أبنائه يحملون الأمانة.

استبشر بعض الناس ونتيجة للدعاية التي قام بها الانقلابين خيراً بزوال النظام الملكي بقيام انقلاب ٢٣ يوليو - هذا ما قاله أحمد عودة عضو الهيئة العليا لحزب الوفد مساعد رئيس الحزب - مضيفاً أن الشعار الذي رفعه الضباط الأحرار كان الاتحاد والنظام والعمل ولكن تلك الحركة بدأت تتآكل ويأكل بعضها بعضاً فانقلبوا علي الرئيس محمد نجيب وحددوا إقامته ثم رشاد مهنا وجمال حسين وانتهج عبدالناصر نهجاً ديكتاتورياً وتم إلغاء الدستور وحل الأحزاب ومصادرة أموالها.

وأضاف أن الشعب كان يتطلع إلي نظام جديد وأحزاب جديدة، ولكن فوجئوا بنظام الحزب الواحد بداية من هيئة التحرير إلي الاتحاد القومي وصولاً إلي الاتحاد الاشتراكي.

وأوضح «عودة» أنه بعد حل الأحزاب تم العصف بالحريات العامة ومصادرة الصحف واغتيال المعارضين والتعذيب في السجون وأصبح لا وجود لأي صوت معارض وكان حزب الحكومة الأوحد الذي يخدم الحكومة.

أما المفكر السياسي حسين عبدالرازق، القيادي البارز بحزب التجمع، أوضح أن مجلس قيادة الثورة لم يكن بأكمله ضد فكرة التعددية الحزبية، ولكن كان هناك عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة وعلي رأسهم الرئيس جمال عبدالناصر كانوا ضد فكرة التعددية الحزبية ومع الاتجاه إلي سياسة الحزب الواحد.

وأضاف أن قناعة جمال عبدالناصر وعدد من زملائه بسياسية الحزب الواحد كانت وراء صدور قرار حل الأحزاب الذي صدر في ١٩٥٣.

من هنا بدأت فكرة التنظيم السياسي الواحد تجد أرضية لنفسها وذلك بسبب تأثير عبدالناصر بنظام «تيتو» في يوغوسلافيا و«فرانكو» في إسبانيا، مضيفاً أن عبدالناصر كانت له مقولة مشهورة بهذا الشأن وهي - علي حسب ما ذكره القيادي بحزب التجمع - أن عبدالناصر قال: «لو عملنا حزب رأسمالي يطلع تابع لأمريكا ولو عملنا حزب شيوعي يطلع تابع للاتحاد السوفيتي».. وتساءل عبدالرازق: وما المانع أن يكون حزباً شيوعياً أو رأسمالياً مصرياً وهل المصريون عملاء؟

وأضاف «عبدالرازق» أن السادات حينما حاول أن يحمل الحياة السياسية أنشأ ثلاثة تنظيمات يمين ويسار ووسط كان هذ التنظيم داخل ومنبثق من نظام الحزب الواحد حتي إن عدداً من السياسيين أطلقوا علينا نظام الحزب الواحد في قالب تعددي.

واختتم «عبدالرازق» حديثه قائلاً: إن نظام الحزب الواحد كان أحد السبل التي قضت علي الديمقراطية وتعدد الآراء وصراع الأفكار والمبادئ والتي تؤدي للوصول إلي الأفضل.

ومما لا ينكره احد ان الجاسوس جمال عبد الناصر انهى الحياة الحزبية في مصر وتم تخريبها على يد "عبدالناصر"، ووضع الديكتاتورية بديلا لها .

٧. الاعلام الناصري الفاسد:

باستثناء فترات الحروب و بافتراض رشادها، عندما تعتقد السلطة، أي سلطة، أن مهمة الإعلام تكمن أساسًا في تسهيل مهمة الحاكم فهي إما جاهلة أو مغرضة، أو أنها خليط من الاحتمالين بمقادير مختلفة. لا توجد احتمالات أخرى كثيرة غير هذه. مهمة الإعلام هي الإعلام. نقطة. لكنّ إحدى مصائب الواقع المصري/العربي أن اعتقادًا كهذا تحول على مدى أكثر من نصف قرن إلى ثقافة عامة لدى كثير من الناس، و كأنه قضاء و قدر. لم تبدأ هذه الثقافة في التخلخل إلا في السنوات القليلة الماضية، و لا يزال انتشارها تحدّيًا قويًّا أمام طلاب الديمقراطية و دولة القانون، بكل ما تشمله هذه من مفاهيم حاسمة في تطور أي مجتمع، على رأسها القابلية للمحاسبة. لهذا، أساسًا، لا تزال بيننا و الإسرائيليين سنوات ضوئية.

دعني أضرب لك مثلًا بسيطًا في صورة هذه الحكاية الطريفة لتوضيح الفكرة. في عام ٢٠٠٠، تعرّف المصريون لأول مرة، بعد أكثر من ثلاثين عامًا، على الحجم الحقيقي لجرائم الصهاينة بحق أسرى مصر عام ١٩٦٧، صوتًا في شهادات موثقة، و صورةً في لقطات دامغة. جاء هذا في سياق تحقيق استقصائي في برنامج "سري للغاية" الذي كان يقدمه الاعلامي يسري فودة على قناة الجزيرة. قبل إذاعته، وحمل يسري فودة كما يروي

الجزء الأول من التحقيق من لندن إلى القاهرة إلى أستاذنا الراحل، محمود عوض، أحد أبرز مراجع المهنية و الوطنية و الضمير. بكى الرجل في منتصفه، و لدى نهايته قال لي: "هذا ملف كامل متكامل يصمد أمام محكمة العدل الدولية و كان ينبغي على الدولة المصرية تجميعه من زمان". ثم اقترح شيئًا استغربته و تحمست له في الوقت نفسه: أن نأخذ الشريط و نهبط به على منزل صديقه الملحن الأستاذ كمال الطويل في حي الزمالك.

انتشى الرجل عندما استمع في مقدمة التحقيق لمقطع من أغنية وطنية لحّنها هو و غناها عبد الحليم حافظ في تمجيد جمال عبد الناصر في الخمسينات. "ريّسنا ملّاح و معدّينا، عامل و فلّاح من أهالينا". مضى شريط الـ VHS في الدوران، ثم مضى، و أنا أسترق النظر إلى تعبيرات وجه الملحن الكبير التي بدأت في التغير، من ترحيب إلى انتشاء إلى فخر إلى سعادة تتحسر الآن جميعًا شيئًا فشيئًا نحو تململ يقود إلى وجوم يقود إلى غضب يقود إلى صدمة. ثم فجأة، دون مقدمات، نهض الرجل و داس على زر الإيقاف و ألقى بالشريط في اتجاهنا و كاد أن يطردنا حرفيًّا من منزله.

كان الباحث الإسرائيلي، موتي غولاني، الذي كشف النقاب أولًا عن مسؤولية بني جلدته قد تعجّب في الجزء الثاني من التحقيق من رد الفعل الرسمي في مصر: "أتدري شيئًا! لقد أثار رد الفعل المصري فضولي. لديّ إحساس بأن الذي ضايقهم لم يكن حقيقة أن جنودًا إسرائيليين قتلوا أسرى حرب مصريين. لقد كانوا يعلمون و لم يكونوا بحاجة إليّ أو إلى أحد من زملائي كي يخبرهم بذلك. إننا - نحن الإسرائيليين - مازلنا نبحث عن جثث جنودنا في حرب ٤٨، و هو شيء لا تجده في العالم العربي. ماذا إذًا عساه يحدث لو طالب الشعب المصري حكومته بالبحث عن ذويه؟ لم ترغب الحكومة المصرية في سماع المزيد، و إنما قالت: (حسنًا، أعطونا تقريرًا تعترفون فيه بأنكم أشرار و بأنكم أخطأتم، نعرضه على شعبنا و دعوا الأمر ينتهي)".

كان هذا لونًا من الإعلام الحر لم تعتده أعين كثير ممن تربوا على "إعلام" ما بعد ١٩٥٢ الذي تحول تدريجيًّا إلى جزء لا يتجزأ من المجهود التعبوي - باستثناء من رحم ربي فلم يرحمه الحاكم و خُدّامه - و اختُرعت له وزارة اسمها وزارة "الإرشاد" .. الـ .. إ .. ر .. ش .. ا .. د، في إطارها الشعب كله "عيّل تايه" و هي ترشده. و حين تفكر قليلًا في الأمر لن تجد في نفسك وازعًا كبيرًا إلى لوم الأستاذ كمال الطويل، رحمه الله، و لا كثير من جيله أو الأجيال التي تلته. من الصعب أن يواجه المرء وحده حقيقة أنه كان على خطأ فادح كل هذه السنوات و أنه كان ضحية أخرى من ضحايا التحرش العقلي - في أكثر الأوصاف أدبًا - بكل ما قد تحمله مواجهة كهذه من مرارة و من احتقار محتمل للذات. لا بد إذًا أنها مؤامرة و لا بد أن من يقف وراءها خونة، و هكذا تستريح النفس.

بصوته الجهور و نبرته التي تعتلي الآن أعلى نقطة في طبقة الجواب و كأنه يضرب الهواء بقبضته، ينطلق نجم "صوت العرب"، أحمد سعيد: "و الآاان .. أيها الأخوة العرب .. من المحيط إلى الخليج .. بعد أن استمعنا إلى نشرة الأخبار .. من قلب العروبة

النابض .. نستمع إلى الفنانة شادية .. في أغنية .. شباكنا ستايره حرير". و في مفارقة هزلية، تتهادى شادية في منتهى الرقة مع صوت الكمان الناعم المنساب، كي تعلن عن مدرسة بارزة في "الإعلام"، مدرسة "شباكنا ستايره حرير". جاءت هذه المدرسة نتيجة حتمية لتوجيه معنوي يخاطب العاطفة و يحتقر العقل، و يخلط الوطن بالحاكم، و يتحول معه المتلقي إلى جزء من قطيع لا يصلح إلا للاصطفاف وراء رسالة صيغت في أعلى و لا تقبل المناقشة. لا مكان في هذه المدرسة للمعلومات المجردة النزيهة، و لا مكان فيها للمنطق. لحصة "التربية القومية/الوطنية" فيها نصيب الأسد، لا ينافسها فيه سوى حصة "الألعاب" (لاحظ هنا الموروث الفاشي).

اعتمد الإعلام الرسمي الدعائي لنظام جمال عبد الناصر في مصر على شيئين:

اولا: اتهام المعارضين، وعلى رأسهم حركة الإخوان المسلمين، بالتعامل مع الولايات المتحدة الأمريكية في وقت كان فيه الشعور العربي والشعبي يسير في اتجاه معاد لأمريكا. فكان كل تعامل مع أمريكا بمثابة نقطة سلبية وكل معارضة لها يمثل نقطة قوة تدفع الشعوب إلى الالتفاف حول النظام الذي يعلن معارضته لتلك القوة الاستعمارية الطاغية.

ثانياً: التحدث عن بطولات الجيش في حروبه ضد إسرائيل ووصف الانتصارات الكبيرة التي حققها الجيش المصري العظيم كفتوحات تجعل الشعوب تنام قريرة العين مستمتعة بأحلام التحرر والحرية والكرامة بالإضافة الى الحديث عن الانجازات العلمية التي لاوجود لها على الارض .

ماذا حدث بعد ذلك؟

ما حدث أن التاريخ رفض أن يموه عليه أحد. فقد بدأ ظهور الوثائق التي تبرز تعامل نظام عبد الناصر مع أمريكا وسيره حسب ما ترسمه له الخارجية الأمريكية والمخابرات المركزية عبر السفارة الأمريكية في القاهرة. ومن جهة أخرى، انفضحت وثائق الحروب المصرية والخيانات التي كانت تعرفها بعض صفوف الجيش المصري، فاستيقظ العالم العربي على الحقيقة: مصر لم تنتصر على إسرائيل ولم تحقق شيئا وضاع الجيش المصري وفلسطين وكل شيء .

أي زيف أقبح من زيف بوق الاعلام الناصري الفاسد محمد حسنين هيكل عن الانتصارات المزعومة في حرب ٥ يونيو في جريدة الأهرام، وعدد الطائرات التي أسقطناها تؤكد كذبه، أي زيف أقبح من أن يزعم هيكل أننا انتصرنا في ٥ يونيو لأن اليهود وإن أخذوا سيناء برمالها وباقي فلسطين فقد عجزوا عن إسقاط عبد الناصر، فأنسب مكان

لصنع تمثال لعبد الناصر يكون في تل أبيب جزاء ما قدم لليهود من جميل لن ينسوه له وكأن عبد الناصر اهم من ارض الوطن.

محمد حسنين هيكل مؤسس الاعلام الفاسد:

خلافاً لأكثر أبناء جيلي، لم أستطع يوماً أن أحترم محمد حسنين هيكل، بالرغم من الهالة الضخمة التي تحيط به، وهذا لا يتعلق بقدراته ولا بتقويم أسلوبه....فموقفي منه يرجع إلى أنه عاش وبنى "أمجاده" في ظل جاسوس و طاغية مهزوم، يصر على أنه صانع انتصارات إستراتيجية ليس لها وجود البتة.

وفي الحقيقة محمد حسنين هيكل ليس سوى جاسوس امريكي إن هيكل أهم شخصية في تزييف الحقائق لأن رواياته ومعلوماته لا تكشف صورة الوثيقة التي يستند إليها، وإنما روايته الشخصية، وهذا ما جعل الالتباس فيما يكتب يعتمد الشك الذي لا يصل إلى اليقين

ومحمد حسنين هيكل من أكثر الكتاب والصحفيين الذين أثاروا المعارك والجدل حول مرحلة عربية مضطربة خلقت مناخات حروب بين الحكومات وتشكيل الأحزاب وتمكين العسكر من أداء دور السلطة المطلقة، وتدخل الدول الأجنبية.

ولأنه يعتقد أنه صانع التاريخ الحديث بدءاً من لقائه بالضابط عبدالناصر أثناء حرب فلسطين، ثم الكشف عن هذه الشخصية التي ظلت تستشير هيكل عن سر الانقلابات في سوريا ودورها، وعن القيام بمثل هذا الدور في مصر والخوف من تدخل الإنجليز، ثم قيام الثورة وبروز هيكل كصانع لزعامة عبدالناصر، يوحي أننا أمام دائرة هائلة لعبقرية غير عادية، وأن عبدالناصر مجرد أداة تنفيذية لآراء وأفكار هيكل حتى إن كل ما قاله وأورده في كتبه وأحاديثه لم يأت على لسان أي من صانعي انقلاب ١٩٥٢ من الأعضاء، وأن دور هيكل كصحفي، وناطق باسم الرئيس عبدالناصر لم يأت إلا بعد الانقلاب بسنوات طويلة.

مثلاً حين كتب (مايلز كوبلاند) الجاسوس الأمريكي الشهير، كتابيه (لعبة الأمم؟) وب (غير عباءة ولا خنجر) اتهم هيكل بأنه واحد من الصحفيين العالميين الذين تعاونوا من ال «سي. اي. ايه» وأنه ليس بالضرورة جاسوساً مباشراً، ولكنْ متعاون بإعطاء الأخبار، وأن السفير الأمريكي في مصر، بتلك الحقبة، هو من يزود هيكل بالمعلومات وينشرها ويتحمل نقده وشتمه لأمريكا..

وأيضاً هناك شبهات كثيرة، قيل ان خروتشوف الزعيم السوفيتي أثناء مقابلته مع هيكل في وفد رسمي لعبدالناصر، ناقشه عن علاقته بأمريكا، وبعد انكار، وإقرار من هيكل اخرج خروتشوف من درجه صورة شيك بمائة ألف دولار باسم هيكل، لكن الأخير أنكر، وأنها ثمن مقالات نشرها بالصحف الأمريكية، فرد الزعيم السوفيتي أن هذا المبلغ يفوق

أجر مثل هذه المقالات، وعندها خرج هيكل، واستقل أول طائرة ذاهبة لمصر لأنه ادرك مدى الشرك الذي وضعه فيه خروتشوف بعمالته لأمريكا..

والروايات كثيرة عن علاقات متشابكة بين هيكل وأعضاء السلطة، لكن ما هو مثير أن العديد من العاملين بالصحف هم من كشف المستور، وحتى لا نخرج عن صلب موضوعنا، فإن هيكل الذي جعل أسلوب الانتقام جزءاً من تكوينه الشخصي، استطاع أن يخترع العديد من الاتهامات سواء كانت صادقة أو مكذوبة عن مصطفى أمين، وعديد من الصحفيين العاملين بتلك المرحلة، وأنه وراء سياسة التأميم للصحف وفصل العديد من الكتاب البارزين، وإحاطته بكتاب بدلاء أغلبهم من المحسوبين على اليسار، والذين أيضاً طالتهم يد التصفية والسجن، دون أن يكون هيكل محامي الدفاع أو الوسيط عنهم..

وبالتفتيش في ملفات أستاذ الأجيال، وصاحب الحظوة على موائد انقلابي ٥٢ وما بعدهم عثرنا على وثيقة شديدة الخطورة والقدم بل والسرية رغم كونها منشورة على شبكة المعلومات الدولية، خاصة وأننا لا ندعى بأننا أول المقلبين لدفاتر الأستاذ فالتاريخ طويل والجميع لم يخدع، والوثيقة هي مقال نادر للأستاذ نشر في مجلة روزا ليوسف، وبالتحديد في العدد رقم ٨٣٠ الصادر في القاهرة يوم الخميس ١١ من مايو ١٩٤٤ م، الموافق ١٨ من جمادي الأولى سنة ١٣٦٣ هـ، وبمناسبة العيد الثامن لجلوس الملك فاروق على العرش، وتحت عنوان "في يوم عيدك يا مولاي" يخاطب الملك فاروق قائلاً.. "في يوم عيدك يا مولاي" هذه هي الذكرى الثامنة لجلوسك يا مولاي على عرش مصر.. ثمان سنوات وأنت تحمل مسئولية هذا الوطن وهذا الشعب، كنت فيها نعم الملك الدستوري في ظروف لعلها أدق ما مر بها في تاريخ حياتها، أو ليس الفاروق هو الذي قال ذات مرة:

«إنني أحب قيادة السفينة أثناء العاصفة.. ثمان سنوات وأنت تعمل لهذا الشعب وتخلص له وهو يعمل معك ويخلص لك وستظلان معا إلى الأبد، وهذه مصر كلها تحتفل بعيد ملكك.. مصر من أقصاها إلى أقصاها، أفرادًا وجماعات، أحزابًا وهيئات، ولم تجد مصر ما تحيي به هذا العيد سوى الهتاف باسمك والدعاء لك».

هكذا كان الأستاذ يخاطب ملك ما قبل الثورة والجميع يعلم كيف خاطب الأستاذ رجال الثورة بعد رحيل الملك، أما المشهد قبيل الأخير في حكايات الأستاذ كان في حوارة عقب ثورة ٢٥ يناير مع فهمى هويدي على جزيرته القطرية، وفى حديثه عن ما عرف بموقعة الجمل.

ما ان وصل البكباشي جمال عبدالناصر للحكم بعد سنتين من انقلاب الجيش حتى اصبح هيكل الأب الروحي له يديره ويوجهه كيفما شاء فيرسم له سياساته الخارجية المهلكة ويخطط له معاركه العسكرية المدمرة ويحولها ضمن المنهاجية الغوبلزية في الاعلام إلى انتصارات باهرة، وكان يعامل عبدالناصر كالطفل القاصر فيكتب له خطبه المحرضة التي أوصلته الى توريطه في نكسة ٦٧ واساءت لعلاقاته مع جميع الدول العربية والاسلامية

ومع المعسكرين الغربي والشرقي على حد سواء، وما ان توفي عبدالناصر وقبل ان تجف تربته فتح هيكل باب الهجوم عليه الذي لم يقفل عبر مقال «عبدالناصر ليس اسطورة» وما اجمل وفاء الصديق لصديقه!

وواصل هيكل عمله كوزير للإرشاد والاعلام في عهد الرئيس انور السادات وسهل له عملية الانقلاب على شركاء عبدالناصر الكبار والسائرين على نهجه امثال شعراوي جمعة ومحمد فوزي ومحمد فائق وسامي شرف وغيرهم ولم يمس السادات بكلمة ابان حياته خوفا من ان «يفرمه» ولكن ما ان قتل في حادثة المنصة حتى اصدر كتابه القميء «خريف الغضب» الذي طعن به في والدة السادات وعائلته بصورة مهينة، فأصبح السادات محبوب الشعب المصري حتى اليوم.

أما في عهد مبارك الذي بدأ يومه الاول بإطلاق سراح هيكل من السجن واستقباله وصحبه في القصر الجمهوري فقد استفاد هيكل رجل كل العصور من عهد الثروة كما استفاد من حقبة الثورة حتى بلغت ثروته الخاصة التي يديرها ابناه ما يتجاوز ١٥ مليار دولار (مجموعة اصول شركتي هيرميس والقلعة) .

هيكل بالمختصر جاسوس امريكي تم تجنيده بعناية في الحرب العالمية الثانية اختاره رئيس تحرير "الإيجيبشيان جازيت" لكي يشارك في تغطية بعض معارك الحرب العالمية الثانية في مراحلها المتأخرة برؤية مصرية، ثم تم تعينه عام ١٩٤٥م كمحرر بمجلة آخر ساعة التي انتقل معها عندما انتقلت ملكيتها إلى جريدة أخبار اليوم خلال الفترة (١٩٤٦م -١٩٥٠م).

كانت النقلة الأهم في حياته حين وقع عليه الاختيار ليذهب إلى العلمين ليغطي وقائع الحرب العالمية الدائرة هناك حيث يعتقد انه تم تجنيده كجاسوس من هذا الوقت وبعدها سافر ليغطي الحرب في مالطا، ثم إلى باريس التي التقى فيها بالسيدة فاطمة اليوسف صاحبة مجلة "روز اليوسف"، والتي قررت أن تضم الصحافي الموهوب إلى مجلتها، ليصبح هيكل في عام ١٩٤٤ صحافياً في مجلة "روز اليوسف"، وهناك تعرف على محمد التابعي، لينتقل معه إلى صفحات "آخر ساعة".

الاعلام الناصري والانتصار على الشعب:

"لن نبالغ إن قلنا إن نموذج الإعلام كسلاح لسيطرة الدولة في العالم العربي أسسه المصريون". بهذه الكلمات يتناول الصحافي الإسكتلندي أندرو هاموند إعلام الحقبة الناصرية في كتابه الثقافة الشعبية في العالم العربي.

تعرّف المصريون على انقلاب يوليو عبر الإذاعة المصرية التي كانت هي مصدر الأخبار الوحيد لمجتمع بلغت فيه نسبة الأمية أكثر من ٧٠% وفي وقت انتشار جهاز الراديو "الترانزستور".

ويشير هاموند في كتابه إلى أن الضباط الأحرار بقيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أدركوا جيدا أهمية الإذاعة التي جرى استخدامها كوسيلة للتعبئة وحشد الجموع، ليصبح عبد الناصر نجم الإذاعة الأول في العالم العربي.

أسس عبد الناصر إذاعة باسم "صوت العرب" عام ١٩٥٣ وعين لإدارتها المذيع أحمد سعيد أحد أصدقائه المقربين والذي لعب دورا هامًا في الترويج للقومية العربية التي تبناها عبد الناصر ونشر الخراب والانقلابات في الدول العربية. هكذا صارت أداة لتوجيه الغضب الشعبي من سوء الأوضاع المعيشية في هذا الوقت بعيدا عن عبد الناصر نحو الغرب الذي بات مصدر كل بلاء. وجرى استغلال الإذاعة

في دعم عبد الناصر ومشروعه القومي الاشتراكي في مقابل خصومه السياسيين. وتفرغ أحمد سعيد لمهاجمة ملك السعودية فيصل لموقفه المعارض لموقف عبد الناصر في اليمن. كما اتخذت صوت العرب في عهد أحمد سعيد موقفا مساندا لأعضاء الحكومة الأردنية الموالين لعبد الناصر في معركتهم ضد الملك حسين. حتى الحبيب بورقيبة في تونس لم يسلم من نيران الإذاعة المصرية بسبب تصريحات الأخير الداعمة لتقسيم فلسطين إلى دولتين، تنفيذا لخطة التقسيم التي اعتمدتها الأمم المتحدة عام ١٩٤٧.

لقد استخدم عبد الناصر أحمد سعيد بطريقة تشبه تلك التي اعتمدها الزعيم العراقي الراحل صدام حسين مع وزيره سعيد الصحاف، بل ووصف محللون الإذاعي المصري بجوبلز (وزير الدعاية السياسية للزعيم النازي هتلر) نظرا لأدائه الخطابي المتميز ودفاعه المستميت عن مشروع صديقه المقرب عبد الناصر.

لكن "مذيع النكسة" كانت أبرز الألقاب التي عُرف بها أحمد سعيد فقد طفق الرجل يعلن تدمير عشرات الطائرات الإسرائيلية بناء على البيانات الصادرة من القيادة السياسية والجيش التي بشرت الشعب بأن الجيش المصري على أعتاب تل أبيب.

وتنحى عبد الناصر وتغير خطاب أحمد سعيد الذي اهتز إيمانه بعبد الناصر لكن الأخير عاد بمطالبات شعبية ليقيل سعيد. أكد المذيع الشهير بعد ذلك إنه كان جنديا ينفذ أمر القيادة التي كان مجبرا على طاعتها وإلا تعرض لعقوبة الإعدام.

وهنا تجدر الإشارة إلى حرص الرئيس الراحل على تعيين الأصدقاء أو مصادقة الرموز بغرض الاستفادة من شعبيتهم الإعلامية لصالح المشروع الناصري. أحمد سعيد لم يكن الوحيد، فقد ارتبط عبد الناصر بصداقات مهمة مع عدد من رموز الطرب فغنى عبد الحليم للاشتراكية وللسد العالي وللزعيم عبد الناصر الذي جعل مصر زعيمة، وناشدت أم كلثوم عبد الناصر البقاء بعد إعلانه التنحي لكونه "الأمل والخير والنور" ونادى الملحن محمد عبد الوهاب الرئيس الراحل بـ "حبيب الكل"، ونظم صلاح جاهين القصائد في تمجيد الزعيم.

كانت الكاريزما هي أبرز مهارات عبد الناصر وساهمت الخطب التي بثها التلفاز في زيادة أرصدة عبد الناصر الذي تحدى الولايات المتحدة وبريطانيا والبنك الدولي وطالب فيها الشعب بالتقشف للصمود في وجه الغرب. وبعد النكسة، اختار عبد الناصر التلفاز لبث خطاب التنحي الذي جاء عاطفيا لدرجة دفعت مئات الآلاف إلى الشوارع لمطالبة الرئيس بالبقاء.

أما الصحافة، فقد تجلى استغلالها في أزمة الرئيس الأول للجمهورية محمد نجيب الذي اشتكى ـ خلال اجتماع بمجلس قيادة الثورة في ٢٠ ديسمبر ١٩٥٣ ـ من تجاهل الإعلام المتعمد لخطاباته لكن الضباط الأحرار المقربين إلى عبد الناصر اتهموا نجيب بخطف الثورة . هنالك كتبت صحيفة الأهرام "قبول استقالة محمد نجيب لتمسكه بمطالب شخصية" وتعيين البكباشي جمال عبد الناصر، لكن عبد الناصر ورفاقه لم يصمدوا أمام الاحتجاجات الشعبية المطالبة بعودة نجيب رئيسا وقد كان.

لقد تجنب عبد الناصر هذا الخطأ لاحقا فتخلص من الإخوان المسلمين في حادثة المنشية ونشرت الصحف القومية تقارير عن علاقة الإخوان بالمخابرات البريطانية وأعدم عدد من قيادات الجماعة وخُفف حكم بالإعدام على المرشد الهضيبي إلى الأشغال الشاقة المؤبدة.

جرى استخدام المظاهرات المصطنعة للمرة الأولى لتقويض موقف محمد نجيب فخرجت احتجاجات غريبة تهتف ضد الديمقراطية والحرية والأحزاب والبرلمان، وتبين بعد ذلك أن أصدقاء عبد الناصر دفعوا إلى صاوي أحمد صاوي رئيس اتحاد عمال النقل ٤ آلاف جنيه مقابل تنظيم إضراب يشل الحياة وحركة المواصلات بمشاركة عدد كبير من النقابات العمالية .

كانت هذه المظاهرات خير غطاء لتنحية محمد نجيب وتحديد إقامته، وجاءت المانشيتات لتتجنب خطأ إعلاميا وقع فيه عبد الناصر في المرة الأولى، فهذه المرة أعلن مجلس قيادة الثورة بقاء منصب رئيس الجمهورية خاليا دون طرح أسماء. جرى بعد ذلك حذف اسم نجيب من الكتب المدرسية التي أعلنت جمال عبد الناصر الرئيس الأول للجمهورية المصرية، في تزييف واضح للتاريخ.

من جديد، تظهر الصداقات في علاقة عبد الناصر بالإعلام، فقد عين الأخير محمد حسنين هيكل رئيسا لتحرير الأهرام عام ١٩٥٧، والذي ساند عبد الناصر على طول الخط وبرر سياساته، بل جاءت مقالات هيكل الأسبوعية مطابقة لوجهة نظر عبد الناصر. كذلك، اتسمت هذه الفترة بخروج الشيوعيين من المعتقلات الذين سعى عبد الناصر إلى احتوائهم واستغلال يأسهم الناجم عن دعم الاتحاد السوفيتي لنظام عبد الناصر. لذا فلا تعجب من تعيين الشيوعيين في عدد غير قليل من المناصب التحريرية والإدارية في الصحف والمجلات في هذا الوقت .

ويهاجم الباحث الإسرائيلي يوحاي سيلع هيكل بقوله: مقالات هيكل تضمنت تضليلاً كبيراً للرأي العام العربي، حين تعمد بعد ذلك خلال الخمسينات والستينات أن يعمق الشعور بالاستهتار لدى الشارع العربي بقدرات إسرائيل، في حين كان يتعمد التضخيم من قدرات مصر وقواتها ورئيسها جمال عبد الناصر! حتى أن هيكل وصف التورط المصري في اليمن بأنه فرصة جيدة للتدريب العسكري وإفراز قادة جدد للعسكرية المصرية التي وصفا مبالغًا بأنها خارقة، مع تشديد عبد الناصر على أن النصر لن يتحقق للعرب رغم كل ذلك إلا تحت قيادة عبد الناصر!. ويضيف الباحث الإسرائيلي أن هيكل استغرق في الأمر لدرجة جعلت الناس وهو معهم أيضا يتمنون اندلاع الحرب .

وكتب هيكل بتاريخ ٢ يونيو ١٩٦٧ أي قبل النكسة بليلتين تقريبا: مهما يكن وبدون محاولة لاستباق الحوادث فإن إسرائيل مقبلة على عملية انكسار تكاد تكون محققة، سواء من الداخل أو من الخارج.

لم يغفل عبد الناصر الجانب الديني، فقد سيطرت الحكومة على الأزهر والمساجد وأفتى الشيخ محمود شلتوت بأن الاشتراكية والإسلام لا يتعارضان، وحصلت الحكومة على فتاوى من مؤسسات دينية لدعم برامج تنظيم النسل والإصلاح الزراعي، ونشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الذي أسسته ومولته الحكومة مقالات في الثناء على الاشتراكية في مجلتها "منبر الإسلام" .

لقد أثار هذا التوجه تساؤلا ذا مغزى: هل كان السعي الناصري إلى بناء المؤسسات لا سيما الدينية بغرض بناء الدولة أم خدمة المشروع الناصري القومي الاشتراكي؟

لقد ضرب عبد الناصر مثالا في أهمية القوة الناعمة لا سيما الإعلام في تكوين القاعدة الشعبية. امتلك الرجل وسائل الإعلام واستطاع أن يكذب مراهنًا على أمية الغالبية وافتتان الباقين بالكاريزما الناصرية.

أضحك الزعيم الراحل المشاهدين الساذجين بالتندر على مرشد الإخوان حسن الهضيبي الذي يريد نشر الحجاب في مصر ولا يستطيع أن يقنع ابنته طالبة الطب بالحجاب. تبين بعد ذلك أن ابنة المرشد هي الطالبة الجامعية الوحيدة التي ترتدي الحجاب لكون الطالبات الأخريات خائفات من الاعتقال بتهمة انتمائهن للأخوات المسلمات!

وانهزم الجيش المصري في ١٩٥٦ لكن القيادة أقنعت الشعب بالعكس ليغني عبد الحليم "انتصرنا" دون أن يعترض أحد.

وفي النكسة، لم يقف الأمر عند حد بيانات الانتصار الكاذبة فيما يراق دم الشباب المصري المبعثر في الصحراء المكشوفة، فقد بثت قناة الجزيرة مؤخرا مقطع فيديو يطالب

فيه عبد الناصر الملك الأردني حسين بإذاعة بيانات كاذبة عن اشتراك طائرات بريطانية وأمريكية في العدوان الإسرائيلي على مصر .

لم يكن هناك إعلام يواجه عبد الناصر بتناقضاته، فبينما كان الإعلام الناصري يروج المزاعم عن التحالف الإخواني مع بريطانيا كانت هناك مزاعم أخرى عن تعاون عبد الناصر مع الاستخبارات الأمريكية لإجهاض انقلاب إخواني محتمل، وأن واشنطن أمدت عبد الناصر بسترة واقية من الرصاص ارتداها قبيل حادثة المنشية في أكتوبر ١٩٥٤ . كانت هناك مزاعم أن عبد الناصر طلب من المسؤول بمكتب الخارجية لشؤون الشرق الأدنى باركر هارت المساعدة للقضاء على محمد نجيب . وقال هارت إن عبد الناصر تعهد بتحسين صورة أمريكا في العالم العربي والسلام مع إسرائيل والاعتراف بأن السوفييت هم التهديد الخارجي الأول على المنطقة للحصول على ٤٠ مليون دولار خصصها وزير الخارجية الأمريكي جون فوستر دالاس لمصر .

لقد صفقت الجموع لجمال عبد الناصر وهو يتحدى الأمريكان والبريطانيين ويعلن مشروعه القومي، لكن أحدا لم يعرف لعقود طويلة أن المشروع العظيم: السد العالي هو مشروع سوفيتي بالأساس وأن المشاركة المصرية لم تكن بالصورة التي روجها الإعلام الناصري.

فالاتحاد السوفيتي وافق على دعم المشروع عام ١٩٥٨ ليبدأ معهد هيدروبروجيكت السوفيتي تصميم الحجارة الضخمة وسد الطمي، فضلا عن أن الدعم الفني والهندسي والمعدات الثقيلة جاءت كلها من الاتحاد السوفيتي .

لم تكن هناك معارضة أو إعلام يقدم وجهة النظر الأخرى. لم تكن هناك معارضة تُذكر الناس بأن عبد الناصر تسلم مصر والسودان وخرج من الدنيا وقد فقدت مصر كلًا من السودان وسيناء. لم تكن هناك معارضة فقد زج الرئيس الراحل بآلاف المعارضين في المعتقلات.

نجح الإعلام الناصري في تحقيق أغلب أهدافه الداخلية لكنه فشل في تحرير فلسطين أو الحفاظ على كامل التراب الوطني. لذا فإن من المناسب أن نقول إن الإعلام الناصري لم ينتصر إلا على الشعب. ولازال بعض الناس مستلبي الوعي لهذا الإعلام الذي خمد من أكثر من أربعين سنة.

ابرز اكاذيب الاعلام الناصري على المصريين:

سنورد لكم اشهر اكاذيب اعلام الجاسوس الاسرائيلي الامريكي جمال عبد الناصر على المصريين والعرب

كذبة صواريخ الظافر والقاهر:

في ستينيات القرن الماضي وأثناء فترة حكم جمال عبد الناصر قامت القوات المسلحة بتصنيع صاروخين باسم القاهر والظافر .. وكان عبد الناصر يقول في كل خطبه الجماهيرية إن مدى صاروخنا القاهر يصل إلى ٦٠٠ كيلو متراً .. أما الظافر فيصل مداه يصل إلى ٣٥٠ كيلو متراً .. ويستطيعان بكل سهولة قصف اسرائيل .. و شارك الصاروخان في العروض العسكرية التي كانت تجرى كثيرا في شوارع العاصمة في ذلك الوقت ..

وأخذت الصحافة و الاذاعة تتحدث ليل نهار عن هذا الانجاز الضخم وقامت الحكومة بوضع نسخ معدنية من الصاروخ في العديد من الميادين الرئيسية بكثير من مدن الجمهورية وهللت الجماهير حينما شاهدتهما .. وأيقنت بأن زوال إسرائيل صار أمراً محتوماً وقد أصبح مسألة وقت .. فكانا الصاروخين دفعة معنوية هائلة للشعب المصري ..

يقول الفريق سعد الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة أثناء حرب أكتوبر:

بعد هزيمة سنة ١٩٦٧ أخذ المصريون يتهامسون : أين الصاروخين ؟ ولماذا لم يستخدمهما عبد الناصر في ضرب تل أبيب كما وعدنا ؟!

ولم تكن هناك أية اجابات عن هذه التساؤلات الا الصمت الرهيب من السلطات ..

عندما استلمت مهام رئاسة أركان الجيش لم يتطوع أحد ليخبرني بشيء عن القاهر أو الظافر لكنني تذكرتهما فجأة وأخذت أتقصى أخبارهما حتى عرفت القصة بأكملها ..

لن أقص كيف بدأت الحكاية وكيف أنفقت ملايين الجنيهات علي هذا المشروع وكيف ساهم الاعلام في تزوير الحقائق وخداع التي شعب مصر ، إني أترك ذلك كله للتاريخ ، ولكنني سأتكلم فقط عن الحالة وجدت فيها هذا السلاح وكيف حاولت أن أستفيد - بقدر ما أستطيع- من المجهود والمال اللذان أنفقا فيه ..

لقد وجدت أن المشروع قد شطب نهائياً وتم توزيع الأفراد الذين يعملون فيه على وظائف الدولة المختلفة ، أما القاهر و الظافر فكانت هناك عدة نسخ منهما ترقد في المخازن ، لقد كانت عيوبهما كثيرة و فوائدهما قليلة ، لكنني قررت أن استفيد منهما بقدر ما تسمح به خصائصهما.

لقد حضرت بنفسي بياناً عملياً لأطلاق القاهر ووجدت أن هذا السلاح أقرب ما يكون إلى منجنيق العصور الوسطي ، لقد كان كبير الحجم والوزن إذا تحرك فإن المركبة

الحاملة له تسير بسرعة من ٨-١٠ كيلو متر في الساعة ولابد أن تكون الارض صلبة وممهدة وإذا أُطلق فإنه يُطلَق بالتوجيه العام حيث أنه ليست لدية أية وسيلة لتحديد الإتجاه سوى توجيه القاذف في اتجاه الهدف وأقصى مدى يمكن أن يصل إليه المقذوف هو ثمانية كيلو مترات وفي أثناء التجربة أطلقنا ٤ قذائف على نفس الهدف بنفس الإتجاه ونفس الزاوية فكانت نسبة الخطأ ٨٠٠ متراً ، وهذا يعني أننا اذا قمنا باستخدام هذا السلاح خلال الحرب فأن الرابح الوحيد هو العدو لأننا حينها سنقصف أنفسنا!

بالطبع كانت المخابرات الإسرائيلية تعلم الحقيقة جيداً ..

أما الوحيد الذى لم يكن يعلم فهو الشعب المصري والعربي وهو الوحيد الذي دفع الثمن أيضاً ..

كذبة سفينة الفضاء المصرية:

"أكذوبة التاريخ في مانشيت رئيسي"، حملت تطلعات المستقبل وأسقطتها على واقع متدهور تكنولوجيا، فكيف لمصر أن تصنع سفينة فضاء عام ١٩٦٥ تحمل اسمها إلى المريخ!.

في عدد مجلة المصور الصادر بتاريخ ١٦ إبريل ١٩٦٥ ، وقبل الهزيمة بعامين وشهرين، تصدر الغلاف مانشيت رئيسي تفرغ له الغلاف كاملا ، لم تزاحمه أي إشارات لموضوعات أخرى، وعنوان مفاجئ يتضمن ثلاث أجزاء؛ عنوان تمهيدي بحجم صغير " سر يذاع لأول مرة " يليه العنوان الرئيسي وبالحجم الأكبر " سفينة الفضاء المصرية" وأخيرا عنوان ثانوي تحت الرئيسي يحمل " تحقيق كامل بالصور"!.

مقدمة مشوقة ومغامرة:

التحقيق الذي شغل ١٠ صفحات من المجلة يبدأ بمقدمة مشوقة يقول فيها المحرر الصحفي " ٩٦ ساعة مضت قبل أن أحصل على موافقة خاصة بدخول منطقة الأسرار.. منطقة أبحاث الفضاء المصرية.. ومضت بنا السيارة إلى مكان ما في منطقة ما ببلادنا لنعيش ساعات غير متصلة قصة كفاح علمي عسكري مدني ينتهي بنا إلى إطلاق أول كبسولة فضاء عربية تحمل كائنا بشريا حيا مصريا إلى الفضاء الخارجي".

ويحدثنا المحرر الصحفي عن مغامراته داخل وحدة أبحاث الفضاء فيقول إن "المنطقة محاطة بأسوار مرتفعة شيدت بطبقتين من الأسمنت المسلح، والباب كبير هائل.. وفي الداخل شيدت غرفة الضغط من الصلب والحديد، وهي الغرفة التي يمكن أن تقول عنها أنها أشبه بسفينة فضاء فوق الأرض، تفاصيل بنائها من الداخل قريبة جدا من تفاصيل سفينة الفضاء السوفيتية فوسخود ٢".

ولإضفاء المصداقية على الخبر حاول المحرر عرض المزيد من المعلومات عن أبحاث الفضاء المصرية، دليل على أنه يحيط بكل كبيرة وصغيرة حول المكان، فقال "إن أبحاث الفضاء المصرية يعمل بها قطاعان، قطاع عسكري وآخر مدني، والقطاعان يتعاونان منذ أعوام قليلة في الإعداد لإطلاق القمر الصناعي المصري والكبسولة المصرية".

بشرى سارة !

إلى هنا اكتفى المحرر من التشويق، وبدأ يجذب القراء للاندماج مع الأكذوبة، حيث زف للقراء بشرى "محنكة الدلائل" بأنه بناء على توجيهات الرئيس عبد الناصر تقوم "لجنة مكونة من علماء القوات الجوية والصواريخ وبعض الأطباء المصريين وعلماء الفلك والهندسة بإعداد برنامجا دراسيا سيخصص للدراسات العليا التي تعدها جامعة القاهرة لأبحاث الفضاء كي يتخرج إلى الحياة جيل جديد من الجامعيين الدارسين للفضاء وعلومه حتى لا يصبح الأمر وقفا على علماء القوات المسلحة".

وربما تحتاج اكاذيب الاعلام الناصري الى كتاب بنفسها لكننا سنكتفي بهذه الامثلة في اساليب خداع الشعوب .

تأميم الصحافة وسرقة الصحف من اصحابها:

رغم انه لم تعد للصحافة بعد انقلاب يوليو ١٩٥٢م اي حرية صحافة الا انه عبد الناصر وبتحريض من محمد حسنين هيكل رجله الاعلامي قام بتأميم الصحف وادارتها من النظام مباشرة لتسبح كلها بحمد الرئيس على كلمة واحدة ولم يعد هناك صحافة خاصة لسنوات طويلة بعد ذلك .

وبدأ الامر بعدما كلف «عبدالناصر» مصطفي أمين بفتح خطوط اتصال مع الأمريكان بدأ مؤسس «أخبار اليوم» تنفيذ تلك التعليمات الرئاسية، ورغم ذلك فإنه كان يلقي في أحيان كثيرة فتورًا في التعامل من جانب «جمال» وبعضًا من أركان نظامه.

في ذلك الوقت كانت فكرة تأميم الصحف اختمرت في عقول رجالات يوليو، ولم يبق إلا ساعة التنفيذ، والتي عجّل فيها مصطفي أمين دون قصد أو عن عمد وربما هي مجرد تنفيذ لأوامر عبد الناصر كمبرر للاستحواذ على الصحف .

ففي نهاية الخمسينات هربت سيدة تدعي «تاتا زكي» من زوجها، نتيجة سوء معاملته لها وكانت تلك المرأة من سيدات المجتمع الراقي، وكانت تمتع بقدر عالٍ من الجمال الآخاذ، فلجأ أقاربها إلى مصطفي أمين؛ لأجل مساعدتهم في الوصول إليها.

وبالفعل تمكن صاحب عمود «فكرة» من أن يجعل من حكايتها سيرة تلوكها ألسنة العامة والبسطاء وطبقة النبلاء، وكانت تلك الحادثة سببًا في غضب الرئيس «عبدالناصر» الذي اعتبر أن الصحافة لا تؤدي دورها على الوجه الأكمل، وأنها تُكرّس كل جهودها في التركيز على القضايا الفرعية.

لكن تلك الواقعة جعلت من تأميم الصحف أمرًا على وشك الحدوث، قبل أن يبادر مصطفي أمين بتوجيه ضربته الثانية، والتي لعب فيها مانشيت جريدة «الأخبار» دور البطل.

ففي إبريل من ١٩٦٠ صدرت الجريدة وعنوانها الرئيسي مصرع السفاح، وفي أسفل منه مباشرة عنوان آخر باسم «عبدالناصر في باكستان»، وبدا للناظرين العنوانين وكأنهما شيء واحد، فأحدث ذلك الموضوع ضجّة في الشارع وقتها، حتى إن جمال عبدالناصر عندما طالع المانشيت قال للمحيطين منه: "ومصرع مصطفى أمين في القاهرة"، ولم يمض على تلك الواقعة بالكاد شهر واحد حتّى صدر قرار تأميم الصحف.

بعد قرار «عبدالناصر» بتأميم الصحافة، صدر قانون يقضي بصرف تعويضات لملاك تلك المؤسسات الصحفية، وكان من نصيب مصطفي أمين وقتها مبلغ ١٥٠٠٠ ألف جنيه، لكنّه رفض استلامها، حتّى يظل هو مالك دار «أخبار اليوم».

وخلال تلك الأونة تم إبعاد مصطفي أمين عن رئاسة مجلس إدارة أخبار اليوم، مع احتفاظه بمنصب رئيس التحرير، لكنه كان يعاني من تدخلات رجالات يونيو، الذين فُرضوا وقتها على المؤسسة العريقة.

ظل مصطفي أمين باقيًا على اتصالاته مع الأمريكان خلال تلك الفترة، قبل أن تنقلب الأمور رأسًا على عقب خلال عام ١٩٦٥، حيث وجد نفسه مقبوضًا عليه بتهمة التّجسس لصالح الأمريكان.

وعن تلك الواقعة يروي أمين قائلًا: « باعتبار أنني كنت مكلفًا من عبدالناصر بالاتصال بالأمريكان، من الطبيعي أنني كنت أبالغ في أثناء الحديث معهم عن شخص «جمال»، حتى لا تظهر الأمور وكأنني أقوم بإبلاغ تلك الأحاديث الخاصة إلى رئاسة الجمهورية».

وخلال أحد اللقاءات التي جمعتني بمندوب المخابرات البريطانية «بروس تايلور أوديل» في الإسكندرية، فوجئت بقوة عسكرية تقتحم المنزل، وتُخبرني بأنني مطلوب القبض علي بتهمة التجسس لصالح الأمريكان، وبالفعل قادوني إلى النيابة، تمهيدًا لبدء التحقيقات.

٨. تبديد اموال مصر وتدمير الاقتصاد المصري:

لا يمكن معرفة كيف دمر عبد الناصر الاقتصاد المصري الا بقراءة الاقتصاد المصري قبله ايام اسرة محمد علي ويمكن ان نلخص الاقتصاد المصري آنذاك بست نقاط:

١- كان الجنيه المصري يساوي ١ جنيه ذهب و ٥ تعريفه.

٢- كانت لدى مصر أهم وأشهر بورصة قطن في العالم وهي بورصة مينا البصل، وكانت هناك دائماً عبارة شهيرة في البرامج الإخبارية الأجنبية وهي "مصر تنتج والعالم يستهلك".

٣- احتفظت بورصتي القاهرة والإسكندرية بالمركز الرابع عالمياً في الأربعينات من حيث مجموع المعاملات وقيمة التداول.

٤- أقرضت مصر بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى ما يوازي الآن ٢٩ مليار دولار أمريكي، وهو دين لا يسقط بالتقادم.

٥- تقدمت الولايات المتحدة بطلب إلى المملكة المصرية عام ١٩٤٦ تلتمس فيه من الملك تقديم معونة مالية إلى اليونان وإيطاليا بعد الحرب العالمية الثانية على أن تُرد لاحقاً.

٦- أمر الملك فاروق بإغلاق منجم السكري عام ١٩٤٨ أحد أكبر مناجم الذهب في العالم والاحتفاظ به للأجيال القادمة، لأنه كانت لدى مصر آنذاك ما يكفيها من ثروات، حيث قال، "هذا حق للأجيال القادمة .. نترك لهم إرث أجدادهم ليعلموا أننا لم نفرط في ثروات مصر."

ام في عد الانقلابين بدأ عبد الناصر في الاقتراض الخارجي، ووصلت الديون الخارجية في آخر عهده ٢٨-٩-١٩٧٠ إلى ١.٧ مليار دولار.

حيث انه ومع انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢، بدأ الديكتاتور جمال عبد الناصر، ١٩٥٤-١٩٧٠، الاقتراض الخارجي لبناء ما أسماه الجيش الحديث عام ١٩٥٦، ووصلت الديون الخارجية في آخر عهده، في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، إلى ١.٧ مليار دولار. رغم أنه لم يتمكن من بناء جيش حديث، بل تلقى أكبر هزيمة في تاريخ العسكرية المصرية على الإطلاق، في ٥ يونيو ١٩٦٧م، حيث دمر هذا الجيش في ساعات واحتلت إسرائيل سيناء والقدس والجولان ودمر سلاح الجو المصري على الارض وقتل الالاف الجنود المصريين في سيناء.

ورغم أن العهد الناصري قد جنّد كافة قدراته في تشويه العهد الملكي السابق، فلم يستطع ناصر وبجميع أنظمة حكمه؛ أن يزيف التاريخ أو أن يمحو معالمه، في استلام

ناصر لمصر وهي في أزهى عصورها الاقتصادية والحضارية؛ حيث كان الجنيه المصري يعادل ثمانية جنيهات إسترليني، وكان القطن المصري العالمي يُسمّى بالذهب الأبيض، ذلك الطمي والقطن المصري الذي تم شنقهما وإعدامهما بالسد العالي، الذي كان من الأفضل بناؤه عند منخفض القطارة، كما أثبتت كافة البحوث العلمية بعد ذلك؛ ليتم تدمير القطن المصري والزراعة المصرية عصب الاقتصاد المصري؛ لكي يتم تسليم حكم مصر واقتصاد مصر مدينًا وفي أسوأ حالاته.

وكان حرص الملك فاروق كبيرا على اقتصاد البلاد واتخذ عدة قرارات اهمها قرار الملك فاروق بإغلاق منجم السكري عام ١٩٤٨ بعد أن زاره وعلم أنه ثاني أكبر منجم ذهب في العالم، معتبرا أنه «حق للأجيال القادمة حتى ينعموا في خير أجدادهم .وليعلموا أننا لم نفرط في ثروات مصر»، حسبما قاله حينها.

ورأى فاروق الذي حكم مصر خلال الفترة بين ١٩٣٦ و١٩٥٢، حينها، أن البلاد لديها ما يكفيها من ثروات، وليس هناك ما يدعو للمساس بثروات أخرى جديدة، خاصة وأن مصر كانت تمتلك أكبر غطاء نقدي ذهبي في العالم خلال الفترة بين ١٩٢٦ و١٩٥٣.

وفي عام ١٩٣٠ كانت قيمة العملة المصرية هي ٤ جنيهات لأوقية الذهب الواحدة، أي أن الوزن الذهبي للجنيه المصري الواحد هو أكثر من ٧ جرامات، بينما كانت قيمة العملة الأمريكية هي ٢٠,٦٧ دولاراً لأوقية الذهب الواحدة في نفس العام.، ويأتي بعد مصر في الترتيب من حيث الغطاء الذهبي الأكبر في العالم، بريطانيا، وجنوب أفريقيا، ونيوزيلاندا.

لتبدأ حقبة عسكرة الاقتصاد في عهد جمال عبد الناصر، الذي قاد مصر من العام ١٩٥٤ إلى العام ١٩٧٠، حيث وُجِّهَت موارد الدولة نحو الجيش الذي لعب مهندسوه ومقاولوه الدور الرئيس في مشاريع استصلاح الأراضي، وإقامة البنى التحتية العامة، وتوفير السلع الأساسية، والصناعة المحلية للأجهزة الاستهلاكية والإلكترونات، وكذلك إنتاج السلع الصناعية والزراعية كالفولاذ والسماد. علاوة على ذلك، تم تعيين ضباط من رتب عالية مكان مدراء المصانع المدنيين. وقد أدّى وجود هؤلاء الإداريين العسكريين في مختلف المؤسسات التي تملكها الدولة والمؤسسات شبه العامة، إلى خلق قاعدة نافذة تستهدف دعم الوجود المتواصل للقوات المسلحة في الاقتصاد وسنشاهد لاحقا في هذا الكتاب كيف تمت انفاق الاحتياطي الذهبي بالبنك المركزي لتمويل حرب اليمن وباقي الانقلابات العسكرية بالدول العربية التي سنعددها لاحقا في عن تدمير عبد الناصر للبلاد العربية بالانقلابات .

٩. تدمير جمال عبد الناصر للمؤسسة الدينية:

لقد كان تدمير المؤسسة الدينية المصرية المتمثلة بالأزهر الشريف واخضاعا احدى اهم اهداف الجاسوس الاسرائيلي الامريكي جمال عبد الناصر لان الازهر كان دائما محركا للثورات ضد الاستبداد والاستعمار ومنبعا للفكر الاسلامي الذي يرفض الظلم والطغيان .

النخبة العسكرية المتمثلة في قيادات الانقلاب، والنخبة الإدارية العلمانية المؤمنة بالمشروع القومي العروبي، والإسلاميون الممثلون في جماعة الإخوان المسلمين، والأزهر المؤسسة التي يتم إصلاحها! على يد العسكر! عن طريق تحويلها إلى جامعة نصف علمانية، نصف أزهرية، لتكون أحد أدوات " القوى الناعمة " للدولة صاحبة المشروع القومي العربي الراغب في التوسع داخل المجال الإفريقي والآسيوي الإسلامي غير العربي وهي من اداف الجاسوس جمال عبد الناصر .

و لكن علاقة " الأزهر / الإسلاميون / العسكر " تطورت عن ذي قبل بشكل ملموس! فنجد أن ممثل الفاعلية الشعبية الاجتماعية والسياسية في معظم معارك الارتطام بالقوى الاستعمارية منذ حرب ٤٨ ضد الصهاينة، وكذلك معارك استعادة الوعي، هم الإسلاميون، وكأن المعركة أصبحت معركة " الإسلاميين " بامتياز، مع بقاء الأزهر كظهير داعم لتيار الإسلاميين، الأمر الذي تغير بشكل دارمي بعد بداية الصدام بين عسكر انقلاب يوليو والإخوان المسلمين في العهد الناصري، حيث نجد أن الأزهر يدخل المعركة كـ " ظهير ديني " للعسكر في معركته ضد الإسلاميين ممثلين في الإخوان المسلمين، تمثل ذلك في بيان شيخ الأزهر عبد الرّحمن تاج الذي اعتبر الإخوان كالخوارجِ! لا يُقبلُ في أمرهم توبة ولا شفاعة!! والذي نشر أيضا بالأهرام!!! بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٩٥٤م .

ومنذ هذا التاريخ أصبحت معادلة " الأزهر / الإسلاميون / العسكر " محكومة برغبة العسكر! وموقفهم – أي العسكر- من الإسلامين، فعند تحسن هذه العلاقة والوصول إلى اتفاق مرحلي مؤقت، تتحسن علاقة الأزهر بالإسلاميين، ولا يتم الهجوم أو التنكيل على/بـ الأزهريين المنتمين إلى الإسلاميين، بل ويمكن أن يتم تصعيدهم داخل المؤسسة، هذه العلاقة سريعا ما تنقلب بتغير العلاقة بين العسكر والإسلاميين، فيتم استدعاء الحليف الشرعي الرسمي - الموظف! -، إلى المعركة بجانب رئيسه في المؤسسة - الدولة - ، ضد أعداء رئيسه ولكن متسلحا بأدواته الشرعية وفتاواه وعمامته العسكرية!!

حيث استدعي عبد الناصر دور الأزهر في إطار ما يخدم رؤيته ويدعم توجهاته، فساندته المؤسسة الدينية الرسمية التي اصبحت مجرد اداة بيد الحاكم، و دخلت دائرة الصراع السياسي المحتدم عام ١٩٥٤، في ما عرف بأزمة الديمقراطية بين محمد نجيب وعبد الناصر. وخلالها أصدر شيخ الأزهر فتوى تقول إن "الزعيم الذي يتعاون ضد بلاده ويخذل مواطنيه فإن الشريعة تقرر تجريده من شرف الوطن".

وأعلنت هيئة كبار العلماء بالأزهر في بيان عام ١٩٥٤ "انحراف هذه العصابة (تقصد جماعة الأخوان المسلمين) عن منهج القرآن في الدعوة". وجاء في البيان أنه "كان منهم من تآمر على قتل الأبرياء وترويع الآمنين وترصد لاغتيال المجاهدين المخلصين وإعداد العدة لفتنة طائشة لا يعلم مداها في الأمة إلا الله".

كانت إحدى الخطوات التي تجاسر على تنفيذها عبد الناصر هي السيطرة على جامع الازهر عام ١٩٦١، حيث أقر قانوناً بإعادة الهيكلة وأصبح تعيين شيخ الأزهر في يد رئيس الجمهورية ليتحول شيخ الازهر الى مجرد موظف تابع عند الحاكم يحرم ما يراه الحاكم حرام ويحلل ما يراه حلال ويحرم ما يراه الحاكم حرام ويدعو الناس الى طاعة الحاكم وان كان فاسدا.

حقق الدين أغراضه كأحد الأسلحة النظرية التي اعتمد عليها النظام الناصري لتمرير سياساته وتمديد نفوذه الإقليمي خصوصا في الدائرة الإسلامية، لكن لم يكن المستهدف بالرغم من الطفرة الإجتماعية الإصلاحية التي شهدها المجتمع تعديل الفكر الديني وتقديم فهم مغاير لحقائق الدين يعتمد على العلم والمنهج العقلاني ويتوافق مع قيم الحداثة ودولة القانون ومبادئ حقوق الإنسان.

فظل الدين قائماً لم يمسه تغيير في بنيته وخطابه سوى ما كان يسعي إليه مكتب الشؤون الدينية في الاتحاد الاشتراكي، بإعداد البحوث التي تطابق بين الإسلام والاشتراكية، وتنفي عنها تهمة الإلحاد، فضلاً عن اجتماعاته الأسبوعية بشيوخ وأئمة المساجد ورجال الوعظ الإسلامي والمسيحي والمثقفين، لتنظيم محاضرات وتوزيع نشرات تشرح المفاهيم التنموية والإشتراكية وحقوق العاملين في الإسلام والرد على معارضيها.

فشريعة الله هي "شريعة العدل وهي شريعة المساواة، أما شريعة الرجعية فهي شريعة ضد الإسلام وضد الدين مهما تمسحت به"، والذي يريد أن يطبق الدين "لا يقسم الشعب إلى أسياد وشعب من العبيد. ده هو الكفر"، كما ردد عبد الناصر في أحد خطاباته عام ١٩٦١.

وفي هجومه على ملك السعودية قال: "بتطلع تقول لهم دي الاشتراكية ضد الدين، هم الناس مغفلين، الاشتراكية تكافؤ الفرص، والاشتراكية مساواة ما فيش أمير ولا فيش غفير، لا صاحب سمو ولا صاحب جلالة ولا فيش واحد بذقن ولا واحد مالوش، الاشتراكية ازاي تبقى ضد الدين إذا كنتوا يا أصحاب الدقون قايمين تتاجروا بالدين؟".

ويعد المفكر الماركسي أحمد عباس صالح من بين المثقفين الذي اعتمد عليهم واستخدمهم الجاسوس جمال عبد الناصر في محاولة تطويع نصوص الإسلام التي تدعم فكرة العدالة الإجتماعية وتبرز الصراع الطبقي في التاريخ الإسلامي، على أساس أن الرسالة المحمدية جاءت كضرورة لتأزم الوضع الإجتماعي وانسداداته التاريخية، وحل التناقض الطبقي وإعادة توزيع الثروة وتمكين المستضعفين في الأرض، وجرى الاستشهاد

بتعبير الصحابي أبو ذر الغفاري الذي قال أن الناس شركاء في ثلاث "الماء والكلأ والنار".

وضع عباس صالح كتاباً بعنوان "اليمين واليسار في الإسلام"، اعتمد منهج التحليل الطبقي في عرض فصول التاريخ الإسلامي، وهدف من خلاله إلى "البحث عن النسب الحقيقي للثورة العربية الطليعية التي بدأت في مصر عام ١٩٥٢، والتي تشير إلى انطلاق حضاري جديد واسع المدى"، إذ يؤكد أن "الدعوة الإسلامية لم تكن مجرد نحلة من النحل ولم تكن دعوة لنبذ الأصنام أو الاتجاه إلى التوحيد بل هي إلى جانب ذلك ثورة اجتماعية توفرت لها كل أسباب الثورة".

وبصورة أوضح يقول المفكر السوري صادق جلال العظم في كتابه "نقد الفكر الديني": "بعض الأنظمة التقدمية العربية وجدت في الدين عكازاً تتكئ عليها في تهدئة الجماهير العربية وتغطية العجز والفشل الذي كشفته الهزيمة عن طريق مماشاة التفسيرات الروحانية للانتصار الإسرائيلي والخسارة العربية".

ومن الأحداث التي رافقت الهزيمة عام ١٩٦٧ وما اعقبها كانت حادثة تجلي العذراء فوق إحدى كنائس ضاحية الزيتون عام ١٩٦٨، والتي تبنتها وسائل الإعلام وروجت لها الصحافة باعتبارها ذات مغزى سياسي، وقالت الكنيسة في بيان: "سيكون هذا في نصرتنا لكي ترتفع الروح المعنوية لأن العذراء يحزنها ما جرى وهذا الظهور إشارة من السماء على أن الله لا يرضى عما يحدث في القدس وأن النصرة ستكون لنا بإذن الله".

واعتبر العظم أن ذلك هو إحدى المناورات التي استخدمتها الدولة "لتصفية آثار العدوان".

ووصف مؤلف "النقد الذاتي بعد الهزيمة" مأسوية هذا الحال بقوله إن تصوير الأطياف الروحانية وربط تحرير القدس والصمود في وجه العدو بظهور العذراء تجيء على لسان أجهزة إعلام بلد يعتبر نفسه ثورياً اشتراكياً كان يجب أن يضع إمكاناته الإعلامية في خدمة الشعب بغية تثقيفه لا بغية تضليله والشطط في متاهات الهلوسات الدينية وتزيين الخرافات بمظهر الحقائق العلمية.

فالحكام منذ نابليون حتى الآن حرصوا على منع الأزهر من العمل السياسي؛ كما حرصوا في نفس الوقت على توظيف الإسلام وعلماء الإسلام لتحقيق أهداف الحاكم السياسية كلما أمكن ذلك.

ولم يشذ جمال عبد الناصر عن ذلك النهج فاتخذ العديد من الخطوات للسيطرة على الأزهر وتوظيفه لصالح أهداف نظام انقلاب يوليو١٩٥٢م لا بل ان عبد الناصر لم يكتفي بالمنع بل قام باستخدام الازهر لصالحه واصبح الحاكم يستخدم الدين ويتاجر به رغم انه كان يتهم الجماعات الدينية المعارضة بما يفعله هو نفسه .

وبدأ الامر في المرسوم بقانون رقم ١٨٠ لعام ١٩٥٢م أي في أول خمس شهور من حكم الانقلاب إلغاء الوقف الأهلي كما كانت هناك اجراءات صحبت ذلك كله وأخرى تتابعت في السنوات التالية أدت فيما أدت إلى وضع الدولة يدها بشكل كامل على الأوقاف عبر وزارة الأوقاف التي سلمت هذه الأوقاف بشكل أو بأخر إلى الهيئة العامة للإصلاح الزراعي؛ حتى أن الهيئة تسلمت ١٣٧ ألف فدان من أراضي الأوقاف بسعر ١٧.٥ مثلا لضريبة الأطيان المربوطة عليها أي أن قيمة الفدان بلغت خمسين جنيها في حين زادت قيمته الحقيقية بسعر السوق في ذلك الحين على ألف جنيه؛ ولذلك عجزت وزارة الأوقاف عن تأدية رسالتها لأن هذه الأراضي كانت تدر على الأزهر في السنة الواحدة ٨ ملايين جنيه وبتطبيق هذه القوانين انخفضت الإيرادات إلى ٨٠٠ ألف جنيه إذ أن الريع تم تحديده بـ٣% و٤% من قيمة سندات سلمت لها كبديل للأرض فضلا عن امتناع الهيئة العامة للإصلاح الزراعي عن سداد الريع المستحق الأمر الذي جعلها مدينة لوزارة الأوقاف بمبالغ مالية هائلة هذا فضلا عن تبديد الهيئة لأغلب هذه الأوقاف لا سيما أوقاف الخيرات الموقوفة على المساجد؛ و بهذا ضربت ثورة ٢٣ يوليو الركيزة الاقتصادية لعلماء الأزهر تلك الركيزة التي كانت تجعلهم في غنى عن أموال الحكومة الأمر الذي كان يكفل لهم الاستقلال عن الحكومة ويتيح لهم معارضتها دون الخوف من قطع مرتباتهم أو تشريد أسرهم من بعدهم.

وعلى حين عوملت أوقاف المسلمين هذه المعاملة استثنيت أوقاف غير المسلمين من أحكام هذه القوانين حيث وضعت لها قوانين خاصة وتركت لكل كنيسة أوقافها في حدود مائتي فدان وما زاد عن هذا كانت الدولة تأخذه وتدفع ثمنه بسعر السوق وهو ما أدى في أواخر السبعينات إلى مناداة عدد من الأصوات في مجلس الشعب بمساواة أوقاف المسلمين بأوقاف المسيحيين.

ثم كان إلغاء المحاكم الشرعية خطوة بارزة قام بها انقلاب يوليو لتقليص دور الأزهر في الحياة العملية للمصريين خارج توجيه الحكومة إذ أن ممارستها لنشاطها كانت تتمتع بقدر كبير من الاستقلالية عن الحكومة خاصة في مجال المنطلقات الأيدولوجية؛ وعبدالناصر وانقلاب يوليو كانا يهدفان لتأميم الدين لصالح نظام الحكم فكان لزاما القضاء على هذه المحاكم التي كان يستحيل تأميمها لصالح النظام الحاكم؛ وكان انقلابي يوليو واعين بذلك منذ البداية إذ ألغيت هذه المحاكم بقانون رقم ٤٦٢ لعام ١٩٥٥م؛ وبذا بدأت هيمنة انقلابي ٢٣ يوليو على القوة الإسلامية الأكبر في مصر وفي العالم الإسلامي وهي الأزهر الشريف وعلماؤه؛ حيث شكل إلغاء المحاكم الشرعية تحديا لنظام الشريعة الإسلامية نفسه في دولة إسلامية يعلن دستورها أن دينها الرسمي هو الإسلام.

وبإلغاء المحاكم الشرعية وبالهيمنة على إدارة الأوقاف نجح جمال عبد الناصر فيما فشل فيه الاحتلال الغربي من الهيمنة على أبرز مؤسسة لعلماء الإسلام في العالم كله.

وقد شنت أجهزة إعلام الدولة- الثورة حملة إعلامية صاحبت ذلك كله؛ ووصفته بأنه ثورة جديدة تجري داخل الأزهر وتقودها الدولة من أجل التجديد والتقدم لخدمة الأزهر والإسلام؛ وبلغ الأمر أن هاجم د. محمد البهي في جلسات مجلس الشعب (١٩٦١م) ما وصفه بأنه جو العداوة والجمود الذي يسود الأزهر وقال: "إن الثورة أعطت الإصلاح للأزهر لأن الشيوخ لم يريدوه"؛ وكان محمد البهي أحد الموالين لعبد الناصر داخل الأزهر.

وبعد أن هيمن عبدالناصر على الأزهر و موارده الاقتصادية كان عليه أن يكرس هذه الهيمنة بقانون رسمي محدد المعالم فتم إصدار قانون تنظيم الأزهر (١٠٣ لسنة ١٩٦١م). وكي يتضح المدى الذي كبلت به الحكومة مؤسسة الأزهر قبل هذا القانون لابد أن نعود لأحداث جلسة مجلس الأمة (البرلمان) التي أقرت قانون تنظيم الأزهر؛ يقول فتحي رضوان: "لإجبار المجلس على الموافقة حضر رجال الثورة وجلسوا أمامنا على المنصة؛ وتحديدا كان على المنصة أنور السادات وكمال حسين وكمال رفعت؛ وهدد أنور السادات المجلس عندما علت أصوات تعارض مشروع القانون قائلا: كانت ثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م والذين حاولوا الوقوف أمامها ديسوا بالأقدام واليوم ثورة جديدة وسيصاب الذين يقفون أمامها بنفس المصير".

ووفقا للوثائق الرسمية فإنه تغيب عن جلسة إقرار القانون بمجلس الأمة ١٧٩ عضوا أي ما يعادل ٤٩% من إجمالي أعضاء المجلس؛ ووفقا لنفس الوثائق الرسمية فإنه لم يعترض من الأعضاء الحاضرين سوى النائب صلاح سعده؛ بينما ذكر فتحي رضوان أن أكثر من نصف الحاضرين عارضوا القانون.

وهذا القانون وإن كان أعاد تنظيم الأزهر فعلا وقسمه إلى هيكل تنظيمي جديد لكنه ربط هذا التنظيم كله بجهاز الدولة وخاصة رئاسة الجمهورية بشكل مباشر؛ فشيخ الأزهر ووكيل الأزهر ورئيس جامعة الأزهر يعينهم رئيس الجمهورية؛ كما أن كافة أجهزة الأزهر الرئيسية كالمجلس الأعلى للأزهر وجامعة الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية ينفرد رئيس الجمهورية بتعيين القيادات العليا فيها؛ فمجمع البحوث يرأسه شيخ الأزهر وأعضاء المجمع يعينهم رئيس الجمهورية؛ أما جامعة الأزهر فبالإضافة لانفراد رئيس الجمهورية بتعيين رئيس جامعة الأزهر فعمداء الكليات يعينهم أيضا رئيس الجمهورية؛ وبصفة عامة فالهيكل العام الإداري والمالي للأزهر أصبح وفقا لقانون تنظيم الأزهر جزءا من الهيكل المالي والإداري للحكومة (أي السلطة التنفيذية).

وبعد كل هذا فكيف للأزهر أن يعصي لرئيس الجمهورية أمرا فضلا عن أن يعارضه؟؟

النتيجة أن الأزهر لم تصدر من داخله أي مواقف أو تصريحات تعارض النظام الحاكم لا من قريب ولا بعيد؛ بل بالعكس وقف إلى جانب جمال عبد الناصر في كل مواقفه ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر الفتوى التي أصدرها شيخ الأزهر يساند بها

جمال عبدالناصر في صراعه مع محمد نجيب (الأهرام ١٧ فبراير ١٩٥٤م)؛ وأيضا التأييد الذي قدمه الأزهر لنظام حكم جمال عبدالناصر فيما يتعلق باتفاقية الجلاء (الأهرام ٢٦ فبراير ١٩٥٤م)؛ وكذلك المساندة التي قدمها الأزهر لنظام حكم جمال عبد الناصر إثر الأزمة مع اسرائيل التي سبقت هزيمة يونيو١٩٦٧م بإعلان تأييده لجمال عبدالناصر ومباركته لخطواته في صد عدوان الصهيونية والاستعمار(الأهرام ٢٥ مايو ١٩٦٧م).

أما الطرق الصوفية التي كانت تمثل وقتها نحو ٣ ملايين منتسب ينتظمون في ٦٠ طريقة فكان لها شأن أخر مع جمال عبد الناصر؛ إذ أيدته بوضوح في القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية الداخلية والخارجية من البداية فعلى سبيل المثال وقفت مشيخة الطرق الصوفية مع عبدالناصر في صراعه ضد الإخوان وأصدر شيخ مشايخ الطرق الصوفية محمد علوان بيانا في مولد الرفاعي عام ١٩٦٥م أبرز فيه هذا الموقف؛ كما أصدر المجلس الأعلى للطرق الصوفية بيانا استنكر فيه ما أسماه المؤامرات الرجعية التي يدبرها الملك فيصل (ملك السعودية) وشاه إيران والملك حسين (ملك الأردن) ورئيس تونس الحبيب بورقيبة (الأهرام ١٢ابريل ١٩٦٧م)؛ وكذلك أصدر شيخ مشايخ الطرق الصوفية بيانا يبرر فيه ويؤيد قرارات عبدالناصر بسحب قوات الطوارئ الدولية من سيناء في مايو ١٩٦٧م (الأهرام ٢٧مايو ١٩٦٧م)؛ وفي ديسمبر ١٩٦٧م سار أكبر موكب صوفي رسمي في مصر تأييدا لعبدالناصر في أعقاب هزيمة يونيو.

أما الجمعيات الإسلامية المستقلة كأنصار السنة والجمعية الشرعية وغيرها من الجمعيات المسجلة وفقا لقانون الجمعيات فقد وضعها جمال عبدالناصر تحت وصاية الدولة وعين أحد ضباط الجيش للإشراف عليها جميعا؛ وتتدر الكثيرون من أن ضابط جيش ليس متخصصا في الدين أصبح يشرف على الجمعيات الدينية؛ كما كانت بعض هذه الجمعيات متعارضة في أهدافها ومناهجها مثل أنصار السنة والجمعية الشرعية من جهة والجمعيات الصوفية من جهة أخرى ومع ذلك أشرف هذا الضابط على هذه الجمعيات المتعارضة في آن واحد؛ وقد شغل هذا المنصب لبعض الوقت كمال الدين رفعت أحد الضباط الأحرار.

وهكذا نجد أن جمال عبد الناصر كما أمم الاقتصاد لصالح رأسمالية الدولة (أو ما أسماه بالاشتراكية العربية) أمم علماء الإسلام لصالح نظام حكمه؛ وكما أدارت ديكتاتورية دولة جمال عبدالناصر الاقتصاد والسياسة أدارت مؤسسات علماء الإسلام.

ولكن ماذا عن الأنشطة والجهود التي بذلها جمال عبدالناصر في المجال الإسلامي مثل إنشاء إذاعة القرآن الكريم (١٩٦٤م) وجامعة الأزهر (١٩٦١م) وتوسع المعاهد الأزهرية وإنشاء المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف (١٩٦٠م) وفي الخارج إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي (١٩٥٤م)؟؟

لقد فعل الجاسوس جمال عبد الناصر ذلك كله في إطار استثماره للرأسمال الديني الذي امتلكه بالتأميم وهكذا استطاع الجاسوس عبد الناصر ان يحقق اكبر هدف فشل فيه الاستعمار وهو تدمير المؤسسة الدينية الاكبر وهي الازهر وجعلها من ادوات نظام فاسد.

١٠. سجون ومعتقلات جمال عبد الناصر الرهيبة:

عمل الجاسوس جمال عبد الناصر على قمع واذلال كل من يحاول ان يفكر او ان يتفوه بكلمة من الشعب المصري واصبحت السجون في عهده مليئة بكافة اشكال الظلم والقهر والتعذيب الوحشي لألاف من الشرفاء الذين رفضوا حكم هذا الرجل او لأبرياء اخذهم الحظ السيء الى سجون الطغيان وتعد شهادة سعد زهران على تلك الفترة من أهم الشهادات عن تعذيب المعتقلين، حيث يسرد في مذكراته فترة اعتقاله من عام ١٩٥٩ إلى ١٩٦٠، أثناء الحقبة الناصرية.

والغريب أن الكتاب تم الانتهاء من كتابته عام ١٩٧٩، ومع ذلك لم يطبع إلا عام ٢٠٠٤ في طبعة غير كاملة ثم طبع مرة أخرى طبعة كاملة عن طريق مركز المحروسة المملوك لنجله فريد زهران في عام ٢٠١٤.

و"الأوردي" الذي يحمل الكتاب اسمه كلمة تركية معناها "معسكر"، وقد كان الأوردى معسكراً لقوة حراسة ليمان أبو زعبل وقت أن كان كثير من مفردات مصلحة السجون مأخوذاً من اللغة التركية، (مثل: يَمَكْ، جراية، شفخانة)، ثم أصبح الأوردي سجناً صغيراً ملحقاً بالليمان يعزل فيه بعض المسجونين لأسباب خاصة، وقد أُودع فيه الشيوعيون المصريون أثناء الحكم الناصري مرتين: الأولى ١٩٥٤ – ١٩٥٦، والثانية ١٩٥٩ – ١٩٦١.

ويحتوى الكتاب على ثلاثة أجزاء، الأولى هي مقدمة يسرد فيها "زهران"، وضع التنظيمات الشيوعية، والحيرة التي حدثت لهم أثناء الحديث عن الوحدة مع سوريا، سواء بالتضامن مع الحزب الشيوعي السوري، والتي اختلف مع الرئيس جمال عبد الناصر، قبل الهجمة التي قام بها النظام الناصري ضدهم واعتقالهم.

كما تكلم الكاتب عن أنواع التعذيب التي يتعرض له السجين، داخل معتقلات "عبد الناصر"، وعقب الإفراج عنه ومدى حرص النظام الأمني إنذاك على ألا يتعرض المعتقل للموت، خشية أن يتحول إلى شهيد، وتتهم الأجهزة الأمنية أمام الجميع بقتل النفس البشرية، المدانة حضاريا وإنسانياً.

وأشار الكاتب أيضًا عن قيام السلطات الناصرية، بإرسال وفد من الضباط، للولايات المتحدة الأمريكية، للتدريب على نوع التدريب المخطط، وكان يضم الوفد حسن منير، مأمور أوردي أبو زعبل، والذى تدور معظم أحداث التعذيب في المذكرات في

حضرته - وحسن المصيلحي، مستشار الرئيس جمال عبد الناصر لشئون الأمن الوطني الداخلي آنذاك.

وتحليل من الكاتب لعمل تقييم موضوعي عن أثر التعذيب، ونتائجه النفسية والمعنوية الأكثر عمقًا، والذى اتهم خلالها الكاتب المعذبين بالخيانة تجاه انتهاكهم للجنس البشرى والإنسانية.

أما الجزء الثاني فيسرد فيه القيادي الشيوعي، مذكرات السجين، من داخل أوردي أبو زعبل، ويتأمل "زهران" الأحاديث بين المساجين حول المهانة التي يتعرضون لها، ورأى كل منهم حول أسوأ أنواع المهانة التي يتعرضون لها والتي كانت متباينة بينهم، بعضهم يرى الضرب بالشوم (عصا غليظة)، والآخر يرى الشغل الشاق في الجبل يوميًا، وآخرين يرون أنها التمارين الرياضية لما يتعرضون أثنائها من ضرب مبرح، وبعضهم يرى أن "اليمك" –الأكل داخل السجن- هو العذاب الأكبر لما يحتوى من جثث من الذباب الميت.

والذباب كان له أثر كبير على "زهران" ظهر من خلال أحاديثه المتكررة حيث وصف بعض "قروانات" – أطباق الأكل- بأن الذباب يكون بالكثرة التي تغير لون وشكل اليمك الأصلى، بالإضافة لـ"سوس الفول"، الذى يمثل الضيف الدائم على أطباق الفول، بسبب تخذينه في مخازن السجن طوال العام وسهولة وصول "السوس" للمخازن.

وتوقف زهران عند بعض الطقوس والأعمال التي يتعرضون لها داخل الأوردي، مثل "الحمام" و"الاستحمام" الذى أكد أنه يتم كل أسبوع ويكون بخلع جميع السجناء ملابسهم في العراء كنوع من الإهانة ودخولهم جميعا إلى الحمام، والذى يحتوى عددا محدودا من "الأدشاش" يتكومون تحتها، بجانب طوابير الهتاف والصباح والمساء والتفتيش والرياضة والغذاء والذى يتعرض فيهم السجناء لكل أنواع البطش والإهانة.

وكان الزبانية كما يصفهم سعد زهران مسلطون على خلق الله طوال الوقت سواء بالتعذيب البدني أو الإهمال الصحي للمساجين، ويبدو أن الكاتب كان متأثرًا بوفاة المعتقل على الديب، الذى مات نتيجة تدهور حالته الصحية، نظرا لأنه يعانى من "البواسير"، وقامت إدارة السجن بقيادة المأمور حسن منير، بالتنكيل بالديب بحجة أن ما به هو "دلع سجين"، حتى ساءت حالته وتم نقله للمستشفى بأمر الطبيب، لكنه مات قبل أن يتم علاجه، كما كانت وفاة المفكر اليساري شهدي عطية، أثناء أحد "حفلات الاستقبال" بعد تعرضه لضرب مبرح، وهو ما أدى لوجود حالة من الارتباك داخل أروقة الأوردى، نظرا لأن القاعدة هي الضرب الذى يؤدى إلى الوفاة وليست الوفاة نفسها.

وتبدو رواية سعد زهران، متطابقة إلى حد كبير، مع رواية الدكتور أحمد القصير في مقالاته وتسجيلاته عن واقعة وفاة شهدي عطية، أحد نزلاء أوردي أبو زعبل في ١٥ يونيه ١٩٦٠.

الكاتب أيضا في مذكراته تحدث عن السجن الانفرادي، وقسوته، حيث كان يعانى نزلاء ذلك الحجز من البرودة القارصة، وتكلم عن "تفتيش المساء" الذى يقوم به الضباط، للقيام بحفلة تعذيب وضرب جديدة، وطابور الصباح والذى كان يبدأ مع بداية كل يوم، بضرب معتاد من السجانين، وسط صراخ المساجين "شمال.. يمين.. شمال.. يمين"، والذى يتضح من ذكره في مرات التعذيب وكأنه النداء المسوح للمساجين النطق به أثناء حملات الضرب.

حسن منير مأمور أوردي أبو زعبل، والذى تم ذكره في مقدمة الكتاب على أنه تلقى "تدريبات للتعذيب" في الولايات المتحدة، ويتضح مدى نجاحه في تلك التدريبات من واقع وسائل التعذيب القاسية والمهينة التي قام بها، بجانب اشتراكه المباشر في وفاة "الديب" و"شهدى".

ومن وقائع التعذيب أيضا أن حسن منير، أمر المساجين بأداء نشيد الله أكبر، تحت وطأة من التعذيب المتكرر، حتى أنه أمر بسجن المعتقل حسن إسماعيل في الحجز الانفرادي، لرفضه أداء النشيد، بحجة أن قول النشيد في هذا الوضع إهانة للنشيد.

ويبدو أصعب الأمور على الإطلاق، والتي تحدث عنها الكاتب عندما يتعرض المساجين لوابل من الضرب المستمر، وذلك بعدما يقوم "منير" في "هتاف الصباح"، بعمل حملة تعذيب وضرب وإهانة كبيرة للمساجين أستمرت لوقت طويل، حتى توقف الضرب، وبدا شاويش بالهتاف: "تحيا الجمهورية العربية المتحدة" ورج الهتاف أرجاء الأوردي وهتف ثانياً: عاش الرئيس جمال عبد الناصر" والذى ردده المساجين كالقطيع المنهك، ومن يلاحظ عليه أي تراخ في الهتاف باسم "ناصر" كان له النصيب الأوفر من الضرب، وعن هذا قال "زهران" عن تلك الواقعة: "ها هي الكأس نتجرعها حتى الثمالة".

الكاتب في تناوله لشخصية مأمور الأوردي حسن منير وضح كرهه الشديد له وسخريته منه، ووضح ذلك من استخدام لفظ "صاحب الصوت الناعم" في كل مره يذكر فيها حسن منير المأمور، هذا بجانب وصفه الدقيق لجسده وساقيه السمينتين.

الجانب الشخصي والعاطفي، لم يخلو من مذكرات "زهران" إذ تناول إحدى الزيارات التي قامت به والدته وزوجته، ووضح من خلال تناول الكاتب للحدث بحبه الشديد لوالدته وتعلقه بها، وذلك من خلال سرده لحدث "بتر ساقه"، والذى حدث قبل ٢٣ عاما من اعتقاله، ومدى خوفه حينها من معرفة أمه بما تعرض له خوفا عليها أن يحدث لها أي مكروه، لمعرفته بحبها الشديد له.

الكاتب برغم اعترافه بأنه لم يقم بأعمال الجبال الشاقة، نظرا لحالته الصحية – إصابته ببتر في الساق- ووجوده مع "الدرجات" وهم الذين لا يقدرون على أداء مثل تلك الأعمال لظروف مرضهم الشديد وتهاون أجسادهم أو كبر سنهم أو المصابين بشلل

الأطراف أو بتر في الأطراف، إلا أنه يؤكد أن الأعمال التي كانوا يقوموا بها الدرجات أكثر مهانة"

واختتم الكاتب الجزء الثاني دون الخوض في تفاصيل الإفراج عنهم وخروجهم من المعتقل، وتناول بعض الملاحظات حول المعتقلات في مصر، مثل مكاتب السجون، والحبس الاحتياطي وما بعده، وحجوزات الأقسام، وحالة مصر بالنسبة للعالم في التعامل مع المساجين والسجون، والنظام البوليسي العالمي والمصري.

أما الجزء الثالث والأخير في الكتاب، فكان عبارة عن مقالات رأى لعدد من الكتاب عن سعد زهران.

حمزة البسيوني جلاد عبد الناصر:

لقب بالجلاد وملك التعذيب الحربي.. عذب الكثير من المعتقلين المصريين.. شخصية لا يعرفها الكثير من هذا الجيل.. سعى في الأرض فسادا دون خوف أو ردع من أحد.. لم يخف الله بل طغى وتكبر وعاند واستكبر.. عمل بعيدا عن الأضواء ومنظمات حقوق الإنسان.. رجل عندما يسمع اسمه المعتقلون يرددون هلاكا هلاكا.. إنه حمزة البسيوني ضابط السجن الحربي في عهد الخائن جمال عبد الناصر.

نشأ حمزة وسط عائلة البسيوني الشهيرة بمصر، وتخرج في الكلية الحربية وانضم إلى ما سمي تنظيم الضباط الأحرار ليشارك في انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وهو برتبة رائد.

كُلف بإدارة السجن الحربي في عهد عبدالناصر قبل أن يطلق الرئيس محمد أنور السادات سراح المعتقلين، حيث كان ذلك السجن سيئ السمعة لما اشتهر به بالتعذيب الذي كان يمارس فيه ضد السياسيين المشكوك في ولائهم للنظام.

وكان اسم حمزة، حسب روايات بعض السجناء، عنيفا يتفنن في ممارسة التعذيب ضد المعتقلين وقتل بعضهم، أشهرهم المُنظر سيد قطب.

اشتهر عنه قصة تقول أن المعتقلين والمعذبين كانوا يقولون يا رب يا رب أثناء التعذيب، فكان يقول لهم: لو أتى ربكم هذا لوضعته معكم في السجن.. كما ذكر الكاتب الصحفي صلاح عيسى عن تجربته في السجن مع حمزة البسيوني.

وبعد أيام من نكسة ٦٧ صدرت قرارات تصفية رجال عبد الحكيم عامر في مصر وصدر قرار بإحالة البسيوني علي المعاش ثم القبض عليه والتحقيق معه فيما هو منسوب إليه من انحرافات، ووُضع مع بعض ضحاياه.

وبقي "البسيوني" في السجن عامين، حيث ذكر الكاتب الصحفي صلاح عيسي والذي التقى حمزة البسيوني وهو مسجون في سجن القلعة قائلا: «"كان حمزة هو الشخصية الثانية البارزة التي رأيتها في سجن القلعة عندما عدت إليه للمرة الثانية في ربيع ١٩٦٨ وكانت تهمتي هي المشاركة في مظاهرات طلاب الجامعة، كنت أتلصص ـ كالعادة ـ من ثقب زنزانتي رقم ٣ بمعتقل القلعة وكان الزمن يوما من بداية صيف ١٩٦٨ حيث شاهدت رجلا وقورا شعره أبيض كالثلج يتهادى في الممر في طريقه إلى مكاتب الإدارة وخلفه أحد المخبرين وكان الرجل يحاول أن يستشف ما وراء أبواب الزنازين المغلقة، وصاح المخبر فيه: بص قدامك يا سيد.. امتثل في رعب للأمر، وحث خطاه حين مر أمام زنزانتي فلم يتح لي وبعد ساعتين من الانتظار مر الرجل أمام باب زنزانتي، وكان واضحا أنه استدعى لكي يلتقي بزوار جاءوا لزيارته في السجن، إذ كان يحمل أكياسا من الفاكهة يقضم واحدة منها وخلفه المخبر يحمل حقائب وأكياسا متعددة.. في هذه المرة استطعت أن أتبين ملامحه لاكتشف أن له شاربا ناصع البياض مشذب بعناية وبمادة مقواة وكان ذلك كتيفا لكي يطمئن قلبي، لأن أبي لم يكن ـ منذ شبابه ـ يربي شاربه! .

وتابع: فيما بعد رأيت الرجل العجوز كثيرا ذات ظهيرة انتهز فرصة مروره أمام زنزانتي، متقدما عن المخبر الذي كان مرتبكا لثقل ما يحمله من أمتعة، ليقول لي بصوت هامس: أنا اللواء حمزة البسيوني.. إنت مين؟ وقبل أن أفيق من دهشتي، دهمنا صوت المخبر، وهو يصيح فيه: وبعدين.. امشي من سكات، فإذا به لذهولي الشديد يستجيب للإنذار بخوف، وهو يحاول أن يترضي المخبر بكلمات نفاق! بطريقة الفوتو مونتاج في الأفلام السينمائية تتابعت على شاشة رأسي صور خاطفة لمشاهد مما سمعته من المعتقلين عما فعله بهم حمزة البسيوني، سياط تمزق جلودا وصفعات تصافح أصداغا وقبضات تعوج أفكاكا، وأجسادا تسحل بحبال خشنة على أرض صخرية، أو تسحب رجال من "خصيّهم"، يا ألطاف الله الخفية، أهذا الرجل ذو الوجه الطفولي البريء الذي أحببته واعتبره صورة من أبي هو اللواء (حمزة كينج كونج) الذي يزدحم ملفه بكل تلك المشاهد التي لا يتحمل أي إنسان مجرد رؤيتها، فكيف تحملها الذي أوقعت به، وكيف استطاع الذي فعلها أن يفعلها، ثم أين ذهبت هذه القسوة؟ والرجل الذي كان إلى شهور قليلة مديرا للسجون الحربية، ما كاد يتحول إلى سجين، حتى أصبح كالفأر المذعور، لا يستطيع أن يعامل مخبرا صغيرا، كان على قمة الهرم الذي يجلس إليه مئات من أمثاله في سطحه إلا بذلك القدر الكبير من التذلل والضعف."

وبعد خروجه من السجن ظل حمزة البسيوني غائبا عن الأضواء.

وفاته:

نهاية حديدية مؤلمة طالت البسيوني الذي كان يقول للمعتقلين "ربنا لو نزل هحطه في سجن إنفرادي وهكلبشه بالحديد"، حيث كان يعذب العلماء والدعاة في السجون

وعندما كان يسمع أحدهم يقول يا رب كان يقول له "هات ربك وأنا أحطه في الحديد.. لذا كانت نهايته الحديد".

وفي يوم ١٩ نوفمبر عام ١٩٧١ وكان موافقا لأول أيام عيد الفطر المبارك حيث كان حمزة مسافرا من الإسكندرية إلى القاهرة ومعه شقيقه راكبا إلى جواره واصطدمت سيارته بإحدى السيارات المحملة بحديد مبان ومات حمزة وشقيقه وتعرضت جثته لتشويه غريب نتيجة دخول عدد من الأسياخ الحديد فيها.

وينقل لنا الكاتب ثروت الخرباوي عن المستشار خيري يوسف أحد المحققين في الحادثة وقتها والذي أصبح فيما بعد رئيسا محكمة الاستئناف السابق، حيث ذكر قائلا: كانت حادثة مروعة.. وكنت وقتها رئيسا لنيابة إحدى النيابات في محكمة كلية.. وخرجنا أنا وزميل لي في مهمة قضائية لمعاينة الحادث ومناظرة الجثة.

وتابع قائلا: دلت المعاينة وشهادة الشهود على أن سائق السيارة القتيل كان يقود سيارته بسرعة غريبة.. وكانت أمامه سيارة نقل مُحملة بأسياخ الحديد التي تتدلى من مؤخرة السيارة، ودون أن يتنبه السائق استمر في سرعته حتى اصطدم بالسيارة النقل، وحينها اخترقت أسياخ الحديد (ناصية) القتيل ومزقت رقبته، وقسمت جانبه الأيمن حتى انفصل كتفه عن باقي جسده، وقتها (لم أستطع مناظرة الجثة فقد وقعت في إغماء من هول المنظر وقام زميلي باستكمال مناظرة الجثة).

إنه حمزة البسيوني مدير السجن الحربي الذي كانت فرائص مصر كلها ترتعد من مجرد ذكر اسمه.. حيث كان يقول عن نفسه، أنا إله السجن الحربي ..أنا القانون والدولة والقاضي والجلاد.. والذي كان يقول للمعتقلين "أنا الذي لا أستلم المساجين بإيصال.. ولا يعلم أحد عددهم عندي.. وأستطيع أن أقتل منكم كل يوم مائة كلب ولا يحاسبني أحد، الذي كان عندما يسمع أحد البائسين المنكوبين يصرخ من وطأة التعذيب: "إنت فين يا رب" ؟.. فيقول له :"ربنا في الزنزانة اللي جنبك".

١١. عداء جمال عبد الناصر للدين والاسلام:

عبد الناصر من وجهة نظري لم يكن يكره او يحب الدين من رايه الخاص انما هو جاسوس اسرائيلي ملحد بالدرجة الاولى وكان ينفذ الاوامر بالدرجة الثانية فالإسلام هو عدو اسرائيل لأنها ببساطة هو الدين الذي اصطدمت به عند احتلالها للقدس التي يعدها المسلمين ثالث مدينة نحمل القدسية بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة لوجود المسجد الاقصى فيها وهو اولى القبلتين وثالث الحرمين بعد الكعبة والمسجد النبوي وهذا كان اساس عداء وكره عبد الناصر للإسلام .

على الرغم من ظهور جمال عبد الناصر في المساجد في الأعياد والمناسبات، وخطابه الشهير في الجامع الأزهر عام ١٩٥٦، إلا أن جمال عبدالناصر اتهم بإنكاره

لشهر رمضان الكريم، وهو ما أكده اللواء طه زكي، مدير مكتب الرئيس الراحل محمد أنور السادات، وأحد قيادات المخابرات، خلال حوار له في برنامج "٩٠ دقيقة"، الذي بثته قناة المحور في مارس ٢٠١٥. وقال زكي إن "عبدالناصر ماكنش يعرف القرآن، وفي مكالمة سجلناها له مع هيكل بيقول فيها: صيام إيه يا هيكل، هو إحنا بتوع الحاجات دي، أنا مبكلمش قدام الأولاد بس". وفي ذات السياق، تحدث الكاتب أنيس منصور، عن إلحاد عبدالناصر في كتابه "عبد الناصر المفترى عليه والمفتري علينا"، قائلا: "أحس الذين حول عبد الناصر مرتين أنه ليس مؤمنًا بعد الوحدة مع سوريا، وبعد هزيمة (١٩٦٧)، نشرت الصحف البريطانية بعد وفاته حديثا مع أحد مستشاريه قال فيه إن عبدالناصر لم يكن مؤمنا، ونشرت المجلات المصرية ذلك أيضًا". وتابع: "والله على ما أقول شهيد، فقد كنا نقف في ملابس الإحرام حول الكعبة؛ رئيس مجلس أمة سابق، ورئيس وزراء سابق، وأمير مكة، ومذيع سابق، عندما تقدمنا الوزير حمدي عاشور، ووضع ذراعه العارية على الكعبة يوم غسيلها، قائلاً: "ورب هذا البيت؛ لقد سمعت الرئيس عبد الناصر يصف الحج بأنه كلام فارغ، وسمعت أحد مستشاريه يقول ذلك أيضًا".

لم يترك أنيس منصور هذه الواقعة دون تعليق، وقد جاء ساخرًا وهازئًا ومُرًّا في آن واحد قال: «فبالله عليك ما الذي يشعر به أي إنسان يذهب للصلاة في مسجد عبد الناصر، وهو يعلم أن صاحب الضريح لا يؤمن لا بالمسجد ولا بالسجود ولا برب هذا البيت، ولذلك كان أولاد البلد على حق عندما يمرون بالمسجد ويقولون: إنه مسجد سيدي المفتري».

يقول السادات عن محمد حسنين هيكل صديق عبدالناصر الوفي : إنه إنسان مادي وملحد وهو لا ينكر ذلك ويعتقد أن هذه ثقافة ..

يذكر صاحب كتاب : لعبة الأمم وعبدالناصر : أنه قد اطلع على جميع خطب عبدالناصر حيث لم يبدأها باسم الله كما كان يبدأها السادات ..

ويقول الكاتب : من الذي كان يكتب خطب عبدالناصر ؟ إنه محمد حسنين هيكل .. والذي كان قد ذكر في كتابه الطريق إلى رمضان والذي نشر باللغة الإنجليزية .. ففي هذه الطبعة أن عبدالناصر لا يؤمن باليوم الآخر ..

ويذكر صاحب كتاب لعبة الأمم وعبدالناصر في كتابه (ص ٣٧١ – ٣٧٢) حواراً جرى بين عبدالناصر وحسن التهامي يكشف عن شخصية هذا الرجل .. طلب حسن التهامي من عبدالناصر : لعلنا نفعل شيئاً للإسلام والمسلمين .. فقال عبدالناصر و بالنص : (إسلام لا .. ولكن المسلمين الفقراء نعم) .. ومرة أخرى يستهزئ الصنم بالله سبحانه وتعالى حين يقول لحسن التهامي : (إنت عامل نفسك زي اللي بتقولي عليه معرفش إيه من لا ينسى) .. يقول التهامي فلم أصدق ما سمعت وقلت أستغفر الله .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. أنت تقصد الحق جل جلاله ، جل من لا يسهو .. فأعاد قوله :

(أنا عارف بتاعكم اللي بتقولوا عليه معرفش إيه من لا يسهو ، ومن لا يخطئ ، وإنت عامل نفسك زيّهْ ، فقلت – والكلام للتهامي - : أستغفر الله لاحول ولا قوة إلا بالله ، جل جلال الله ، جل من لا يسهو ، لاحول ولا قوة إلا بالله ، جل جلال الله ، جل من لا يسهو ، لاحول ولا قوة إلا بالله ، وقلت في نفسي ولاتكاد عيناي تطيقان النظر إليه أو تراه : يا الله أهذا الذي وليته علينا ؟ أهذا الذي كنا نأمل فيه خيراً .

مات عبد الناصر بعد أن جعل السخرية من الإسلام وعلماء الدين فناً ، وأصبح ابن الشارع يحتقر العلماء والائمة ويزري بقيمة الدعاة والصادقين. وأصبحت الراقصات هن النجوم والكواكب وتوارى الأشراف وتغيب العقلاء ووئدت الفضيلة ودفنت المبادئ وحوربت القيم وانتهكت الأعراض وسالت الدماء وهذا ما حققه عبد الناصر فشل به كل المستعمرين.

١٢. جمال عبد الناصر وتدميره للقضاء المصري:

هذا ما فعله الجاسوس عبد الناصر بالقضاة في بداية عهده ...... مذبحة القضاة في عهد جمال عبدالناصر كما يرويها المستشار يحيى الرفاعي.

معالي المُستشار / يحيي الرفاعي يروي تفاصيل (مذبحة القضاة) : " عبدالناصر شرَّدَ ٢٠٠ من قُضاة مصر بتهمة العداء للنظام !! "

كان من بين انجازات الحقبة الملكية في مصر قبل قيام انقلاب ضباط ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ضمان استقلال السلطة القضائية واحترام أحكامها، وعدم تدخل الدولة في شئون القضاء والقضاة، وعاش قضاة مصر أزهي عصور الاستقلال خلال حكومات الوفد، في إطار قانون استقلال القضاء الصادر عام ١٩٤٣ في عهد حكومة مصطفي باشا النحاس.

وفي أعقاب حركة ٢٣ يوليو، وتأميم الحياة السياسية والديمقراطية في مصر، شهدت العلاقة بين ضباط الجيش والقضاة صدامات حادة وعديدة، نظراً لرغبة حركة الجيش في فرض هيمنتها والاستئثار بجميع السلطات، لذلك كان طبيعياً أن ينتهي الأمر بصدام مروع بين الطرفين وهو ما عرف تاريخياً في أغسطس ١٩٦٩ باسم »مذبحة القضاء« والتي قام خلالها الرئيس عبدالناصر بالتخلص من أكثر من مائتين من قضاة مصر بعزلهم بالمخالفة للقانون، نتيجة لتقارير كاذبة من أعضاء التنظيم الطليعي تتهم القضاة بالعداء لنظام ٢٣ يوليو.

وشهدت هذه الفترة الكئيبة علي قضاة مصر، تطاولاً علي أحكام القضاة عبر صفحات الجرائد، وخضع عشرات القضاة لعمليات تجسس من قبل الأجهزة الأمنية. »الوفد« في حوارها اليوم مع المستشار يحيي الرفاعي، رئيس شرف نادي القضاة مدي الحياة، تناقش أوضاع قضاة مصر خلال عهد عبدالناصر، خاصة أن المستشار يحيي

الرفاعي، أحد الذين عزلوا خلال مذبحة القضاة، حيث كان سكرتير عام نادي القضاة، ونجح بقائمته بالكامل في انتخابات النادي في مواجهة قائمة التنظيم الطليعي.

- سيادة المستشار ما الأسباب الحقيقية وراء مذبحة القضاء التي قام بها عبدالناصر في أغسطس ١٩٦٩؟

أولاً هذه المذبحة نفذت في ٣١ أغسطس ١٩٦٩ وتم خلالها عزل رئيس محكمة النقض، وأكثر من نصف مستشاريها وناهز عدد القضاة المعزولين حوالي مائتي قاضٍ من القضاة المتمتعين بحصانة عدم القابلية للعزل بغير الطريق التأديبي طبقاً للقانون، أما أسباب هذه الكارثة، وإذا شئنا الدقة فقد كان وراءها سبب غير مباشر وهو هزيمة يونيو ١٩٦٧ وما تبعها من آثار نفسية وعصبية علي القيادة السياسية، وعلي من كانوا علي صلة بها من أعضاء التنظيم السري الطليعي في الاتحاد الاشتراكي، وللأسف الشديد فقد كان بعض رجال القضاء ومجلس الدولة منخرطين في هذا التنظيم كما تبين لنا فيما بعد، وكانوا معدودين علي أصابع اليدين وكان بعضهم يكتب التقارير السرية عن زملائه إلي القيادة السياسية يومياً بما كان يدور من أحاديث في نادي القضاة، ومجالس القضاة الخاصة، حيث كانت هذه مهمة أعضاء ذلك التنظيم وبهذا الأسلوب بدأوا في إثارة غضب الرئيس »جمال عبدالناصر« بصورة متصاعدة ضد القضاة. وفي الوقت ذاته، كان الرئيس »عبدالناصر« يلح علي المستشار »عصام حسونة« وزير العدل في أن يشكل تنظيماً سرياً من القضاة!! وكان الوزير غير مقتنع بهذه الطريقة لتعارضها مع أخلاق القضاة، فكلف »عبدالناصر« وزير الداخلية »شعراوي جمعة« بتشكيل جماعة قيادية لهذا التنظيم، فشكلها من عدد من رجال القضاء ومجلس الدولة، وإدارة قضايا الحكومة، والنيابة الإدارية، واسماهم هيئات قضائية، وهي واقعة حدثت لأول مرة في تاريخ القضاء المصري منذ نشأته وحتي هذه الكارثة التي أطلق عليها »مذبحة القضاء«.

- وبعد تولي المستشار »محمد أبونصير« وزيراً للعدل هل وجد من يوافق من السادة القضاة علي الانضمام للتنظيم السري في القضاء؟

- بعد تعيين الوزير »محمد أبونصير« قام بتشكيل تنظيم سري من القضاة!! وكانت نواة هذا التنظيم وجود قضاة أشقاء بعض الوزراء آنذاك، وأخذت هذه الجماعة تعقد جلسات دورية برئاسة الوزير »محمد أبونصير« الذي بذل جهداً كبيراً في سبيل تكوين تنظيم طليعي داخل القضاء، واستعان بتكوينه ببعض الذين خضعوا لنفوذه ونفوذ عملاؤه، وهنا تزايدت التقارير اليومية علي مكتب الرئيس »عبدالناصر«. وناقش الوزير مع اللجنة العليا هذا التنظيم، وطالب الجواسيس في توصياتهم بإعادة تشكيل هيئات القضاء، ودمجها في النيابات الإدارية وإدارة قضايا الحكومة، وإجراء التنقلات بين القضاة إلي هاتين الجهتين، وإلي غير ذلك من المقترحات الهدامة والمبالغات الجسيمة في حق الشرفاء من رجال القضاء.

- كيف نفذت مذبحة القضاة؟

- ظل الجواسيس يكتبون التقارير ضد رجال القضاء الشرفاء إلي أن قام الرئيس »عبدالناصر« بتكليف د. جمال العطيفي بصياغة مجموعة قرارات جمهورية لتنفيذ المذبحة، وبدأت العجلة تدور، حيث تم تشكيل لجنة في رئاسة الجمهورية لتحديد الأسماء الواجب فصلها، والأسماء التي سيكتفي بنقلها إلي جهات حكومية أخري. وأعهدت اللجنة تلك الكشوف من واقع تقارير التجسس التي كانت تفيض بالحقد علي القضاة والشرفاء، ولا تنسب لهم أكثر من أنهم أعضاء الثورة المضادة الذين يقذفون في حق الرئيس عبدالناصر في جلساتهم اليومية بنادي القضاة. فصدرت قرارات المذبحة من »عبدالناصر« باعتبارها قرارات جمهورية، وتضمنت حل مجلس إدارة نادي القضاة، وتعيين مجلس آخر لإدارته من بين شاغلي المناصب القضائية بحكم وظائفهم.

- وما أثر تلك المذبحة علي القضاء والقضاة؟

- بهذه المذبحة انتهت الحرية الاجتماعية للنادي وقاطعه الأعضاء بعد أن أصبح مقراً للجواسيس، ولكل من خان الأمانة تقرباً للسلطات، وظلت الأوضاع بهذه الصورة، وبالطبع انعكست علي بعض الأحكام القضائية بما أثمرته من افتقاد للأمن والأمان بين الأوساط القضائية إلي أن توفي الرئيس جمال عبدالناصر. وأريد أن أذكر واقعة تحضرني، وهي أن زميلاً لنا في القضاء وهو من عائلة »أبوشقة« كان متزوجاً من سيدة ألمانية وحين فصل في مذبحة القضاء ثارت هذه السيدة عليه ولم تصدقه، وقالت له: انت خدعتني وأنت لست قاضياً فالقاضي لا يعزل في أي دولة، وأنت كذبت عليّ!! لولا أنها عرفت الحقيقة فيما بعد من الصحف الأجنبية لكانت كارثة بالنسبة له، فالمواقف التي شابهت ذلك كانت متعددة ومؤلمة لأصحابها.

- قلت حتي توفي »عبدالناصر« فماذا حدث في هذه المذبحة بعد تولي الرئيس السادات الحكم؟

- بما أن هذه الكارثة المسماة بـ» مذبحة القضاء« كانت أمراً جسيماً اهتزت له مصر من أقصاها إلي أقصاها، فقام الرئيس »السادات« حين تولي الحكم بإصدار قرار بإعادة بعض المعزولين إلي محكمة النقض في الدعوي التي اقمتها فور صدور المذبحة بانعدام هذه القرارات قانونياً، ثم أصدر الرئيس »السادات« قانوناً بإعادة القضاة المعزولين الباقين الذين لم يتجاوزوا سن التقاعد، وتمت إحالة اثنين من الجواسيس إلي المحكمة التأديبية، وانتهت بعزلهما ولهذا السبب رفع »السادات« شعار العفو عن الباقين فتوقف نظام التأديب عن محاكمتهم لأن المحاكمة بنص القانون تتوقف بناء علي طلب من الوزير برفع الدعوي التأديبية.

- معني هذا أن نظام يوليو بهذه المذبحة قد سفك دم العدالة؟

- بالطبع وهذا صحيح مائة في المائة لأن قرارات هذه المذبحة علي أية حال كانت سبة في جبين النظام كله، ووصمة عار في نظام يوليو، وهي نتيجة لهزيمة يونيو ١٩٦٧، وما ترتب عليه من حساسية وعصبية والرغبة في الاستقواء والاستبداد إلي الحد الذي مس كرامة كل مصري من شعب مصر.

- قيل حينها إن سيادتك مع المستشار »ممتاز نصار« - رحمه الله - قمتما بتوزع بيان إلي السفارات الأجنبية.. فما حقيقة ذلك؟

- هذا اتهام ساخر وساذج وجرت العادة خاصة في تلك الفترة علي إلصاق مثل هذه التهم بكل الشرفاء الذين لهم آراء مخالفة للسلطة وذلك لمحاولة النيل من سمعتهم وشرفهم فضلاً علي أنه اتهام واضح التلفيق، والمبالغة فيه.. لأنه ببساطة شديدة جداً ومن غير المعقول ولا المقبول أن يتردد رئيس نادي القضاة في مصر وسكرتيره العام علي السفارات ليوزعا بياناً للقضاة.. ولكن ما حدث بالضبط أن النادي قام بطبع ثلاثة آلاف نسخة من ذلك البيان ولم تكن كافية فتلقي النادي طلبات كثيرة جداً من المواطنين والنقابات والهيئات بطلب نسخ أخري من بيان القضاة، وكان النادي يعتذر لنفاد الكمية المطبوعة، وأخيراً اضطر لطبع عشرة آلاف نسخة أخري لتلبية طلبات الأعضاء وغيرهم من أساتذة الجامعات وأمثالهم ممن يهتمون بما حدث بقضاء مصر الشامخ من الذين أرادوا أن يحولوه إلي قضاء تابع لسلطاتهم وأهوائهم!!

- بعض المؤيدين لثورة يوليو قالوا بما أنها أجرت تغييرات شاملة لكل الأوضاع التي كانت قائمة فيحق لها أن تتخطي القوانين أو تلغيها وتحكم بما يسمي بالشرعية الثورية؟

- أولاً قلت في سؤالك ثورة وفي الحقيقة لم تكن ٢٣ يوليو ثورة قام بها الشعب، وإنما كانت انقلاباً عسكرياً قام به لفيف من الضباط وكانوا يطلقون علي أنفسهم الضباط الأحرار، ويشكلون تنظيماً سرياً داخل الجيش وهؤلاء الضباط هم الذين أطلقوا علي حركتهم تسمية الثورة!!.. واحترفوا تجنيد العمال بالمال والإرهاب المحاكمات العسكرية، والمحاكمات الاستثنائية، وقد عرفنا جميعاً من خلال مذكرات عبداللطيف البغدادي وهو أحد أعضاء تشكيل ما يسمي بالضباط الأحرار.. كيف كان العمال يؤجرون لعمل المظاهرات؟ بل وصل بهم الأمر إلي حد توجيههم لضرب »عبدالرازق باشا السنهوري«، في مكتبه وهو رئيس مجلس الدولة بمعرفة حفنة من البلطجية، وهؤلاء العمال اقتحموا علي »السنهوري باشا«، مكتبه اعتدوا عليه.. وثبت أيضاً أن »السنهوري باشا« رفض مقابلة »عبدالناصر« عندما زاره في مساء ذلك اليوم للاطمئنان عليه ولنفي التهمة عنه وهذه الواقعة ثابتة وذكرها »البغدادي«، بأن زعيم المعتدين قبض من »جمال عبدالناصر« أربعة آلاف جنيه ثمناً لفعلته هذه، وللعجب كانت هذه المظاهرات المأجورة تهتف بسقوط الديمقراطية والحرية وكانت تنادي

بالديكتاتورية!!.. وهذه كانت أول ضربة توجه للقضاء، وبالتالي توجه أيضاً للحريات والديمقراطية.. واستمرت المحاكم الاستثنائية في الفترة الناصرية تمارس أعمالها القضائية وتصدر أحكامها الظالمة علي بعض فئات الشعب بطريقة مهينة، ومشينة مهملين قضاء مصر الحقيقي.

- هل وصل أمر التجسس علي وزير العدل المستشار »عصام حسونة« ورئيس محكمة النقض المستشار »عادل يونس« وبعض المستشارين أمثال »ممتاز نصار وعلي عبدالرحيم«، وسيادتك واتهامكم بأنكم أعداء للرئيس عبدالناصر وللنظام؟

- للأسف الشديد كان يتم ذلك التجسس من بعض المستشارين الجواسيس الذين كانوا يكتبون التقارير والوشايات الكاذبة، ولذلك قام »عبدالناصر« بتشكيل لجنة برئاسة »السادات« لكتابة كشف بأسماء بعض رجال القضاء بناء علي هذه التقارير المكتوبة وقامت اللجنة بالتوصية بإحالة مائتين من خيرة رجال القضاء إلي المعاش، وكان منهم جميع أعضاء مجلس إدارة نادي القضاة في ذلك الوقت. وكان نص القرار الذي أصدره عبدالناصر هو عزل جميع رجال القضاء في مصر ثم إعادة تعيينهم بعد استبعاد ٢٠٠ منهم احيلوا للمعاش، وآخرون نقلوا لوظائف مدنية بوزارات الحكومة ومصالحها المختلفة!

- وما الذي جعل علي صبري يتهمكم في جريدة »الجمهورية« بأن »رجال العدالة لم يتمكنوا من القيام بدورهم الأساسي المهم في المجتمع الاشتراكي«؟

- في الحقيقة أن »علي صبري« كان يكتب في جريدة »الجمهورية« سلسلة مقالات يومية اتحف منها القضاء بثمانية مقالات كلها تهجم علي القضاء والقضاة، وهاجم فيها أحكام البراءة لعدم كفاية الأدلة، وهاجم فيها أيضاً كبار رجال القضاء، وأعضاء محاكم الجنايات والنقض، بدعوي أنهم طبقة خاصة تحكم بالبراءة للشك في الدليل أو لبطلان الدليل، وتعرض لهذه الأحكام بالنقد والتجريح، لأن هذه الأحكام كانت في نظره خطأ جسيماً.. وقد أسهمت هذه المقالات في إشعال الفتنة، وغضب القضاة وإثارة الطوائف في وقت كانت مصر فيه أحوج ما تكون إلي التوحد والديمقراطية الحقيقية حتي تستطيع أن ترغم إسرائيل علي الجلاء من سيناء، وأخذت هذه المقالات تنادي بوجوب خضوع القضاء لتشكيلات الاتحاد الاشتراكي وهو التنظيم السياسي الوحيد في مصر في ذلك الوقت.

- إذن الحكم العسكري سحق المواطن المصري وكان كالفجر الكاذب؟

- نعم وكل الاحترام والتقدير لكل من يري ذلك فالحكم العسكري كانت له سلبيات وتجاوزات كانت أفدح وأخطر أثراً علي بناء المواطن المصري والقوة الذاتية لمصر نتيجة لسحق النظام الدستوري، واحتكار القانون، وهو الأمر الذي مازالت مصر تعانيه من حكم فرد مطلق.. والآثار قائمة مثل تفشي آثار البلطجة وشيوع الفساد في جميع مرافق مصر والإطاحة باستقلال القضاء، وتفريغه من مضمونه المنصوص عليه في الدستور، والإطاحة باستقلال الجامعات والتوسع في تزوير الانتخابات، علاوة علي إفساد تكوين الأفراد نتيجة لضياع الحريات وممارسة إرهاب الدولة، وإهدار كرامة المواطن في أقسام الشرطة، وغيرها من ضياع الاحساس بالكرامة الذاتية، وضياع حقوق المواطنة وتحويل البلاد إلي عزبة يملكها أي حاكم بأمره دون مساءلة وإشاعة النفاق والرياء، وكل الأخلاق الفاسدة، وتحويل برامج التليفزيون إلي برامج بعضها يندي له الجبين.. وأصبحت مصر مركزاً لحكم الفرد وقدوة للتسلط، واحتقار الإنسان، وكل هذه الأشياء إفرازات طبيعية لحكم الضباط الأحرار.

- هل هذا هو تقييمك لنتائج حكم ٢٣ يوليو؟

- نعم لأن الانقلاب العسكري الذي حدث في ١٩٥٢ كان انقلاباً تأخر بالبلاد وتخلف عن ركب الحضارة العالمية، وأعطي في المنطقة العربية أسوأ قدوة للحكم.

- ولماذا لم تذكر مراكز القوي؟

- نعم.. كانت توجد مراكز قوي وكانت مسيطرة ومتشعبة وكان وجودها نتيجة طبيعية لرسوخ نظام حكم الفرد، والطوارئ، والاعتقالات والتعذيب الذي كان يتم للمعارضين وإرهاب الدولة علي النحو السابق ذكره، في حين لو أن رجال يوليو أخذوا بالنظام الديمقراطي، لكانت مصر أصبحت دولة مؤسسات بالفعل.. ولم تكن ستعرف مراكز القوي، ولا النفاق السياسي ولا سوء الخلق علي نحو ما هو وصل إلينا من مساوئ نظام يوليو.

- ألا تري أية إيجابيات لنظام يوليو ١٩٥٢؟

- استطيع أن أقول إن تأميم قناة السويس كان أحد هذه الإيجابيات.. ولكن غيري قد يختلف معي ويقول كان يجدر بنا عدم اتخاذ قرار التأميم وكانت القناة ستعود بعد انتهاء فترة الامتياز من خلال ١٢ سنة بدلاً من أن تؤمم القناة وتكبد مصر أموالاً وأرواحاً غير ذات حصر في سبيل ذلك التأميم.

- في الفترة الناصرية هل طغت السلطة التنفيذية علي السلطة التشريعية والسلطة القضائية وإلي أي حد؟

- طغت السلطة التنفيذية علي كل السلطات لدرجة أن أحكام القضاء كانت لا تنفذ خلال الحكم العسكري، خصوصاً التي كانت تصدر علي غير هوي الحاكم فتعتبر هذه الأحكام لا قيمة لها وكانت لا تنفذ وأيضاً لا يعاقب أي مسئول عن عدم تنفيذها، وكان هذا هو السبب الرئيسي في هز الثقة العامة في الدولة، وإشاعة البلطجة بدلاً من احترام القانون وهذه صورة من صور ضياع استقلال القضاء، في حين أن احترام احكام القضاء هو التزام يقع في الدول المتحضرة علي عاتق الجميع! ابتداءً من رئيس الجمهورية حتي أصغر موظف فيها باعتبار ذلك أساساً جوهرياً من أسس سيادة القانون واحترام الدولة.. وإذا فقدت السلطات الثلاث »تشريعية، قضائية، تنفيذية« شرط التوازن فيما بينها كما حدث في الحقبة الناصرية، حيث تغولت السلطة التنفيذية علي السلطتين الأخريين »التشريعية - القضائية« كان طبيعياً أن تضيع حقوق الناس وحرياتهم، وشاع الخوف وعدم الأمان والاستقرار.

- الرئيس عبدالناصر البعض ينفي عنه صفة الديكتاتورية متعللين أنه كان يحكم بالثورية الشرعية؟

- كان النظام كله نظاماً ديكتاتورياً أسفر عن حكم فردي ديكتاتوري، ونظام قمعي في ظل دساتير شمولية متعاقبة، وأوامر عسكرية، وحتي أحكام القضاء الصادرة عن محاكم أمن الدولة طوارئ كان لابد أن تخضع لتصديق الحاكم العسكري عليها، والديكتاتورية ألغت الانتخابات الحقيقية في كل المؤسسات والهيئات، حتي في الجامعات.. إلي أن وصل الأمر الذي أصبح فيه العمد في القري يعينون وكل ذلك نتيجة لنظام يوليو الديكتاتوري.

- متى انتهت ثورة يوليو.. بهزيمة يونيه ١٩٦٧ أم بوفاة الرئيس عبدالناصر أم بقيام السادات بثورة التصحيح مايو ١٩٧١؟

- قلت لك من قبل وأصر علي أن ما حدث ليس بثورة ولكنه انقلاب عسكري، وهذا الانقلاب حدثت له عدة ضربات موجعة، ومؤثرة أسرعت بنهايته، منذ استئجار المظاهرات وضرب السنهوري باشا فكان هذا أول مسمار في نعش هذا الحكم، ثم قمع الحريات، وتأميم الصحافة، ومذبحة القضاء والهزيمة في ١٩٦٧، واستفحال مراكز القوي فالسلبيات كانت كثيرة ومنها الدسائس والوشايات، والمؤامرات والصراعات وكلها كانت تؤثر في قرارات عبدالناصر إلي أن توفي وتولي السادات وتم القضاء علي مراكز القوي وفي تلك الفترة التي سحقت المواطن المصري.

١٣. نزاهة جمال عبد الناصر المالية:

الى كل اتباع عبدالناصر .. وكل اتباع الاصنام السياسية في اي دولة ..حكمة التاريخ تقول لنا : لابد ان تضع يدك على قلبك وانت تقرأ تاريخ القادة والزعماء في العالم ..لأنك قد ترى او تسمع عكس ما يقال تماما ..حيث في دهليز الحكم التي تموج بالخطط

والمؤامرات السياسية والنفسية لتصفية الخصوم ، قد ترى العجب العجاب .. كانت هناك حكمة جميلة تسيطر علينا الا وهى : من ضمن الاخطاء الكبرى التي يقع فيها الساسة والقادة في الدول ان يضعوا معلوماتهم في قوالب من حديد ... اي لا يغيرون معلوماتهم عن الملوك والرؤساء وكأنهم آلهة .. فاتباع عبدالناصر معلوماتهم باليه .. اكل عليها الدهر وشرب .. ونسوا ما قاله افلاطون في محاورته لتيماوس : (العقل وحده حر) .. وفى رأيي المتواضع ان الناصرية شاخت كما تشيخ كل الافكار والايديولوجيات ، وشاخ معها كل ما نادت به من افكار وما نصبته من اصنام سياسية ، كتمت فينا الحلم ، وباعت لنا الهواء في زجاجات مغلفة بشعارات ثورية حنجورية .. وسبب ما وصلت اليه الناصرية واتباعها من شيخوخة فكرية هو ما وصلت اليه البشرية من تقدم وتطور مذهل فى تكنولوجيا المعلومات . فاصبح الناس اليوم يقدرون على الاطلاع اكثر مما كان متاحا فى زمن الناصرية .. وانهالت مذكرات الساسة من كل حدب وصوب .. فانكشف المستور وبان المقبور .. لذلك اقول لنفسي ولغيرى : ضع يدك على قلبك من هول ما ستقرأ عن تلك الاصنام السياسية وانت تقرأ التاريخ .. فمثلا :

(كليوباترا) .. المؤرخون يؤكدون انها سيدة ذكية ، وانها وطنية ف المقام الاول، وانها من اجل العرش فعلت المستحيلات .. ولكن الفنانين الكبار يقولون : انها فعلت كل شيء من اجل العرش ومن اجل جسمها ، وان نشاطها جعلها تتعثر في ابطال وملوك واساطيل .. اما الحقيقة التي يجب ان تضع يدك على قلبك وانت تقرأها : انها كانت غانية مدربة واسعة النشاط .

(ثيودورا).. زوجة الامبراطور (جوستنيان) الذى كان رجلا عظيما بكل الموازين .. اما هي فالشك حولها وتحتها ، ولذلك لا يذكر التاريخ الا مباذلها .. حيث يرينا التاريخ المرأة الغانية التي جلست على العرش او تحته .. وكأن التاريخ يقول لنا : ان الظروف مهما تغيرت .. فالمرأة ذات طبيعة ثابتة ، وطبيعتها انها بائعة هوى لكل من يطلبه ..

(سميراميس).. يقول لنا التاريخ انها كانت امرأة شرسة .. ويقال انها كانت مثل الكلاب تشمشم في اقدام الغرباء كما يقول الشاعر الالماني (جيته)..وانها كانت تركب حصانا عاريا وعارية .. وكانت تلف وجهها فقط .. وكانوا يعرفونها من ملامح جسمها .. وكانت تلقى بنفسها عند اي شاب غريب .. تلك هي صورتها التي صورها التاريخ .

(بلقيس).. ملكة سبأ ، في القرآن الكريم في سورة النمل ، تجد صورة لملكة عادلة سمعت بالملك النبي سليمان ، الذى دعاها للأيمان . فهي ملكة لا تتفرد برأي او بقرار .. ولكن التاريخ يحدثنا عن مباذل ملكة سبأ بلقيس ، وكيف انها اقامت المواخير في اورشليم وكيف انها كانت تستحم في اللبن وتشعل النار في دماء الرجال وتستدفئ في هدوء .. اقرأوا التاريخ ستدهشون من كمية المعلومات عن معظم الاصنام السياسية التي نظنهم آلهة ..

الخلاف بين احمد اسماعيل وسعد الشاذلي:

الخلاف بين الاثنين سجله التاريخ منذ ان كانا في (الكونغو).. الشاذلي كان برتبة عقيد وكان قائدا لقوات الامم المتحدة .. وفوجيء بمجيء بعثة برئاسة العميد احمد اسماعيل ، فرفض الشاذلي ان يتعاون مع احمد اسماعيل ، وكان يرسل تقاريره للسفير (مراد غالب) ويتجاهل احمد اسماعيل .. وذات يوم قال له احمد اسماعيل : انت تريد ان تدعم موقفك في الامم المتحدة لكى تضمن عملا مجزيا ..فثار عليه الشاذلي وسبه وشرع في الاعتداء عليه ضربا ، وارسل برقية الى شمس بدران : احضروا فورا لأمر هام ... وبالفعل حضر شمس بدران لتسوية الموقف .. وعندما تم تعيين احمد اسماعيل رئيسا للأركان قدم الشاذلي استقالته المسببة ولزم بيته .. ولكنه عدل عن الاستقالة بعد ٤ ايام عندما ارسل له عبدالناصر (اشرف مروان) وطلب اليه العدول عن الاستقالة .. الى ان تولى السادات الحكم ، استدعى الشاذلي وقال له : سأعين احمد اسماعيل وزيرا .. فقال للسادات : سأعمل مع اي شخص تختاره وزيرا .. فأجابه السادات : انا عارف انك مختلف مع احمد اسماعيل ، لكن تأكد انه سيعاملك كويس ... وفعلا استمر شهر العسل بينهم ٦ اشهر بعد تعيين احمد اسماعيل وزيرا للحربية .. الى ان حدثت الثغرة ففجرت الخلافات مرة اخرى بينهم .. على مبدأ (العناد والعناد المضاد) .. تلك هي الحقيقة التي يجب ان تضع يدك على قلبك وانت تقرأ سر الخلاف بينهما .

لذلك اقول لاتباع عبدالناصر : لماذا تظنون ان عبدالناصر نبيا ؟ لا يأتيه الباطل ابدا ؟ واريد ان اسألكم سؤالا : هل كان عبد الناصر اشتراكيا ؟ .. فالجميع من اتباع عبدالناصر دائما يرددون كلمات نمطية مثل : عبد الناصر مات فقيرا ، عبدالناصر كان لا يملك من حطام الدنيا شيئا ، يا سادة انا لست مع عبدالناصر ولا ضده ولكنى مؤمن تمام الايمان ان عبدالناصر كان عظيم المجد عظيم الاخطاء .. لذلك ضعوا اياديكم على قلوبكم وانتم تقرأون هذه المعلومات الحقيقية التي توضح ان دعوة عبد الناصر للوقوف بجانب الفقراء كانت عملية استراتيجية لجذب حب الناس له فالواقع والتاريخ يكشف تناقضه :

- عبدالناصر أمر بالحاق ابنته (منى) بالجامعة الامريكية بالقاهرة لتدرس العلوم السياسية، في نفس اللحظة التي امم فيها الجامعة الامريكية واتهمها بانها مركز التجسس في القاهرة !!

- عبدالناصر اختار لنفسه استراحة في ضاحية القناطر الخيرية للاستجمام .. فوضع تقليدا لباقي الرؤساء وكبار المسئولين لاختيار استراحات خاصة لهم . وبنى استراحة اخرى على حساب الدولة في منطقة المعمورة بالإسكندرية لينعم فيها بالراحة والهدوء . وسار على دربه انور السادات .

-اما من يقول انه لم يورث اولاده من حطام الدنيا شيئا .. فأقول له : عثمان احمد عثمان المقاول المليونير اهداه فيلتين كبيرتين خلف (الميرلاند) بمصر الجديدة ، خصصت

واحدة لابنته (هدى) والاخرى(لمنى) بمناسبة زواجهما .. ونشرت المجلات الفرنسية صورا وموضوعات لأفراد اسرة عبد الناصر وهم يتجولون في شوارع باريس يختارون قطع الباركية الاخضر والاثاث الفاخر لتأثيث الفيلتين .. ويذكر ان عثمان احمد عثمان تقاضى مبالغ رمزية نظير الفلتين .. على طريقة فيلم (الواد محروس بتاع الوزير) للفنان عادل امام ، حينما جاء رجل الاعمال للوزير لكى يرجوه ان يحجز شقه في احد الابراج المملوكة لرجل الاعمال لان سعرها زهيد .. وكان الوزير طماعا فطلب شقتين ..

- عبدالناصر كان محبا للفخفخة في حياته الخاصة .. وكان يفضل ان تكون هداياه من اصدقائه الملوك والرؤساء صناديق السيجار واربطة العنق الفاخرة وصناديق الكريز والتفاح الامريكاني والبشملة وكانت تأتى يوميا من لبنان .. والشعب محروم منها بدعوى ربط الحزام من اجل الاصلاح الاقتصادي .. الم اقل لكم ان التاريخ يقول : ضعوا اياديكم على قلوبكم وانتم تقرأون عن الساسة والقادة في كل الدنيا.

صفة العدالة الاجتماعية التي روج بها البعض لناصر والناصرية لم تكن في جوهرها إلا رشوة اجتماعية مُقنّعة تخفى وراءها رغبة محمومة وشهوة مكنونة تريد السيطرة على عقول وقلوب الجماهير من قبل طاغية، بالإضافة إلى ركام من الفساد والنهب والاستقطاع المقنن لمقدرات و لثروات البلاد وأشرف مروان وأشقاء عبد الناصر وعائلاتهم خير دليل على ذلك حتى الآن.

في مدينة الإسكندرية المسافة بين كل من سموحة وشارع فؤاد وهى الأحياء، التي تقع بها المدارس الخاصة التي يملكها أشقاء عبد الناصر حتى وقتنا هذا (الليثي وشوقي) وبين حي باكوس التي يقع فيه منزل عائلة عبد الناصر القديم، المسافة الزمنية بينهما لا تتجاوز عدة دقائق، في حين أن المسافة الاجتماعية بينهما تعادل المسافة بين أرقى أحياء المهندسين والزمالك من ناحية وعشوائيات بولا ق وإمبابة من ناحية أخرى.

من أراد أن يتعرف على العدالة الاجتماعية الناصرية عليه فقط أن يزور عزبة الليثي عبد الناصر في حوش عيسى ومدارس الليثي عبد الناصر في شارع فؤاد ومدارس شوقي عبد الناصر في أرقى أحياء سموحة، ثم يزور منزل والدهم في باكوس، ثم يحاول الإجابة عن السؤال المهم من أين تأت هذه الثروة لمجموعة من الأشقاء يعلم المحيطون بهم محدودية مواهبهم وقدراتهم وتحصيلهم العلمي، كما نعلم جميعا أن والدهم رحمه الله كان موظفًا بالبريد محدود الدخل، من أين لهم هذه الثروة التي تقدر بمئات الملايين الآن.

وفي الحديث عن عبد الناصر والإنحرافات المالية نرجوا من القارئ أن يطلع على الدراسة الموثقة المفصلة التي قدمها الاستاذ جلال الحمامصي عن هذا الموضوع الخطير في كتابه حوار وراء الاسوار صفحة ١٧٠ وما بعدها ما نصه :

بدأ عبد الناصر رجلا بسيطا ولكن سرعان ما أصبح لكل فردا من عائلته فيلا أو قصر مشيد له خصيصا .

فمن اين جاء هذا المال لبناء تلك القصور ؟

واين قانون الكسب غير المشروع الذي كان يطبق على باقي الشعب فقط ؟ .

كان شقيق عبد الناصر رجلا بسيطا في مستوى معيشته ثم سمح له أكثر من مرة ان يسافر للخارج ومعه حقيبة واحدة ويعود إلى مصر بحقائب لا تعد ولا تحصى بها بضائع معينة تحقق ارباحا مهولة .

كان الاستاذ فخري عبد النور المحامي وأحد رجال الاعمال يتناول العشاء مع اصحاب الاعمال ورؤساء البنوك السويسرية وسأله واحد منهم :

هل تدري كم بلغ حساب عبد الناصر في بنوك سويسرا ؟ .

واجاب الاستاذ سعد انها وصلت إلى عشرات الملايين من الجنيهات الإسترلينية .

فقال رئيس البنك انها بلغت اكثر من ذلك بكثير .

واضاف قائلا : ما كان لي كرئيس للبنك ان اتكلم في مثل هذا الموضوع ولكن ذلك لم يعد سرا فالحكومة المصرية تحاول إسترداد بعض هذه الاموال .

ويضيف الحمامصي انه عقب ذلك في مارس ١٩٧٤م نشرت جريدة اخبار اليوم ان مصر استردت بعض اموالها من الارصدة السرية بسويسرا .

في فترة الحماس قبل هزيمة ١٩٦٧م تقدم الكثير من الاثرياء العرب بهبات للمساعدة في الجهود للحرب .

ومن ضمن هذه الهبات ما قدمه الملك سعود فقد كتب في ٢٨ مايو سنة ١٩٦٧م شيكين احدهما بمبلغ ٣ مليون دولار اميركي بإسم جمال عبد الناصر والثاني ب ٢ مليون باسم صلاح نصر .

وصدق على التوقيع بالتحويل الاستاذ احمد فؤاد رئيس مجلس إدارة بنك مصر وارشيف بنك مصر موجود لمن يريد التحقق .

وذكر وزير الخارجية المصري الاسبق عمرو موسى في مذكراته التي نشرها قبل أيام في "كتابيه" إن الرئيس الأسبق كان يستورد طعاماً خاصاً له من الخارج، وتحديداً من سويسرا، لاهتمامه بنظام غذائي يؤدي لخفض الوزن، وكان يرسل من وقت إلى آخر من يأتي له بأصناف معينة من الطعام الخاص بالريجيم من سويسرا. وقال موسى إنه

خلال عمله بسفارة مصر في سويسرا كان رجل ضخم الجثة يأتي لاستلام الطعام وكان موسى هو المسؤول عن تسليمها له، بحسب المصري اليوم.

ووصف موسى جمال عبدالناصر بالديكتاتور الذي قاد مصر للهزيمة، مضيفاً أن مظاهرات التنحي مسرحية، وأن عبد الناصر اختصر مصر في شخصه، فكل ما هو جيد له جيد لها، واعتبر أن سياساته سبب اندلاع ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١.

١٤. تسليم عبد الناصر الاثار المصرية للولايات المتحدة الامريكية والغرب:

في ٢٨ أبريل عام ١٩٦٧، تسلم المتحف الأمريكي متروبوليتان للفنون معبد دندور المصري، الذى بُنى في القرن الأول قبل الميلاد، بعدما أهدته مصر إلى الولايات المتحدة .

وفى ٢٨ أبريل ٢٠١٧، احتفل متحف المتروبوليتان بمرور ٥٠ عاما على وجود معبد دندور المصري القديم فيه.

ومعبد دندور كان على الشاطئ الغربي جنوب أسوان، وقد شيد في العصر الروماني في عهد الإمبراطور أغسطس، ويضم نقوشا ومناظر مصرية قديمة، بالإضافة إلى بعض النقوش القبطية التي تم إضافتها بعد دخول المسيحية.

وتم نقل معبد دندور عام ١٩٦٣ بحجة إنقاذّه من الغرق بعد بناء السد العالي، وإهدائه إلى الولايات المتحدة الأمريكية أثناء فترة رئاسة ليندون بينيس جونسون، وإرسال المعبد بعد أربعة سنوات مدة تفكيكه و نقله وإعادة تركيبه مرة أخرى، إلى متحف المتروبوليتان ليظل هناك منذ ذلك الحين .

لم يكن هذا المعبد الوحيد الذى انتقل من مصر إلى بلاد الغرب على سبيل الإهداء، بل هناك ٤ معابد أخرى سنتعرف عليها:

معبد طافا.. في هولندا

كان يقع بقرية "امبركاب" النوبية، بُنى في العصر الروماني، وقد تم إهداؤه إلى هولندا عام ١٩٦٠، وأعيد تركيبه هناك عام ١٩٧١، بمتحف الآثار بمدينة ليدن.

معبد الليسية.. في إيطاليا

كان يقع في بلاد النوبة بقرية أبريم، بالقرب من قصر أبريم، شيد في عصر الملك تحتمس الثالث، وتم اهداؤه إلى إيطاليا عام ١٩٦٦، ليتم حفظه بمتحف تورينو.

معبد دابود.. في إسبانيا

كان يقع جنوب أسوان بالقرب من الشلال الأول على الضفة الغربية لنهر النيل، وتم اهداؤه إلى أسبانيا عام ١٩٦٠، ليتم وضعه في حديقة "ديل أويستى" بالقرب من القصر الملكي بمدريد.

جزء من معبد كلابشة..في ألمانيا

تم إهداء إحدى بوابات معبد كلابشة المعروفة باسم "البوابة البطلمية"، إلى ألمانيا، وتم حفظها في جناح الآثار المصرية بمتحف برلين .

هذا بالإضافة الى الالاف القطع الاثرية الصغيرة التي سرقها الضباط في عهد عبد الناصر وباقي الحكام العسكريين .

١٥. قمع عبد الناصر للشعب المصري:

ان ما فعله الجاسوس جمال عبد الناصر بالشعب من تنكيل وقمع من الصعب ان يذكر جميعه لذلك سأختصره حادثتين تكشفان حقيقة حقبة انقلاب يوليو الاسود الذي دمر مصر والمنطقة برمتها والحادثتين هما:

اولاً: عدام خميس والبقري وقمع العمال في المحلة:

فوجئ العمال بمحاصرة قوات أمن كفر الدوار للمصنع تحت توجيهات نفس القيادة التي كانت موجودة قبل حركة الجيش وأطلقت النيران علي العمال فسقط عاملا قتيلا، فرد العمال في نفس اليوم بعمل مسيرة لباب المصنع عندما سمعوا أن محمد نجيب، رئيس الجمهورية، سيمر عند باب المصنع، وهتف العمال «يحيا القائد العام ... تحيا حركة الجيش» وعندما تأخرنجيب – الذي لم يحضر أبداً – خرج العمال لانتظاره عند مدخل المدينة وفي طريقهم مرت مسيرة العمال على أحد نقاط الجيش وألقى العمال التحية على العساكر هاتفين نفس الهتاف تحيا حركة الجيش إلى أن وصلت مسيرة العمال لأحد الكباري وعلى الجانب الآخر منه وقف الجنود المصريين شاهرين بنادقهم في وجه العمال، ومن جانب ثالث لا يعلمه أحد حتى الآن انطلقت رصاصة في اتجاه الجيش فراح ضحيتها أحد العساكر، وكانت معركة بين الجنود المسلحين والعمال العزل حتى من الحجارة ولم تستمر المعركة لأكثر من ساعات فتم القبض على مئات العمال وتشكلت المحاكمة العسكرية برئاسة «عبد المنعم أمين» أحد الضباط الأحرار ومن كوادر الإخوان المسلمين وأمام آلاف العمال وفي فناء المصنع، في بيت العمال، كان البكباشي جمال عبد الناصر وزير للداخلية في ذلك الوقت، حيث شكلت المحكمة العسكرية واتهم مئات العمال بالقيام بأعمال التخريب والشغب وكان من ضمن المتهمين طفل عمره ١١ عاما! وتم النطق بحكم

الاعدام على العامل «محمد مصطفى خميس» ابن التسعة عشر ربيعا وتم النطق بذات الحكم على العامل « محمد عبد الرحمن البقري» صاحب السبعة عشر سنة.

طالب خميس والبقري بإحضار محامي للدفاع عنهما ولاستكمال الشكل نظر القاضي للحضور وقال: هل فيكم من محام؟

وكان موسي صبري الصحفي الشهير حاضراً وكان حاصلاً علي إجازة الحقوق فاعتبروه محامياً وتقدم للدفاع عن المتهمين بكلمتين شكليتين أدانتهم أكثر من أن دافعت عنهم.

وهكذا مضت المحاكمة دون أدلة ولا دفاع ولا محاكمة.. لتنتهي في أربعة أيام بالحكم بالإعدام على كل من:

العامل مصطفي خميس "١٨ سنة".

ومحمد البقري "١٩.٥ سنة" كان يعول خمسة أبناء وأم معدمة كانت تبيع الفجل لتشارك ولدها في إعالة أبنائه بملاليمها التي تكسبها من بيعها.

هذا فضلاً عن عشرات الأحكام بالأشغال الشاقة المؤبدة والمؤقتة.

كان محاكمة هزلية ظل المتهمان البائسان يصرخان "يا عالم ياهوه .. مش معقول كده.. هاتوا لنا محامي علي حسابنا حتى .. داحنا هتفنا بحياة القائد العام .. داحنا فرحنا بالحركة المباركة .. مش معقول كده".

وهناك في النادي الرياضي بالمدينة تم إجبار العمال علي الجلوس في دائرة كبيرة تحت حراسة مشددة من جنود الجيش حاملي السلاح.. لتذاع فيهم الأحكام المرعبة من خلال مكبرات الصوت وسط ذهول الجميع.

وهكذا وافق ما سمي مجلس قيادة الثورة علي الحكم وصدق نجيب عليه بعد أن أقنعه عبد الناصر – علي حد زعمه – بضرورة ردع التمرد حتى لا يجرؤ أحد علي تكرار ما حدث رغم اقتناعه – يعني نجيب – ببراءة الرجلين البائسين.

وبحسب طه سعد عثمان في كتابه خميس والبقري يستحقان إعادة المحاكمة التقى محمد نجيب بخميس وساومه بأن يخفف الحكم إلى السجن المؤبد في مقابل قيامه بالاعتراف على رفاقه العمال وإدانة حركتهم ولكن خميس رفض.

وتم تنفيذ حكم الإعدام على الشهيدين محمد مصطفى خميس ومحمد عبد الرحمن البقري في يوم ٧ سبتمبر من نفس العام بسجن الحضرة بالإسكندرية تحت حراسة مشددة

وسط أصوات «خميس» و «البقري» اللذان صرخا قبل الإعدام «حنموت وإحنا مظلومين».

في ١٢ أغسطس ١٩٥٢ قامت ادارة مصنع كفر الدوار، بنقل مجموعة من العمال من مصانع كفر الدوار إلى كوم حمادة بدون إبداء أسباب، مما أثار ثائرة العمال وأعلنوا إضرابهم عن العمل وقاموا بوقفة احتجاجية لإعلان مطالبهم لحركة الجيش منددين بحركة نقل العمال وتدني الأجور والحوافز وتدهور سكن العمال. ظن العمال أن بقيام ثورة ٢٣ يوليو قد أصبح الجو العام مناسبا لتحقيق مطالبهم ونيل حقوقهم

وفي ظل مباركة معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة، حيث قال محمد نجيب» في كتابه «شهادتي للتاريخ»، «إنني التقيت بهما وكنت مقتنعا ببرائتهما بل وكنت معجبا بشجاعتهما ولكن صدقت على حكم إعدامهما تحت ضغط وزير الداخلية – جمال عبد الناصر – لمنع تكرار مثل هذه الأحداث». وكان موقف باقي الاعضاء- باستثناء خالد محيي الدين ويوسف منصور صديق اللذان رفضا الحكم - أشد سوءا فكتب «عبد اللطيف البغدادي» في مذكراته» كان يجب تنفيذ الحكم بالإعدام لمنع حدوث هذه الأحداث» وكان هذا نفس موقف حسين الشافعي الذي أعلنه في حوارا معه على قناة الجزيرة «بأنه كان يجب أن يعرضوا على المحكمة العسكرية فالثورة ليست عملا عاديا لننتظر القضاء العادي».

ثانياً: قمع انتفاضة ١٩٦٨م:

لا يمكن فصل ما حدث في فبراير ١٩٦٨ عن الغليان الذي عم البلاد بعد هزيمة ١٩٦٧ وجاء الانفجار بعد أحكام الطيران وما سميت ان ذاك بقضية النكسة قضت المحكمة في ٢٠ فبراير١٩٦٨ ببراءة اثنين والسجن ١٠ و ١٥ سنة لاثنين اخرين من قادة الطيران.

وعلي الفور قام عمال القاطرات بحلوان بوقف الماكينات، وبادروا بالتحركات الاولي وانضم اليهم عمال المصانع الحربية وخرجوا في مظاهرات جابت شوارع حلوان، وانضمت اليهم الجموع الغاضبة إلى ان وصلوا الي قسم حلوان، وإذا بالمأمور ورجاله يطلقون الرصاص علي العمال، فأصيب ٢٣ عامل من جراء ذلك.

في اليوم التالي وصلت الاخبار الي جامعتي القاهرة وعين شمس فأعلنوا الاضراب وخرجوا في مسيرات حاشده تندد بأحكام الطيران وبالاعتداء علي العمال الذين اعترضوا علي المهزلة. استمرت التظاهرات لليوم التالي وبعد بيان الداخلية الذي هدد باستخدام قانون الطوارئ، واتهم المتظاهرين بأنهم يحاولون هدم الجبهة الداخلية في مواجهة العدو الخارجي ورغم ذلك استمر خروج المظاهرات من شبرا الخيمة وحلوان واسكندرية والمحلة وانضم اليهم طلبة جامعة الاسكندرية و طلاب المدارس الثانوية.

بعد هذه الاحداث قامت اجهزة الامن بحملة اعتقالات لبعض قادة الطلاب بالجامعة والذين حضروا الاجتماع ، مما فجر الموقف داخل الجامعة. ففي اليوم التالي ٢٤ فبراير قام طلاب كليتي الحقوق والهندسة بالخروج إلى الشارع في مظاهرة ضخمة ثم انضم اليهم طلاب من كليات اخرى، ولم تستطع اجهزة الامن فض المظاهرات إلا الساعة السادسة مساء وكعادة اجهزة الامن، فقد تحركت فجر اليوم التالي وقامت باعتقال زعماء الطلاب الذين قابلوا رئيس مجلس الامة والذى قد وعدهم "بشرفه"، إنه لن يمس احدهم بسوء.

وفى ذات الوقت خرجت مظاهرات من جامعات عين شمس والاسكندرية والمنصورة تردد نفس شعارات ومطالب طلاب جامعة القاهرة.

وحين وردت انباء القبض على بعض قادة الطلاب تأزم الموقف في كلية الهندسة جامعة القاهرة وحاول الطلاب الخروج في مظاهرة إلى القاهرة ولكن اجهزة الامن اعترضتهم ومنعت مرورهم على كوبرى الجامعة واصطدمت بهم فعاد الطلاب إلى كليتهم مرة اخرى وأعلنوا الاعتصام بها، وقد ناقشوا قضاياهم وقضايا الوطن وصاغوا بيانا بمطالبهم المشروعة و في مقدمتها ما يلي :-

١- الافراج فورا عن جميع المعتقلين.

٢- حرية الرأي والصحافة.

٣- مجلس نيابي حر يمارس دوره بدون ضغوط.

٤- ابعاد المخابرات والمباحث عن الجامعات.

٥- اصدار قوانين الحريات والعمل بها.

٦- التحقيق الجدى في حادث عمال حلوان.

٧- توضيح حقيقة المسألة في قضية الطيران.

٨- التحقيق في أنتهاك حرمة الجامعات واعتداء الشرطة على الطلاب.

ولم يجد النظام سبيلا لمواجهة الطلاب الا بإصدار قرار إغلاق الجامعات والمعاهد حتى ٢٨ فبراير حيث أمكن فضه. وكانت المحصلة أكثر من ٤٠٠ طالب وقتل ثلاثة من المتظاهرين بجامعة عين شمس.

واستمرت المظاهرات حتي اضطر عبد الناصر الي اعلان اعادة محاكمة المسؤولين عن الهزيمة .

على مسئولية قائد سلاح الطيران في ١٩٦٨عبد الناصر قال: إضربوا الطلبة بالطيران !!!
واليكم :

شهادة اللواء متقاعد مصطفى الحناوي مع الدكتور هشام السلاموني:

انا اللواء مصطفى الحناوي ولابد أن الرجل لاحظ ارتباكي .. وأن ذكاءه ألهمه سبب الارتباك .. فبادرني قائلاً:

ـ لقد كنت قائد سلاح الطيران فيما تلا نكسة يونيو ١٩٦٧ وحتى يونيو ١٩٦٩.

وقال لي الرجل الكريم: إنه تابع المقالات الفائتة، وأن لديه ما يريد أن يقوله، وأن هذا الكلام على حد تعبيره، يرسم تفاصيل الصورة على الجانب غير المرئي من الجبل .. (تعبير طائر!) ثم قال الرجل الكريم كلاماً أذهلني .. أذهلني حقيقة.

تخلصت من ذهولي واتصلت باللواء مصطفى الحناوي .. أطلب ميعاداً لمقابلته والتسجيل له .. وأشهد أن كان الرجل الشرقاوي كريماً للغاية .. كريماً في دعوته، وكريماً في إسهابه أيضاً عندما جلست إليه في منزله وبيننا شريط التسجيل دائراً في الجهاز وحولنا الكرم الشرقاوي الشهير.

قال الرجل:

ـ نقطتان أثرتهما في مقالاتك، استفزتني، جعلتني أقرر أن أنفس بخاراً مكتوماً عذبني لسنوات طوال .. الأولى: أن الفساد هو الذي هزمنا في يونيو وليست إسرائيل .. الجهل، وليس جيش الدفاع الإسرائيلي، لقد كنت محقاً عندما قلت إن قيادات حرب ٦٧ بكل مستوياتها ظلمت الجيش المصري .. حقيقة .. الجيش كان مظلوماً .. مظلوماً .. مظلوماً.

راغت عينا الرجل وترغرغتا .. فأشاح ناظراً إلى السقف .. ولما عاد .. كان يبلع في ريقه غصة ويقول:

ـ النقطة الثانية كانت هي العنف الذي قررت السلطة ـ وقتها ـ أن تواجه به الطلاب المتظاهرين في نوفمبر ١٩٦٨، ولم يكن تبريرها للعنف غير مقبولاً ولا مقنعاً.

تنهد الرجل نافساً بعض بخاره المكتوم .. وأردف والغضب يرجه:

ـ للأسف الشديد .. لقد كنت شاهداً على النقطتين .. ولن يريحني إلا أن أدلي بشهادتي كاملة. لحظتها أردت أن الرجل لن يكون في حاجة إلى أسئلة تقود الحديث .. لقد أيقنت

أن الرجل ـ كما قال تماماً ـ لا يريد إلا أن ينفس بخاراً قرر ألا يظل مكتوماً .. وأنه لن يكون علي ـ بعد ـ إلا أن ألتقط بعض البخار وأنقله لكم:

في أول مايو ١٩٦٧ خطب جمال عبد الناصر قائلاً: إن أحداً لن يفرض عليه أن يحارب إسرائيل، فنحن من يختار الزمان والمكان للمعركة المقبلة، وقال: "لما أبني مصنع أبقى بأحارب إسرائيل، لما أعمل مشروع أبقى بأحاربها"، برغم هذا أعلن عبد الناصر التعبئة العامة في منتصف مايو لأن إسرائيل تهدد الجولان بحشود عسكرية!!.

وفي الأسبوع الأخير من شهر مايو طلب عبد الناصر من عبد المنعم رياض تقريراً عن حالة الجبهات العربية لدول المواجهة، أرسلني عبد المنعم رياض إلى الأردن .. هناك قابلت الشريف ناصر بن جميل خال الملك حسين .. وآخرين تربطني بهم جميعاً صداقة من العمل المشترك .. قال الشريف ناصر: إن إسرائيل لم تحشد حشوداً في مواجهة السوريين .. وليس لديها نية للهجوم على سوريا .. وما يحدث تدبير من المخابرات المركزية الأمريكية، لاستنفار مصر وخروج قواتها إلى العراء في سيناء لتصبح صيداً سهلاً، ويتم تدميرها .. (نفس الكلام قاله الملك حسين لعبد المنعم رياض) وذهبت إلى سوريا .. في سوريا قالوا إن هناك حشوداً .. لكنهم لم يقولوها بشكل قاطع، ولم يؤيدوا كلامهم لا بصور ولا تقارير استطلاع ولا حتى بإخباريات من العملاء المزروعين في إسرائيل.

هذا الكلام نقل لعبد الناصر .. برغم هذا أغلق خليج العقبة، وإغلاق خليج العقبة يعني إعلان الحرب!!.

برغم إغلاق الخليج (إعلان الحرب) فإن قواتنا في سيناء لم تعرف لها مهمة محددة .. "راحت ومفيش مهمة"، لا تعرف هل ستهاجم، هل ستدافع، هل هي تستعرض وحسب، نحن الذين درسنا خطة القتال مع إسرائيل في موسكو .. (٤٢ ضابطاً) لم نكن نفسهم .. إذا كنا سندافع .. فلماذا تجاوزنا خط الممرات، خط الدفاع عن مصر والقناة كما كنا قد خططنا .. إذا كنا سنهاجم .. فالهجوم له ترتيبات لم تتخذ!! إذا كنا نستعرض فلماذا أغلقنا خليج العقبة .. بعد ذلك أكد جمال عبد الناصر أننا لن نهاجم إسرائيل، إلا إذا هاجمتنا وهكذا اطمأنت إسرائيل وراحت تسعى لمخططها ونحن في هذا التخبط.

جاء الملك حسين إلى مصر ليقول إنه مع العرب إذا حاربوا وطلب قيادة مصرية لجيشه الأردني حتى لا تكون هناك شبهة خيانة أو ما شابه، وما أشيع عن أبيه في حرب فلسطين كان الرجل يريد أن يتجنبه .. وهكذا أرسل عبد المنعم رياض إلى الأردن، وذهبت معه قائداً للطيران .. وصلنا قبل الحرب بثلاثة أيام، لم نجد لدى الأردنيين ما يمكن أن نحارب به حرباً حقيقية .. بالنسبة للطيران كان عندهم اثنتا عشرة طائرة (هنتر) فقط ولم نجد مطاراً حربياً مجهزاً، برغم أنه في القيادة العربية الموحدة كانت هناك خطط، وكان هناك تمويل، لكن لم يتم شيء .. مطار عمان مطار مدني .. وبينه وبين المطارات

الإسرائيلية سلسلة الجبال التي تفصل بين الأردن وإسرائيل .. "لو طلعت إسرائيل من مطاراتها .. مش ح نلحق نعمل حاجة .. والجبال ح تخلي الرادار ما يلقطش طياراتها، حملت تقدير الموقف ثاني يوم .. (قبل الحرب بيومين) إلى الملك حسين ضمن القادة جميعاً .. طلبت أن ننقل الطائرات إلى مطار عراقي أعرفه جيداً، وقلت إن مدى الطائرات يسمح بالذهاب والعودة من العراق إلى إسرائيل وبالعكس .. رفض الملك حسين لأن الشعب الأردني سيشعر أن طائراته هربت إذا ما ذهبت إلى العراق .. الشيء الوحيد الممتاز في الأردن كان محطة رادار عجلون .. محطة جديدة، موقعها عال وممتاز، ويشعرك بأنك تطل على إسرائيل كلها من شرفة .. بالنسبة للقوات البرية الأردنية كانت متمركزة عند الحدود من ١٩٤٨ ولا شيء يحدث، فالضباط جاءوا بعائلاتهم، وكذلك الجنود .. أي أن العائلات تسكن في الجبهة!! وهذا كان من شأنه أن يربك القوات بالخوف على الأهل إذا ما نشب قتال.

جاء خمسة يونيو ولم نكن قد استطعنا بما فيه الكفاية، ولا عرفنا وضه القوات بما يمكننا من تحريكها .. وجاءنا من محطة عجلون أن الطائرات الإسرائيلية قد تركت مطاراتها للهجوم على مصر .. وهنا حدث المصيبة التي ما بعدها مصيبة .. كنا متفقين مع القيادة في مصر على أن تصيح في اللاسلكي، عنب .. عنب .. عنب .. (ثلاث مرات) إذا ما غادرت الطائرات الإسرائيلية مطاراتها إلى مصر لتبدأ الحرب .. صحنا في اللاسلكي ولا حياة لمن تنادي .. بعد الحرب وكنت واحداً من ثلاثة اختارهم محمد فوزي كلجنة لتقصي الحقائق عما حدث في القوات المسلحة أثناء الحرب، علمت أنهم كانوا قد غيروا التردد حتى لا تنكشف رسائلنا .. لكننا في الأردن لم نخبر ولم يعطونا جدول تغيير الترددات الذي هو عالي السرية .. وأول إنها المصيبة التي ما بعدها مصيبة، لأنهم لو سمعونا في مصر كانوا سيجدون أمامهم نصف ساعة يرتبون فيها لصد الهجوم الجوي، وكان مسار التاريخ قد تغير ١٨٠ درجة .. وحتى يوجعنا يلبنا ويوجع أكثر ما هو موجوع. علمنا فيما بعد من الأسرى الإسرائيليين أن التعليمات التي أخذوها من قياداتهم كانت تؤكد عليهم بعدم إتمام الهجوم البادئ للحرب إذا واجهتهم أية مقاومة!!

لم تكن حرب سبعة وستين حرب الأيام الستة كما قالت إسرائيل، لقد انتهت الحرب – بالفعل – لحظة بدأت بتدمير الطائرات فوق ممرات المطارات، وما بعد ذلك كان تخبطاً، ولم يكن حرباً، على الجبهة الأردنية أمرت الطائرات الاثنتي عشرة بالطلوع، عشرة منها تهاجم الطائرات الإسرائيلية .. واثنتان لحماية العشر عند الإقلاع والعودة، ولد عادت الطائرات سليمة ليتم تدميرها فوق أرض المطار بمجرد نزولها ومغادرة الطيارين لطائراتهم، وعلمنا أن إسرائيل كانت أخلت مطاراتها إلا مطارين لتركز الحماية عليهما .. ومن هذين المطارين طلعت الطلعات كلها على ارتفاع قريب جداً من سطح البحر مستهدفة بنبضات إلكترونية كانت تطلقها السفينة ليبرتي الأمريكية. مقر قيادتي في مطار عمان، مكان من الطوب اللبن، ضُرب وسوي بالأرض، واعتبروني استشهدت لولا أن جاء قائد القوات البرية ليتفقد الموقف فوجدني حياً لا أريد مغادرة موقعي المدمر.

كنت قد طلبت من الطيارات السورية أن تضرب مطارات إسرائيل بين الطلعات التي بدأت الحرب .. لكن السوريين أجابوا بأنهم لم يستطيعوا ترتيب أمورهم في الوقت المناسب .. طلبت من العراق فرتبت ثلاثة طائرات تي يو ١٦، واحدة تعطلت قبل الإقلاع، وواحدة تاهت، والثالثة دخلت المجال الجوي الإسرائيلي وأفرغت حمولتها من القنابل، لكن لم يأت لنا تقرير بأنها دمرت شيئاً .. وقطع الطيار العراقي إسرائيل من الشمال إلى الجنوب قبل أن يعود لا أعرف لم ؟! لكن المهم أن أحداً لم يعترضه، ولم تطلق عليه طلقة واحدة .. إسرائيل ليست كما تتصورون .. المشكلة فينا نحن، والحقيقة أن إسرائيل لم تواجه جيوشاً عربية .. لم نرها ولم ترنا .. لقد واجهت مهزلة عربية بكل المقاييس .. إنني حزين على البطولات التي أبداها البعض لأن جهل القيادات كان قد حسم الأمر منذ البداية والإهمال كان قد تكفل بالهزيمة المرعبة مع التخبط والـ .. "نقول إيه بس".. القوات البرية العربية لم تكن أحسن حالاً، موضوع سكن العائلات في الجبهة .. تكفل بإرباك القوات خوفاً على ذويهم وشتتهم في محاولات مستميتة لإنقاذ زوجاتهم والأولاد !! برغم هذا سخر العرب منا ومما حدث .. فهم كانوا ينظرون لمصر على أنها أم الدنيا .. وأنها كانت – حسب التوقع – قادرة على إسرائيل، سخريتهم كانت تمزق قلوبنا ،، بل ونظرات جنودنا أيضاً .. كنا نخجل حتى من زوجاتنا.

عدنا إلى القاهرة والغضب والخجل يفتكان بنا .. كنا قيادة وضباطاً وجنوداً نريد أن نعرف حقيقة ما حدث .. وذات يوم استدعاني محمد فوزي القائد العام .. قلت سيقبض عليّ .. فقد كان محمد فوزي يستدعي قادة الطيران ويقول لهم اذهبوا إلى الكلية الحربية وخذوا من قائدها التعليمات .. وكانوا يذهبون ويتم سجنهم هناك، لكن محمد فوزي قال لي : تم اختيارك عضواً في لجنة تقصي الحقائق .. في اللجنة عرفنا الهول كله .. لكن أهم شيء عرفناه .. أن القيادات التي لا تعلم شيئاً عن فنون القتال الحديثة، على كل المستويات .. والتي كانت تتمتع بعنجهية "أنا الأقدم" و "كلامي يمشي" كانت وراء ما أصابنا كله، هكذا العسكريون في كل موقع .. كنا نتند ونحن بعد صغار في القوات المسلحة .. فيقول الواحد منا لزميله: اسمع ياواد يافلان .. أنا أقدم منك، نلعب تنس .. أنا شوط وأنت ما تصدش .. نلعب طاولة أنا يجيلي في الزهر "شيش" (ستة) وأنت يجيلك "يك" (واحد)، أنا ما أعرفش إيه أنت إيه .. وفوجئنا ونحن كبار بأن الأمور على مستوى الدولة تدار هكذا .. ليس المهم من يعرف .. المهم أن آمرك فتطيع .. وهكذا كما قلت، إننا هزمنا جهل قياداتنا على كل المستويات .. المهم .. أعددنا تقريراً وقلنا إن عبد الناصر لا يمكن أن يقرأ هذه الآلاف من الأوراق .. لابد لنا من أن نلخص له الأمور في صفحة أو اثنتين .. وهكذا أضفنا باباً سابعاً لمحاضر التحقيقات التي قامت بها لجنة تقصي الحقائق .. ووضعنا فيه كل شيء .. من أول الخطأ في إغلاق خليج العقبة وإخراج قوات الطوارئ الدولية .. إلى سوء وضع قواتنا في سيناء الذي أدى إلى تدميرها بسهولة، إلى .. إلى .. إلى .. وأرسلنا التقرير لجمال عبد الناصر ،، وأرسلت نسخ منه إلى المدعي العسكري .. طبعاً المحامون الذين جاء بهم المتهمون .. ما إن قرأوا الباب السابع حتى صاحوا، هذا هو دفاعنا عن

المتهمين .. ثم فوجئوا بعد ذلك بأن الباب السابع تم نزعه من ملف التحقيقات .. والسبب واضح.

بعد ذلك استدعاني أمين هويدي وقال: إن قراراً جمهورياً صدر بان أتولى الطيران .. والحقيقة أن الطيران كان مشكلة في ذلك الوقت بعد النكسة مباشرة، قادته كلهم في السجن، وهيكل قال لي فيما بعد ذلك بسنوات، إن عبد الناصر كاد أن يفرج عن واحد من المسجونين ليتولى قيادة الطيران .. إلى أن اهتدى إلى أن يوكل المهمة إلى الفريق أول مدكور أبو العز .. وكان محافظاً لأسوان في ذلك الوقت .. الحقيقة الفريق مدكور أخلاق وحسن إدارة وانضباط مفيش بعد كده وأنا شخصياً كنت معجباً به .. وعمل أشياء عظيمة في الطيران، جاء بأساتذة الجامعة لكي يصمموا له دشماً تحمي الطائرات .. وضع خطة .. لكن معلومات الطيران تتغير كل يوم، العلم ما بيفضلش على حال .. كل لحظة اكتشاف جديد .. جئت بعد الفريق مدكور الذي كان بعيداً لفترة عن القوات الجوية لأنه كان مختلفاً مع الفريق أول صدقي محمود، جئت لأكمل ما بدأه .. وأبدأ مالم يبدأه بعد .. والحقيقة عملنا حاجات كثيرة لدرجة أن أحد القادة الروس الذين كانوا يعاونوننا .. زارني في مكتبي وأفخر أنه قال لي: إنه لم يزر أحداً غيري، وأن ما فعلته في الطيران في عشرين شهراً لم يكن من الممكن أن يتم في عشرين سنة .. الحمد لله .. كنت أعمل ليل نهار وننجز، وكان عبد الناصر قد استقبلني في البدء .. والحقيقة صعب عليّ وهو يشرح لي أنه لم تكن له يد فيما حدث، فلم يكن يستطيع أن ينقل أمباشياً إلا بمعرفة المشير .. وإن المشير كان يعتبر الجيش إقطاعه .. وكان قد وجه مدافع في ألماظة لتقذف بيت عبد الناصر – كما قال عبد الناصر – بالقنابل إذا ما حدث شيء استلزم ذلك من وجهة نظر المشير و و و وكنت أقول له ربنا يخليك لينا يافندم .. وكنا نسعى جاهدين لإصلاح الأمور حتى قمتم أنتم بمظاهراتكم !!

قال السيد اللواء مصطفى الحناوي:

- هكذا نكون قد تكلمنا باختصار مخل .. عن شهادتي في النقطة الأولى، وبقيت لنا النقطة الثانية لأدلي بشهادتي فيها .. شهادتي بالنسبة لمظاهرات الطلبة .. قلت:

- إنها الشهادة القنبلة التي لا أكاد أصدقها ..

قال في تواضع شديد :

- ولا يمكن لأحد أن يصدقها لولا أن شهودها أحياء .. لحظتها نظرت للجهاز لأتأكد أنه مازال يسجل.

قال اللواء مصطفى الحناوي :

كانت المظاهرات في الإسكندرية على قدم وساق في نوفمبر ١٩٦٨، وكنت أنا في مقر قيادة القوات الجوية. أشتغل عادي .. بامضي أوراق مهمة .. رن جرس التليفون، وكان على الخط الفريق أول محمد فوزي القائد العام للقوات المسلحة .. (كان أستاذي في الكلية وكان فيه جانب كبير من العنف .. ولا أقصد بالعنف الشدة .. فالشدة ممكنة دون عنف) قال محمد فوزي:

- اللواء مرسي في إسكندرية طلع بالقوات بتاعته عشان يفرق مظاهرات الطلبة ماقدرش، أنا باديك أمر أنك تفرق المظاهرات دي بضرب النار من طائرات الهيلوكوبتر .. "الفريق فوزي قال كده وأنا الدم غلي في دماغي ماحسيتش بنفسي.." قلت:

- يانهار أسود .. سيادتك بتقول إيه .. نضرب الطلبة بالرشاشات المثبتة في الهليوكوبتر (تعديل لنا أجريناه في الهيلوكوبتر ـ وعاوننا فيه أحمد فهيم الريان) أنت عارف سيادتك النتيجة ح تبقى إيه .. ح تبقى مجزرة .. حتبقى سلخانة ..

الطلقة ٣٧ ملميتر .. مش ح تصيب واحد .. في الزحمة ممكن تصيب عشرة ورا بعض .. دقيتين أمشيهم فوق شارع أبو قير وشيط واحد أخلصه (ألف طلقة هي الحد الأدنى) ونبقى محتاجين الجيش الثالث عشان يشيل الجثث .. إحنا جايبين الطيارات نحارب بيها إسرائيل والا نضرب بيها ولادنا.

قال محمد فوزي :

- دي أوامر السيد الرئيس جمال عبد الناصر .. السيد الرئيس بيقول إن مظاهرات الطلبة الغرض منها إسقاطه .. ويطلب منا مساندته.

قلت وأنا مازلت مذهولاً :

- يافندم دي ح تتكتب في التاريخ .. زيها زي مذبحة القلعة .. مذبحة كوبري عباس .. التاريخ ح يكتب أننا قتلة، والشعب مش ح يسامح .. وافرض أديت أمر لضباط الهليوكوبتر بضرب الطلبة ورفضوا .. ح نحاكمهم !! ح نحاكم الستة وتسعين ضابطاً ح نحاكمهم يافندم ؟! لا يافندم أنا مش منفذ، وأنا جاهز يافندم تعملوا فيّ اللي انتوا عايزينه .. أنا عاصي ومش منفذ .. قال محمد فوزي:

ح. نقول إيه لعبد الناصر.

قلت : ـقول له يختار السجن اللي أتوجه له .. وأنا جاهز يافندم .. أنا عاصي ومش منفذ .. أنا لا لي فيهم ابن ولا أخ وبرضه ما أقدرش أضربهم.

قال محمد فوزي :

- اضرب في المية.

قلت : - لو ضربت في المية .. ما هو ضرب نار برضه يافندم .. لا يافندم.

قال : - تصرف بأي طريقة ماتزعلش جمال عبد الناصر.

- وتصرفت .. وغضب جمال عبد الناصر .. وأسرّها في نفسه .. قلت لقائد الهيلوكوبتر في الإسكندرية .. كل اللي ح تعمله .. أننا كنا بنطلع الطيارات من الدخيلة، تطير على البحر لحد ما توصل أبو قير .. خوفاً من أن تقع على مناطق سكنية إذا وقعت لا قدر الله .. قلت له ما تمشيش على البحر أمشي فوق البيوت ..

وما تحملش ذخيرة نهائياً، وتأكد بنفسك أن مفيش أي ذخيرة على الطائرات .. تأكد بنفسك .. كنت أخشى أن حد خسيس يحمّل الطيارات في السر .. عشان يرضي أسياده، وطبعاً أسياده ح يحموه .. وده اللي حصل .. وأبلغته لمحمد فوزي، فقال:

ماشي.

- وطبعا فوزي بلغ جمال عبد الناصر.

وسألت اللواء الحناوي :

كيف عرفت أن جمال عبد الناصر غاضب منك ؟

قال : عبد الناصر ما كانش بيتكلم .. أسرّها في نفسه .. لكني عرفت بعد ذلك ما حدث في حرب ٦٧، وقال لي الأستاذ هيكل: (عبد الناصر بعد المظاهرات قال لي: أنا ح أشيل الحناوي .. قلت له يافندم ده عمل حاجات كويسة كثيرة في الطيران .. قال ح أشيله لأنه كان يعلم أن الهدف من مظاهرات الطلبة هو إسقاطي ولم يرد أن يساعدني**!!**

هل كان يدور في خلدي وأنا أستقرئ حوادث نوفمبر ١٩٦٨ أن هذا هو ما حدث .. بالطبع لم يدر في خيالي حتى شيء من هذا .. لكن شهود الواقعة أحياء .. الفريق فوزي حي، الأستاذ هيكل حي، واللواء نبيل كامل الذي تلقى الأمر ونفذه .. حي .. وأنا وأنتم أحياء، ومن يحيا ياما يشوف واللي يكتب ويقرأ "يشوف" أكثر**!!**

مد الله في أعمار الجميع

شرحت الأمر لشبـاب النـاصـــريين

أول ما جلست إلى اللواء الحناوي ـ أمد الله في عمره ـ في بيته الجميل بألماظة وبيننا جهاز التسجيل بدور، بادرته بالسؤال:

ـ هل هناك شهود للواقعة التي سترويها حضرتك لي ...

وبمنتهى الثقة رد عليّ الرجل الكريم:

ـ نعم هناك شهود أحياء ..

ـ من هم؟

ـ اللواء طيار د. جبر علي جبر وكان ضمن قيادة الطيران بين ٩٨ و١٩٧٤، واللواء نبيل كامل، قائد فرقة الهليكوبتر بالقوات الجوية من تاريخ الواقعة وحتى إحالته إلى التقاعد.

ـ وهل هما مستعدان للشهادة في أمر خطير كهذا ؟.

وقال الرجل منتصراً لرجال سلاحه:

ـ كل اللي في سلاح الطيران رجالة، ولا يمكن أن يتراجعوا عن شهادة حق.

طلبت ساعتها من اللواء الحناوي، قبل أن نبدأ التسجيل أن يعطيني أرقام التليفونات الخاصة بالشاهدين. فهم الرجل الحصيف ما أرمي إليه ... فقام من فوره قائلا:

ـ سأعطيك أرقام تليفوناتهما ... وسأتصل بهما الآن لتكلمهما بنفسك.

وكان أن اتصل اللواء الحناوي بهما ... وكان أن أكدا لي أن الواقعة حقيقية، وكان أيضاً أن تساءلا: ما الذي ذكّر اللواء الحناوي بهذا الأمر الآن؟. (أي أنه لم يكن بين الرجال الثلاثة أي اتفاق مسبق)، وكان أن سألتهما هل هما مستعدان للإدلاء بشهادتيهما إذا جدّ الجد، وكان أن رد كل منهما غاضباً من سؤالي:

ـ نحن لا نستطيع أن نخفي شهادة حق.

وبانتهاء المكالمتين، قلت لسيادة اللواء الحناوي .. وقد غمرني إحساس بأنني سأحصل على كل ما أريد : ـ نبدأ التسجيل الآن ...

وبدأ اللواء الحناوي التسجيل (الذي مازلت أحتفظ به إلى الآن) بسؤال:

ـ هل نبدأ بأن نتكلم عن الواقعة ؟

ساعتها فزت إلى عقلي فكرة، رأيت أنها الصواب، قلت لنفسي اسأل الرجل أولاً عما أعرف، وأرى وأقيس قدرته على التذكر ـ وكان أن فعلت، وكان أن أذهلني الرجل بذاكرته القوية التي مازالت تحتفظ بالتفاصيل، بل بالتواريخ الخاصة بكل حادثة وتوقيتاتها الدقيقة، وكمثال كان يقول لي "صبح علينا الثلاث ٣٠ مايو واحنا بنعمل كيت وكيت، ودخل علينا فلان الساعة ١١، و ... وبسرعة كنت أروح أحسبها، ٥ يونيو كان يوم اثنين، فيكون الثلاثاء قبله بالفعل ٣٠ مايو (لأن شهر مايو ٣١ يوماً)، اي ان شيئاً لم يسقط من ذاكرة الرجل حتى التفاصيل الدقيقة.

والحقيقة أنني سجلت له قبل أن يتكلم عن الواقعة أكثر من ثلاث ساعات، وأدهشتني الساعات الثلاث كلها بدقة الحكي، وانضباط التسلسل، بل وبراعة العين التي تحتفظ في لماحية مؤكدة، بالصورة بكل تفصيلاتها، "من كان على يمين من، ومن الذي دخل في اللحظة الفلانية، وماذا كان يلبس، وما الكلام الذي قاله بالضبط".

ولقد أصررت بعدها على أن أنشر ملخصاً وافياً للساعات الثلاث التي تكلمنا فيها عن النكسة وأسبابها، والفرص الضائعة التي كان من شأنها انتهازها أن يغير النتائج التي أسفرت عنها الحرب، أصررت على نشره، لا لشيء، إلا لكي أعطي القارئ فكرة عن قوة ذاكرة الرجل ... حتى يصدق القارئ أن الرجل يتذكر بدقة في حادثة أمر جمال عبد الناصر الذي نقله الفريق فوزي إليه، بضرب الطلاب في الإسكندرية في مظاهرات نوفمبر ١٩٦٨ بالرشاشات من الطائرات الهيلوكوبتر التي كانوا يجهزونها لأعداء الوطن ... اليهود!!.

ولقد صدق القارئ ما جاء على لسان اللواء مصطفى الحناوي.

لهذا آلمني جداً أن يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل في رأيه الذي أملى نقاطه للأستاذ عادل حمودة "ليس لدي تفسير سوى أن اللواء الحناوي يعيش الآن في عزلة (لم أر الرجل في عزلة، رأيته يعيش مع زوجته وأولاده وأحفاده، في فيلا جميلة بألماظة، ودعاني إلى بيته الكبير في بلده وسط الأرض الزراعية التي ورثها عن أبيه، والذي تنتقل عائلته معه إليه حين يذهب إلى هناك .. وإن كنت شكرته مخلصاً ولم أذهب، أي عزلة هذه التي يتكلم عنها الأستاذ هيكل بلهجة الرجل الذي يعرف الأسرار كلها؟!)، بل وآلمني أن يستطرد الأستاذ هيكل فيقول "وبدلاً من أن يحلق بالطيارات فهو ـ يحلق في الأوهام"!!. والحقيقة أن الرجل كان في غاية الموضوعية، سواء في الأسرار التي نقلتها عنه إلى

صفحات المجلة، أو تلك الأسرار التي احتفظت بها لنفسي والتي ربما أعلنتها في أوقات أخرى ...

المهم ... انتهى حديثي مع الرجل ... وذهبت به إلى منزلي .. ورحت أديره مرة أخرى، وأنا أسأل نفسي: ـ هل ستنشر هذا الكلام عن جمال عبد الناصر؟

الحقيقة أن قلبي لم يكن يريد أن يطاوعني أن أقول عن جمال عبد الناصر علناً هذا الكلام**!**.

لجأت إلى زوجتي، وابنتي الكبيرة، وحكيت لهما ما كان، وأسمعتهما التسجيل الذي حصلت عليه من اللواء الحناوي ..

قالت زوجتي (الناصرية):

ـ ما الذي ستستفيده من تشويه الرجل (جمال عبد الناصر) إلى هذا الحد .. المستفيد من هذا التشويه، سيكون هو القوى المضادة لكل شيء جميل في المرحلة الثورية المصرية وأهدافها ..

وقالت ابنتي (وكانت لحظتها في الثانوية العامة):

ـ ما دام حصل .. حضرتك انشره ..

لكن ابنتي لم يكن مرتاحة لما قالته.

وقررت لحظتها ألا أنشر شيئاً مما قيل لي ... ورحت أعلل نفسي بأن سوء تفاهم د يكون وراء فهم اللواء الحناوي للواقعة التي أوردها بهذا الشكل .. وقلت لنفسي، إن حادثة خطيرة كهذه كان لابد وأن يرد لها ذكر ولو بالتلميح في مذكرات الذين كتبوا عن تلك الفترة ...

هكذا نبتت في ذهني فكرة أخرى ... قلت لنفسي: لماذا لا أعود إلى المذكرات المكتوبة عن تلك الفترة، لأرى إذا ما كان فيها أي تلميح عن الأمر، فإن لم أجد، سيكون هذا إعفاءً لي من تحمّل همّ الكتابة في موضوع شائك كهذا.

الغريب أنني رأيت في مذكرات أحمد كامل، ليس تلميحاً ولكن إثباتاً لصحة الواقعة **!** (كنت قد نلت عنه في المقال السابق لحديثي مع سيادة اللواء).

وعاد السؤال يلح عليّ:

ـ الواقعة صحيحة، والرجل كان يقطر صدقاً وهو يكلمك، والشهود أكدوا كل حرف اله ... والمذكرات التي كتبها أحمد كامل تثبت هي الأخرى صحة الواقعة، ومع كل هذا، هل ستنشر هذا الكلام؟.. ولمصلحة من؟.

وفجأة لم أصبح متردداً على الإطلاق، فجأة أحسست أن لزاماً علي أن أنشر الواقعة كما عرفتها، وكما تأكدت من حدوثها. لقد كانت كلمة "لمصلحة من" هي مفتاح تغيير موقفي من التردد الحائر إلى التصميم الحاسم.

وجدت نفسي أقول لنفسي.. "سأكتبها لمصلحة الوطن، ليعرف الوطن أن العسكريين إذا حكموه لا يتورعون عن أي أمر إذا ضاقت بهم السبل في السيطرة على الناس سيطرة لا تعترف بالمشاركة، سأكتبها من أجل دم زملائي الطلبة الذي أهدره جمال عبد الناصر في شارع رمسيس والعباسية والمنصورة والإسكندرية. ولأنه كان مستعداً لإهدار دم المزيد منهم، دون ذنب جنوه.

ساعتها بدأت أكتب عن الموضوع.

وأنا أكتب الموضوع قررت ألا ألقي بأوراقي كلها من المرة الأولى، قررت أن ألقي ببعض الأوراق في مقالتي، وأن أحتفظ ببقية الأوراق، وأن أنشر الأوراق تباعاً إذا حاول أحد أن يكذب الواقعة، وكنت واثقاً من أن أوراقي ستستطيع أن تفحم كل مكذب ...

ولقد حاول البعض تكذيب ما كتبته ...حاول الأستاذ محمود الجيار سكرتير جمال عبد الناصر التكذيب .. وأصر الناصريون على ضرورة أن يكذب الفريق فوزي الواقعة.

وقال بعضهم لن يستطيع تكذيبها رجل أفضل مما يستطيع الأستاذ محمد حسنين هيكل أن يفعل (خصوصاً وأنني ذكرت الأستاذ هيكل في مقالي...)

ثم بعد هؤلاء ألقى الأستاذ عبد الله إمام بدلوه في محاولة التكذيب.

الأوائل نشروا تكذيبهم في روز اليوسف في العدد ١٤١٨ بتاريخ ١٢ مايو ١٩٩٧.

والأخير نشر تكذيب الفريق أول محمد فوزي (الذي كان قد أرسله إلى روز اليوسف قبل أن تنشره المجلة المعنية !!) في جريدة "العربي" لسان حال الحزب الناصري (في صفحتها الأولى، باتساع النصف الأعلى من الصفحة، تحت اسم الجريدة)، ثم نشر مقالاً مطولاً كله هجوم على اللواء الحناوي وعلى شخصي في العدد التالي من جريدته العربي التي يرأس تحريرها.

آخرون أيضاً حاولوا الهجوم على ما كتبته وعلى شخصي لكني لم أر أهمية فيما كتبوه...

قررت أن أكتفي بردي على الأستاذ هيكل والفريق أول محمد فوزي، وإظهار شهادة شاهدي الإثبات في الواقعة في روز اليوسف، لكن محاولة الأستاذ عبد الله إمام لأن يثبت أن الكلام الذي أوردته محض تخريف من اللواء الحناوي، استفزني، فكتبت رداً لجريدة العربي وذهبت به إلى مقر الجريدة لأسلمه .. وبالفعل سلمته للأستاذ "وائل قنديل"، ولم ينشر الرد .. وقيل لي إن عليّ أن أرسله إلى الجريدة على يد محضر، لكنني لم أرد أن أفعل هذا، إذ تأكد لي أن ما كتبه الأستاذ عبد الله إمام لم يحدث التأثير الذي أراده.

موقف آخر أظن أن من الضروري أن أرويه :

عندما ذهبت إلى منزل اللواء طيّار د. جبر علي جبر، لأسجل له شهادته، التي نشرتها في روز اليوسف قال لي سيادته إن الفريق أول محمد فوزي اتصل به بشأن ما نشرته .. لت:

ـ غريبة .. إنني لم آت بسيرتك في الموضوع المكتوب .. !!

(من فضلك ارجع إلى الهامش في نهاية الفصل الفائت)

قال سيادته:

ـ الفريق أول فوزي يعرف أنني من شهود الواقعة ..

سألت متوجساً:

ـ ماذا قال لك الفريق أول فوزي بالضبط؟

ـ قال لي شفت التخاريف اللي نشرها صاحبك في روز اليوسف .. قلت له .. الواقعة اللي اتكلم عنها اللواء الحناوي حقيقية يا فندم .. قال انت كمان بتتكلم زي صاحبك

وقال لي اللواء د. جبر..:

ـ سيادة الفريق أول زعل مني .. وبرغم إني با أعمل معاه أبحاث خاصة باحتفالية لجمال عبد الناصر بتشرف عليها السيدة هدى عبد الناصر ـ وممكن يزعلوا كلهم من اللي ح أقوله .. إلا أن الحق ... حق. وبدأت أسجل مع الرجل (بحق).

ولما عدت لمنزلي ... فوجئت بمكالمة تليفونية من السيد اللواء قال لي فيها...

ـ اقرأ لي اللي أنا قلته من فضلك في الشريط ...

وراح يتفق معي على ما ينشر منه وما لا يريد له أن ينشر الآن. وقد نفذت كل ما أراده الرجل .. إذ كان ما بقي من الكلام يفي بالغرض تماماً. وأقول للقارئ : الحق أنني بعد جلستي هذه مع السيد اللواء د. جبر أصبحت متأكداً ١٠٠% من صحة الواقعة.

ـ المهم الآن ..

عندما ذهبت إلى جريدة العربي، التف حولي بعض من المحررين الناصريين الشباب (وقد حدث نفس الأمر لي مع رفاق ناصريين في أماكن أخرى) الشباب .. يعاتبونني على ما كتبت، ويعلنون أنهم لم يصدقوا أن جمال عبد الناصر من الممكن أن يفعل شيئاً كهذا.

قلت لهم:

ـ لقد كتبت ما تأكدت من أنه حقيقة ...

ردوا في حدة تخفيها دماثة أخلاقهم وابتسامات ترتعش حول الشفاه:

قلت : وماذا لو أوضحت لكم الآن وجهة نظري ...

وكان أن سمحوا لي :

قلت لهم، إذا رجعتم لمذكرات الأستاذ أحمد كامل التي نشرت أجزاء منها قبل أن أنشر مقالي عن حديثي مع اللواء الحناوي ستجدون الأستاذ أحمد كامل يقول الآتي:

١. خرجتُ من الجامعة بانطباع أن تجربة الحوار، لن تحقق النتائج المنتظرة، اتصلت بسامي شرف وقله له أبلغ الرئيس أنني أطلب تدخل الجيش لإنهاء الاعتصام (أي أن كان هناك طلب لتدخل الجيش ضد الاعتصام).

٢. بعد دقائق جاء رد سامي: الرئيس أمرني بأن أتصل بالفريق أول محمد فوزي القائد العام للقوات المسلحة، وأن أبلغه أن يتصل بك (أي أن عبد الناصر لم يقل لا لتدخل القوات المسلحة).

٣. بعد دقائق كلمني الفريق أول محمد فوزي وقال:

"وضعت قائد المنطقة العسكرية الشمالية تحت قيادتك. أخبره بطلباتك وسوف يقوم بتنفيذها على الفور (ماذا كان يطلب أحمد كامل إلا تدخل القوات المسلحة ضد الطلبة. أي أن القوات المسلحة كانت موافقة على ما يريده أحمد كامل، وأن جمال عبد الناصر كان موافقاً، فهذا أمر لا يستطيع الفريق فوزي أن ينفذه دون العودة إلى القائد الأعلى للقوات المسلحة).

٤. قلت بعدها لقائد المنطقة الشمالية أن يعطي أوامره لقيادة الطيران (هذا كلام أحمد كامل ـ تذكر) في المنقطة ليتم إرسال عدد من طائرات الهيلوكوبتر فوق مواقع اعتصام الطلبة (إذن كان في الأمر طيران).

٥. كما طلبت منه (من قائد المنطقة الشمالية) وضع بعض قوات الجيش لتدخل إلى المحافظة وتمر بدباباتها وأسلحتها أمام طلبة الهندسة (أي أن القوات المسلحة شاركت بالفعل وليس كما يتنصل الفريق أول فوزي من الأمر).

٦. شاركت الطبيعة في إخراج مسرحي للموقف فقد تزامن معها رعد وبرق ومطر، ومع أصوات الرياح والسحب تصور الطلاب أن الطيران قد بدأ القصف والهجوم، (أي أن الطيران كان متواجداً وبشكل يوحي بأنه سيبدأ القصف والهجوم)، في الوقت الذي مرت فيه بعض قوات الجيش أمام الجامعة، وتمركزت بعض الوحدات في الاستاد الرياضي المجاور .. ورن جرس التليفون في مكتبي .. كان المتحدث أحد قادة الاعتصام .. قال: "لقد قررنا إنهاء الاعتصام".

ما الذي قاله اللواء الحناوي ولا يستقيم مع هذه هي النقاط التي جاءت بعضها في مذكرات الأستاذ أحمد كامل (ويمكن الرجوع إلى مذكراته). وقلت للناصرين الشباب الأعزاء ...

رواية أحمد كامل محافظ الإسكندرية وقت اندلاع مظاهرات نوفمبر؟.

إن الأستاذ أحمد كامل أقر بأنه طلب تدخل القوات المسلحة وأن عبد الناصر لم يمانع، وأن الفريق أول محمد فوزي قد سهل له كل الأمور لتدخل القوات المسلحة، وأن الأستاذ أحمد كامل طلب من قائد المنطقة الشمالية تدخل طائرات الهيلوكوبتر.

ـ ألم يقل الأستاذ أحمد كامل كل هذا ؟

قال شباب الناصريين ..

ـ قاله.

قلت :ـ لننظر الآن فيما لم يقله الأستاذ أحمد كامل .. الأستاذ أحمد كامل لم يقل أن خروج الطيران لا يتم بأوامر من قائد منطقة عسكرية، الطيران قرار القائد الأعلى والقائد العام وقائد الطيران ..

وما دام أحمد كامل قد أقر بأن الطيران قد جاء، وظن الطلبة أنه سيضربهم، فإن الأمر لابد احتاج إلى أن يتم الطلب في هذا الشأن من قائد الطيران. والذي يستطيع أن يعطي أوامر لقائد الطيران بهذا الخصوص واحد من اثنين .. جمال عبد الناصر أو محمد فوزي.

وهكذا يكون الفاعل جمال عبد الناصر.

أو أن الفريق أول محمد فوزي فعلها من دماغه، ولا أظن أن هذا الأمر صحيح، ذلك أن جمال عبد الناصر لم يمانع في تدخل القوات المسلحة بل وفي وضع كل إمكانياتها في خدمة إنهاء الاعتصام وتفريق الطلاب. ثم سألت الناصريين الشباب ...

ـ كيف تطلبون مني بعد كل ذلك ألا أصدق ما قاله اللواء الحناوي وبه تكتمل الصورة التي رسمها أحمد كامل.

وابتسموا ... قلت :

ـ وكيف تطلبون مني ألا أنشر هذا الكلام مادمت صدقته.

الحقيقة أن الواقعة صادقة. ولا أظن إلا أن عبد الناصر فعلها لأسباب شرحتها قبلا ...

فهل يمكن بعد كل هذا أن يقول الفريق أول محمد فوزي في رده على الأمر أن القوات المسلحة لم تدخل نهائياً .. وهل يمكن بعد كل هذا أن يقول الأستاذ هيكل أنه لم يطلق رصاص على الأرض ليطلق من السماء.

(بينما الأهرام تحت رئاسته قد أشارت عدة مرات إلى إطلاق الرصاص واستخدام القوات المسلحة).

وهل نصدق الأستاذ محمود الجيار إذا قال لنا أن جمال عبد الناصر لا يفعلها.

لم ينشر ردي في "العربي" كما قلت، وكان من حقي أن ينشر وانتظرت العربي سنة كاملة لتنشر (بعد العيد الذي لا يفتل فيه كحك بسنة كاملة!!) حديثاً من بعض المشاركين في الحركة الطلابية حاولت فيه أن تنفي أمر استعمال الرصاص ضد المتظاهرين وأن تعفي جمال عبد الناصر من المسئولية، سنة كاملة جعلتني أفهم أن كانت قد قررت أن تتهرب من المواجهة السافرة، وأن تتسلل بعد ذلك بسنة في محاولة لمحو الفكرة. والآن ماذا ستقول العربي .. إذا قلت لهم أنني أخفيت آخر أوراقي وهي دفاع عبد الناصر عما حدث من إطلاق للرصاص، في المؤتمر القومي للقوى الشعبية بعد الأحداث ...

ماذا ستقول العربي ...

الدروس المستفادة من احداث فبراير ١٩٦٨:

١- منذ ازمة مارس ١٩٥٤ التي قبض خلالها العسكر على السلطة، ولحسوا كل وعودهم بنقل السلطة للمدنيين، يعتبر هذا الحدث اختراق لحاجز الخوف وان يتم الاعلان للعالم اجمع ان الشعب المصري يطمح إلى اطلاق الحريات الاساسية.

٢- تثبت الاحداث ومطالب الطلاب انهم لم يخرجوا فقط لرفض احداث الطيران كما ادعت السلطة.

٣- ادرك الطلاب ان حصر حركتهم داخل اسوار الجامعة يمنح السلطة فرصة لقمعهم والسيطرة عليهم ولا بد من توصيل مطالبهم للناس من خلال البيانات والحركة خارج الجامعة والتنسيق بينهم وبين حركات العمال والفلاحين وممثليهم السياسيين.

٤- تكشف الاحداث عن منهج السلطة ازاء الحركات الطلابية في محاولاتها احتواء الحركة الطلابية واغراقها في حوارات مع المسئولين.

٥- اصرار الطلاب على تحرير حركتهم من الوصاية المفروضة عليهم كان السبب وراء نجاحهم في اصدار قرارات الغاء نظام الحرس والسماح بتشكيل اتحادات الطلاب.

وقد كان للتحرك الطلابي اثره في صدور بيان ٣٠ مارس الذى فجر حوارات واسعة حول القضايا الوطنية والديمقراطية رغم انه لم ينفذ منه حرف واحد بعد ذلك.

١٧. نماذج من علاقات عبد الناصر بالمخابرات الامريكية:

وسنورد مثال من كتاب لعبة الأمم لمايلز كوبلاند:

وهي عن صفقة الأسلحة التشيكية:

سر عبد الناصر جدا وادهشه تصرف روزفلت كسياسي لبق اذ ان روزفلت قال له بالحرف الواحد قد تزعج الصفقة بعض الناس اذا كانت ضخمة كما تقولون ولكنها دون شك ستجعل منك قائدا عظيما وانا ارى انه عليك ان تستفيد من هذه الشعبية المؤيدة لك وتقوم بأعمال هي على مستوى رجل دولة ولست ارى ما يقلل من مكاسبك لو انت اعلنت على سبيل المثال ان هدفنا من الحصول على مثل هذه الصفقة هو لأمور دفاعية بحتة واذا كان الاسرائيليون يرغبون بالانضمام الى ايجاد حل مشترك واحلال سلم دائم في المنطقة فانهم سيجدونني على استعداد دائم لذلك فان لم ترغب بذلك فقل شيئا اخر يشبهه . ابتهج عبد الناصر بهذا الاقتراح وقال :((يا لها من فكرة رائعة)) واستمرينا نناقش الفكرة حتى منتصف الليل وتم الاتفاق على ان يعلن عبد الناصر عن الاسلحة في بيان ضخم وذلك من اجل اثارة الحماس في نفوس التقدميين في جميع انحاء الوطن العربي وكذلك سيفعل المؤيدون لنا في نفس المنطقة يلي ذلك حملة دولية من شأنها ارضاء جميع الاطراف وتخفيف حدة التوتر العالمي وفي نفس الوقت يستمر عبد الناصر على الصعيد الداخلي ينفذ مشاريعه الاجتماعية والاقتصادية وذلك بفضل المساعدات الاميركية ، يتضح من ذلك ان جميع الافتراضات كانت محتملة وكان على عبد الناصر ان يلقي خطابا في متخرجي مدرسة الطيران بعد يومين وتوقعنا ان يضمن في خطابه فحوى ما تم الاتفاق عليه وخاصة النبأ الهام الآنف الذكر نبأ صفقة السلاح السوفياتي ومن جملة الامور التي اتفقنا عليها هو ان اكتب انا مسودة الكلمة التي سيتضمنها خطاب عبد الناصر ويقوم هذا الاخير بإعداده في الليلة التالية مع كيرمت روزفلت ، ساعدتنا جماعة من اعوان عبد الناصر في الصباح على اعداد النص الا ان بايرود كان غائبا لأنه لم يعلم بوجودنا بعد في القاهرة وعند الظهر زارنا وفد من الشخصيات جاؤوا يعلنون رأيهم في ما يجب ان يقال وألا يقال في البيان واذكر من هؤلاء مصطفى امين المسؤول عن صحيفة اخبار اليوم ومحمد حسنين هيكل احد امناء عبد الناصر وحسن التهامي المساعد الاول لعبد الناصر ثم جيم ايغلبرغر من السفارة وحضر معهم السفير المصري احمد حسين وغيرهم والف الجميع وفدا ضخما وبدا لي انهم كانوا على علم بنبأ صفقة السلاح التي عقدت مع الاتحاد السوفيتي ورغم ما بذلناه من جهود جاءت المسودة قصيرة ولا تزيد عن بيان بسيط ضم النقطة التي كنا نود ايضاحها ومن شأنها ألا تمس احدا وتجرح شعوره والتي ما كانت لتترك كثيرا من

الدراماتيكية في نفوس الجماهير كما كان يود عبد الناصر ،، عدنا الى منزل عبد الناصر في تمام الثامنة من مساء اليوم التالي وكانت السفارة البريطانية في الجانب الاخر المقابل لنا من نهر النيل كانت الجلسة هادئة اذ لم يكن لدينا ما يستدعي المناقشة وافق عبد الناصر على المسودة وابدى استعداده ليضمنها في خطابه بكل سهولة الا انه اقترح تعديلا واحدا هو انه لا يستطيع ذكر عبارة الصلح مع اسرائيل بل سيقول : ((تخفيف حدة التوتر بين العرب واسرائيل))

ارتاح روزفلت الى هذا التعديل واعتبره خطوة كبيرة نحو مآربنا

بعد ذلك جاء عبد الناصر بزجاجة ويسكي ممتاز يحتفظ بها عادة من أجل الزوار الكبار، وإذا بجرس الهاتف يرن. كان المتحدث أحد الضباط الحراس من الطابق الأدنى، فقال : إن سفير بريطانيا، هامفري تريفاليون يطلب موعدا مستعجلاً جداً.

*المتحدث هو مايلز كوبلان ضابط المخابرات الأمريكي

**روزفلت هو كيرميت روزفلت المسؤول عن انشطة السي آي إيه في الشرق الأوسط.

الجاسوس جمال عبد الناصر يدمر البلاد العربية:

لم تكن مهمة الجاسوس الاسرائيلي الامريكي جمال عبد الناصر تدمير مصر بل تدمير اكبر عدد من البلاد العربية والاسلامية وتسخير كافية مقدرات الشعب المصري لهذا الهدف حيث ما يزال عبد الناصر يقتل البشر حتى يومنا هذا رغم انه مات من عقود نتيجة لبذور الشقاق التي زرعها في البلاد العربية والاسلامية التي نجح بالتدخل فيها واكاد اجزم ان معظم حروب وازمات العرب هذه الايام في العراق وسوريا ولبنان واليمن وليبيا والسودان ومعظم البلاد العربية والاسلامية بسبب الجاسوس عبد الناصر الذي نجح كل النجاح وللأسف في تخريب بلاد كثيرة حيث كانت خطة المخابرات الامريكية بعد ان اصبحت القوة الاولى بالعالم عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية اعادة ترتيب العالم بما يخدم الاهداف الجديدة للولايات المتحدة الامريكية وكان بينها اعادة رسم شكل الانظمة بالشرق الاوسط واستبدال الانظمة الملكية التي تركها الانكليز والفرنسيين بأنظمة جمهورية عسكرية يسهل شراء وبيع قادتها وتقمع اي دور للشعوب العربية لتقرير مصيرها مما يشكل خرا على الكيان الصهيوني وتم ذلك بأسناد هذه المهمة للجاسوس جمال عبد الناصر وتدميره للبلاد العربية والاسلامية كما سأحاول ان اعددها في هذا الفصل في البلدان التي نجح فيها عبد الناصر في انقلاباته الدموية .

١. دور الجاسوس جمال عبد الناصر في تدمير العراق:

كشفت الوثائق العراقية عن رواية هامة جداً للملحق العسكري المصري في بغداد جمال حماد، إذ كتب خطياً في عام١٩٧١ روايته وأرسلها للعميد خليل إبراهيم حسين الذي كان بعد الانقلاب مساعداً لمدير الاستخبارات العراقية.

بداية الاتصالات

كتب جمال حماد روايته عن دور مصر الحقيقي في انقلاب ١٤ تموز وكيف تم الاتصال بين المصريين لأول مرة ومن قام به؟

كتب أنه تعين ملحقاً عسكرياً لمصر في سورية ولبنان والأردن والعراق في أيلول١٩٥٢م بعد نجاح ثورة ٢٣/ تموز١٩٥٢م ودوره البارز فيها. وذكر جمال أن مكتبه كان في سورية وكان يقوم بزيارات لبغداد وعمان وبيروت لأن الهدف أن يكون حلقة اتصال بين الانقلاب والدول العربية.

حذر شديد في العراق

كان جمال عبد الناصر حذراً في العراق ويخاف من نوري السعيد وزير الدفاع لأنه يعرف ميوله نحو الانجليز. كان يعتقد أن الضباط الكبار ضالعين مع نوري السعيد ومع الانجليز ولكن تبين له أن ميول بعضهم عربية قومية.

أول تعارض مع إسماعيل

التقى جمال أثناء زيارته لوزارة الدفاع مع المقدم الركن إسماعيل العارف في شعبة العمليات ومديرها فيما بعد وسكرتير رئيس الأركان لاحقاً. كان جمال معجباً كثيراً بشخصية(رفيق عارف) رئيس الأركان وثقافته ولياقته ودماثته وبخاصة أنه لمس أن(رفيق) شديد الرغبة في التعاون مع مصر علماً أن وزير الدفاع يفرض على علاقات الجيش العراقي قيوداً في تحركاتهم مع مصر.

وأخذ يلاحظ أن (إسماعيل) له ميول ثورية وأن مشاعره حقيقية واستغرب جمال كيف أن ضابطاً في هذا المركز الحساس يتحلى بهذه الروح الثورية.

لقد أحب جمال إسماعيل وأعجب به. وكانت المقابلات تتم في وزارة الدفاع فقط إذ إنه لا مجال أن يقابله في أي مكان آخر.

أول لقاء بين جمال وإسماعيل خارج الوزارة

وفي يوم من أيلول ١٩٥٣ دعي(جمال) لحضور مناورة الفرقة الثانية في منطقة راوندوز شمال العراق. سافر جمال بالقطار إلى الشمال وفي منتصف الليل سمع طرقاً خفيفاً على الباب وفتح الباب فوجد إسماعيل بملابس النوم(البيجاما) وقال له إنه انتهز هذه الفرصة حتى يكلمه وأن لا أحد يعرف عن هذا اللقاء سوى(اثنين) المقدم عبدالسلام عارف والرائد رفعت الحاج سري.

ماذا دار في اللقاء

تذمر إسماعيل من الوضع في العراق وانتقد النظام بشدة وأنه يريد أن يعرف ماذا يمكن أن تقدم مصر إذا قام انقلاب وسأله عن تنظيم الضباط الأحرار في مصر وكيف نشأ واستمر وكيف حدثت الثورة وهنا أخبره إسماعيل أن هناك نخبة من الضباط الأحرار في العراق يسيرون على هذا المنهج لقد خاف جمال على إسماعيل إذ تذكر أن هناك أربعة ضباط أعدموا عام١٩٤١م وطلب منه مراعاة السرية ولم يطلب منه أسماء زملائه الاثنين لأن إسماعيل قدم له الزميلين في المناورة وعرف أنهما المقصودان. طلب منه الحذر لأنه إذا ذهبت هذه الدفعة من الضباط لن يظهر غيرها قبل(٥٠) عاماً وأن ثورة يوليو في مصر جاءت بعد (٧٠) عاماً من ثورة عرابي.

الملحق العسكري يخبر جمال عبدالناصر

لم يخبر أحداً عن هذا الموضوع وذهب إلى مصر وتحدث مع جمال عبدالناصر نفسه هنا سأله جمال هل الموضوع حقيقي أم(مقلب) مدبر من نوري السعيد لتوريط مصر.

أكد له الملحق العسكري أن الضباط العراقيين جادون طلب منه جمال أن يخبر الضباط أن مصر تدعمهم تماماً ولن تتدخل في نشاطاتهم أو تنظيمهم ولم يطلب جمال أسماء الضباط.

أبلغ الملحق العسكري ملاحظات جمال إلى إسماعيل عارف وبعدها قطع صلاته به تماماً حتى لا يلاحظ أحد العلاقة.

مصر تعين ملحقاً عسكرياً لبغداد

عينت مصر كمال الحناوي ملحقاً عسكرياً خاصاً بالعراق وتم تكليفه بواجب الاتصال وطلب جمال عبدالناصر من جمال حماد أن يقطع علاقاته مع تنظيم الضباط الأحرار في العراق لأن الصداقة التي نشأت لا يمكن إخفاؤها.

لقد صادق جمال الملك نفسه وولي العهد الأمير عبدالإله وكان الاثنان يدعيانه وحاول عبدالإله استمالة الملحق ومصر وإبعاد مصر عن السعودية. وبالنسبة للملحق العسكري حاول أن يقيم علاقات أكثر مع الملك ويهدف إلى إقامة جسر من الصداقة بين مصر وبين الملك. كان الملك متجاوباً ولكن ليس صاحب قرار إذ إن تأثير الأمير عبدالإله كان واضحاً جداً إذ إن الملحق العسكري عندما كان يطلب منه طلبات يقول له (سوف أعرض الأمر على خالي يقصد الأمير عبدالإله).

وأنهى جمال روايته الطويلة وأنه كان أول عربي غير عراقي سمع عن الاستعدادات للانقلاب منذ عام ١٩٥٣ م وأنه كتم سرها طوال الأعوام ولم يبلغ أحداً غير جمال عبدالناصر فقط. وأن إحساسه كان صادقاً تجاه إسماعيل عارف وزميليه عبدالسلام عارف ورفعت الحاج سري.

إسماعيل عارف يروي ما جرى من جهته

كتب العميد الركن(الوزير) لاحقاً إسماعيل عارف روايته كاملة في كتاب أسرار ثورة ١٤ تموز...وتأسيس الجمهورية في العراق عام١٩٨٦م ولكنه كتب رسالة خطية وجهها إلى العميد خليل إبراهيم حسين مساعد مدير الاستخبارات عن اتصالاته مع مصر...لم يتح لي الاطلاع على هذه الرسالة بعد ولكن رواية إسماعيل في الكتاب تختلف قليلاً عن رواية جمال حماد إذ إن إسماعيل كتب أن جمال هو الذي اتصل بهم وسألهم هل هناك أمل أن تقوم ثورة في العراق لأسقاط النظام الملكي وهل هناك محاولة لخلق تنظيم ضباط أحرار. تريث إسماعيل في الإجابة ثم أجاب بعد مشاورة زملائه وذكر لجمال أن الشعور الوطني المتأجج قد بلغ مداه وأن الجيش متأثر بذلك وأن الوضع لا يمكن أن يبقى هكذا في العراق.

وفي يوم شاهد جمال حماد العميد الركن نجيب الربيعي وقال لإسماعيل (هذا الرجل زي الرجل بتاعنا) يقصد أن العميد نجيب يشبه اللواء محمد نجيب وهذا إيحاء فيه ذكاء من طرف جمال، لقد وعد جمال العراقيين بدعم مصر لأي عمل يقدم به الجيش العراقي.

كيف دخل عبدالكريم قاسم على الخط

أخذ حماس ضعاف النفوس من الضباط العراقيين يتزايد للقيام بانقلاب وينتظرون المناسبة وكان بعضهم يزود(محمد كبول) سكرتير السفارة السورية ويطلعوا السفارة السورية على ما يجري من خطط أميركية لقلب الحكومة السورية بمساعدة العراق.

وفي يوم جاءت فرصة إجراء تمرين يوم٢١/١٠/١٩٥٦م وتقرر أن يضرب اللواء الذي يقوده عبدالكريم قاسم المنصة في منطقة التمرين.

لقد اطلع رفعت الحاج سري اللواء نجيب الربيعي الذي يقود وحدات الجيش العراقي وهو الرئيس الفعلي والقوي للحركة.

وكان هو القائد الكبير المرشح لقيادة الانقلاب وكان يتمتع بسمعة جيدة بين الضباط ويتمتع بالنزاهة.

وفي الوقت نفسه كان رفعت الحاج سري ينسق مع إسماعيل عارف سكرتير(رئيس أركان الجيش من أجل إتمام التمرين).

وفي الوقت نفسه كان رفعت سري يقوم بمفاوضات طويلة مع عبدالكريم قاسم الذي كان يبحث عن دور وبخاصة أن نجيب يعرف أن عبدالكريم قاسم قادر على التنفيذ وأنه ضابط كفؤ.

الحكومة والانجليز في شك:

جاء جميل المدفعي(رئيس وزراء سابق) وخال رفعت الحاج سري وأبلغه أن النظام غاضب منه بسبب نشاطه المعادي وأنه سوف يندم مستقبلاً وأنه قد ينقل خارج بغداد.

واجتمع عبدالكريم قاسم مع رفعت سري وأبلغه أنهم قد يلغون التمرين ولكن وجود عبدالكريم قاسم في التمرين سبب من أسباب ثقة الحكومة فهم يثقون في عبدالكريم، وقال عبدالكريم إن معاون الملحق العسكري البريطاني وزوجته زارا معسكر اللواء في المنصور وأن عبدالكريم دعاهما للغداء وكان معاون الملحق يهاجم عبدالناصر وكان عبدالكريم يؤيده في كل ما يقول وتوقع عبدالكريم أن معاون الملحق العسكري البريطاني

جاء يستطلع الأمور بذاته...وافتخر عبدالكريم بأنه موه عليه وخدعه ولم يحصل على شيء واستغل عبدالكريم هذه الحادثة وأن الحكومة قد تكون في الصورة وأن وجوده ضروري حتى ينجح الانقلاب ولا بد أن يحصل على منصب.

لقد كان عبدالكريم قاسم يريد قصف المنصة ومن المقرر أن يكون عليها الملك وولي العهد ونوري السعيد والمارشال مونتجمري وحتى هذه اللحظات كان المدبرون العميد عبدالكريم قاسم والعقيد إسماعيل عارف والمقدم رفعت الحاج سري والمقدم صالح السامرائي، تسربت الأخبار ووصلت إلى نوري السعيد نفسه ونقل صالح إلى عمان ملحقاً عسكرياً وبعدها بشهر غادر إسماعيل عارف إلى واشنطن ونقل رفعت الحاج سري أيضاً.

ظل عبدالكريم قاسم يحاول وفي مرة في مطلع عام ١٩٥٨م حاول قصف المنصة لولا أن تدارك الأمر نجيب الربيعي وجلس بالقرب منها حتى لا يتم القصف.

وفي وقت لاحق نقل الربيعي سفيراً إلى السعودية وأصبح الطريق خالياً أمام عبدالكريم وسوف يأخذ ما يريد من مناصب. وفي السعودية كان ضياء الرفاعي في السفارة الأردنية وروى ذكرياته في كتاب(حقيبة الذكريات) وكيف كان الربيعي متكتماً على كل شيء.

مشروع الوحدة العربية ازاء مشروع الاتحاد العربي الهاشمي

تبادل برقيات التهنئة وصوت العرب

جاء في كتيب نشرته مديرية الدعاية العامة ببغداد عام ١٩٥٨ نص رسالة تهنئة ارسلها الرئيس جمال عبد الناصر الى الملك فيصل الثاني ملك العراق ، وكانت برقية طويلة زاخرة بالتهاني العريضة والآمال القومية وقد كتبت بعاطفة ساخنة وتعبير عن محبة راسخة وكلمات مفعمة بالتقدير والاحترام ، وقد نشر رد الملك فيصل الثاني على برقية عبد الناصر بجواب مطول ايضا وبمشاعر عربية فياضة واحترام واعتزاز كبيرين . ان كلا من البرقتين المطولتين لا يمكنهما ان يعبران عن حقيقة ما يخفي كل نظام من النظامين السياسيين تجاه احدهما الاخر من احقاد ومن ضغائن ومن كراهية وخصومة سياسية بين اكبر دولتين عربيتين ، اشتركتا معا في التعبير عما يريده الفرقاء في الحرب الباردة عهد ذاك !!

دعونا نتأمل قليلا في نص البرقية التي ارسلها الرئيس جمال عبد الناصر للملك فيصل الثاني :

" حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني ملك العراق – بغداد

ان الاتحاد العربي الذي وحّد اليوم ما بين العراق والاردن هو خطوة مباركة تتطلع اليها الامة العربية كلها بأمل كبير باعتبارها اتجاها يستمد قوته من اعماق الضمير العربي ، واننا واثقون تمام الثقة ان الاتحاد العربي سوف يكون قوة لكل العرب على كل اعداء العرب . ان الايام التي تعيشها الامة العربية الان ايام خالدة مجيدة ، وما من شك ان الاحداث التي عاشتها امتنا في الفترة الاخيرة تبشّر بأن فجر الوحدة الذي اشرق على كل الافاق العربية هو مطلع بازغ جديد للامة العربية المناضلة ، وان القومية العربية ستفخر وتعتز بالخطوة التي اتخذتموها في عمّان اليوم ، واثقة انها تقرب منا يوم الوحدة العظمى . وما من شك ان شباب جلالتكم وايمانكم وصادق اخلاصكم سوف تكون من القوى الدافعة في سبيل تحقيق حلم العرب الكبير ، واني ابعث لجلالتكم تهانيّ ، اتمنى من صميم قلبي أن يوفقكم الله ويسدد خطاكم وأن يبارك شعبكم العظيم " جمال عبد الناصر .

ان من كان يستمع ليل نهار الى اذاعة صوت العرب من القاهرة وتحريضها على اسقاط النظام الملكي بالعراق ودار الاذاعة العراقية في بغداد سوف لم يصدق ابدا ما تضمنته مثل برقيات التهنئة تلك ، وكان سيخرج بنتيجة مفادها ان القادة العرب لم يكونوا صرحاء فيما بينهم ، بل كان يكذب احدهم على الاخر ، ولم يكونوا عقلاء ابدا في تصرفاتهم وانفعالاتهم .. لقد كانت هناك حرب اذاعية ساخنة بين الطرفين تستخدم فيها كل الالفاظ المشينة وكل التعابير السيئة والشتائم المقذعة وكل الاوصاف البليدة وكل الاغاني الساخرة . وبطبيعة الحال ، كان عبد الناصر يمثل القومية العربية بريادته لها بعد ان اصبح للهاشميين سجل سيئ في الذاكرة العربية .. وان عبد الناصر منذ العام ١٩٥٦ غدا بطلا قوميا وكان يستقطب الشارع العربي من اقصاه الى اقصاه ، بل واعتبر العدو رقم واحد بالنسبة لبريطانيا وفرنسا واسرائيل .. ان هذا الرصيد هو الذي جعل عبد الناصر يصبح سيدا لكل العرب ، وكان العرب قد منحوه حق التدخل سياسيا واعلاميا في شأن اي بلد عربي ، كي يضمن خطاباته الطويلة فقرات واسعة وهو ينتقل بكلامه من مكان الى آخر . لقد خدمته الوسائل الاعلامية كثيرا في حين لم يعتن العراق بآليات الدعاية والاعلام .. كانت الملايين تسمع الى خطب الجاسوس عبد الناصر ، وقد ناصرته كل التيارات التحررية والاستقلالية والقومية واليسارية .. فكان ان خطّ حدّا سافرا بين معسكرين اثنين اولاهما معه وثانيهما ضده في حين بقي العراق لا يعتني بهذا الجانب ، بل وحتى خصوم عبد الناصر لم يستطع العراق كسبهم الى جانبه .. وبقدر ما هزم الهاشميون تاريخيا باعتبارهم حلفاء للغرب ، فلقد انتصر عبد الناصر باعتباره البطل الذي سيحرر فلسطين ويمحق اسرائيل من الوجود ! كما خدع بذلك اغلب شعوب المنطقة .

لقد عمل عبد الناصر ليل نهار على اسقاط الاتحاد الهاشمي .. وقد انتصر في صراعه ضده ، اذ لم تمض الا بضعة اشهر حتى سقط بعد انقلاب عسكري دموي في العراق قاده ضباط عسكريون يوم ١٤ تموز / يوليو ١٩٥٨ ، ليكون عبد الناصر اول

المباركين للحدث ، بل واعلن للعالم وهو على متن طائرته بين موسكو وبراغ : " ان اي اعتداء على العراق الجمهوري يعد اعتداء سافرا ضد الجمهورية العربية المتحدة " ! ثم عاد بعد ساعات الى دمشق ، وقبل ان تهبط به الطائرة في مطارها ، ابرق للقيادة العراقية الجديدة مباركا ومهنئا انتصار الضباط الاحرار العراقيين ما فعلوه فجر ١٤ تموز / يوليو ١٩٥٨ ، وكانت تلك القيادة مجتمعة بحضور الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي ميشيل عفلق الذي وصل من دمشق الى بغداد وابرق الى عبد الناصر ان تنزل طائرته في مطار بغداد ، ولكن اجابه بالاعتذار ، فكان ان ذهب بعد يومين او ثلاثة ايام وفد عراقي برئاسة العقيد الركن عبد السلام عارف الرجل الثاني في قيادة الحدث الى دمشق ، فاستقبله عبد الناصر استقبالا كبيرا وخرج الجمع الى الجماهير المحتشدة في قلب دمشق لإلقاء الكلمات التاريخية .. ولم تمض الا قرابة ثلاثة شهور حتى بدأت العلاقات العراقية المصرية تسوء شيئا فشيئا ، وعادت الحرب الباردة بين الطرفين على اقسى ما يكون، سواء في الصحف والمجلات او الاذاعات ومحكمة المهداوي التي تأسست في بغداد لمحاكمة رجال النظام الملكي السابق الذي سمي بـ " العهد المباد " وخصوصا ما كان يذاع من شتائم وشناعات عبر اذاعتي صوت العرب وهنا بغداد ، ليستفحل الصراع الدعائي الاعلامي السياسي الى درجة السخونة واشتعال الشرارة بين الطرفين ممثلا ذلك في الاحداث المأساوية التي عاشتها الموصل في شهر آذار / مارس ١٩٥٩ وحتى نهاية حكم عبد الكريم قاسم عام ١٩٦٣ وانقسام الموصل الى معسكرين اثنين متصارعين اولاهما قومي بعثي يمثله جمال عبد الناصر ، وثانيهما قاسمي شيوعي يمثله عبد الكريم قاسم ، وكان حدثا تاريخيا مريرا سفكت فيه الدماء وسحلت الناس بالحبال في الشوارع واقيمت مهرجانات الموت والنهب والسلب ، ثم بدأت سلسلة الاغتيالات السياسية والتصفيات الاجتماعية لمرحلة زمنية دامت طوال عهد عبد الكريم قاسم ١٩٥٨- ١٩٦٣. والكلام كما ورد في د. سيار الجميل (العراق ١٩٥٨في الوثائق البريطانية)/ج٢.

كانت الحملة العدائية الكبيرة من قبل مصر عبد الناصر مستمرة ضد النظام الملكي في العراق . فمن الطبيعي ان لا تكون العلاقة ودية بين المملكة العراقية والجمهورية المصرية بعد اسقاط النظام الملكي فيها . وقد ظلت هذه العلاقة باردة في السنوات الاولى ، ولم تظهر بوادر العداء بين الدولتين الا بعد اعلان قيام حلف بغداد عام ١٩٥٥ . فقد قامت مصر بحملات سياسية كبيرة ضد هذا الحلف واتهمت نوري السعيد بانه عقده لغرض عزل مصر وتطويق النظام الثوري فيها . وبعد قيام حرب السويس عام ١٩٥٦ تحول العداء الى حملات أعلامية واسعة ومنظمة ، بالرغم من وقوف العراق ضد هذه الحرب ومطالبة بريطانيا وفرنسا واسرائيل بالانسحاب من الاراضي المصرية التي احتلوها . وقد اشتدت الحملات الاعلامية ضد النظام الملكي مع مرور الوقت ، وكانت هناك برامج منظمة تذاع من اذاعة صوت العرب المصرية موجهة الى العراقيين تدعوهم للثورة على حكومتهم واقامة الحكم الجمهوري . وقد شملت الحملات المصرية دعوات صريحة للضباط العراقيين الى تشكيل تنظيم معادي للحكومة يشابه تنظيم الضباط الاحرار في مصر . كما ان شخصية الرئيس المصري جمال عبد اناصر وخطاباته الثورية

الحماسية التي كان يرتجلها استقطبت قلوب العراقيين ونالت اعجابهم الشديد بالنظام الجديد في مصر . لم يكن هناك في العراق من يستطيع ان يجاري عبد الناصر في دعواته وخطاباته الثورية ، كما لم تكن هناك حملات اعلامية من اذاعة بغداد معدة لمواجهة الحملات المصرية . ويمكن القول بان النظام الملكي لم يكن بمستوى الحرب المشنة ضده ، فقد كان نوري السعيد لا يؤمن بأهمية الإعلام وينظر اليه على انه نوع من التهريج الرخيص الذي يدغدغ عواطف الجماهير . المرة الوحيدة التي خاطب فيه الجماهير هي تلك الكلمة اليتيمة التي خاطب فيها العراقيين من خلال الإذاعة حين القى كلمة روتينية رتيبة في عام ١٩٥٦ وختمها بالهوسة العراقية التي تقول (دار السيد مأمونة) مشيرا الى ان ما من خطر موجود على الحكم الملكي . وعلى العكس من ذلك كانت الماكنة الدعائية المصرية الجبارة الموجودة آنذاك تزمجر وتدعو العراقيين الى الثورة على حكامهم ، وهذا ما حدث فعلا في الاخر . كان نوري السعيد على خطأ كبير في اطمئنانه على الوضع في العراق ، وقد دفع هو والنظام برمته ثمنا غاليا لخطأه ذاك .

انقلاب ١٤ تموز يوليو ١٩٥٨م في العراق:

لو اطلعت على وثائق العهد الملكي ورغم ما فيه من اخطاء تبين ان نوري السعيد صرح بانه يحتاج الى فترة خمسة سنوات فقط لإخراج العراق من خانة دول العالم الثالث .ليتحول العراق الى دولة اقليمية كبرى ،اقوى من ايران وتركيا ،لأنه كان يمتلك موارد معدنية وبشرية كبيرة خصوصا عند دخوله في الاتحاد الهاشمي مع المملكة الاردنية الهاشمية والكويت عام ١٩٥٨ ودخوله حلف بغداد العسكري ١٩٥٤.ولتحول العراق الى دولة كونفدرالية كبيرة وعملاقة في المنطقة.

كان للعراق علاقات حسن جوار مع الدول الاقليمية المحيطة بالعراق .حرص نوري السعيد على ادامة وتطوير هذه العلاقات وعلى التفاوض مع ايران لترسيم الحدود والتفاوض مع دول الجوار للحصول على الحصة المائية المقررة للعراق بموجب الاتفاقات والقوانين الدولية.

اعتقد ان الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل ارادت من اسقاط النظام الملكي في العراق وفي مصر بالإضافة الى ما كتبته في كاتبي السابق امراض فكرية في بلادنا ان الاتحاد السوفييتي خرج منتصرا من الحرب العالمية الثانية وتشكلت الدول الاشتراكية وظهرت قوة الاحزاب الشيوعية . لذا فان الطريقة الوحيدة للقضاء على الاحزاب الشيوعية هي في تسليم السلطة الى العسكر والى الاحزاب القومية العنصرية مثل حزب البعث .

عمل عبد الناصر على اسقاط الاتحاد العربي (الهاشمي)بين العراق والاردن .
وقد انتصر في صراعه ضد النظام الملكي في العراق ،اذ لم تمضي الا بضعة اشهر حتى اسقط النظام الملكي العراقي بانقلاب دموي في ١٤ تموز ١٩٥٨ليكون عبد الناصر اول

المهنئين بالحدث واعلن ، وهو على متن طائرته ، بين موسكو وبراغ ان اي اعتداء على العراق الجمهوري يعد اعتداء على الجمهورية العربية المتحدة .

في الحقيقة لو نظرت الى قائدي انقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨ وهما العميد عبد الكريم قاسم والعقيد عبد السلام عارف وباقي اعضاء تنظيمهم المسمى تقليدا لعبد الناصر وتنظيمه تحت اسم الضباط الاحرار ستجد انه لم يكن يجمعهم سوى هدف مرحلي هو الوصول للسلطة فالتنظيم ضم الشيوعيين والبعثيين والقوميين والاسلاميين وهذا ما ظهر بالصراع لاحقا بشكل واضح وبالحقيقة فأن الجاسوس جمال عبد الناصر قد جمع اقذر الاحزاب والافكار في هذا التنظيم لضمان تدمير العراق.

وبعد ان نجح الانقلاب الدموي في ١٤ تموز ١٩٥٨م المدعوم من عبد الناصر بدأت بوادر الصراع داخل التنظيم تظهر خاصة بين الجانب اليساري والشيوعي الذي تولى قاسم قيادته والتيار القومي والبعثي الذي تولى عبد السلام عارف قيادته والخلافات بدأت فور انتهاء الانقلابيين من جريمة قصر الرحاب المروعة بقتل الملك فيصل الثاني وافراد العائلة الملكية بطريقة الاعدام بباحة القصر دون اي مقاومة من جانب الضحايا وثم التمثيل بجثثهم والايعاز للسراق والجهلة بسرقة واحراق القصر وكذلك قتل نوري السعيد باني العراق المعاصر والتمثيل بجثته وتعريتها وتقطيعها وتعليقها وقيل بأوامر مباشرة من جمال عبد الناصر واعتقال كل مسؤولي الدولة وكل من يعارض الانقلابيين لينتهي مصيرهم في محكمة ابن خالة عبد الكريم قاسم وهو الشيوعي العقيد فاضل عباس المهداوي الذي كانت مهمته ارسال كل من يعارض الانقلاب ولاحقا قاسم الى المشانق او السجن فبعد ان استتب امر الانقلاب اندلع الصراع حيث كان يريد عبد الناصر تنفيذ ثمن دعمه للانقلاب وهو الاستيلاء على العراق فوجد ان عبد الكريم قاسم والشيوعيين الذين شكلوا ميليشيا مسلحة اسموها ميليشيا الدفاع الشعبي لحماية قاسم يشكلون عائق امام طموحة وسأسرد اليكم مختصر بدء الصراع :

كان عبد الناصر يعتبر نفسه قائدا لوحدة العرب ورائد القومية العربية، في المقابل اطلق عبد الكريم قاسم على نفسة صفة الزعيم الاوحد.

كان عبدالناصر يوحي للعلام المصري بان يقدم نفسه على انه الراعي للانقلاب في العراق قبل وبعد حصوله!! وان حكومة عبدالناصر تحدت اساطيل البريطانيين والأمريكان الذين جاءوا لإسقاط الثورة، معرضين بلادهم للخطر!!! وتورد الاهرام ما نصه:

في البداية لم تكن فجر ١٤ يوليو، يوم الثورة في العراق يا سيدى، وإنما كانت قبل ذلك بزمان طويل. كانت يا سيدى قبل عام من الثورة على الأقل...أنت تذكر. ذلك الوقت نص الرسالة التي بعث بها عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف إلى جمال عبد الناصر بهدف التنسيق والدعم:

في ذلك اليوم يا سيدي " عبد الكريم قاسم " سعيت، وسعى معك زميلك وصديقك وشريكك في الثورة - عبد السلام عارف - لكى تتصل بدمشق والقاهرة وتبعث برسالة إلى الرئيس جمال عبد الناصر. وكنت يومها في الأردن ومعك عبد السلام عارف. وتسللتما ذات ليلة في السر إلى قرية على الحدود مع سوريا والتقيتما بعدد من المسئولين السوريين وسألتماهم إن كان منهم من يستطيع أن ينقل رسالة منكما إلى القاهرة.

ومع ذلك فلنسم الأشخاص بأسمائهم لكى تكون الصورة كلها واضحة لا لغز فيها ولا طلسم.

تلك الليلة، في درعا، على الحدود السورية - الأردنية، التقيتما، أنت وعبد السلام عارف بأمين النفوري وزير المواصلات اليوم وأحمد عبد الكريم وزير البلديات وعبد الحميد السراج وزير الداخلية في الإقليم السوري! هل تذكر يا سيدى؟ تذكر طبعاً! وفى تلك الليلة يا سيدى، تكلم عبد السلام عارف أمامك، وأفضى بالسر كاملاً إليهم ثم تكرر اللقاء ثم كانت رسالة محددة منكما، طلبتما أن تنقل إلى القاهرة، ويطلب من القاهرة الرد عليها:

"إن هناك تنظيماً سرياً في الجيش العراقي، وإن ضباط هذا التنظيم قد فاض بهم الألم وما عادوا يطيقون الصبر أو يقدرون عليه، وإنهم سوف يتحركون مهما كلفهم الأمر ضد نوري السعيد وكل من يمثله، ابتداءً من حلف بغداد، إلى التآمر على القومية العربية".

هذه هي الرسالة.

والرد الذي يطلبونه عليها:

"نود التفضل بأعلامنا موقف حكومة الجمهورية العربية المتحدة، وسيادة الرئيس جمال عبد الناصر عن كيفية ابداء النصح ومن خلال خبرتكم في ثورة ٢٣ يوليو من امكانية تنظيم صفوف الضباط في العراق، وما هو تصوركم لكيفية بدئ التحرك، وما هو السبيل إلى وضع خطة، ثم ما هي الضمانات التي تستطيع القاهرة أن تقدمها للتنظيم، وما هو مدى المساعدة التي يمكن أن تبذل لحماية الثورة وحماية العمل الذي نقوم به؟ ".

تذكر يا سيدى الزعيم ذلك طبعاً ولا تنساه ولعلك يا سيدى أيضاً تذكر ولا تنسى الرد الذي وصل إليكما من القاهرة.

لقد طار عبد الحميد السراج بعد لقائه بكما إلى القاهرة يحمل الرسالة ويطلب الرد من الرئيس جمال عبد الناصر شخصياً.

ثم عاد السراج يحمل الرد.

ماذا كان الرد يا سيدى؟

كان الرد:

١ - أن خير ضمان للذي تشعرون أن واجبكم يدعوكم إليه هو أن تحفظوا أمركم سراً حتى علينا.

٢ - إنكم وحدكم تقدرون على وضع الخطة التي تتلاءم مع ظروف بلادكم، والخطة التي نجحت صباح ٢٣ يوليو في القاهرة لا تصلح للتطبيق في بغداد بسبب اختلاف الظروف.

٣ - إن الذي يضع الخطة لابد أن يكون هو نفس الذي ينفذها، لأن كل خطة ناجحة يجب أن تكون مرنة في نفس الوقت، تشكل نفسها في حدود الفكرة العامة، مع تطورات التنفيذ دقيقة بدقيقة، ولو أن خطة ٢٣ يوليو نفذت بحذافيرها كما وضعت قبل بدء التنفيذ لما لاقت النجاح الذي لاقته، ولذلك يجب أن يضع الخطة لأى عمل في العراق من يملك ساعة التنفيذ أن يغير ويبدل بما يتلاءم مع التطورات ويستفيد منها.

٤- إن الذي يريد أن يقوم بعمل ثوري لا يسأل عن الضمانات، وإنما هو يقدر موقفه، وضمانه الوحيد هو استعداده لبذل آخر قطرة من دمه في سبيل ما يؤمن به من هدف.

٥ - إن الفكرة والخطة والهدف، يجب أن تنبع من العراق لكى لا يكون مجالاً للتشويش على الثورة بعد وقوعها بأنها كانت من وحى بلد بذاته أو شخص بذاته.

٦ - إن الفرص لنجاح ثورة في العراق واسعة عريضة.

٧ - إن الرأي العام العربي أولاً سوف يهب لحمايتها.

٨ - إن البلاد العربية كلها تحكمها الآن تيارات متحررة، ولقد اختلفت الظروف الآن عما كانت عليه مثلا سنة ١٩٥٢ عندما قامت الثورة المصرية، فلقد كانت المنطقة كلها في ذلك الوقت تحت حكم الاستعمار مباشرة أو تحت حكم أعوان الاستعمار.

٩ - وأخيراً، فإن كل حركة للتحرر في العراق، تستطيع أن تطمئن من غير اتفاق ومن غير سابق تشاور، أنه في اللحظة التي تعلن فيها عن نفسها، سوف تلقى من القاهرة، كل ما وراء القاهرة وما أمامها من عون وتأييد بالعمل، وليس بمجرد إلقاء الخطب.

ذلك كان هو الرد يا سيدى. رد صادق مخلص، لا يستغلك ولا يلعب بك، لا يتدخل في أمرك ولا يفرض عليك، يخلص لك النصيحة ويضع أمامك عبرة التجربة. .. ثم يقف وراءك إلى غير ما حدّ، من غير ما اتفاق، ويطلب منك أن تحفظ سرك، ويكتم في قلبه نفس السر لا يبوح به حتى بعد قيام الثورة!

"إن العدوان على الجمهورية العراقية، عدوان على الجمهورية العربية المتحدة، وأن الجمهورية العربية المتحدة ستقاتل جنباً إلى جنب مع جمهورية العراق".

ما كانت تردده الالة الاعلامية المصرية من رعاية ومن دعم للانقلاب في العراق كان في الحقيقة مرده إلى التودد القائم بين التيار القومي في الحكومة العراقية الجديدة وبين عبد الناصر. لذا كان عبد الناصر مسارعا في اعلان تأييده للانقلاب وملحا من اجل اعلان الوحدة كمخرج له من الأزمات السياسية التي كان يعانيها بسبب توجهاته التصادمية مع كل من أمريكا وبريطانيا وإسرائيل والسعودية والأنظمة العربية التي لا توفقه في الراي والتوجه. لذا كان توجه عبد الناصر لدعم الثورة العراقية والادعاء بدعمها منذ البداية والمساهمة في بنائها في الحقيقة للمحاولة لبدء صفحة جديدة من النظرية الناصرية التي كان عبد الناصر والالة الإعلامية المصرية آنذاك تحاول فرضها على الدول العربية. لم تلق محاولات عبدالناصر اي صدى لدى الحكومة العراقية الجديدة. مما حدا بعبد الناصر لشن حمله اعلامية شعواء على غرار ما كان ضد النظام الملكي متوافقة مع محاولات عملية على الأرض لإسقاط حكومة عبد الكريم قاسم خاصة مع ايعاز الامريكيين لعميلهم جمال بأسقاط عبد الكريم قاسم المتحالف مع الشيوعيين خاصة مع اجواء الحرب الباردة.

اعتقدت حكومة عبد الناصر بان الصراع في العراق داخلي بدئه عبد الكريم قاسم في مسعى له للهيمنة على الحكم واقصاء زملاء الامس من مفجري الانقلاب من اعضاء تنظيم الضباط الوطنيين وأن عبد الكريم قاسم يقف بوجه طموحات عبد الناصر بالاستيلاء على ثروات العراق واكمال خطته بالإضافة الى ميول قاسم الشيوعية وعبد الناصر رجل امريكا وجاسوسها في ظل الحرب الباردة بين الشيوعية والغرب.

حيث وجهت حكومة عبد الناصر عدد من التهم لحكومة قاسم منها، محاولاته لأقصاء الضباط من المساهمين الفاعلين بالحركة وابعادهم عن مراكز القرار بالقوة، وتصفيتهم إذا اقتضى الامر، وذلك في ضوء وشاية أو بلاغ قامت به السفارة البريطانية، الهدف منه أحداث وقيعة بين رجالات الحركة، وحسب ادعاء القاهرة التي نشرت بعض الوثائق والبرقيات التي تسربت عن اجتماعات عبد الكريم قاسم السرية مع السفير البريطاني.

ثم تساءل الراي العام حول تداعيات الخلاف بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف. حيث اتهمت القاهرة بأتساع الهوة بين الرجلين وما يمثلاه من تيارين معتقدةً بان المليشيات الشيوعية الداعمة لعبد الكريم قاسم كانت وراء توسيع شقة الخلاف بين قادة الحركة، حتى كان يوم الذروة، الذي أعفى فيه عبد السلام عارف من منصب نائب القائد العام للقوات المسلحة.

وتساءلت القاهرة عن دواعي الخلاف ما نصه : ".. ولكن ذلك أيضاً لم يكن شأننا، ولا كان مما يجوز لنا أن نتدخل فيه. وإنما كما قلت لك - يا سيادة الزعيم - أدهشتنا الطريقة التي تم بها إعفاء عبد السلام عارف... مجرد دهشة. كان مجلس الوزراء العراقي مجتمعاً

وكنت تحضره وكان عبد السلام يحضره معك وفى وسط الاجتماع يا سيدى استأذنت وخرجت لنصف ساعة، ثم عدت إلى الاجتماع، ومضى الاجتماع وانتهى بعد منتصف الليل، ولا أحد يشعر أن شيئاً حدث في نصف الساعة التي غبتها عنه. وخرج عبد السلام عارف مع غيره من حضور الاجتماع وراح يركب سيارته، وإذا سائق السيارة يسأله:

عبد السلام عارف:

- ماذا حدث؟ لقد أذاعت محطة بغداد أنك أعفيت من منصب نائب القائد العام للقوات المسلحة؟ وذهل عبد السلام عارف، ولم يركب السيارة وإنما كرّ عائداً إلى حيث كنت يا سيدى ومعك بعض الوزراء يتحدثون إليك قبل انصرافهم من اجتماع المجلس. وسألك عبد السلام، أمامهم جميعاً يا سيدى عما حدث، وقلت له يا سيدى والدموع تترقرق من عينيك إنك كنت مغلوباً على أمرك، وأن قواد الفرق الأربعة اجتمعوا وقرروا ضرورة تنحية عبد السلام عارف، وأنك توسلت إليهم لكى يعدلوا عن قرارهم ولكنهم صمموا وأنك تحت الضغط وافقت ولم يكن مفر أن توافق، ثم كان لابد أن يذاع النبأ فأذيع.

وسألك عبد السلام عارف :

- لماذا لم تقل لي بعد أن عدت إلى قاعة المجلس، أو لماذا لم تقل لمجلس الوزراء ما حدث؟

وقلت يا سيدى:

- إن قلبي لم يطاوعني يا عبد السلام!

كانت لعبد السلام عارف شعبية وسط الرأي العام في العراق، ولم يكن ذلك شاذاً ولا مستغرباً. وكنت تريد قوة في الشارع، تظهر بالتجمعات والهتافات، ما يبين أن الشعب يؤيدك وحدك ولا يؤيد عبد السلام، وكنت تريد أيضاً أن تكون هذه القوة قادرة في نفس الوقت على العمل ضد من ينتصر لعبد السلام. هنا يا سيدى بدأ الدور الكبير في الوقيعة، لا بينك وبين عبد السلام عارف وحسب وإنما كانت للذين قصدوا ليلعبوا هذا الدور أهداف أخرى غير أهدافك يا سيدى.

السفير البريطاني وراء الكواليس:

ووصل الخلاف إلى اوجه بعد تواتر الانباء عن سلسلة اجتماعات عقدها رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم مع السفير البريطاني بغية الوقوف ضد تنامي نفوذ الرئيس المصري جمال عبد الناصر.

وفي المقابل اتهمت بغداد القاهرة بمحاولة الهيمنة على العراق، وتنفيذ مخططات بريطانية قديمة.

فأوردت الحكومة المصرية على لسان هيكل ما نصه :

وذات يوم، يا سيدى الزعيم، دخل عليك السفير البريطاني في بغداد السير مايكل رأيت، يقول لك وهو يعرف أن ما يقول يلاقى في نفسك صدى، فإن السفير البريطاني - يا سيادة الزعيم - يعيش في بغداد ويعرف ما يجرى في سراديبها.

قال لك السفير البريطاني، ولقد أبلغت أنت الأمر بعدها لمجلس الوزراء: "إن عبد السلام عارف يتآمر ضدك، وإن عناصر من حزب البعث تؤيده "

ثم قلت أنت يا سيدى الزعيم:

"إن السفير البريطاني قد حمل إليك خمسة تحذيرات متعاقبة من مؤامرات يدبرها عبد السلام عارف ضدك". وجاء الحزب الشيوعي، يا سيادة الزعيم في أعقاب السفير البريطاني يحمل إليك من المعلومات ما يرضى الاتجاه الذي حزمت رأيك عليه:

"إن عبد السلام عارف يتآمر، ويتآمر معه عدد من الضباط، وأن الفكرة هي المناداة بوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة.

وقيل لك، يا سيدى في ذلك الوقت:

- إنهم يريدون أن يسلبوك منصب رئيس وزراء العراق، واحتمالات رئاسة الجمهورية فيه بعد ذلك، ثم لا يكون أمامك بعدها إلا أن ترضى بلقب شرفي، حتى لقب المواطن العربي الأول سبقك إليه شكري القوتلي وليس أمامك خيار، بعد رئاسة الوزارة، وبعد احتمال رئاسة الجمهورية إلا أن تصبح المواطن العربي الثاني! كذلك قالوا لك يا سيدى!

وكما خرج عبد السلام عارف من منصب نائب القائد العام، خرج بعدها من منصب نائب رئيس الوزراء ومن منصب وزير الداخلية. وأنت يا سيدى تظهر التأثر أمامه وأمام الوزراء، وتبدو بأسى المغلوب على أمره.

ثم طلبت من عبد السلام عارف أن يعطيك فرصة لتسوّى الأمر مع قادة فرق الجيش واقترحت عليه أن يسافر إلى بون وأعطيته العهد أن يعود يوم ٥ سبتمبر فيجد كل شيء كما كان بل أشد صفاء.

وسافر عبد السلام عارف إلى بون. وحين عاد عبد السلام عارف يوم ٥ سبتمبر لم تكن عودته مفاجأة لك يا سيادة الزعيم، وإنما كانت عودته بناء على اتفاقك معه.

وألقيت القبض يا سيادة الزعيم الأوحد على عبد السلام عارف.

ومن ناحية أخرى كان الحزب الشيوعي السوري، الذي وجد متنفساً له وفرصة في العراق قد بدأ يهاجم الوحدة، ويدعو ضدها، وكان الحزب الشيوعي العراقي عوناً له

بالطبع وسنداً. ولم تكن الطبول التي تدق ضد الوحدة في بغداد تريد أن يكون تأثيرها داخل العراق وحده، وإنما كان الأساس في دقاتها أن يتردد الصدى في دمشق.

وكانت الوحدة ثم حل الأحزاب في سوريا قد فاجأت الحزب الشيوعي السوري على غير استعداد، في الوقت الذي كان يعتبر نفسه فيه أقوى الأحزاب السورية، وأقربها إلى السيطرة على مقاليد الأمور. ولم تكن المنظمات الشيوعية بعد ذلك تريد - فقط - أن لا يتكرر ولا في بغداد ما حدث لها من قبل في دمشق... لم تكن تريد أن لا يتكرر ذلك فقط. قال الرئيس جمال عبد الناصر في المنيا:

"إن عبد الكريم قاسم هو قائد ثورة العراق وزعيمها. وإن القومية العربية، والوحدة العربية، هما أولاً وأخيراً التضامن العربي، وإن الصور الدستورية ليست لها قيمة بجوار التضامن المخلص الصادق. وإن الوحدة الدستورية، لا يمكن أن تتم إلا بإجماع كامل على طلبها". كان هذا كله يا سيادة الزعيم الأوحد، شبه رسالة خاصة إليك. كان معناها واضحاً.

في يوم ٤ ديسمبر الماضي - واضغط الآن على الجرس واستدع مدير مخابراتك لكى تتقصى الحقيقة منه - دخل مراسل أمريكي اسمه "فيلبس" إلى مبنى السفارة البريطانية في بغداد وقضى ساعة وبضع دقائق مع السفير البريطاني فيها السير مايكل رايت، ثم خرج إلى مكتب البرقيات الخارجية في بغداد وبعث إلى نيويورك ببرقية نصها كما يلى:

THERE IS GROWING ALARM HERE OVER STRONG POSSIBILITY OF ANOTHER COUPAND OR REVOLUTION IN IRAQ STOP FROM BEST POSSIBLE SOURCE AM TOLD US AND BRITISH INTELLIGENCE AGREE NASSER STRONGLY SUPPORTING AN OPPOSITION MOVE IN IRAQ AGAINST KASSEM.

إن النص العربي الكامل لهذه البرقية التي أرسلت في يوم ٤ ديسمبر من مكتب البرقيات الخارجية هو كما يلى بالحرف الواحد:

"يتزايد الشعور بالفزع هنا من احتمال قيام انقلاب أو ثورة أخرى في العراق. قف وقد علمت من أوثق المصادر أن ناصر يؤيد الاتجاه المعارض بالعراق ضد قاسم.. وقد أيدت المخابرات البريطانية والأمريكية ذلك - قف - تملك سفارة الولايات المتحدة أدلة قاطعة على أن المصريين يساندون الثائر القديم رشيد عالي الكيلاني بالمال والسلاح ضد قاسم - قف - قيل إن ناصر قد أزعجه زيادة النشاط الشيوعي في العراق ويحتمل أن يكون لديه الأمل في أن يتمكن رشيد عالي من إقامة حكومة ترتبط أشد الارتباط بمصر - قف - هناك بعض الشك حول هذا الموضوع كما تزداد الشكوك في أن يكون رشيد عالي يلعب دوراً مزدوجاً، أي يلعب في الظاهر لحساب ناصر، ويلعب في الباطن لحساب نفسه -

قف-يعتقد البريطانيون أن الانقلاب سيأتي في يوم قريب بينما يقدر له الأمريكيون شهراً على الأقل - قف - يخشى البريطانيون بصفة خاصة من احتمال إثارة الجماهير الذين يعتبرونه سيؤدى إلى سفك مزيد من الدماء أكثر مما حدث في المرة الماضية - قف - تقول التقارير أن رشيد عالي وعد المصريين بأن يحصل لهم على تأييد عدد كبير من القبائل ولكن قيل إن ناصر يشك في تأييد الجيش لرشيد عالي، ولذلك فإن ناصر تواق إلى تدبير هذا الانقلاب ببطء للحصول على نجاح مؤكد - قف - ولو أن المصدر الذي استقيت منه هذه الأخبار لا يمكن الإفصاح عنه هنا، إلا أنه من المؤكد أن هذه الأنباء هي آخر وأدق ما وصل إليه الخبراء ورجال المخابرات الموجودون هنا، ولقد أرسلت هذه المعلومات فعلاً إلى لندن وواشنطن عن طريقهم.

الإمضاء فيلبس

والأهم من ذلك، يطلب السفير البريطاني بذاته السير مايكل رايت - مقابلتك على الفور في اليوم التالي لإرسال هذه البرقية. يطلب مقابلتك عند منتصف الليل يوم ٥ ديسمبر، ويطلبها على الفور، وتتم المقابلة في مبنى وزارة الدفاع في الساعة الثانية صباحاً يوم ٦ ديسمبر.

ثم يقول السفير يا سيدى - السفير البريطاني سير مايكل رايت:

" إن المخابرات البريطانية وصلتها معلومات مؤكدة أن رشيد عالي الكيلاني يدبر انقلاباً ضدك، وأنه يتصل ببعض الضباط في الجيش فعلاً، وأن مالاً وسلاحاً قد وضعا تحت تصرفه ليقوم بالانقلاب، وذلك لكى يكون الطريق مفتوحاً بعدها لانضمام العراق في وحدة أو اتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة ".

ولما خرج السفير البريطاني يا سيدى وقّعت الأمر بالقبض على رشيد عالي الكيلاني!

وقال المهداوي بالحرف الواحد:

"لقد تبين أنّ ما يسمّى بثورة رشيد عالي الكيلاني كان خيانة كبرى لمصلحة الاستعماريين والصهاينة".

الامريكيين وموقفهم من الصراع:

شبهت دوائر الاستخبارات الامريكية الدور الذي يؤديه عبدالكريم قاسم بداية الانقلاب "بالرئيس الصوري" الذي مارسه من قبل محمد نجيب في مصر. ومن هذا وذاك، لا غرو، ان يعد الرئيس ايزنهاور على وفق التقارير المعروضة بين يديه، ان عبدالسلام محمد عارف هو "المنظم الحقيقي للانقلاب" على حد قوله. مما تقدم، لم تكن توقعات الاستخبارات الامريكية على قدر كبير من الدقة والصواب بما سيؤول اليه مصير القيادة في العراق. وما ان بدأ في الترويج لأخبار الخلاف بين عبدالكريم قاسم ونائبه

عبدالسلام محمد عارف، واشيع ان الاخير كان موضع تهم عدة في يومها منها "تآمر" ضد عبدالكريم قاسم. بدأ عبدالسلام محمد عارف حينذاك، بتوجيه أصابع الاتهام ضد الولايات المتحدة بانها تقف وراء ما يجري من تعميق الخلاف في وجهات نظر القيادة العراقية. ففي الثاني عشر من آب ١٩٥٨ اتهم عبدالسلام محمد عارف في خطاب له "الامبريالية" بتحريك صفحاتها والترويج لنشر اخبار خلافه مع عبدالكريم قاسم. وفي الوقت نفسه وضعت الدوائر الاستخبارية الأمريكية خطب عبدالسلام محمد عارف موضع عنايتها والاهتمام بما يرد فيها من معان وتلميحات سياسية وخاصة بعدما تبنى عبدالسلام عارف وبشكل علني في خطبه سياسة وتطلعات جمال عبدالناصر في القومية والوحدة العربية. ويلاحظ ان وصف "زعيم الدهماء" اخذ يظهر في تقارير تلك الدوائر كناية لعبدالسلام عارف وهو يلقي خطبة في بعض تجمعات دعاة القومية من العراقيين كما عدت تلك التقارير خطب عبدالسلام محمد عارف والاشادة بجمال عبدالناصر، إدانة واضحة لسياسة الولايات المتحدة في العراق. ولكي نستكمل ابعاد موقف الولايات المتحدة مما جرى من صراع على السلطة في العراق، يجدر بنا تسليط الضوء على جانب آخر من اهتمام الدوائر الاستخبارية الأمريكية، الذي انصب على إقرار وتقويم التيارات والعناصر لطرفي المعادلة في أزمة الصراع، ومواقفها من الغرب والولايات المتحدة على وجه التحديد. فقد انطوى تقرير كمنغ مدير الاستخبارات والابحاث، المقدم في الثاني والعشرين من آب ١٩٥٨ إلى وزير الخارجية الامريكية دالاس على تقويم للتيارات العقائدية المتصارعة داخل العراق؛ فقد ذكر التقرير، اصطفاف "اقصى اليسار"، الحزب الشيوعي بأجنحته المختلفة والحزب الوطني الديمقراطي إلى جانب رئيس الوزراء العراقي عبدالكريم قاسم، في حين وقف القوميون الممثلون في حزب البعث العربي الاشتراكي إلى جانب عبدالسلام محمد عارف، المؤيد بدوره لسياسة وفكرة انضمام العراق إلى الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة التي كان ينادي بها "زعيم القوميين" جمال عبدالناصر. وعلى الرغم مما اشار اليه التقرير المتقدم، إلى عدم تبلور الموقف الشعبي بشكل كامل تجاه طرفي الصراع لوقوع بعض العناصر تحت تأثير "دعاية" جمال عبدالناصر في العراق. إلا ان كمنغ ذكر في تقريره بان الجيش العراقي سيحسم الأمر في نهاية المطاف؛ إذ سيصطف مع قادته إلى جانب افضل شخصية يراها في القيادة بدلا من الانجرار وراء "السياسة وأيديولوجيتها"، غير ان كمنغ، كما يبدو، فضل عدم الإشارة إلى الشخصية التي يتطلع اليها الجيش. الأمر الذي حظي باهتمام مختلف الدوائر الأمريكية المختصة بشؤون السياسة الخارجية وانعكاسها على أمن الولايات المتحدة؛ فقد عقد مجلس الأمن القومي الأمريكي على مدى يومي الثامن عشر والخامس والعشرين من ايلول ١٩٥٨ اجتماعين مهمين تدارس المجتمعون فيهما أزمة الصراع بين الزعماء العراقيين وابدوا قلقهم حيال الموضوع. عندما دخلت أزمة الاستئثار بالسلطة، مرحلة حاسمة في الثلاثين من ايلول ١٩٥٨ بإعفاء عبدالسلام عارف من جميع مناصبه، أيقنت دوائر الاستخبارات الامريكية ان الشخص الذي افاضت توقعات تقاريرها من تقدمه في مركز صدارة الحكومة العراقية، لم يعد الان في الواقع إلا زعيما مطرودا خارج العراق، أتاح ابعاده تعزيز سلطة عبدالكريم قاسم

المناوئ لأي فكرة اتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة. وفي الشأن نفسه كان الرئيس ايزنهاور على اطلاع تام لمجريات الامور داخل العراق وأيقن هو الآخر ان "المنظم الحقيقي للانقلاب" كما كان يحلو له ان يسمي به عبدالسلام محمد عارف لم يعد قادرا على حسم الامور لصالحه من موقعه الجديد سفيرا لبلاده في بون. و كثف دبلوماسيو الولايات المتحدة في بغداد من اتصالاتهم العديدة والمباشرة مع عبدالكريم قاسم الذي كان وديا مع الامريكيين وبادرهم بقدر كبير من حسن النية، على العكس من عبدالسلام عارف الذي لم يسجل له لقاء يذكر مع الامريكيين، بما توافر بين أيدينا من وثائق. وعلى اية حال، يمكن استشفاف وجهة النظر الامريكية في مسألة ابعاد عبدالسلام والقوى الفاعلة في عملية الابعاد، من خلال ما ذكره السفير غلمن في تقريره إلى وزارة الخارجية الأمريكية بقوله: "ان الشيوعيين العراقيين كان لهم الدور الرئيس في إزاحة عبدالسلام مع اثنين من الوزراء القوميين"، من السلطة الأمر الذي زاد من "ضعف النفوذ البعثي" داخل الحكومة العراقية، واعطى الوقت الكافي للشيوعيين للمناورة في العمل السياسي على الرغم من الحظر الذي فرضته الحكومة العراقية على العمل الحزبي. وإلى هذا الحد، يبدو ان الامريكيين غير جادين في تلك المرحلة من حسم موضوع الصراع على السلطة في العراق.

فقد ساد لدى تلك الدوائر الأمريكية اعتقادا أكيدا ان الضربة كانت قوية وموجعة للتيار القومي مما عطل أي حسم في موضوع الصراع على السلطة لصالح هذا التيار الذي اشرت الدلائل فيما بعد، انه التيار الأكثر حضورا في قناعات الإدارة الأمريكية في تولي السلطة بالعراق بعد إزاحة عبدالكريم قاسم من ساحة الحكم. ومن هنا فقد عد اعتقال عبدالسلام عارف بتهمة التآمر ضد أمن الدولة، هو تحديا واضحا للرئيس جمال عبدالناصر، ونكسة للقوميين الناصريين في العراق على حد تعبير شوردان. وهذا أحد الاسباب القوية التي أدت إلى شل حركة التيار القومي في العراق، وفي الوقت نفسه أظهرت ضعفه في نظر الدوائر الاستخبارية الأمريكية، إذ توقعت ان يصدر عن التيار رد فعل قوي على نبأ اعتقال عبدالسلام عارف. إلا ان اسباب التي رجحتها تلك الدوائر في احجام القوميين في العراق عن اتخاذ أي اجراء حيال قضية الاعتقال، هي السرعة التي فاجأهم بها عبدالكريم قاسم في تنفيذ عملية الاعتقال، وفي الوقت نفسه لم تستبعد تلك الدوائر من ان عبدالكريم قاسم كان وراء تهيئة اذهان الرأي العام العراقي عن وجود "مؤامرة امبريالية" تحاك ضده، الأمر الذي اربك موقف القوميين وزاد من حدة انزوائهم عن التأثير في الشارع العراقي، فالمظاهرات الحاشدة التي خرجت إلى الشوارع بعد نبأ اعتقال عبدالسلام عارف مؤيدة لعبدالكريم قاسم ومنددة بالجمهورية العربية المتحدة كانت كسبا شعبيا ورصيدا قويا في دعم حكم عبدالكريم قاسم ضد النفوذ القومي داخل العراق.

انقلاب الشواف الفاشل عام ١٩٥٩م:

بعد ان تمكن الشيوعيون حلفاء عبد الكريم قاسم من السيطرة على الساحة العراقية وظهرت الكثير من الافعال التي اشرت بشكل واضح الى وجود عملية للقضاء

على الحركة القومية العربية الموالية لعبد الناصر ومعها التعرض الى الدين بأشكال مختلفة ومنها الاعتداء على المصلين في المساجد ورفع شعارات ضد التشريعات الإسلامية ومنها مظاهرة اتحاد النساء وميليشيا المقاومة الشعبية في شارع الرشيد وهم يرددون (راس الشهر ماكو مهر والقاضي انذبه بالنهر) ونشر الكتب التي تناقش وجود الله وتاريخ الرسول من قبل كتاب ملحدين ورمي روث الحيوانات في المساجد واخرها تمزيق القرآن في بغداد تحت سمع ومرأى السلطة ممثله بقاسم ومجموعته بالإضافة الى تعرض طلبة الحوزات الدينية في النجف وكربلاء الى مضايقات وسخرية من الشيوعيين ولم يستطع قاسم ردع الشيوعيين لانه لم يكن امامه سواهم للدفاع عن سلطته بوجه عبد الناصر.

حيث اعتقد جمال عبد الناصر و الشواف والحاج سري ان هذه الامور ستكون مبررا كافيا للانقلاب خاصة مع غضب الشارع من تصرفات الشيوعيون وبدا اعداد خطة الانقلاب حيث كانت الخطة تقضي بقيام الفرقة الثانية بقيادة العميد الركن ناظم الطبقجلي بالتحرك وتأمين الالوية والاقضية والنواحي التي تحت مسؤوليته ومن ثم التحرك باتجاه بغداد اذا اقتضى الامر ولكن هذه الخطة استبعدت خوفا من التأثير على حقول النفط مما يستدعي تدخل خارجي ..

تحولت الانظار الى الموصل وتمت مفاتحة العقيد الركن عبد الوهاب الشواف فأبدى استعداده لذلك بعد ان تأكد كما يقول من عدم امكانية اصلاح الامور وقاسم على رأس السلطة في بغداد ..

اما في بغداد فقد وضع العقيد رفعت الحاج سري اربعه من الرجال الاشداء من القوميين المخلصين له لاغتيال عبد الكريم قاسم اثناء اجتماع مجلس الوزراء او في غرفته وقد تمت تهيئة الاسلحة والقنابل اليدوية وحفظت في خزانه حديديه في مديرية الاستخبارات العسكرية التي كان رفعت مديرها ويقوم هو بقيادة تنفيذ العملية للإجهاز على قاسم او اجباره على الاستقالة وتسفيره خارج العراق او الاضطرار الى تصفيته.

ووضعت خطه ثانويه للسيطرة على مرسلات ابو غريب الاذاعية من قبل بعض القطعات العسكرية وكذلك تهيئة قطعات عسكريه في جنوب وشمال العراق للسيطرة على الاوضاع .

وتم الاتفاق مع الاحزاب القومية والتنظيمات الشعبية الناصرية التابعة لها للخروج في تظاهرات تأييد للانقلاب حال قيامه ..

كان مقررا ان يكون موعد الانقلاب في ٦ آذار ١٩٥٩ .

حيث تم الاتصال مع الجمهورية العربية المتحدة وجمال عبد الناصر والتنسيق معهم .

في اليوم المقرر ٦ آذار انتظر الجميع في ثكناتهم للقيام بما هو مقرر ولكن لم يسمع شيئا عنها وقد حلل المنتظرون ان هناك بعض المندسين على التنظيم وتم التأجيل خوفا من فشلها ،، الا ان الشواف بعد ان تأكد من كل شيء اصبح جاهزا وخشية من انكشاف امرها بعث برساله شفويه الى رفعت الحاج سري بيد الملازم نافع محمود يقول فيه ((جحفل لواء الخامس والفئات القومية في مدينة الموصل والعشائر الموالية جاهزة ومستعده والاذاعة جاهزة ونحن بانتظار تحديد الموعد من قبلكم)) ..

استلم رفعت الرسالة واعاد الجواب بيد الملازم نافع محمود قائلا ((تعلن الثورة يوم ٨\٧ أذار ١٩٥٩ وفي الساعة الثانية عشره وسوف نعمل في اليوم التالي فلا ينبغي ان تنهار معنوياتكم لأننا سنعمل حتما في اليوم الذي يليه ،، سلم لي على الاخوان في الموصل)) ..

تنفيذ الانقلاب:

على الرغم من منع التجول الذي اصدره العقيد الشواف الا ان الصراع ظل مستمرا في مناطق متعددة من الموصل وقد زار وفد من الحزب الشيوعي الشواف في مقره يشكونه قيام اهالي الموصل برفع صور لجمال عبد الناصر وشعارات للجمهورية العربية المتحدة وقد اجابهم السبب انتم احتفلتم يوم امس وهم يحتفلون اليوم ليس هناك ضرر ؟؟

صدرت الاوامر من الشواف لتطبيق الخطة الامنية لمدينة الموصل وتم اعتقال العديد من الشيوعيين العابثين بأمن المدينة ممن استغلوا الاضطراب الامني ومن بينهم عدد قليل من الضباط وضباط الصف والجنود الشيوعيون وحصل تمرد صغير في كتيبة الهندسة تمت معالجته من قبل قطعات اللواء مباشرة وعندما بدا الاعلان عن الانقلاب تعطلت الاذاعة وكان السيارات تجوب المدينة تعلن عن الارسال والموجات المتوسطة والقصيرة التي تبث عليها بواسطة مكبرات الصوت :

(هنا الموصل ... هنا الموصل ..اذاعة الجمهورية العراقية تذيع على موجتين ٤٩ ،، ٨٥ قصيرتين) وتمكن مهندس سوري من اصلاح الاذاعة لتبث داخل الموصل فقط ومن ثم تم الاتصال بإحدى الشركات البريطانية المتواجدة في المنطقة التي ارسلت مرغمه مهندس لتصليح الاذاعة التي بدأت تسمع في ارجاء العراق ولكن بعد ساعات من اعلان الانقلاب كانت حاسمة.

يوم ٨ آذار ١٩٥٩:

اذيع البيان الاول للانقلاب وكبقية البيانات الانقلابية حمل المسؤولية لتردي الوضع على قاسم وحاشيته ووعد بإعادة الامور الى نصابها وتشكيل مجلس قيادة الثورة وممارسة مجلس السيادة لصلاحياته في ادارة الدولة .

قرأ البيان (محمود الدرة) وتمكن من تسجيل البيان (فاضل الشكرة) صاحب مكتبة العروبة وكذلك بقية البيانات الادارية واعادة بثها من الاذاعة وكذلك ساهمت الاذاعة السورية بأوامر من جمال عبد الناصر من دمشق في اعادة اذاعة البيانات على ترددات اعلى لإيصالها الى ابعد نقطة ممكنه.

اما في الموصل فقد تحركت القوى القومية في شوارع الموصل وسهر الاهالي يحرسون المدينة حاملين ما تيسر لهم من اسلحه وتمت ازالة ورفع صور قاسم والشعارات الشيوعية من الشوارع والمدارس والدوائر ورفعت بدلا منها اعلام الجمهورية العربية المتحدة وصور عبد الناصر على المدارس والدوائر كما خرجت تظاهرات واسعه تأييدا للانقلاب بالرغم من سريان منع التجول .

اما في بغداد فقد صدرت العديد من المراسيم بإحالة عبد الوهاب الشواف على التقاعد والامر باعتقاله ومنعه من الهروب وخصصت جائزه مقدارها (عشرة الاف دينار) للقبض عليه حيا او ميتا كما خرجت تظاهرات مؤيده لقاسم في مناطق كرادة مريم والكاظمية وخلف السدة واخرى مناهضه له ومؤيده للانقلاب في مناطق الاعظمية والكرخ والكرادة الشرقية .

اتصل قاسم بالشواف تلفونيا ولكن الشواف رفض التحدث معه وتحدث معه الرائد محمود عزيز وقال : (محمود انا اعرفك وانت تعرفني اريدك ان تصدر امرا الان بألقاء القبض على الشواف وان تعتقله بنفسك) قال محمود عزيز (لا يمكن ... الشواف قام بثوره والضباط يؤيدونه والشعب في الموصل يؤيده) قال قاسم (محمود انت زين لا تؤازره ومرفوع عنك كل شيء انت واخوانك)

قال محمود (انا لا اقدر ان اسوي اي شيء هو القائد)

ثم حاول قاسم الاتصال بعدد من ضباط اللواء محاولا كسب تأييدهم ضد الشواف لكنه وجدهم موالين له وحاسمين لأمرهم ومعنوياتهم عالية ..

يوم ٩ آذار ١٩٥٩:

تحركت مجاميع من تلعفر وتلكيف وسنجار (جميعهم من غير العرب) وسدت الطرق المؤدية الى الموصل ونصبت السيطرات ومنعت الامدادات الى المدينة ووصلت اليهم سيارات تحمل الاسلحة ووزعت عليهم وتم ايجازهم بواجباتهم .حيث تم تقسيمهم الى قسمين قسم يغلق منافذ المدينة والاخر يدخل المدينة لتنفيذ الخطة المرسومة ..

اجتمع الشواف مع ضباطه وابلغهم ،، اذا لم يتحرك الجيش فأننا سنكون وحيدين ومعركتنا يائسة ولكننا اعلنا رأى الجيش بما يحصل للبلاد واننا اذا تمكنا من الصمود اربع الى خمسة ايام فأن الموقف سيكون في صالحنا ..

قامت طائرتان بقيادة النقيب خالد ساره والنقيب يونس محمد صالح بقصف مقر الشواف واصيب بجروح ذهب على اثرها الى وحدة الميدان الطبية ولكن العناصر الشيوعية هاجمت المكان وهنا يؤكد البعض انه انتحر وقسم اخر يقول قتله الشيوعيون وتم سحله والتمثيل بجثته في شوارع الموصل . وكانت اخر كلماته (كركوك خانتنا وبغداد خذلتنا) ..

انهار كل شيء بسرعه وتمت استباحة مدينة الموصل من العناصر الشيوعية لمدة ثلاثة ايام وبموافقة قاسم او على الاقل رضاه تم في هذه الايام عمليات قتل عشوائية وسحل وتمثيل بالجثث وتعليق الجثث على اعمدة الكهرباء ولم تحرك الدولة ساكن وكان طبعا بمقدورها ان تمنع ذلك ولكنها كانت موافقه بل ومؤيده ومتعمده لخلق نوع من الرهبة والرعب لبقية من يريد او يفكر في محاوله مشابهه ..

محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم عام١٩٥٩م:

كان جمال عبد الناصر بعد فشل انقلاب الشواف عام ١٩٥٩م واعدام رجاله داخل الجيش جن جنونه على عبد الكريم قاسم ولم تكن تمضي شهر بدون كشف عدة محاولات جديدة من عبد الناصر لأسقاط نظام قاسم وكان يلتقي بعشرات القوميين العراقيين من اتباعه وفتح امامهم الخزينة المصرية وجعل كل قدرات مصر تحت ايديهم لأسقاط نظام قاسم.

كل هذه العوامل التي حفزت قيادة قطر العراق لحزب البعث العربي الاشتراكي التفكير باغتيال قاسم بالرغم من ممانعة القيادة القومية للحزب واعتبار ذلك تعريض الحزب وكوادره للخطر ولكن القيادة العراقية برئاسة امين سر القطر (فؤاد الركابي) صمم على المضي قدما في تنفيذ العملية وذلك رغبة منه في ارضاء عبد الناصر وهكذا اتخذ القرار ولا بد من الاشارة الى ان تنظيم حزب البعث في العراق كان لا يزال فتيا واعضاؤه اكثرهم من الشباب الذي لا يمتلك خبرة سياسية وميدانية. عقد اجتماع للقيادة القطرية في ١/ ١٠/ ١٩٥٩ وتم فيه القرار على الخطة وتسمية المتطوعين الذين كانوا قد نفذوا تدريباتهم في منطقة الرضوانية (قصر الزيبق) وهي مزرعة عائدة لبيت الزيبق قبل التنفيذ بثلاثة اسابيع وتم اختيار المجموعة التي تألفت من:

عبد الوهاب الغريري عبد الكريم الشيخلي و سمير عزيز النجم و حاتم حمدان العزاوي وسليم عيسى الزيبق وصدام حسين و أحمد طه العزوز. ومخطط العملية/ إياد سعيد ثابت .

وكانت الخطة تقتضي ان ينفذ الاغتيال اربعة من حملة الغدارات بور سعيد صناعة مصرية الصنع التي ارسلتها لهم المخابرات المصرية و تم قطع جزء من سبطاناتها لتصغير حجمها وتسهيل اخفائها واثنان منهم كاحتياط ليكملوا العملية في حالة حدوث طارئ والسابع لقيادة السيارة واعتراض سيارة الزعيم واجبارها على التوقف اما

تفاصيل التنفيذ فكانت ان تتواجد الخلية في عيادة الدكتور حازم البكري الواقعة في رأس القرية وان يكون هناك عنصر رصد عدد اثنين احدهما في ساحة الميدان لمراقبة خروج الزعيم قاسم من وزارة الدفاع والثاني في الباب الشرقي لمراقبة قاسم في حالة عودته من البيت الى وزارة الدفاع.. وكان من المعتاد ان يسلك قاسم شارع الرشيد في الذهاب والاياب وهنا يؤخذ عليه وهو العسكري المحترف سلوك طريق واحد يوميا ولفترة طويلة وعدم تغيير الطريق بين الحين والاخر وهذه من ابسط القواعد الامنية. والاخبار يتم عن طريق الهاتف بكلمة سرية (شاكر) وتعني من جهة باب المعظم وكلمة (محمود) تعني من جهة الباب الشرقي.. في يوم ٧ تشرين الاول ١٩٥٩ وفي تمام الساعة السادسة مساءا تجمعت الخلية واتخذت اماكنها حسب الخطة التي كانت تقضي ايضا قيام احد الاعضاء (سليم عيسى الزيبق) بقيادة سيارة عائدة لبيت الزيبق وهي من نوع بلايموث ١٩٥٥ تقوم بالخروج من شارع الفرعي لبيت لنج من شارع النهر باتجاه شارع الرشيد لاعتراض سيارة الزعيم قاسم ولكن حدث ان تكون السيارة قد توقفت بسبب عطل احدى السيارات امامها مما ادى الى عدم تنفيذ هذه الفقرة وتحول سليم الى عناصر الهجوم والتنفيذ بعد سماعه صوت الاطلاقات هرع مسرعا اذ يقول:

وجدت الزعيم ممددا على ارضية السيارة اسفل الكرسي الخلفي وهو مضرج بالدماء ومغمى عليه والمرافق على الارض يئن والسائق صامت ولم اطلق رصاص الرحمة عليهم ولا ادري اسباب عزوفي عن ذلك سوى اني تصورت ان الزعيم قد مات. اول من اطلق الرصاصة الاولى لبدء العملية هو عبد الوهاب الغريري من الجانب الايمن للشارع اتبعها بقنبلة دخان لتغطية العملية ثم باشر الاخرون بالرمي وان عبد الوهاب قتل برصاص سمير عبد العزيز النجم وعبد الكريم الشيخلي كما روى ذلك المرحوم سليم الزيبق وان صدام حسين قد اصابته رصاصه طائشة ايضا من رمي الخلية حيث كان متواجدا على الجانب الايسر من الشارع قريبا من عكد النصارى.. تركت جثة عبد الوهاب الغريري ملقاة على الرصيف وحملته الشرطة لاجراء التحقيق حيث تبين انه عضو فعال في تنظيمات حزب البعث العربي الاشتراكي ومنه بدأت عمليات الاعتقالات العشوائية التي طالت الاعظمية والكرخ والفضل والكرادة.. هربت المجموعة بكاملها الى الوكر الحزبي في الصليخ وكان بانتظارهم قرب سوق الغزل سيارة مرسيدس اقلتهم الى الوكر الذي كان متواجدا فيه المرحوم عادل عبد الله وكان هناك جريحان هم (سمير عزيز النجم وصدام حسين) وتمكن صدام حسين من الهروب الى تكريت ثم سوريا ومنها الى مصر والقصة معروفة.. تم نقل الزعيم قاسم الى مستشفى دار السلام في شارع ٥٢ بواسطة سيارته العسكرية بعد تكفل احد الاشخاص بقيادتها وبوشر بعلاجه فورا ولم تكن اصابته خطرة بل شخصها الاطباء انها متوسطة وكذلك عولج المرافق الجنابي.. في اليوم التالي كلف قيس عيسى الزيبق شقيق المرحوم سليم بجلب السيارة التي لم يتعرف احد على واجبها وسبب تواجدها وعاد بها الى البيت في المسبح وهكذا فشلت عملية اغتيال قاسم.

انقلاب ٨ شباط فبراير ١٩٦٣م :

بعد فشل المحاولات المتكررة للقوميين والبعثيين لأسقاط نظام عبد الكريم قاسم المتحالف مع الشيوعيين كان الاصرار من جانب جمال عبد الناصر على اسقاط عبد الكريم قاسم يزداد يوما بعد يوم حيث كان لأنباء دعم نظام قاسم للضباط السوريين الذين قادوا انقلاب عام ١٩٦١م في سوريا وادى انقلابهم الى انهاء الوحدة مع مصر وكذلك دعم قاسم لنظام الامام باليمن الذي اطاح به انقلاب مدعوم من جمال عبد الناصر عام ١٩٦٢م وادى الى حرب اليمن التي ارسل فيها عبد الناصر الجيش المصري للقتال الى جانب الانقلابين باليمن وكان عبد الكريم قاسم يتعاون مع السعودية في ايصال السلاح لاتباع الامام الذين يقاتلون الجيش المصري والانقلابيين اليمنيين كل هذا دفع عبد الناصر الى تشكيل غرفة عمليات خاصة هدفها اسقاط نظام عبد الكريم قاسم والتخلص منه.

وكان للتعاون المصري الامريكي بأسقاط قاسم الفضل الاكبر في نجاح انقلاب ١٩٦٣م اذ أدى انفراط عقد الجمهورية العربية المتحدة في عام ١٩٦١ الى تخفيف حدة التوجس من التعاون مع الاستخبارات المصرية. وفي عام ١٩٦١ قدم الامريكان الى عبد الناصر خطة لأسقاط قاسم بانقلاب بعثي، وابدى عبد الناصر موافقته على الخطة. "ومنذ عام ١٩٦١ وحتى الإطاحة بقاسم في شباط/فبراير ١٩٦٣، كان قسم العراق في المخابرات المصرية الذي شكله جمال عبد الناصر يتولى مهمة تسهيل الاتصالات بين وكالة المخابرات المركزية وعراقيين لجأوا الى القاهرة. وعمل الامريكان على زيادة هذه الاتصالات بإقامة صلات بين محطات الوكالة في بيروت ودمشق وضباط سابقين في الشرطة العراقية في زمن العهد الملكي وعناصر مسيحية لبنانية وسورية تنتمي الى حزب البعث القومي العربي نفسه الذي يناصب قاسم العداء". وبحسب العاهل الاردني الملك حسين فان "لقاءات كثيرة عُقدت بين حزب البعث والمخابرات الاميركية، حيث عُقدت أهمها في الكويت" وكانت الولايات المتحدة تريد اسقاط نظام قاسم لتقاربه مع الشيوعيين والمعاهدات التي وقعها مع الاتحاد السوفييتي.

شهد عام ١٩٦٢ في العراق تصاعدا كبيرا في التآمر على قاسم. وبحسب وثيقة تعود لسفارة الولايات المتحدة في بغداد والمؤرخة في ٢٥ حزيران/يونيو، فان مجموعة من الضباط "القوميين المعاديين للشيوعية" الذين كانوا يخططون لأسقاط الحكومة العراقية فاتحوا البريطانيين بمخططهم. و"طلبوا تأكيدات بأن ينالوا اعترافاً سريعا وتزويدهم بمعدات عسكرية لتمكين الجيش من الافلات من السوفييت المصدر المهم للإمدادات". ولم تكن هذه المجموعة هي الوحيدة من بين المتآمرين العسكريين الذين كانت السفارة على علم بوجودها. لأن البرقية تمضي قائلة "ان الضباط ذوي العلاقة ليسوا اولئك المنخرطين في الحركة المذكورة في برقية المرجع". وتشير هذه الوثيقة الى برقيتين أخريين على الأقل تستعرضان اتصالات السفارة بمتآمرين في صفوف الجيش العراقي. كما تتحدث البرقية عن ثلاث مجموعات أخرى من المتآمرين "عدا حزب البعث" والتي تشكل "خطراً حقيقياً

على قاسم"، وتقدم تحليلا سياسيا للوضع. كما تروي الوثيقة الرد البريطاني على المفاتحة: "لا يمكن لحكومة صاحبة الجلالة ان تورط نفسها في السياسة الدولية، ولكن اية حكومة عراقية يمكن أن تتوقع علاقات ودية تُقام مع العراق بالحد الذي يكون مرغوبا به (المعلومات منقولة كماهي من المصدر). وتبين وثائق حكومة ماكميلان ان بريطانيا بعد أقل من شهرين على الانقلاب وافقت على "تدريب عدد من الضباط العراقيين في البلاد وتزويد العراق بكميات كبيرة من الاسلحة والمعدات، بما فيها ناقلات أفراد مصفحة من طراز "ساراسن" Saracen وطائرات "هنتر" واعتدة. ويبدو من المرجح ان ضباط الجيش الذين فاتحوا البريطانيين بشأن التسهيلات التي يريدونها بعد انقلابهم هم نفس الضباط الذين قدموا الطلب لاحقا. وبهذا المعنى يكون البريطانيون قدموا بعض الدعم للمتآمرين قبل الانقلاب بوعدهم اتخاذ موقف "وهذا بالحد المرغوب".

بحلول ٢٦ ايلول/سبتمبر، أبرقت السفارة في تقرير لها "ان الحكومة والصحافة العراقية أضحت حتى أشد عداءً للولايات المتحدة وأكثر وداً تجاه الكتلة السوفيتية". ولكن عبد الكريم قاسم اكتشف المؤامرات التي كانت تستهدفه في كانون الأول/ديسمبر. وعرف آخرون بالمؤامرة قبل الموعد. فإن السفارة اليوغسلافية في بيروت اكتشفت المؤامرة عبر أحد مخبريها، وأبلغت قاسم في بغداد ايضا. بعد ذلك بفترة، جرى اعتقال موظفين عراقيين يعملون في السفارة الاميركية بتهمة التجسس دون ريب. وكررت الحكومة العراقية اتهامها للولايات المتحدة بالتآمر ضدها. ويبدو من الواضح ان مخابرات قاسم اكتشفت أدلة على مساعدة الولايات المتحدة للمتآمرين. لم يرد الامريكان على الاتهامات علناً، لكنهم نفوها بقوة أمام الحكومة العراقية.

بعثت وزارة الخارجية الأمريكية ببرقية من الوزير رسك الى سفارتها بالعراق في ٥ شباط/فبراير ١٩٦٣ لبحث الوضع. وتكشف الفقرة الثانية من البرقية عن وجود عناصر سرية مهمة تشملها قرارات قاسم بالطرد.

ربما كانت تصريحات قاسم الأخيرة مصاغة عمداً لاستثارة رد فعل امريكي يمكن استغلاله فيما بعد على انه "دليل" يؤكد عداء الولايات المتحدة للعراق، ويشكل أساساً لتصعيد الحملات التي قمنا بالرد عليها مرة من قبل ولكن لا يمكن ان نتجاهلها الآن. إن تصريحات الولايات المتحدة لا يمكن أن تُنشر من دون تشويه داخل العراق، والبث على الموجة القصيرة لن يكون له تأثير واسع النطاق. وستكون لدى قاسم حرية تشويه مواقف الولايات المتحدة داخل العراق بغية إيجاد مبرر لتصعيد وتيرة الحملة المعادية للولايات المتحدة وتشديد التضييق على السفارة والقنصلية في البصرة. نحن لا نستطيع أن نتأكد من ان قاسم لن يمضي الى حد تنفيذ قراره بطرد موظفين من العاملين في بعثتنا. وهذا سيهدد بخفض "وجود" مصادرنا الذي يشكل أحد منابع الولايات المتحدة المهمة.

من الجائز تماماً ان "العنصر المهم" في السفارة كان عميلا من عملاء وكالة المخابرات المركزية، ويعمل بغطاء سري في وظيفة متدنية في السفارة. وبعد مناقشة هذه

الوثيقة مع ليكلاند اقترح قائلا: "كان لدينا ملحق ثقافي يدير مكتبة ومركزاً ثقافياً، وكان جاسوساً". ولعل هذا هو "العنصر المهم" الذي تشير اليه برقية ٥ شباط/فبراير. لقد أجرت صحيفة "لوموند" الفرنسية مقابلة مع قاسم نشرت أيضا في ٥ شباط/فبراير ١٩٦٣. وتتم تصريحات قاسم بشأن الامريكان والبريطانيين عن إن واشنطن قد هددته: "إنني لا أتحدث بقدر ما يتحدث به البريطانيون والامريكان. فما هو الشيء الذي لم يفعله هؤلاء كي يستعبدوا العراق ويحكموا قبضتهم على ثرواتنا؟. أنظر ...لقد استلمت قبل بضعة أيام فقط مذكرة تنذرني بلغة لا لبس فيها ان واشنطن ستفرض عقوبات على العراق إذا تمسكتُ بمواقفي. كيف نستطيع السكوت على لغة كهذه؟. إن كل متاعبنا مع الإمبريالية قد بدأت يوم أكدنا حقوقنا المشروعة في الكويت. أنظر الى هذه الخريطة (يعطيني كراسا بعنوان "حقيقة الكويت" وخريطة الامارة)... لاحظ هذه النقطة الخضراء الصغيرة. هذه هي الكويت، الجزء المغتصَب من بلدنا. قل لي رجاء ما هي العناصر التاريخية أو الفكرية أو الاقتصادية التي تجعل من هذه الامارة مملكة؟.... ليس لديها حتى ماء صالح للشرب!)".

تنفيذ الانقلاب ٨ شباط فبراير ١٩٦٣م:

اختار قادة الانقلاب الساعة التاسعة من صباح يوم الجمعة ٨ فبراير من سنة ١٩٦٣ للانطلاق، لكون يوم الجمعة يوم عطلة، ويمكن تحرك القطع العسكرية بسهولة، وصادف ذلك اليوم ١٤ رمضان. توجهت إحدى القطع المهاجمة إلى دار الإذاعة حيث سلمت القوة الخاصة بحمايتها للمهاجمين فبدأت الإذاعة تبث أناشيد ثورية ووطنية وبعد كل تقدم يحرزه ضباط الحركة يصدر بيان عن قادتها وعن التقدم في نيل أهدافها كان نشيد "الله أكبر" له وقع على مسمع الجميع من كل التيارات لما له من ذكرى وتاريخ كما كان نشيد "جيش العروبة يا بطل" لأم كلثوم له الأثر البالغ على معنويات الجنود والجماهير المترقبة لتطور الأحداث. كما تم تكرار بث النشيد العراقي الشهير "لاحت رؤوس الحرب تلمع بين الروابي" والذي ارتبط بانقلاب رشيد عالي الكيلاني في شهر مايو من سنة ١٩٤١ ضد الإنجليز والذي أوعز الملك غازي الأول بنظمه مع مجموعة من الأناشيد الوطنية أبان حركة الفتوة التي أسسها ضد الإنجليز بدعم الماني.

في حين أغارت طائرات الميغ ١٧ والهوكر هنتر من السربين السادس والسابع في قاعدة تموز الجوية في الحبانية بقيادة كل من الطيارين المقدم الطيار منذر الونداوي والرائد الطيار محمد جسام الجبوري والعقيد الطيار حردان عبد الغفار التكريتي من القاعدة الحرية الجوية في كركوك وبأشراف العميد عارف عبد الرزاق وآخرون محدثة أضرارا كبيرة في مبنى وزارة الدفاع، حاصرت الدبابات وقوات المشاة مبنى الوزارة في حين طوقت وحدات من المشاة مع عدد غفير من المتطوعين من البعثيين مبنى السراي الحكومي، فهرب الكثير من وزراء ومناصري عبد الكريم قاسم وتواروا عن الأنظار، ولم تتحرك الفرق والوحدات العسكرية في أرجاء العراق لمناصرة نظام الحكم، سوى مقاومة قليل من الحامية العسكرية الخاصة بوزارة الدفاع ولم يبقى مع قاسم سوى بعض من كان

في وزارة الدفاع، وهم كل من: العقيد فاضل عباس المهداوي ابن خالة قاسم ورئيس المحكمة الخاصة، والعميد طه الشيخ أحمد، مدير الحركات العسكرية، وقاسم الجنابي سكرتير عبد الكريم قاسم، والملازم كنعان حداد مرافق قاسم الشخصي.

ومن المقاومين خارج وزارة الدفاع: العميد جلال جعفر الأوقاتي قائد القوة الجوية وهو أحد قياديي الحزب الشيوعي العراقي ومسؤول كبير في مليشيا المقاومة الشعبية. والذي قُتل بعد مداهمة مكتبه بعد إصدار بيانات لأفراد القوة الجوية ذات صبغة البيانات الحزبية الشيوعية أكثر منها بيانات عسكرية.

في الوقت الذي كان فيه القصف يجري على وزارة الدفاع، سجل عبد الكريم قاسم على شريط تحت أصوات الانفجارات والقصف خطاب موجه إلى الشعب والقوات المسلحة وأرسله إلى دار الإذاعة مع الرائد سعيد الدوري، حيث سلم الشريط إلى قادة الحركة، كما أن دار الإذاعة كانت قد احتلت من قبل قادة الأخيرة، ولذلك لم يتسنَ إذاعة الخطاب، وفيما يلي بعض من مقاطعه:

«إلى أبناء الشعب الكرام، وإلى أبناء الجيش المظفر إن أذناب الاستعمار وبعض الخونة والغادرين والمفسدين، الذين يحركهم الاستعمار لتحطيم جمهوريتنا، يحاربوننا بحركات طائشة للنيل من جمهوريتنا، وتحطيم كيانها. إن الجمهورية العراقية الخالدة، وليدة ثورة ١٤ تموز الخالدة لا تقهر، نحن نعمل في سبيل الشعب، وفي سبيل الفقراء بصورة خاصة، وتقوية كيان البلاد، فنحن لا نقهر، وإن الله معنا أبناء الجيش المظفر والوحدات، والقطعات، والكتائب والأفراد، أيها الجنود الغيارى، مزقوا الخونة، اقتلوهم، اسحقوهم، إنهم متآمرون على جمهوريتنا ليحطموا مكاسب ثورتنا، هذه الثورة التي حطمت الاستعمار، وانطلقت في طريق الحرية والنصر، وإنما النصر من عند الله، والله معنا، كونوا أشداء، اسحقوا الخونة والغادرين.»

ثم يتوقف التسجيل بسبب دوي القصف، ويعاود قاسم مرة أخرى:

«السلام عليكم أبناء الشعب، أيها الضباط، أيها الجنود، أيها الضباط الصف الأشاوس، أيها العمال الغيارى، إن الاستعمار يحاول أن يسخر نفراً من أذنابه للقضاء على جمهوريتنا، لكنه بتصميمنا، وتصميم الشعب المظفر، فأننا نحن جنود وشعب ١٤ تموز الخالد الذي وجه الضربات الخاطفة إلى العهد المباد رغم...(كلمات غير مفهومة بسبب القصف)...، رغم الاستعمار، وحرر أمتنا، واسترد كرامتها، فان هذا اليوم المجيد...(كلمات غير مفهومة بسبب القصف)...، لسحق الخونة والغادرين...(كلمات غير مفهومة).»

وعند الساعة الواحدة والنصف من ظهر ٩ شباط فبراير ١٩٦٣ سلم عبد الكريم قاسم نفسه حيث اقتيد ورفاقه إلى استديو التلفزيون وبعد اتمام المحاكمة الشكلية التي راسها

عبد الغني الراوي تم اعدام قاسم ورفاقه رميا بالرصاص من البعثيين وعلى راسهم علي صالح السعدي لينتهي بذلك حكم قاسم .

وبدأت بالانقلاب مرحلة جديدة من الموت والقتل على يد مليشيا الحرس القومي التي تولت الانتقام من الشيوعيين من اعضاء مليشيا المقاومة الشعبية ممن اسهموا بالحكم مع رئيس الوزراء الاسبق عبد الكريم قاسم، والتنكيل بهم بالاعتقال والاهانة واختلط معهم بعض الضحايا من المواطنين الابرياء واستمرت هذه الميليشيا بعملها الى انقلاب تشرين الثاني ١٩٦٣م الذي اطاح به عبد السلام عارف بالبعثيين.

جمال عبد الناصر يعلن النصر بسقوط نظام قاسم:

يتضح بشكل جلي مدى اتفاق الانقلابين مع عبد الناصر للإطاحة بعبد الكريم قاسم بأتفاق جميع المؤرخين ، كما أن عبد الناصر نفسه لا ينفك ان يبادر للإفصاح عن دعمه ولا يتردد عن ذلك أبدا ، فها هو يجند كل إمكانيات مصر من الأسلحة التي استعملت - سابقا - في حركة الشواف المدعومة بسلاح مصري ؛ وحين حدث الانقلاب ونجح الانقلابيون بالقضاء على عبد الكريم قاسم جنّد عبد الناصر الإعلام المصري لدعم الانقلاب وهو الأسلوب الذي سيرثه البعثيون لاحقا حيث يدخلون الفن والأدب جنديا في المعركة . ومن أهم ما قدمه عبد الناصر للانقلابين هو (توجيه كافة وسائل الإعلام المسموعة والمرئية لنصرة الثورة في العراق ... فتوجه كبار المطربين أمثال محمد عبد الوهاب وأم كلثوم وشادية ومحمد قنديل ... للإنشاد للثورة العراقية ونشرت الصحف صفحات كاملة عما دار في العراق بتفاصيل دقيقة ... وأوفدت المراسلين الصحفيين المقيمين في بغداد لهذا الغرض وخرجت الجماهير الشعبية المصرية تهتف للثورة الوليدة وخصوصا أثناء استقبالها لوفد الثورة العراقية لمباحثات الوحدة حيث التلاحم الجماهيري الكبير يدل على عمق الروابط القومية والوشائج الانسانية التي تربط ابناء الامة العربية) . ولم يتوقف الدعم الناصري عند هذا الحد بل تجاوزه ليكون دعما واضحا وبصفة شخصية ؛ فقد كان أول المهنئين والمعترفين بحكومة الانقلاب حيث ارسل برقية تهنئة جاء فيها (لقد تابع شعب الجمهورية العربية المتحدة بقلب صاف متجه الى الله العلي القدير احداث يوم ضخم كبير عاشه شعب العراق الباسل وحاول طواله بعزم وايمان ان يعيد تصحيح ثورته العظيمة ويجعلها حيث اراد لها ان تكون في خدمة وطنه وعروبته واني لأشعر ان شعب الجمهورية العربية المتحدة وصل الى نهاية هذا اليوم الحافل وهو يحمد الله من اعماقه ... واني اذ اهنئكم بثقة المجلس الوطني لقيادة الثورة في العراق واختياركم منه لرئاسة الجمهورية العراقية ابعث اليكم في نفس الوقت بكل اماني التوفيق ...).

بدء الخلاف بين عبد السلام عارف وجمال عبد الناصر:

بعد تسلم النظام الجديد للحكم اصبح جمال عبد الناصر يعتقد انه هو الحاكم الفعلي للعراق وبدأ يتدخل في كل صغيرة وكبيرة في العراق وبدء يلح على عبد السلام

عارف على انشاء وحدة وضم العراق الى مصر وفي ١٧ من أبريل عام ١٩٦٣، تم توقيع اتفاقية الوحدة بين مصر وسوريا والعراق لكنها بقيت على الورق دون تنفيذ وكان الرئيس عبد السلام عارف غير متحمس لإتمامها خاصة مع تجربة سوريا السابقة المريرة تحت حكم عبد الناصر التي انتهت عام ١٩٦١ وكذلك نظام البعث الجديد في سوريا لم يكن جادا في اتمام الاتفاقية نظرا لعدم حماسة الشعب السوري العودة الى سلطة عبد الناصر الاستبدادية التي عانوا منها الامرين ايام الوحدة وكان عبد الناصر يعتقد ان البعثيين هم العائق امام سيطرته على العراق فدعم انقلاب عبد السلام عارف عليهم في ١٨ تشرين الثاني نوفمبر ١٩٦٣م ولكن بعد الانقلاب وزج البعثيين بالسجن استمر عبد السلام عارف بالمماطلة ولذلك بدأ جمال عبد الناصر يخطط للانقلاب عليه وخاصة بعد محاولة عبد السلام عارف منع عبد الناصر من اعدام المفكر الاسلامي سيد قطب وهو ما اعتبره عبد الناصر بداية ميل عبد السلام عارف للإخوان المسلمين وظهور تعاطفه معهم.

محاولة عارف عبد الرزاق الانقلابية ١٩٦٥م:

كان عارف عبد الرزاق احد المتأثرين بأفكار دكتاتور مصر جمال عبد الناصر القومية ويعد احد من يسمون انفسهم بالناصريين او الفكر القومي الناصري في العراق.

رئاسته للوزارة ومحاولته الانقلابية الفاشلة:

في العاشر من تموز العام ١٩٦٥ أعلن الوزراء الوحدويون الناصريين استقالتهم الجماعية من وزارة الفريق طاهر يحيى وذلك لوصول الخلافات بينهما إلى خلافات شخصية وعقائدية وبالحقيقة كان بأمر من جمال عبد الناصر، وهم:

*المقدم صبحي عبد الحميد / وزير الداخلية.

*العميد عبد الكريم فرحان / وزير الإرشاد.

*الدكتور أديب الجادر / وزير الصناعة.

*الدكتور عزيز الحافظ / وزير الاقتصاد..

*عبد الستار علي الحسين / وزير العدل.

*فؤاد ألركابي / وزير الشؤون القروية.

وعندما وصل طريق حل الخلافات بينهما إلى نهايته ولم يفد حتى تعديل وزاري قدم طاهر يحيى استقالة وزارته في ٣ أيلول ١٩٦٥، التي قبلها الرئيس عبد السلام عارف، والذي اتخذ خطوة في تثبيت أركان حكمة بتثبيت الضباط الموالين له بضمنهم إبراهيم الداود قائد الحرس الجمهوري والعقيد سعيد صليبي آمر موقع بغداد وحميد قادر آمر الشرطة، وعبد الرحمن محمد عارف (شقيقه) رئيسا لأركان الجيش (وكالة) لكونه

ليس ضابط ركن.. فيما اتجهت الأنظار إلى وزير الخارجية ناجي طالب لتشكيل الوزارة وحل الخلافات، وأبدا بعض الوزراء المستقلين استعدادهم للمشاركة في وزارة يؤلفها ناجي طالب، من جانبه فان الرئيس عارف حاول تجنب القطيعة التامة مع الناصريين ولذلك فانه استثمر المشاعر الودية التي يكنها عميد الجو الركن عارف عبد الرزاق (قائد القوة الجوية) الناصري الاتجاه وابن عم باسل الكبيسي احد قادة حركة القوميين العرب في العراق، ويقول جمال مصطفى في كتابه (انقلابات فاشلة في العراق، ص٦١): "أجرى الرئيس عبد السلام محمد عارف مباحثات سرية مع عارف عبد الرزاق في ايار ١٩٦٥ وذلك للبدء في تشكيل حكومة جديدة برئاسته، بشرط إبعاد كل من عبد الكريم فرحان وصبحي عبد الحميد، إلا أن عارف عبد الرزاق أحس انه مخلب قط في لعبة كبيرة يلعبها عبد السلام عارف، إذ يريد أن يستخدمه في ضرب كتلة صبحي عبد الحميد، ومن ثم يصبح التخلص منه في آخر المطاف سهلا" فرض التكليف!! وبعد استقالة طاهر يحيى من رئاسة الوزارة وقرب انعقاد مؤتمر القمة العربي في الدار البيضاء وفي ١٤ ايلول ١٩٦٥ راودت عبد السلام عارف فكرة تكليف عارف عبد الرزاق بمهمة تأليف الوزارة مجددا ويبدو هذه المرة كان رأي عارف عبد الرزاق ان يدخل في الوزارة أيا كان رئيسها أشخاصا يؤمنون بالوحدة والمثل العليا أمثال محمد صديق شنشل وغيره في اجتماع تم بين شنشل وعارف عبد الرزاق بحضور عبد الستار علي حسين، وأوضح شنشل انه لا يرى إمكانا لإشراكه في أية مسؤولية لعدم وجود ثقة بينه وبين رئيس الجمهورية، ونصح بإلحاح ان يبقى عارف عبد الرزاق في القوة الجوية وعدم تركها لأي منصب سياسي سواء كان رئاسة الوزارة او منصب نائب رئيس الوزراء اذ كانت طرحت فكرة تأليف وزارة جديدة برئاسة طاهر يحيى ودخول كل من عارف عبد الرزاق وناجي طالب فيها كنائبين لرئيس الوزراء على ان يشترك في الوزارة صبحي عبد الحميد، فوافق الرئيس عارف على ذلك بشرط أن يستبعد منها بقية الوزراء المستقلين، وفي مقدمتهم عبد الكريم فرحان فرفض صبحي عبد الحميد المساهمة في وزارة يستبعد منها زملاؤه ويبدو انه ظهر في الاجتماع بان عارف عبد الرزاق كان أميل إلى قبول المسؤولية السياسية !! من جانب آخر فان عارف عبد الرزاق قد تلقى رسالتين في اب ١٩٦٥ من عبد الرحمن البزاز سفير العراق في لندن، آنذاك أكد فيهما استعداده للتعاون معه ثقة منه بعارف عبد الرزاق، وينتقد فيها عبد السلام محمد عارف مما يعني ان اشتراكه يأتي لثقته بعارف وعدم الثقة بعبد السلام، ومما جاء في رسالته الثانية المؤرخة في ٣١ آب ١٩٦٥ قوله: (حقا ان الوضع في العراق قد ساء والأخبار تصلنا تباعا هنا من شتى القادمين ولقد بت بعض الليالي لا يكاد يغمض لي فيه جفن لان السفينة لو غرقت لا سمح الله فسنغرق بها جميعا، وكنت أحس انه من واجبي ان اعود الى العراق لأتحدث مع المسؤولين بصراحة، ولكن كان يثنيني عن ذلك امران صحة ابنتي عامرة، وثانيهما بقية امل ان صاحبنا (عبد السلام) قد يتدارك الامر فينيط القيادة بربان قد يوفق في ايصال السفينة الى بر الامان).. وعلى هذا الاساس استدعي البزاز من لندن فحضر فورا، وفي اجتماع عقد في القصر الجمهوري عهد الى البزاز والى الضباط عبد اللطيف الدراجي وحميد قادر وسعيد صليبي وعبد الهادي الراوي انتقاء اعضاء

الوزارة المرتقبة، فطرح البزاز أسماء شكري صالح زكي وعبد اللطيف البدري ومحمد ناصر وسلمان الصفواني وجمال عمر نظمي وحسين عمر نظمي وحسين جميل، ويوسف الحاج ناجي وجعفر علاوي وجواد الديواني وخضر عبد الغفور، فحصلت الموافقة على بعض هذه الاسماء وفي ٦ ايلول ١٩٦٥ صدر مرسوم جمهوري بتكليف عارف عبد الرزاق الوزارة التي أصبح فيها رئيسا للوزراء ووزيرا للدفاع، وكان هدف عارف الأول في تكليف عارف عبد الرزاق تشكيل الوزارة ان يامن جانبه في حالة غيابه وعدم إقدامه على إحداث اي انقلاب، فيما كان قبول عارف عبد الرزاق لهذا التكليف على اساس ان يحدث تبديلا في رئاسة الدولة من دون اراقة الدماء، فحال سفر عبد السلام إلى الدار البيضاء لحضور مؤتمر القمة نفذ عارف حركته الانقلابية القائمة على :

* استدعاء الضباط المقربين لعبد السلام وإقناعهم بالمشاركة في حركته وان رفضوا أن يجري اعتقالهم، وهم: سعيد صليبي وحميد قادر لكنها رفضا وكان راي المحيطين بعارف عبد الرزاق بتدبير امر سعيد صليبي بالقوة، لكن عارف عبد الرزاق رفض إقرار هذه التدابير الشاذة..

* إعلان منع التجوال في بغداد على الخصوص، وتوجيه الإنذار (ج) في كافة وحدات الجيش، ما عدا وحدات المنفذة للانقلاب لتتمكن من الحركة والتجول..

* توجه عبد الكريم فرحان وعرفان وجدي وفاروق صبري لمقر الإذاعة والتلفزيون في الصالحية وإذاعة البيان الأول.. لكن هذه المحاولة فشلت ولم تحقق هدفها.. عندئذ بدأ الإلحاح من جانب سعيد صليبي وحميد قادر الى العراق فسافر الرجل مع عائلته الى القاهرة وصحبه ستة عشر ضابطا ممن ايد حركته!!

بعدها اذيع البيان التالي من إذاعة وتلفزيون بغداد: "في الساعة العاشرة من مساء الأربعاء المصادف الخامس عشر من شهر ايلول حاول نفر من المغامرين القيام بحركة تخل بالأمن والسلامة للدولة، ونظرا ليقظة المسؤولين وقواتنا المسلحة فقد أحبطت المحاولة بعد فترة قصيرة، ومن دون ان تراق اية قطرة دم واحدة، وعلى اثر فشل الحركة فر جل القائمين بها الى خارج العراق والقي القبض على الباقين والتحقيق لا يزال يأخذ مجراه القانوني الطبيعي".. واعلن الرئيس عبد السلام عارف علنا مساهمة مصر في هذه الحركة وخلال لقائه بالسيد امين الهنيدي سفير مصر في العراق خرج هنيدي من لقائه قائلا: "خرجت من عند الرجل والشك يقتله وقال عارف الهنيدي انه تعب من أهل العراق، الذين قتلوا الإمام الحسين بن علي، ثم اخذوا يبكون عليه وأكد عبد السلام للسفير المصري إدانة القاهرة، وطالب رئاسة الجمهورية المصرية بتسليم المتآمرين، وشجب موقف الرئيس جمال عبد الناصر تجاه الصمت المطبق بشان الحركة... وأضاف هنيدي بان عبد السلام لم يخف ما أضمره في قلبه حين قال: (ان الجمهورية العربية المتحدة هي التي دبرت الانقلاب وان لها رجلا فيه، ان هذه الجملة الأخيرة التي قالها عبد السلام لأمين هنيدي عند مغادرته مكتب الرئيس في القصر الجمهوري ببغداد ومن المعلوم ان الانقلاب

كان بأوامر من دكتاتور مصر جمال عبد الناصر الذي احس ان عبد السلام عارف غير جاد بإقامة الوحدة مع مصر وبسبب تعاطف عبد السلام عارف مع الاخوان المسلمين في سجون عبد الناصر وخاصة سيد قطب ومطالبته بعدم اعدامه.

دور جمال عبدالناصر في تصفية عبد السلام عارف عام ١٩٦٦م:

ما يزال لغز مقتل الرئيس العراقي عبد السلام عارف بحادث سقوط طائرته المروحية فوق منطقة النشوة جنوبي العراق (شمال البصرة) في ١٣ نيسان (أبريل) ١٩٦٦حين كان يقوم مع عدد من مرافقيه ووزرائه بزيارة تفقدية لمحافظة البصرة لغزا محيرا الى اليوم حيث تثار حوله مختلف الاحتمالات حول اذا ما كان عملا مدبرا او حادثا عرضيا.

لكن اغلب الاحتمالات تشير الى انه اغتيال مدبر بأمر من جمال عبد الناصر وذلك بعد فشل جمال عبد الناصر وخليفه عارف عبد الرزاق بأسقاط نظام عبد السلام عارف بانقلاب ١٩٦٥م الفاشل ضد عبد السلام عارف ومن المعلوم ان عبد الناصر هو الذي اوصل عبد السلام عارف لحكم العراق وسانده في صراعه ضد عبد الكريم قاسم اولا وضد البعثيين ثانيا لكن يبدو ان عبد الناصر قرر اخيرا اسقاط عبد السلام عارف والتخلص منه لرفض الاخير الوحدة مع مصر وتعاطفه مع الاخوان المسلمين في مصر واذا صحت هذه الرواية يكون جمال عبد الناصر قد قتل ثالث حاكم للعراق خلال ٨ سنوات.

ويقول د. سيار الجميل إن المعلومات المهمة التي سجلها أمين هويدي في مذكراته، كنت انتظرها منذ زمن طويل اذ تقول الوثائق والتقارير والمعلومات السياسية العراقية إن عبد الناصر كان قد تدخل تدخلا سافرا في شئون العراق عندما قُتِل الرئيس عبد السلام عارف ومن معه عندما سقطت طائرته الهيلوكبتر اثر هبوب عاصفة رملية قرب البصرة كما كان قد أذيع وقت ذاك، ولم يستطع احد حتي يومنا هذا من كشف لغز سقوط تلك الطائرة، ويشاركني أمين هويدي أيضا بقوله لا احد يعرف سر سقوط طائرة عبد السلام عارف! ولكن هويدي أول من تحدث سواء في كتاباته أو في لقاءاته التلفزيونية بأن عبد الناصر هو أول من عرف بخبر سقوط الطائرة قائلا لهم بأن عبد السلام قتل وشبع موت! المهم في المعلومات التي كنت قد سجلتها في بعض كتاباتي التاريخية نقلا عن الأوراق العراقية إن وصول عبد الحكيم عامر من القاهرة إلي بغداد علي عجل وتدخلاته السافرة في تنصيب خلف لعبد السلام قد غيّر مسار تاريخ العراق برمته في تلك اللحظة التاريخية.. لقد عمل جهده من خلال تنفيذ رغبة الرئيس جمال عبد الناصر في عدم وصول المرشحين الاثنين اللذين كان ضدهما للرئاسة في العراق: المدني الدكتور عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء والعسكري عبد العزيز العقيلي وزير الدفاع، وفرض بدلهما اخو عبد السلام الفريق عبد الرحمن عارف رئيس أركان الجيش وكالة، وقد ضرب بالدستور

عرض الحائط، ولأول مرة يرث رئيس دولة جمهورية أخاه في الحكم، كان في العراق!) انتهي كلام الدكتور الجميل.

لقد كان حضور المشير عبدالحكيم عامر السريع إلي العراق في مساء يوم حادث سقوط أو إسقاط طائرة عبدالسلام عارف، ومشاركته في التشييع باليوم التالي ممثلا للرئيس عبدالناصر، ومن ثم الحديث الذي دار عن دوره في تنصيب الرئيس عبدالرحمن عارف، وإشراك مصريين في التحقيق بحادثة الطائرة، ومازال السر في سقوط الطائرة غامضا. يقول د. سيار الجميل في كتابه (القاهرة حاولت الانقلاب علي عبدالسلام عارف): .... وهنا أريد أن اغتنم هذه الفرصة كي أدعو مخلصا كل الباحثين والمؤرخين والساسة القدماء وكل من يمتلك معلومات يدلي بها من اجل الكشف عن اسرار مصرع الرئيس العراقي عبد السلام عارف، ومن يقف وراء التخلص منه! ان الحاجة باتت ماسة الآن لمعرفة كيفية سقوط الطائرة الهيلوكبتر التي كانت تقله فقط، ونزول الطائرتين المرافقتين بسلام علي ارض مطار البصرة. انني واثق شديد الثقة بأنه ليس هناك وجود لأية عاصفة رملية اسقطت الطائرة، بل ان مؤامرة حيكت بمنتهي السرية للقضاء علي عبد السلام عارف.. وان طائرته قد انفجرت وهي تطير في السماء وتلاشت اجزاؤها في الليل البهيم! ماذا نسّمي اذن كل هذه الصورة التي رسمت مصر عبد الناصر من خلالها مستقبل العراق حتي تلك اللحظة التاريخية المريرة.. وسوف لن تهدأ ابدا، فستبقي مصر تعمل من اجل ان يكون العراق منسجما ولا اقول تابعا مع سياسة مصر، وبقيت مصر تحلم بمجيء الناصريين فقط الي حكم العراق، ولكن ذلك لم يتحقق اذ ذهب العراق في طريق آخر.. ويؤكد اولئك الذين احبطوا المحاولة الانقلابية الأخرى لعارف عبد الرزاق علي عهد الرئيس عبد الرحمن عارف بأن مصر قد قطعت علي العراقيين اي مشروع للحكم المدني اثر مصرع عبد السلام عارف واتت بأخيه عبد الرحمن من اجل ان يغدو الوضع ضعيفا جدا يسهل جدا حدوث اي انقلاب يأتي بعارف عبد الرزاق علي رأس الحكم في العراق..

ولم يتم التوصل إلي كشف سر سقوط أو إسقاط طائرته المروحية لحد الآن، فالبيان الحكومي وتأكيدات الحكومة المصرية أن الحادث بسبب عاصفة رملية صحراوية جعلت الطائرة تفقد توازنها وتسقط أرضا وتحترق أجساد جميع من كانوا علي متنها وفي مقدمتهم الرئيس عبدالسلام عارف. وثمة روايات أخري تنطلق من (مبدأ المؤامرة) حيث وجهت بعض الاتهامات الي الدور المصري بإسقاط الطائرة للتخلص من عارف الذي بات عبئا عليها، بسبب سياساته ومواقفه، وتدخلاته لصالح الإخوان المسلمين في مصر. ومن المعلوم أن تدخل عبدالسلام عارف شخصيا وضغطه عليه أدي إلي إطلاق سراح المفكر الإخواني سيد قطب من السجن عام ١٩٦٤ (وهذه القصة معروفة وكان عارف قد أوفد اللواء محمود شيت خطاب المفكر الإسلامي المعروف ووزير الأشغال والشئون البلدية لدي عارف إلي القاهرة ليتابع بنفسه إطلاق سراح سيد قطب). ولكن بعد وفاة عبدالسلام أعيد اعتقال سيد قطب ووجهت له تهمة التآمر علي عبدالناصر وأعدم مع جماعته أواخر سبتمبر ١٩٦٦ أي بعد سقوط طائرة عبدالسلام بخمسة أشهر...وثمة اتهامات الي البعثيين

لتطلعهم إلي التخلص من عدوهم التقليدي اللدود وما قيل وقتها بأن ضابطا بعثيا في القاعدة وضع مادة متفجرة في خزان وقود الطائرة قبل إقلاعها من الشعيبة.

محاولة عارف عبد الرزاق الانقلاب بدعم مصر على عبد الرحمن عارف:

كما ذكرنا سابقا ان عبد الرحمن عارف قد تم اختياره كرئيس للجمهورية بعد اغتيال شقيقه عبد السلام عارف بضغوط مصرية لان عبد الناصر كان يعتقد ان ضعيف ومن السهل على عارف عبد الرزاق المدعوم من مصر الانقلاب عليه.

كان الرئيس عبد الرحمن عارف خاضع لنفوذ كتلة صغيرة، وعلى الرغم من تفاهة هذه الكتلة، كتلة عبد الرزاق النايف ـ مدير الاستخبارات العسكرية وكالة ـ وإبراهيم الداود قائد الحرس الجمهوري.

ولم يمض شهر على تسنم عبد الرحمن عارف رئاسة الجمهورية بدأت الاستعدادات للإطاحة به، حيث يقول صبحي عبد الحميد الوزير السابق والقيادي في التيار الناصري: (قررنا القيام بعمل سريع للإطاحة بالنظام وطلبنا من عارف عبد الرزاق العودة الى العراق، وفعلا دخل عبد الرزاق وجماعته العراق سرا وتوجهوا الى الموصل، ووضعت الخطة، وبدا التنفيذ من بعد ظهر يوم ٣٠ حزيران العام ١٩٦٦ فقد دخل سرا إلى القاعدة الجوية في الموصل كل من العميد الركن الطيار المتقاعد عارف عبد الرزاق والرائد الطيار المتقاعد ممتاز السعدون بملابسهما العسكرية وكانا مسلحين بالرشاشات والمسدسات وكان في انتظارهما الملازم الأول الطيار صباح عبد القادر وتوجه الثلاثة إلى أوكار الطائرات وأمروا ضباط الصف بتهيئة طائرتين من نوع هوكر هنتر واستقل الأولى الرائد ممتاز السعدون فيما الثانية الملازم الأول صباح عبد القادر وقبل انطلاقهما الى الجو حضر العميد، الركن يونس عطار باشي قائد الفرقة الرابعة ومعه العقيد احمد رشيد آمر القاعدة الجوية وامرا بمنع طيران الطائرات وحدث جدال ليتطور إلى تبادل إطلاق النار وسيطر عارف عبد الرزاق على الموقف وحلقت الطائرتان وتوجهتا باتجاه قاعدة الحبانية وبغداد، منبهين المشاركين في الحركة إن ساعة الصفر الثالثة بعد الظهر يوم ٣٠ حزيران وإنها قد بدأت وعليهم السيطرة على معسكر الحبانية وعلى الإذاعة في الصالحية وتدمير القصر الجمهوري كما توجهت طائرتان أخريان الأولى بقيادة النقيب الطيار محمد جاسم الجبوري وتوجهتا لقصف القصر الجمهوري وبعض المناطق الحساسة، وفعلا تم القصف لبعض المواقع.. وفي الساعة السادسة والربع اتصل الرئيس عبد الرحمن عارف بالعميد الركن عارف عبد الرزاق في محاولة لإيقاف حركته، كما اتصل ايضا بالقطعات العسكرية في الموصل، حيث يذكر الرئيس عبد الرحمن عارف انه (اتصل بالضابط (س) وهو الأمر الاقدم من المنشئة في تل السيف، ليأخذ سرية تنزل في المطار وتأتي بعارف عبد الرزاق وفعلا جيء به محظورا الى بغداد، وكانت اهدافه تسلم السلطة والتربع على كرسي الحكم" وهكذا فشلت الحركة والقي القبض على المساهمين فيها.

اعترافات عارف عبد الرزاق:

اما عن تفاصيل الحركة وأهدافها فقد أدلى عارف عبد الرزاق بكل تفاصيل الحركة أمام اللجنة التحقيقية قائلا: " تسللت من القاهرة الى العراق عن طريق قطاع غزة والاردن ثم الحدود العراقية عن طريق الرمادي فبغداد، ودخلت الموصل يوم ٤ / ٦ / ١٩٦٦ وقضيت متخفيا في عدة أمكنة اجمع المعلومات والاتصال بالعقيد الركن عرفان عبد القادر الذي كان حلقة الاتصال بالكتلة القومية الموقف السياسي والموقف الداخلي وعلاقة العراق بالأقطار الأخرى.. وكنت أزود عرفان بتدابير الحركة.. ويضيف عارف عبد الرزاق ان وزير الدفاع اتصل بي، اثناء الحركة، وقلت له (لا مانع من إبقاء الرئيس عبد الرحمن عارف في منصبه وتشكيل حكومة ائتلافية شرط اقالة وزارة البزاز، استجابة لرجاء وزير الدفاع وحقنا للدماء، وأكدت انه اذا نفذتم هذا الشرط سأصدر اوامري الى القطعات العسكرية بالعودة الى ثكنتها، بعد اقالة وزارة البزاز واعلان ذلك من الإذاعة". وعند سؤاله عن دوافع الحركة قال عارف انه يسعى إلى تحقيق الوحدة العربية وهو لا ينتمي الى اية جهة او حزب سياسي، واعتمدت خطتي على ثلاثة عناصر هي : ١ - القاعدة الجوية ٢ - الدروع ٣ - الاذاعة والافادة من عامل المباغتة... اما عن المناصب بعد نجاح حركته، فقد اشار الى الغاء منصب رئيس الجمهورية وايداع سلطاته الى مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء، ويعين عددا من الاشخاص نوابا لرئيس الوزراء كي يتفرغ لواجباته.. اما مجلس قيادة الثورة فيشكل من العسكريين الذين أسهموا فعلا في التنفيذ وبرتبة لا تقل عن رائد ولا يمارس عضو هذا المجلس أي منصب آخر في الجيش أما الوزراء فيوافق عليهم مجلس قيادة الثورة، وخصص منصب رئاسة أركان القوة البرية الى العقيد عرفان عبد القادر، ومنصب القيادة العامة للقوات المسلحة للعقيد صبحي عبد الحميد ورئاسة اركان القوة الجوية للرائد الركن نعمة الدليمي، اما المناصب الاخرى في القوات المسلحة فقد ترك امر معالجتها لقيادة القوات المسلحة ورئاسة الأركان.

نتائج انقلابات الجاسوس جمال عبد الناصر في العراق:

اصاب الضعف الجسد العراقي نتيجة الصراعات السياسية وعدم الاستقرار منذ انقلاب ١٩٥٨م واظهرت الاحزاب القومية والشيوعية ابشع انواع الدموية والعنف والقسوة وفقد الجيش العراقي نتيجة انخراط عناصره في الانقلابات المئات من الضباط الاكفاء وجاء انقلاب البعث في ١٧ تموز يوليو ١٩٦٨م ليقود العراق لدكتاتورية من نوع اخر واكثر دموية ابتدأت بتصفيات للمعارضين السياسيين وعناصر لا يوثق بها داخل السلطة والى تولي صدام حسين السلطة عام ١٩٧٩م ليبدأ تلميذ جمال عبد الناصر القديم تدمير العراق وزجها في حروب ايران والكويت وحصار ومشاكل مع دول العالم اجمع الى حين سقوطه على يد الاحتلال الامريكي عام ٢٠٠٣م لتبدأ مرحلة دموية اشد قسوة على العراقيين من سيطرة العصابات وانتشار القتل الطائفي والنزاع القومي وتفكك الدولة وظهور الجماعات المتطرفة كنتاج طبيعي لما حصل قبل ذلك من انقلابات عبد الناصر

التي حولت العراق الى بلد ضعيف تقسمه النزاعات والمستفيد الاكبر من كل هذا هي اسرائيل بكل الاحوال.

٢. تدخل الجاسوس جمال عبد الناصر في لبنان:

كان لبنان بلدا جميلا هادئا يعيش بجميع مكوناته بسلام الى ان بدء تدخل الجاسوس الاسرائيلي الامريكي جمال عبد الناصر فيه ففي يوليو ١٩٥٨، كان لبنان مهدداً بحرب اهلية بين المسيحيين المارونيين والمسلمين بسبب سياسة جمال عبد الناصر. وابتدئ التوتر مع مصر في عام ١٩٥٦ عندما رفض الرئيس اللبناني كميل شمعون، المسيحي الصديق للغرب، قطع العلاقات الدبلوماسية مع الدول الغربية التي هاجمت مصر ايام أزمة السويس والعدوان الثلاثي، والذي أثر على الرئيس المصري جمال عبد الناصر واتخذها حجة للتدخل في لبنان.

زادت التوترات اكثر عندما اعلن كميل شمعون تقربه من حلف بغداد والذي اعتبره عبد الناصر تهديداً على القومية العربية التي كان يروج لها. وعند قيام الاتحاد بين مصر وسوريا في الجمهورية العربية المتحدة. دعم رئيس الوزراء اللبناني السني رشيد كرامي عبد الناصر في ١٩٥٦ و١٩٥٨. طالب اللبنانيين المسلمين من الحكومة الانضمام للوحدة العربية بينما المسيحيين أرادوا التحالف مع الدول الغربية. وحصل تمرد إسلامي مسلح والذي حصل على السلاح من الجمهورية العربية المتحدة بقيادة عبد الناصر عن طريق سوريا مما دفع كميل شمعون لتقديم شكوى لمجلس امن الأمم المتحدة. وأعلن محققو الأمم المتحدة عن عدم وجود أي دليل على تدخل الجمهورية العربية المتحدة. في ١٤ يوليو ١٩٥٨ نجح عبد الناصر في اسقاط النظام الملكي في العراق، فحدث عدم استقرار داخلي في لبنان، طلب عندها شمعون المساعدة من أمريكا خشية ان يكرر عبد الناصر ما فعله بالعراق في لبنان.

وانتهت الازمة بعدما تدخلت قوات المارينز الامريكية في عملية اسماها الامريكيين (الخفاش الازرق) وتم التوافق الامريكي مع جمال عبد الناصر على تعيين قائد الجيش المسيحي المعتدل فؤاد شهاب كرئيس للجمهورية اللبنانية.

وفي الحقيقة ان جمال عبد الناصر قد وضع اسس الانقسام الديني والطائفي في لبنان عام ١٩٥٨ م مما ادى لاحقا الى اندلاع الحرب الاهلية عام ١٩٧٥ م وانزلاق لبنان في انقسامات طائفية الى اليوم.

عبد الحميد السراج وأحداث ١٩٥٨:

و شارك السراج رجل جمال عبد الناصر في تأجيج الصراع اللبناني خلال احداث ١٩٥٨ في لبنان التي قامت في نهاية حكم الرئيس كميل شمعون ودعم ما سمي الجبهة الوطنية بالمال والسلاح، حتى ان زكريا يعتبر ان السراج كان المسؤول الاول عن

اغتيال الصحافي نسيب المتني (صاحب جريدة <التلغراف> في بيروت في ايار/ مايو ١٩٥٨، عندما قام بتكليف اكرم الصفدي (يملك اليوم مدينة للملاهي في القاهرة اسمها <غرناطة>) لاغتيال الصحافي نسيب المتني.

عندما تولى عبد الحميد السراج وزارة الداخلية والمسؤولية الامنية في عهد الوحدة السورية – المصرية، عمد الى انشاء مكتب امني خاص للشؤون اللبنانية، مركزه في منطقة الحواكير في دمشق، وتولى مسؤولية هذا المكتب الضابط السوري برهان ادهم (ابو ابراهيم).

فرج الله الحلو ضحية الوحدة السورية المصرية:

لعل النقطة السوداء الابرز في تاريخ عبد الحميد السراج كانت اعتقاله أحد مؤسسي حزب الشعب اللبناني والقيادي البارز في الحزب الشيوعي في لبنان وسوريا فرج الله الحلو، وتصفيته بعد تعذيبه، ثم تذويب جثته بالأسيد لإخفاء معالم الجريمة. وظلت قضية اعتقال الحلو وموته موضع شكوك، واخذ ورد، الا ان غسان زكريا يتحدث عن هذه القضية – اللغز ويقول: فرج الله الحلو، القائد الشيوعي اللبناني، الذي انتهى في الشام مذوباً بالأسيد داخل مغطس حمام مكتب عبد الوهاب الخطيب، احد جلادي السراج المقربين له في شارع بغداد كان ضحية من ضحايا تعاون المأجورين والمرتزقة اللبنانيين مع اجهزة الاستخبارات السورية... اقتادوه الى مروان السباعي مسؤول الاستخبارات في حمص، ادخلوه الى غرفة صغيرة مظلمة، بقي فيها ساعات. ثم سلطوا على عينيه ضوءاً حاداً، لم يعد يبصر من كان يتناوب عليه بالضرب بسياط مجدولة من اسلاك حديدية. لم يستطع الاحتمال، خرّ على ركبتيه، ويذكر زكريا <ان انطكلي اعتقد أن الحلو فارق الحياة فأسرع يخبر عبد الوهاب الخطيب الذي اجرى اتصالاً هاتفياً بشخص ما... ليعود ويطلب من انطكلي التخلص من الجثة بإذابتها بالأسيد داخل مغطس الحمام، وان انطكلي عندما بدأ بمحاولة لنشر رجل الحلو بمنشار حديدي صحا الحلو من غيبوبته من شدة الألم وصرخ متوسلاً، الا ان الانطكلي انهال بالمنشار على رأس فرج الله الحلو حتى فارق الحياة وعاد لإكمال تقطيع جسده بالمنشار، ثم صب الاسيد على الجسد المقطع.

وفي الحقيقة ان جمال عبد الناصر لم يبق بلد عربي لم يخرب فيه او يتدخل في شئونه الداخلية لكننا ناقشنا ٥ بلدان هي العراق وسوريا واليمن وليبيا ولبنان لا نه اسفر هذا التدخل عن تغيير في انظمة الحكم وادى الى حدوث امور كبيرة فيها ومنها لبنان.

٣. تدخل جمال عبد الناصر في عمان واشعاله الحرب الاهلية فيها:

تعد حرب ظفار التي انطلقت منذ عام ١٩٦٥م في الجزء الجنوبي من سلطنة عمان ، واحدة من أطول الحروب العربية ، حيث امتدت زهاء ما يقارب عشرة أعوام،

وقد واكبت الاضطرابات والأزمات والحروب التي صنعها الجاسوس جمال عبد الناصر والتي شهدتها المنطقة العربية في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين .

كان جمال عبد الناصر ينشر الفوضى والخراب في كل مكان بالمنطقة آنذاك وانتشار المد القومي العربي بزعامة جمال عبد الناصر أدى الى تأثر أبناء الأمة العربية ومن ضمنهم الظفاريين بأفكار القومية العربية المنادية بالوحدة والتحرر من الاستعمار ومقاومته بشتى الوسائل وخدع الظفاريين حالهم حال ملايين العرب بهذه الشعارات ، مما ولد لدى الظفاريين النزعة نحو التمرد ضد السلطة العمانية بحجة الوجود البريطاني في عمان.

وتم تشكيل تنظيمات سرية متعددة كان لها دوافع وانتماءات مختلفة ، فبعضها كان قوميا عربيا هدفه المعلن مقاومة الامبريالية البريطانية اما هدفه الحقيقي تدمير عمان وتمثل في التنظيم المحلي لحركة القوميين العرب المدعومة من الجاسوس جمال عبد الناصر.

والآخر كان شعاره تحسين الأوضاع الاجتماعية في عمان وتمثل في ما سمي الجمعية الخيرية الظفارية .

أما المجموعة الثالثة فقد كان هدفها غير واضح وكانت تدعى " منظمة جنود ظفار" وكانت تتكون من عناصر الجنود العمانيين السابقين وعناصر من الشرطة كانوا يعملون في الامارات الساحلية .

تنسب الرصاصة الأولى في التمرد إلى مسلم بن نفل الذي كان يعمل في مزرعة قصر السلطان سعيد بن تيمور والذي اقصاءه من عمله في القصر السلطاني في عام ١٩٦٣ أثر شعوره المناهض للسلطان سعيد، و عمق ذلك الشعور وجود فريق أجنبي للتنقيب عن النفط في المناطق التي تقطن فيها قبيلته .

مع وجود تقارير باعتداءات بسيطة على قاعدة السلاح الجوي البريطاني في عام ١٩٦٢ إلا إن أول طلقة مسجلة إيذاناً ببدء حرب ظفار كانت في أبريل ١٩٦٣ من خلال هجوم مسلح على حافلات شركة النفط، خطط له و قام بقيادته مسلم بن نفل .

بعدها لجأ مسلم بن نفل مع ٣٠ رجلا من جماعته إلى المملكة العربية السعودية و قام بالأتصال بالأمام غالب بن علي الهنائي ، مدعوماً بالمال السعودي، أنضم بن نفل إلى مجموعة أخرى من المناهضين الظفاريين، و رحلوا إلى العراق التي كانت تحكم من قبل النظام البعثي الحليف لعبد الناصر حيث تلقوا تدريباً عسكري .

وفي صيف ١٩٦٤ عادت المجموعة بقيادة بن نفل إلى ظفار مع وعود من جمال عبد الناصر بزيادة الدعم المالي والعسكري ، و دعت مصر المجموعات الظفارية المناهضة إلى توحيد جهودهم في جبهة واحدة.

ولم يلبث عام ١٩٦٥م أن شهد إعلان قيام الجبهة الشعبية لتحرير ظفار حيث عقد مؤتمر شعبي في ٩ يونيو من نفس العام وانتهت جلساته بإعلان ما سمي قيام الثورة الظفارية .حيث دعا البيان الظفاريين إلى الأنضمام إلى الجبهة تحت شعار من أجل تحرير الوطن من حكم السلطان سعيد بن تيمور وتحرير البلاد من البطالة والفقر والجهل واقامة حكم وطني ديمقراطي .

وهكذا بدأت حرب ظفار بين عمليات الكر و الفر التي أستخدمتها الجبهة ضد أهداف السلطان سعيد بن تيمور بين عامي ١٩٦٥ و ١٩٦٧.

وكان اهم اهداف جمال عبد الناصر هي السيطرة على مضيق هرمز وبحر العرب والخليج العربي لتحقيق اهدافه التوسعية ونشر الخراب والدمار الى كل مكان.

في ٢٨ ابريل ١٩٦٦ وقعت محاولة لاغتيال السلطان سعيد بن تيمور حين كان يستعرض حرسه الخاص والذي كان يوجد به بعض الظفاريين المنتمين للجبهة ، وبعد هذه الحادثة احتجب السلطان سعيد عن الظهور الأمر الذي جعل العمانيين يعتقدون أنه قتل وأن السلطات البريطانية هي التي اصبحت تدير شؤون السلطنة . إلا أنهم تلقوا هزائم متكررة و ضغوط شديدة من قبل قوات السلطان حتى ربيع ١٩٦٧.

إلى جانب ذلك تلقت الجبهة ضربة أخرى بسبب توقف الملك فيصل بن عبدالعزيز عن دعم الجبهة لتخوفه من الأهداف للجبهة الموالية لجمال عبد الناصر على أنظمة الحكم الوراثية المحافظة في الخليج العربي وقد أعطت تلك الأحداث السلطان سعيد تفوقاً تكتيكياً و مساحة أكبر لتنفس الصعداء.

واستمرت الحرب صعودا ونزولا الى حين مقتل جمال عبد الناصر عام ١٩٧٠م وانذاك اخذ الصراع منحى اخر حيث سيطر الجناح الشيوعي على التمرد بدعم الاتحاد السوفييتي والصين عبر اليمن الجنوبي خاصة بعد تصفية عبد الناصر الذي كان يحرك المجموعات القومية العربية واستمر الصراع الى نوفمبر ١٩٧٥ حيث نجح السلطان قابوس بدعم دولي سخره واستفاد منه في انقاذ عمان من مصير باقي البلاد العربية التي دمرها الجاسوس جمال عبد الناصر.

٤. تدخل جمال عبد الناصر في اليمن:

بعد الصفعة التي وجهها الشعب السوري والجيش السوري والانفصال عن مصر عام ١٩٦١م اخذ جمال عبد الناصر يبحث عن دولة اخرى للتخريب فيها والتدخل فيها وكان الدور هذه المرة على اليمن عندما اخذ جمال عبد الناصر يتعاون مع بعض الضباط الخونة وعلى راسهم عبد الله السلال قائد الحركة الانقلابية وتم تنفيذ الانقلاب في ٢٩ سبتمبر ١٩٦٢ م على المملكة المتوكلية والامام محمد البدر وادت هذه الحرب الى اندلاع حرب ضد الانقلابين نتيجة رفض شرائح واسعة من الشعب اليمني والجيش اليمني للانقلاب واشتدت الحرب وعندما بدا عملاء عبد الناصر يهزمون عسكريا اخذ يبدا بأرسال الجيش المصري الى هناك تاركا اسرائيل ليقتل اليمنيين مما ورط الجيش المصري في حرب باليمن الى عام ١٩٦٨ م بعد هزيمة ١٩٦٧ م حيث تم سحب الجيش المصري بعد النكسة وبعد ان ضاعت اموال الشعب المصري على دعم حرب عبثية في اليمن وستتم مناقشة حرب اليمن في موضوع حروب جمال عبد الناصر بتفصيل ادق.

وطبعا كانت حجة جمال عبد الناصر التدخل في اليمن هو مساعدة الشعب اليمني على محاربة الجهل والتخلف والفقر في عهد الامامة لكن في الحقيقة ازداد التخلف والجهل والفقر في العهود الجمهورية اللاحقة الى غاية اليوم ولم تتوقف الدماء في اليمن الى اليوم حيث زرع جمال عبد الناصر بذور العداء القبلي عندما اشترى بعض القبائل بالمال لقتال قبائل اخرى موالية للأمام ليستمر اليمن في حروب الى غاية يومنا هذا.

والسلال نفسه تمت الاطاحة به بتدبير من جمال عبد الناصر حيث أطيح بالسلال في انقلاب قام به ضباط الصاعقة والمظلات في ٥ نوفمبر ١٩٦٧ أثناء زيارته للعراق بترتيب من المخابرات المصرية بعد ان بدأ السلال يتمرد على جمال عبد الناصر وقام بزيارة الاتحاد السوفييتي دون علم عبد الناصر حيث كانت الحرب الأهلية بين الجانب الملكي والجانب الجمهوري لا زالت قائمة ، وتشكل مجلس رئاسي من ثلاثة أمناء هم عبد الرحمن الأرياني ومحمد علي عثمان وأحمد محمد نعمان وتشكلت حكومة برئاسة محسن العيني.

٥. تدخل جمال عبد الناصر في سوريا:

بدا الدكتاتور جمال عبد الناصر منذ منتصف الخمسينات تدخله في سوريا بعد ان ثبت تنفيذ مخطط اسياده وبعد ان ثبت اركان نظامه في مصر حيث بدا استغلال جهل شريحة كبيرة من السوريين واستغلال وطنيتهم عن طريق الدعاية الكاذبة انه يقاوم الاستعمار مما ادى الى وجود نسبة كبيرة من السوريين سارت خلف شعارات جمال عبد الناصر الزائفة حتى قبل الوحدة بين سوريا ومصر وفي الحقيقة كانت الوحدة الفاشلة حصيلة شعبية التيار القومي الذي كان يقوده عبد الناصر في سوريا عامة وفي الجيش السوري خاصة ة الوحدة بين مصر وسوريا والفشل الذريع لها بسبب اكتشاف نسبة كبيرة

من السوريين حقيقة جمال عبد الناصر ومعاناتهم من القمع والارهاب على رجالته امثال عبد الحميد السراج والضباط المصريين وتفكيك الجيش السوري والاقتصاد السوري.

وبعد تفكك الوحدة استمر جمال عبد الناصر بسياسته نحو سوريا بل ازداد حقدا وكان يسعى للانتقام من السوريين بعد الضربة التي تعرض لها مشروعه الفاشي على يد الشعب السوري ورجال الجيش السوري وكان له دور كبير في الانقلابات العسكرية اللاحقة في سوريا وخاصة انقلاب في انقلاب ٨ اذار عام ١٩٦٣ م والذي اوصل حزب البعث الارهابي الى السلطة في سوريا بدعم كبير من جمال عبد الناصر.

وكانت الوحدة بين البلدين تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة وهو الاسم الرسمي الوحدة بين مصر وسوريا والتي كانت بداية لكذبة وحدة الدول العربية التي كانت إحدى دعايات الدكتاتور جمال عبد الناصر. أعلنت الوحدة في ٢٢ فبراير / شباط ١٩٥٨ بتوقيع ميثاق الجمهورية المتحدة من قبل الرئيسين السوري شكري القوتلي والمصري جمال عبد الناصر. اختير عبد الناصر رئيسًا والقاهرة عاصمة للجمهورية الجديدة. وفي عام ١٩٦٠ م تم توحيد برلماني البلدين في مجلس الأمة بالقاهرة وألغيت الوزارات الإقليمية لصالح وزارة موحدة في القاهرة أيضًا. أنهيت الوحدة بانقلاب عسكري في دمشق يوم ٢٨ سبتمبر / أيلول ١٩٦١، وأعلنت سوريا عن قيام الجمهورية العربية السورية، بينما احتفظت مصر باسم الجمهورية العربية المتحدة حتى عام ١٩٧١ عندما سميت باسمها الحالي جمهورية مصر العربية.

اعتبر البعض ان الوحدة المصرية – السورية التي اعلنت في ٢٢ فبراير ١٩٥٨، كانت نتيجة المطالبة الدائمة لمجموعة من الضباط السوريين، في وقت كان فيه قادة حزب البعث العربي الاشتراكي قد قاموا بحملة من أجل الاتحاد مع مصر. إذ يرى الصحافي باتريك سيل "... ان جمال عبد الناصر لم يكن متحمسا لوحدة عضوية مع سوريا، ولم يكن يطمح لا دارة شؤون سوريا الداخلية ولأن يرث مشاكلها. كان بالأحرى ينادي بـ "التضامن العربي" الذي بموجبه يقف العرب وراءه ضد القوى العظمى، وكان يحتاج بصورة خاصة إلى السيطرة على سياسة سوريا الخارجية بهدف حشر أعدائه من الغربيين والعرب. وكانت هذه فكرة مختلفة تماما عن برنامج البعث الوحدوي الداعي إلى تحطيم الحدود. ولكنه لم يستطع ان يأخذ شيئا ويدع شيئا، وهكذا دفعه السوريون دفعا إلى الموافقة على قيام الجمهورية العربية المتحدة وهذا ليس صحيح اذا ما علمنا ان عبد الناصر سخر مخابراته واجهزته الاعلامية لكسب الضباط والعسكريين السوريين لصفه لأجل السيطرة على سوريا .

لا يزال الشارع السوري على علم بالمصائب التي ألحقت به من تلك الأيام ومدرك لنتائج أفعال تلك الحكومة والدكتاتور جمال عبد الناصر وممارساتها السلبية بحقه.

ومن هذه الممارسات جلب العمال من الاقليم الجنوبي الى سوريا وتفكيك الجيش السوري واحالة ضباطه الى التقاعد واهانة الضابط والعسكري السوري ولم يقف هذا الامر عند الجانب العسكري بل ان قيام جمال عبد الناصر بتأميم الشركات الصناعية والمعامل الخاصة والبنوك التجارية جريمة اقتصادية لا تغتفر بحق الشعب السوري ، خصوصاً أنها لم تشمل فقط طبقة الأغنياء (مع أنها فكرياً ومن ناحية الكفاءة تعتبر الأقدر على قيادة مشاريع التنمية والاستثمار لتراكم خبراتها وانخراطها الكافي ضمن دائرة القيادة) بل تعدت بشكل سافر لتشمل الطبقة المتوسطة (والتي عادة ما تكون مقياس سلامة الدولة اقتصادياً) والتي تحولت بسبب التأميم إلى شريحة الفقراء لم تستطع النهوض حتى بعد سقوط حكومة الوحدة بل بقيت في أدنى مستويات الفقر . وما واقع الشارع السوري الآن إلا امتداداً لمنهجية الوحدة التي أوقفت تطور متوسطي الدخل وأعادتهم لمنطقة الصفر ليظهر بضعة حيتان من الرأسماليين الاحتكاريين ليقوموا ببلع البلاد بما فيها . قد لا تكون حكومة الوحدة السبب الرئيسي والوحيد وراء ما آلت إليه أمور سوريا الحالية من رأسمالية احتكارية إلا أن إغفال دورها بمساعدة من يحتكر السوق الاقتصادية اليوم في الوصول لمراتبه الحالية أمر لا يمكن القيام به وادعاء الأمانة التاريخية في البحث بآن واحد.

وإن استطعنا بيوم من الأيام نسيان التأميم الاقتصادي ومشاكله هل لنا أن ننسى السياسات الاستبدادية في المضمار السياسي من قبل الحكومة الوحدوية واعتماد صيغة الحكومة القائدة للدولة بطرق أمنية والاستعانة بجهاز الاستخبارات المسلط على شعب الداخل ، ألم تكن إحدى شروط عبد الناصر للدخول مع سوريا بوحدة مشتركة حل جميع الأحزاب السياسية السورية وإعدام أمل الفكر الديمقراطي السوري الذي كان يحاول آنذاك الوقوف على رجليه ؟ أليست جريمة بحق الحياة السياسية للشارع السوري ؟

مع العلم أن الأحزاب التقدمية في الشرق الأوسط قد ظهرت أولا في سوريا وأن الفراغ السياسي الذي خلقته سنوات الوحدة الثلاث قد كلفت الشعب السوري غالياً ويكفي أن نقرأ التاريخ لنجد كيف عادت سوريا بعد الانقلاب العسكري على حكومة الوحدة إلى استكمال سلسلة الانقلابات (جميعها تم بشكل عسكري ولم يتم أي واحد منها بشكل سياسي أي أنها جميعا حدثت بقوة السلاح نتيجة غياب الثقافة السياسية في الشارع السوري) بالرغم من أن حكومة القوتلي قبل الوحدة كانت قد وصلت إلى مستوى عالٍ من التأييد الشعبي والرضا على التعددية السياسية كدليل على فهم الشعب السوري عامة السياسية والصيغة المناسبة للحكم .. كل هذا العناء أعادته حكومة الوحدة لنقطة الصفر لتقتل فكرة التعدد السياسي وتعيد للضابط العسكري إمكانية الخروج من ثكنته ومحاصرة القصر الرئاسي والتسلط على الحكم بصيغة أحادية لا تمس أسس الفكر السياسي بصلة.

ممارسات نظام الوحدة الفاشية في سوريا:

المخطط الناصري لتدمير الاقتصاد السوري زمن الوحدة :

الليرة السورية تتراجع أمام الدولار ... وعبد الناصر يصر على توحيد العملتين

حاكم مصرف سوريا المركزي: عبد الناصر سبب الداء وأصل البلاء

كيف أريد من الوحدة أن تتحول سوريا إلى سوق للمنتجات المصرية ... وبأن تحل مصر بدل سوريا في الأسواق العالمية

ما قصة خطة التنمية التي استغرق وضعها ساعة واحدة فقط ....

اعتبر الاقتصاد السوري منذ أواخر العام ١٩٣٠ وحتى العام ١٩٥٨ من أهم الاقتصادات الناشئة في الدول التي كانت واقعة تحت الاستعمار، ولقد بلغت الصناعة السورية مبلغاً مكنها من أن تكون في أوائل الصناعات المصدرة من منطقة الشرق الأوسط إلى أوروبا وأمريكا وأفريقيا.

وقد مر على هذا الاقتصاد عدد من النكسات السياسية أدت إلى تدهوره وانخفاض قيمة العملة السورية، التي كانت في أوج تألقها في خمسينيات القرن الماضي، ولعل أول نكسة للاقتصاد السوري كانت من خلال ما يسمى (بالجمهورية العربية المتحدة) حيث تحول الإقليم الشمالي السوري إلى مقبرة للاقتصاد وإلى سجن للتجار والصناعيين أديا إلى هروب رؤوس الأموال السورية وانخفاض قيمة العملة السورية بشكل كبير.

لقد ظن البعض في بداية الوحدة مع مصر أن مايحصل للاقتصاد السوري من انهيار وتدهور هو مجرد فهم خاطئ من الحكام والاقتصاديين المصريين للسياسة الاقتصادية السورية، ولكن الحقيقة مالبثت أن تكشفت بعد أن تبين أن هناك مخطط مدروس من قبل حاكم مصر الرئيس جمال عبد الناصر لتدمير الاقتصاد والصناعة السورية، لكي تسيطر مصر على الاقتصاد وتحل محل سوريا.

لكن موقع سيريانيوز وقعت على عدد من الوثائق والمقابلات مع كبار الاقتصاديين السوريين ومنهم الدكتور عزت الطرابلسي حاكم مصرف سوريا المركزي والأستاذ خليل كلاس وزير الاقتصاد في عهد الوحدة وعدد من البيانات الصادرة عن لجان الغرف التجارية والاقتصادية وعدد من آراء المحللين السياسيين، وسيتم نشر سلسلة عن المخطط المصري في عهد الوحدة لتدمير الاقتصاد السوري بثلاث حلقات نبدأها مع حاكم مصرف سوريا المركزي الأستاذ عزت طرابلسي ....

قال الدكتور عزت الطرابلسي:

عندما تمت الوحدة بين القطرين ... كان من أول نتائج هذه الوحدة هبوط قيمة الليرة السورية في الأسواق الحرة، وقد دعاني وقتئذ أحد كبار المسؤولين السوريين وطلب مني أن أتلافى هذا الهبوط لئلا يظن أن الوحدة ستؤدي إلى ضعف نقدنا الوطني.

وأجبته أن الأمر سهل المعالجة بشرطين:

الأول: أن يسمح للمصرف المركزي بالتدخل في السوق الحرة.

والثاني: أن يصدر تصريح قاطع بأن توحيد النقدين لن يتم في السنين الأولى ....

وبالفعل تدخل المصرف المركزي في السوق الحرة واستطاع بهذا التدخل أن يعيد قيمة الليرة إلى مستواها الأصلي ... كذلك صدرت تصريحات من المسئولين قاطعة بأن توحيد النقدين لن يتم قبل خمس سنوات على الأقل وأن نظام العملات الأجنبية النافذ في سوريا سيبقى ساري المفعول ...

وما إن مضى على قيام الوحدة بضعة أشهر حتى أخذ بعض المسئولين المصريين ينادون بضرورة إجراء التوحيد الاقتصادي والنقدي بين البلدين ...

وكان رأيي في ذلك الوقت أن كل توحيد مستعجل لن يؤدي إلى تمكين الوحدة بل على العكس سيكون عاملاً من عوامل ضعفها ...

غير أن بعض المسؤولين المصريين وعلى رأسهم عبد الناصر كانوا غير مرتاحين لقوة نقدنا الوطني ولنظام حرية العملات الأجنبية الذي كنا نتمتع به، فكانوا يلوحون بين آونة وأخرى بضرورة إجراء هذا التوحيد وإبدال نظام العملات الأجنبية بنظام رقابة على غرار ماهو نافذ عندهم في مصر ...

من أجل ذلك كلفوا البنك الأهلي في مصر بأن يقوم بدراسات حول توحيد النقدين ....

مما حملني على دراسة هذا الموضوع خلال الأشهر الأخيرة من عام ١٩٥٨ وأن أقدم مذكرة للمسئولين بهذا الشأن في شهر آب ١٩٥٨ ... وقد عرضت فيها الشروط اللازمة لاجراء التوحيد النقدي وخلصت في هذه المذكرة إلى أن الموضوع سابق لأوانه في ذلك الوقت ...

وقد حرصت في هذه المذكرة على أن أبين المراحل التي يجب أن تستكمل قبل تنفيذ التوحيد فعلاً كما بينت الأسس التي يجب أن يتم فيها التوحيد وكان رأيي أن توحيد النقدين يجب أن يسبقه نظام حرية العملات الأجنبية.

وفي نهاية عام ١٩٥٨ صدرت بعض التصريحات الرسمية وتناقلتها الصحف حول توحيد العملتين وحلول الدينار العربي محلهما ... ونتج عن هذه التصريحات قلق في

نفوس المواطنين على مستقبل النقد السوري فوعت مذكرة أخرى قدمتها إلى رئيس المجلس التنفيذي السوري وإلى وزير الاقتصاد بينت فيها الأثر السيئ الذي أحدثته التصريحات الرسمية كارتفاع سعر الذهب وسحب جزء من الودائع ...

ورجوت في هذه المذكرة أن تحافظ السلطات النقدية في سوريا على صلاحياتها وأن يستطلع رأيها في كل ما يتعلق بالشؤون النقدية وفقاً لقانون النظام الأساسي ...

لأن الظاهرة التي بدأت تسود وقتئذ هي أن يهمل المسئولون الجانب السوري في دراسة المشاريع المتعلقة بسوريا.

وفي مطلع عام ١٩٥٩ وفدت إلى دمشق اللجنة الثلاثية برئاسة عبد اللطيف البغدادي، وكان الرعب الذي أحدثته التصريحات الرسمية عن توحيد النقدين مايزال يستولي على الأسواق والميادين الاقتصادية وكان في جعبتها موضوعات مختلفة تتعلق بإنشاء البنك المركزي للجمهورية ... ومشروع يتضمن تبديل النظام السوري القائم على أساس حرية العملات الأجنبية بنظام مراقب ... كما هو الحال في مصر ... وقد أعد هذان المشروعان دون أن يطلع عليهما واحد من المسئولين السوريين.

وما إن وصلت اللجنة إلى دمشق حتى استدعيت إلى القصر وطلب إلي في الجلسة التي عقدت أن أدلي برأيي في قانون إنشاء البنك المركزي فتمنعت عن إبداء الرأي ... وطلبت مهلة كافية لدراسة المشروع فأعطيت ٢٤ ساعة.

وفي جلسة ثانية فاجئني البغدادي بحضور نواب الرئيس والوزراء وممثلي البنك الأهلي المصري بموضوع مراقبة العملات الأجنبية ... وسألني رأيي فيه ... وأصر على أن أبد هذا الرأي بنفس الجلسة ...

وفي ساعة ونصف بسطت رأيي في هذا الموضوع ولم تجر أي مناقشة حول الآراء التي أبديتها وخيل إلي في نهاية الجلسة أن أعضاء اللجنة قنعوا بأن النظام السوري أفضل من نظام المراقبة بدليل أن البغدادي طلب إلي معالجة النظام المصري وإبداء رأيي فيه ...

ولكن تبين لي بعد ذلك أن مشروع قانون المراقبة كان جاهزاً ... وأنهم استمعوا إلي مجاملة لا أكثر ولا أقل ...

وصرح البغدادي بعد ذلك بأنه لن يكون هناك توحيد للنقدين ... لأن عبد الناصر تدخل في الموضوع ... وطلب التريث ريثما تؤمن المبررات اللازمة لإعلان هذا المشروع ...

وقد استعاد النقد السوري بعد تصريحات البغدادي بعض قوته ...

وفي خلال تلك السنة شعرت بأن المسئولين المصريين عازمين على توحيد النقدين وعلى إلغاء حرية التعامل بالعملات الأجنبية مهما كلف الأمر ...

ولما كنت أعتقد أن الاقدام على هذا ينزل أفدح الأضرار بسوريا ولن تكون له فائدة للوحدة ... بل على العكس سيكون سبباً في إضعافها ... قدمت استقالتي لأول مرة في منتصف عام ١٩٥٩ وبت أنتظر قبولها ...

وحضر بعد ذلك المشير عبد الحكيم عامر وقابلته لأول مرة في داره ... فأعلمني بأنه طلب إلى الرئيس عدم قبول استقالتي ... كما طلب مني اطلاعه على الأسباب التي حملتني عليها فبينت له آرائي بصراحة وحرية وقلت له: إن السياسة التي تتبعها الحكومة لاتتفق بحال من الأحوال مع آرائي التي أعلنتها وبصورة خاصة في أمر توحيد النقدين ومراقبة العملات الأجنبية وتمويل خطة التنمية ... فوافقني على آرائي وطلب مني أن أعود عن استقالتي ... وبالفعل رجعت عن الاستقالة ...

وأخذ المشير يتصل برجال الأعمال وعمل جهده على إشاعة الثقة بينهم وأفهمهم بأن الرئيس لايرغب في توحيد النقدين ... وكان نتيجة ذلك إشاعة الثقة وإقبال أصحاب رؤوس الأموال على توظيف أموالهم كما كان لذلك أثر ظاهر في دعم قيمة النقد السوري...

ويروي الدكتور عزت الطرابلسي قصة خطة التنمية ويقول:

لهذه التنمية خطة طويلة استغرق وضعها ساعة واحدة ... وقفزت أرقامها بمعجزة من ١٧٥٠ مليون ليرة سورية إلى ٢٤٥٠ مليون ليرة ثم إلى ٢٧٥٠ مليون ليرة عندما ذهبت الموازنة إلى مصر ...

يتعذر تنفيذها بكاملها لسببين:

الأول – قصور مواردنا من العملات الوطنية والأجنبية عن تحقيقها ...

والثاني- إن تدارك العملات الوطنية عن طريق التضخم النقدي سيكون له أسوأ الآثار الاقتصادية والاجتماعية ...

غير أن المسئولين مضوا في تنفيذ جزء من مشاريع هذه الخطة دون قبول رأيي، رغم أني أبديته بصورة بصورة مستمرة أمام جميع المسئولين...

وكان من نتائج تطبيق الخطة تقلص موجوداتنا من العملات الأجنبية وتفاقم عجز الميزان التجاري بشكل خطير جداً ... مما حمل المصرف المركزي على تقنين منح القطع الأجنبي للمستوردين الذين بدأوا يتداركون حاجتهم من الأسواق الحرة ...

وأدى هذا الضغط على السوق الحرة إلى ارتفاع سعر الدولار وهبوط قيمة النقد السوري...

وقد تكون تلك الفترة من أصعب الفترات التي مرت في حياتي المسلكية ... فقد كنت أعرف موطن الداء وأسباب الشفاء ولكن المسئولين رفضوا أن يستمعوا إلي رغم المذكرات الكثيرة والمراجعات والأحاديث الشخصية مع الوزراء ...

ولكني أدركت أخيراً أن هناك خطة مبيتة وأن هبوط النقد السوري مطلوب بذاته في سبيل فرض نظام الرقابة وتوحيد النقدين ...

وعلى إثر ذلك أسرع الدكتور طرابلسي لتقديم استقالته مع الإصرار عليها ... وأرسل إلى الرئيس عبد الناصر مذكرة لخص فيها آراءه في السياسة الاقتصادية التي تتبعه الحكومة ...

ويتعرض الدكتور طرابلسي في مذكرته إلى المشروع المصري الذي يرمي للقضاء على السوق الحرة واستبدال نظام العملات الحر بنظام الرقابة على العملات الأجنبية ...

ويقول هذا سيفضي بصورة رئيسية إلى النتائج التالية:

١- استبدال السوق الحرة بسوق سوداء ستكون فيها الليرة السورية أشد هبوطاً.

٢- التعرض لمحاذير الرقابة كهرب رؤوس الأموال وضرورة مقاومة جميع أنواع التهريب.

٣- عدم زيادة مواردنا من العملات الأجنبية.

٤- تعذر إعادة رؤوس أموالنا الموجودة في الخارج أو توظيف رؤوس الأموال العربية.

ويختم الدكتور طرابلسي مذكرته بالقول:

وأخيراً اعتقد أن ثبات النقد واستقراره وإشاعة الثقة والطمأنينة في مستقبله والاحتفاظ بالنظام الحر وتجيع القطاع الخاص على القيام بدوره في تنفيذ خطط التنمية وتسهيل عودة رؤوس الأموال السورية وجذب الأموال العربية.

وانتهى الدكتور طرابلسي من مذكرته الخطيرة وقبل الرئيس عبد الناصر استقالته ... وفوجئ الشعب العربي السوري بجمال عبد الناصر يخطب من شرفة نادي الضباط باللاذقية ويهاجم عزت الطرابلسي ويقول:

" قالوا إن هذه الخطة ستضر مصالح الإقليم ... هذا الإقليم لايتحمل هذه الخطة... ثم بدأت المضاربات النقدية والمضاربات من أجل خفض سعر قيمة الليرة السورية ... وطلع بعض الاقتصاديين وأنا بسميهم مستغلين لأنهم في هذا مرتبطين بالمصالح مع فئات مستغلة ... ولاتريد لهذا الشعب أن تكون له الفرصة ليتحرر من هذا الاستغلال طلعوا وقالوا لابد أن نلغي هذه الخطة لأن سعر الليرة السورية بينخفض ولابد أن نترك كل شيء حر".

ويمكن مراجعة العدد ٥٧٢ من مجلة الجندي لعام ١٩٦٢

مصر تتمنع عن وفاء ديونها لسوريا ... وتحاول فرض أتاوات على مصرف سوريا المركزي

الصناعة السورية تغزو الأسواق المصرية ... وعبد الناصر يرد بإرسال لجنة لمعاقبتها

كيف تحولت وزارة الصناعة قبل الوحدة إلى وزارة الحرب على الصناعة بعد الوحدة

ننتقل لسماع رأي خبير آخر وهو الدكتور عوض بركات إذ يقول في أخطاء الحكم الناصري وأثره في الاقتصاد السوري:

" كان الحكام يهدفون في سياساتهم الاقتصادية بشكل عام إلى اعتبار سورية مجالاً حيوياً لهم ... وقد أثبتت التجربة القاسية التي عانيناها خلال ثلاث سنوات ونيف أن الاقتصاد السوري قد أريد له أن يكون في خدمة الاقتصاد المصري وقد أدت هذه الخطة إلى إضعاف الاقتصاد السوري والتمهيد لخرابه ويمكن تلخيص الأساليب التي اتبعت لبلوغ الغايات المذكورة في نوعين:

النوع الأول: كان ناجماً عن نية مبيتة وخطة مرسومة.

والنوع الثاني: كان من جهل بالواقع السوري أو تجاهل له ... مبعنه الاستبداد في الرأي وعدم الاستماع إلى نصيحة كبار المختصيين السوريين.

وقد كانت خطة حكام مصر عدم تمكين سورية من إقامة صناعة قوية يمكن أن تزاحم الصناعة المصرية وكان همهم ينصرف إلى قصر نشاط سورية على الفعالية الزراعية في الدرجة الأولى وتأسيس بعض الصناعات الزراعية أو التمويلية الخفيفة.

ومن الأمثلة الفاضحة على جهلهم بالواقع السوري محاولتهم أن يطبقوا في سورية ما اعتادوا على تطبيقه من سياسة تجارية ونقدية واقتصادية في مصر، مع إن واقع الاقتصاد السوري وتاريخه الطويل وموقع سوريا الجغرافي ومفاهيم الشعب السوري لاتتحمل تطبيق النظم والأساليب المطبقة في مصر.

ومن الأمثلة أيضاً على العراقيل التي وضعها الحكام في مصر بوجه التجارة الخارجية السورية هي أنهم عمدوا إلى عقد الاتفاقيات مع كثير من البلدان الأجنبية والعربية دون أن تمثل سورية هذه الاتفاقيات ودون أن تراعي مصالحها والقصد من ذلك إلا أن يزاحم الإنتاج السوري والإنتاج المصري سواء في أسواق السودان أو السعودية أو الأردن ولما فشلت محاولاتهم في القضاء على النشاط التجاري السوري عمدوا في أواخر أيامهم إلى فرض نظام مراقبة النقد.

ويروي الأستاذ خليل كلاس وزير الاقتصاد في عهد الوحدة مهازل أخرى جرت في عهد الوحدة فيقول:

في أوائل عام ١٩٥٩ أوفد الرئيس جمال عبد الناصر لجنة ثلاثية برئاسة عبد اللطيف البغدادي وعضوية أكرم الحوراني وزكريا محيي الدين.

وكانت مهمة اللجنة كما جاء في خطاب الرئيس جمال عبد الناصر نفسه دفع عجلة التقدم وتنفيذ المشاريع الإنمائية والإنشائية في سوريا.

وبعد وصول اللجنة الثلاثية إلى دمشق ١٩٥٩/٠١/٢٦ عقدت اللجنة اجتماعاً بحضور الدكتور القيسوني وزير الاقتصاد المركزي ومعه كبار الموظفين من البنك الأهلي المصري وعلى رأسهم السيد أبو شادي ...

دعتني اللجنة إلى هذا الاجتماع فاصطحبت إليه الدكتور عزت الطرابلسي حاكم مصرف سوريا المركزي وكبار موظفي وزارة الاقتصاد والمصارف اذكر منهم السادة نصوح الدقاق ويسار البيطار وكرم توما وعدنان الفرا ....

ذهبنا إلى الاجتماع ونحن نعتقد أن مهمة اللجنة هي دفع عجلة التقدم والتطور والازدهار الاقتصادي كما أعلن الرئيس ... إلا أننا فوجئنا بالسيد البغدادي رئيس اللجنة يقول إن الغايات من هذه الاجتماعات من بحث المواضيع التالية:

١- تحويل خمسين مليون ليرة سورية إلى بنك مصر.

٢- توحيد مؤسستي الإصدار في الجمهورية أي المصرف المركزي السوري والبنك الأهلي المصري مع العلم أن المصرف المركزي السوري مؤسسة حكومية في حين أن البنك الأهلي المصري كان آنذاك شركة خاصة أجنبية مصرية يسهم فيه البريطانيون والفرنسيون والطليان وسواهم ... شركة لم يتعرب ولم تؤمم بعد.

٣- موضوع أنظمة النقد وتوحيده في الاقليمين ... كذلك أعلن السيد البغدادي أن نواب الرئيس والوزراء سكيتفون باجتماعهم الأول هذا بالاستماع إلى آراء الخبراء ثم قال لنبدأ الآن بالموضوع الأول " تحويل خمسين مليون ليرة سورية إلى بنك مصر " وأبدى استغرابه لاقتران هذا الطلب بالرفض حتى الآن ....

بدأ الدكتور طرابلسي كلامه الذي استغرق حوالي الساعة ومما قال ...

حكاية الخمسين مليون ليرة سورية واضحة وبنك مصر يرمي من ورائها إلى وفاء ديونه في لبنان وذلك أنه حين انفصل بنك مصر في سورية عن فرعه في لبنان أخذ الفرع في سورية على نفسه الديون الهائلة في حين استوفى بنك مصر في لبنان الأموال الجاهزة، يضاف إلى ذلك أن بنك مصر يسعى إلى تأمين رأسماله في الإقليم السوري وتحقيق أرباح فاحشة مستفيداً من الفرق بين سعر التحويل الرسمي للجنيه وسعره في السوق الحرة.

وأضاف الدكتور طرابلسي يقول:

أما بالنسبة إلينا فهذه العملية تعني أن يقوم المصرف المركزي في سورية بإصدار نقد لصالح بنك مصر قيمته خمسون مليون ليرة سورية بدون تغطية ... سوى تسجيل دين على الإقليم الجنوبي بالمبلغ المذكور ونحن واثقون أن الإقليم الجنوبي لن يدفع أو لن يستطيع أن يدفع لنا شيء من هذا المبلغ ... وهو الذي لم يدفع لنا حتى الآن شيئاً من ديوننا المتراكمة عليه من العام ١٩٥٦ وإنني أخشى الآثار السيئة على الاقتصاد السوري من جراء اللجوء إلى مثل هذه الأساليب لاسيما أن المواسم كانت سيئة في العام الماضي وقد تكون أشد سوءاً هذا العام ...

ونحن كنا نتشدد دائماً في إقراض الدولة إلا في حال تمويل المشاريع الإنمائية وضمن حدود،

خشية النتائج الخطيرة التي قد تنتج عن ذلك فكيف يمكننا موافقة على إعطاء بنك مصر خمسين مليون ليرة سورية ... ليحقق بها أهدافاً وغايات غير مشروعة ...

ووقف بقية الموظفين والخبراء السوريين الموقف ذاته معارضين بقوة وحزم إجابة طلب بنك مصر.

وبعد أن يصور الأستاذ كلاس موقف سورية من مطالب مصر ينتهي إلى القول:وأخيراً عادت اللجنة الثلاثية إلى القاهرة ولم تستطع أن تنفذ شيئاً من الأغراض التي لاتتفق وصالح الاقتصاد السوري بفضل معارضة الأستاذ الحوراني والجانب السوري ...

ومثل آخر يضربه الأستاذ كلاس في جملة مذكراته عندما كان وزيراً للاقتصاد في عهد الوحدة فيقول:

عند قيام الوحدة كانت مصر مدينة لسورية بما يتراوح بين خمسة وستة ملايين جنيه إسترليني ثمناً للقمح والمنتجات المصدرة إليها من سورية عامي ١٩٥٦ و١٩٥٧ وكنا قبل الوحدة لانلح بالطلب لعلمنا بالصعوبات التي تعانيها الشقيقة مصر بالنسبة للقطع النادر من جراء العدوان الثلاثي وتجميد أموالها في أميركا وفرنسا وبريطانيا .

وبعد قيام الوحدة والمواسم السيئة التي عرفتها وخاصة بعد إفراج عن الأرصدة المجمدة أخذ المصرف المركزي السوري يلح علي بضرورة تسديد هذا الحسا وأنا بدوري أخذت ألح على القاهرة بذلك ...

وكان إلحاحي يزداد ويشتد كلما ازدادت قيمة هذا الحساب وسألت أوساط المصرف المركزي عن السبب في ازدياد الحساب بالرغم من أن القاهرة كانت قد حولت لنا بعض المبالغ فأجابوا أن من بين الأسباب:

أولاً: ورود تحويلات بمبالغ ضخمة باسم بعض الأشخاص منهم السادة (جهاز السفارة المصرية – الملحق الثقافي أبو درة – عدلي حشاد – حسني عبد المجيد – عبد الحميد السراج – وكالة أنباء الشرق الأوسط – عبد المحسن أبو النور) وتقدر المبالغ التي حولت باسم هؤلاء بدءاً من قيام الوحدة وخلال سنة واحدة تقريباً بعشرين مليون ليرة ...

ويذهب الأستاذ خليل كلاس في مذكراته الخطيرة إلى رواية كثير من الأمثلة المشابهة.

فيروي قصص احتيال المصريين وإثرائهم على حساب أنظمة تحويل اللجنة.

واتفاقية المدفوعات مع العراق التي كان من نتيجتها تحويل ديون العراق على القاهرة وتسجيلها لذمة سورية ...

وقصة العلاقات الاقتصادية مع لبنان ... وقصة إغلاق الحدود مع الأردن .. وقصة قانون النقل البحري ... وقصة الحديد الأجنبي التي كانت تستورده مصر وتبيعه لسوريا على إنه حديد وطني ... وقصص النحاس والسكر والبترول.

ولننتقل إلى الوسط التجاري لنعرف رأي الغرف الاقتصادية في مذكرتها التي أعلنتها عقب الثامن والعشرين من أيلول وقالت فيها:

" أن الهيئات الاقتصادية بينت أكثر من مرة أن الوحدة الاقتصادية بين سورية ومصر عملية شاقة تحتاج إلى دراسات عميقة من قبل لجان تمثل الجانبين يكون من اخصاصها وضع مراحل زمنية وعملية للتوحيد حتى تصل في نهاية المدة إلى وحدة اقتصادية حقيقية تحافظ على حقوق كل من البلدين ولا تكون غنماً لأحدهما وغرماً للآخر...

وتستعرض المذكرة الصعوبات التي لقيها الاقتصاد السوري خلال سنوات الوحدة فتقول:

في عام ١٩٥٨ وضعت خطة للتصنيع الخمسية الأولى من المشاريع التي بدأ بها الأفراد أو التي كانوا قد أنهوا دراستها ... ومضى عام واحد استنفذ فيه القطاع الخاص في سنة واحدة كل ماخصص له بخمس سنوات ... وبدأت الصناعة السورية الناشئة تغزو أسواق مصر فهال هذا الأمر المسئولين في وزارة الصناعة في القاهرة فأرسلوا إلينا اميناً

عاماً لوزارة الصناعة وبعض الموظفين ليراقبوا العملية عن كثب وليقفوا عقبة كأداء أمام موجة التصنيع العارمة ...

وقام هؤلاء بدورهم التخريبي بشدة وحزم متجاهلين وزير الصناعة بل جميع أعضاء المجلس التنفيذي.

ومنذ ذلك الحين توقف نشاط التصنيع وأصبحت وزارة الصناعة وزارة الحرب على الصناعة رغم احتجاج ومحاولات وزيرها ورغم الجهود الطيبة التي بذلها الموظفون السوريون ...

بل أصبح هم المصريين في وزارة الصناعة منع المنتجات السورية من دخول مصر بشتى الوسائل والتدابير المانعة ...

وتعالج المذكرة قصة النقد السوري فتقول:

أما النقد السوري فقد كان قبل عشر سنوات قبل عام ١٩٥٨ نقداً متيناً قوياً يمكن إبداله في أي مكان وزمان بأية عملة من عملات العالم بالسعر المحدد له دون زيادة أو نقصان وقد هال المسئولين المصريين الوضع القوي للنقد السوري في الوقت الذي كان فيه النقد المصري متدهوراً تقل قيمته السوقية عن قيمته الرسمية أكثر من أربعين بالمائة ...

فبدأوا يضعون الخطط لإضعافه وتحطيم قوته ... وقد احتاج ذلك منهم ثلاث سنوات وساعدهم جفاف الأمطار وسوء المواسم الزراعية إلى أن حانت لهم الفرصة فأصدروا قرار تنظيم عمليات النقد الأجنبي الذي يعتبر مقبرة للنقد السوري وسداً منيعاً أمام تنمية اقتصاد البلاد ورفع مستوى معيشة السكان.

كما خسرت البلاد حوالي ٢٠٠ مليون ليرة من الاعتمادات الأجنبية إذ زالت الثقة بنقدنا ومشاريعنا ... وأصبحت عمليات التصدير معقدة وعمليات الاستيراد غالية تزيد الأسعار على المستهلكين واصبح النقد السوري نقداً يرفض قبوله في أية مكان ... بل أصبحت الشكات التي يسحبها المصرف المركزي لاتقبل في الخارج إلا بعد وصول قيمتها كاملة.

وخلال هذه السنوات العصيبة تفنن الحاكمون في وضع كافة العقبات أمام تجارتنا الخارجية لإضعاف صلتنا في العالم ... ذلك لأن الاقتصاد مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأسواق العالمية يصدر إليها ويستورد منها أكثر من ألف ومئتي مليون ليرة سورية ...

وكان من نتيجة العراقيل التي وضعوها أن ضعفت الثقة بالسوريين وقطعت عنهم كافة الاعتمادات والتسهيلات ... ومن جهة أخرى بدأنا نخسر أسواق التصدير واحداً بعد آخر بسبب محاربتهم لمنتجاتنا بالأسواق العربية لمنع المساعدات من منتجاتنا ومنح منتجاتهم المساعدات التي تبلغ ٤٠% إلى جانب احتكارهم للاتفاقيات التجارية واتفاقيات

الازدواج الضريبي والملحقين التجاريين وتقييد تعينهم من المصريين ... مما أدى جميعه إلى خنق الأسواق السورية والتضيق على صغار الباعة والمستهلكين ...

هذه نماذج من آثار التدمير الذي أحدثه حكام مصر في بنيان الاقتصاد السوري أيام تجربة الوحدة الفاشلة جاءت أمثلة صادقة على ألسنة كبار المسئولين والخبراء المطلعين على أسرار العهد البائد.

كما قال الأستاذ خليل الكلاس في خاتمة مذكراته:

لقد أردناها وحدة تستهوي قلوب العرب جميعاً ... وأرادوها تسلطاً وتحكماً حيث أصبح الإقليم السوري مداً حيوياً ومزرعة خصبة ... ولذا كان اصطدام الارادتين وفصل وحدة الاقليمين أمراً محتوماً.

قمع السوريين عبر رجل عبد الناصر عبد الحميد السراج:

حرص جمال عبد الناصر على تسليط اقسى واسوء الاشخاص لقمع الشعب السوري وكل ذنب هذا الشعب انه وثق بعبد الناصر ومن هؤلاء عبد الحميد شارك السرّاج في جميع الانقلابات التي عصفت بسوريا، وأظهر الوفاء والولاء لقادة تلك الانقلابات على اختلاف اتجاهاتهم ومصالحهم وحتى مصائرهم، ولكنه صمد في موقعه كرجل ظلّ، فقد بدأ الحياة العسكرية مرافقاً لحسني الزعيم صاحب أول انقلاب في سوريا والمنطقة، ثم لأديب الشيشكلي، ومن خلال شهادة العميد سامي جمعة وفي مذكراته الصادرة تحت عنوان (أوراق من دفتر الوطن) يمكن للباحث عن تلك الأدوار الخافية، أن يرى كيف أن السراج دخل كلية شرطة (الأفراد) لكن بعد أشهر من دخول كلية الشرطة جرى تهريبه من كلية الشرطة وفجأة دخل الكلية العسكرية، وتخرج مع المجموعة برتبة ملازم وكان ملازماً أول عندما أصبح مرافقا لرئيس هيئة الأركان حسني الزعيم وكان سكرتيره الخاص، ومن أكبر المتحمسين له عندما قام بانقلابه، وأصبح رئيسا للجمهورية، وحضر السراج اللقاء مع حسني الزعيم وموشيه شاريت وزير خارجية إسرائيل ورئيسها فيما بعد، لعقد اتفاق الهدنة، بعدها أصبح السراج ضمن الجهاز الخاص لسامي الحناوي الذي انقلب على حسني الزعيم وأعدمه، ومن ثم عمل السرّاج مع أديب الشيشكلي الذي انقلب بدوره على من سبقه، ويمكننا العثور على اسم عبدالحميد السراج في أول ملف كلّف به، حين فوجئت المنطقة بالمد الكبير لفكر أنطون سعادة صاحب كتاب (الإسلام برسالتيه المحمدية والمسيحية) وكتاب (نشوء الأمم) والذي يدعو إلى عودة الوحدة ما بين أجزاء سوريا المفككة، وكان أخطر ما في كتابات سعادة وحزبه الناشئ، هو وجود المشروع المتكامل، وطنيا ًوسياسياً، وكان لا بدّ من القضاء على (الزعيم سعادة) فكان السرّاج العقل المدبّر من خلف حسني الزعيم في العملية التي أدّت إلى إعدام أنطون سعادة بعد أن لجأ إلى دمشق، واستقبله حسني الزعيم، وبعد شهر، سلّمه إلى السلطات اللبنانية في صفقة سياسية يوم ٧ تموز١٩٤٩ فحاكمته وأعدمته فجر ٨ تموز ١٩٤٩، بعدها تم تأهيل السرّاج مهنياً

ومخابراتياً في دورة لمدة سنة كاملة قضاها في فرنسا من حزيران ١٩٥٢ إلى حزيران ١٩٥٣، حيث عاد إلى سوريا ليعيّن رئيساً للمخابرات العامة السورية، في العام ١٩٥٤ـ ١٩٥٥، وهنا بدأ مشواره الخطر في صناعة الألم الأمني للشعب السوري، ومعه شعوب المنطقة.

استمر السرّاج بعدها في حربه على القوميين السوريين، وأثار الكثير من الأسئلة حول دوره الخفيّ في حادث اغتيال القيادي البعثي العقيد عدنان المالكي نائب رئيس أركان الجيش السوري في ٢٢ نيسان ١٩٥٥ أثناء مباراة رياضية على يد رقيب في الشرطة العسكرية ينتمي إلى إحدى الأقليات الدينية السورية ويدعى يونس عبد الرحيم (الذي كان من أعضاء الحزب القومي السوري الاجتماعي)، وقد كان السرّاج أصبح وقتها واحداً من كبار ضباط المخابرات السورية، فنظّم اتهام الحزب القومي السوري باغتيال المالكي، ثم عمد السراج إلى اعتقال القوميين السوريين في حملات منظمة، وكان من بينهم زوجة أنطون سعادة نفسه، جولييت المير سعادة، والتي اتهمت السرّاج صراحةً بتدبير اغتيال عدنان المالكي وذكرت في الصفحة (١٨٥) من مذكراتها (أثناء المحاكمات، وخلال تردّدنا على المحكمة، كنا نستطيع تفهّم ما يدور في الأجواء عن طريق المحامين، وعرفنا من يقف وراء هذه الحملة كلها ومن يحرّك تلك المحاكمات ومن يرتب التعيينات، من هنا ومن هناك، وفي كل هذه الأمور كانت الأصابع المشاركة في ضرب القوميين كثيرة ومتشابكة مع أصابع عبد الحميد السرّاج الذي عرفنا بعد الانفصال أنه مدبر عملية قتل عدنان).

وقد أمر عبد الحميد السراج باعتقال جولييت المير سعادة، ليبقيها رهينة تضمن له سلامته، وتبدّد تهديدات القوميين السوريين بالانتقام منه، فقام بزجّها في سجن النساء حيث العاهرات والموقوفات بجرائم شائنة، فتخلّص السرّاج وقتها من عدنان المالكي، الذي كان يومها أبرز شخصية سياسية وعسكرية في الجيش السوري، وبدأ مسلسل اغتيالات رهيب، لم يتوقف باغتيال القيادي العسكري البارز غسان جديد والذي كان من أبرز رجالات سوريا وقيادات الحزب القومي السوري، ورئيسا للجنة الهدنة المشتركة بعد حرب العام ١٩٤٨، ثم قائداً للفوج المتمركز على الحدود مع فلسطين قبالة الحولة، ومديراً لمدرسة ضباط الاحتياط ثم رئيساً لأركان اللواء الرابع، وقد تمّ تسريحه من الجيش بعد اغتيال عدنان المالكي فهرب إلى بيروت وتم اغتياله على يد عميل للمخابرات السورية في منطقة رأس بيروت في العام ١٩٥٦.

عاد السراج من فرنسا، ويخطئ من يظن أنه كان مجرّد رجل دموي يمثّل نفسه، فهناك الكثير من الإشارات التي تدلّ على أنه كان رجل المشروع القوي لتفتيت الحياة الديمقراطية السورية التي أسّس لها دستور الرئيس المستقيل أديب الشيشكلي، والذي على الرغم من أنه كان عسكرياً، إلا أنه حرص على إجراء التحوّل الديمقراطي في البلاد، عبر مؤسسات شرعية، كان على رأسها الجمعية التأسيسية المنتخبة التي وضعت دستور

الخمسينات، برئاسة رشدي الكيخيا، ذلك الدستور الذي ما زال السوريون يعدّونه الوثيقة الوطنية الأكثر تقدّماً ومدنية، ويطالبون اليوم بإعادة العمل به، وقد ثبّتت هذا وثائق مؤتمرات المعارضة السورية والمشاريع المقترحة لليوم التالي بعد سقوط نظام بشار الأسد.

حرص السرّاج على سجن عقله في مناخ المؤامرات واكتشافها، ومحاصرة السياسيين السوريين وعامة الشعب، على إثر التحقيقات العنيفة التي كان يجريها، وينتزع بها اعترافات وهمية تثبت صحّة نظرياته التآمرية، ومن أجل ذلك فقد زوّد جهاز المخابرات الذي عمل فيه، ثم ترأسه فيما بعد، بنخبة من المثقفين السوريين، كان من بينهم الشاعر السوري علي أحمد سعيد المعروف بأدونيس، وغيره من المترجمين والفنانين التشكيليين ومنهم الفنان المعروف ناجي عبيد الذي شهد على عمل علي أحمد سعيد معه في تلك المرحلة في الشعبة الثانية قبل أن ينتقل إلى بيروت، بينما قام السرّاج بسجن الشاعر محمد الماغوط في سجن المزة أيام الوحدة وبملاحقة رياض الترك بعد خروجه من السجن مما اضطره للعيش منفياً في بيروت، وبذلك تحوّل المكتب الثاني (الشعبة الثانية) إلى كتيبة صفوة تنفذ ما يأمر به السرّاج، وتقدّم له المشاريع والأفكار والمقترحات والمعلومات. عاشت المنطقة العربية تحوّلات خطرة في تلك المرحلة، وكان أبرزها ظهور ما عرف وقتها بـ (حلف بغداد) الذي هدف إلى وقف المد الشيوعي، وقادته بريطانيا مع تركيا والعراق والباكستان، وكان أحد أهدافه ضم سوريا إلى تلك الحاضنة، ومنع انجرافها باتجاه الاتحاد السوفييتي، في هذا المناخ أمّم عبد الناصر قناة السويس، وبدأت حربٌ سمّيت بالعدوان الثلاثي على مصر، شاركت فيها كلٌ من فرنسا وبريطانيا وإسرائيل، وكان عبد الحميد السرّاج أحد نجوم تلك الحرب، ولكن على طريقته، فعبد الحميد السرّاج هو رجل المخابرات العسكرية السوري الذي تولى تدمير خطوط أنابيب البترول الممتدة من العراق عبر سوريا الى سواحل البحر المتوسط لتصب في الناقلات البريطانية لتغذية احتياجات بريطانيا من البترول، وقد أدى فشل تلك الحرب إلى صعود نجم جمال عبد الناصر في المنطقة، وأفول نجم أنتونى إيدن رئيس الحكومة البريطانية والذي قدم استقالته، وغادر إلى العزلة في أميركا اللاتينية.

كل الروايات التي شرحت كيفية اتخاذ القرار بإقامة الوحدة ما بين سوريا ومصر، استندت إلى شهود من الضباط السوريين الحالمين الذين قالوا إنهم ذهبوا على متن طائرة لمناشدة جمال عبد الناصر بالإسراع في الوحدة ما بين البلدين، دون أن يعلموا رئيس الجمهورية السورية وقتها شكري القوتلي أو حتى البرلمان، أو أية جهة تنفيذية وحكومية سورية، ولم تذكر الروايات أي شيء عمّن قام بإرسال هؤلاء الضباط بالطائرة إلى القاهرة، لإجبار سوريا على الدخول في مشروع الوحدة رغماً عن الرئاسة السورية والمؤسسات الأخرى، أو على الأقل في تجاوز صريح ووقح لدور تلك المؤسسات.

ومن يدرس وضع سوريا الأمني في تلك الفترة، عشية الوحدة مع مصر، لن يتردّد بتوجيه السبابة نحو السرّاج، الذي كان يحكم قبضته على البلاد، حتى أنه كان لديه المتسّع من الوقت، لاختلاق المؤامرات، دون الاكتفاء بمحاربتها، وأشهر تلك المؤامرات هي فبركة المؤامرة السعودية على سوريا وعبد الناصر، والتي يرويها سامي جمعة في كتابه أيضاً، فقد أرسل السرّاج عبر شخصيات مقربة عائلياً من الملك السعودي سعود بن عبدالعزيز، مناشدات عدّة لتخليص سوريا من براثن الشيوعية القادمة، ومن خطر عبد الناصر!، وأكّد له أن الوحدة مع مصر قادمة لا محالة إذا لم يقم العرب وعلى رأسهم السعودية بقطع الطريق عليها، وأن تلك الوحدة ستكون مشروعاً لانقضاض عبد الناصر على الخليج، وطلب المساعدات المالية لدعم الضباط الذين ينوون القيام بانقلاب يضع الحد أمام طموحات عبد الناصر بابتلاع سوريا.

وقد استجاب الملك سعود لتلك الطلبات، بعد أن رفعت إليه من خلال شخصيات دمشقية معروفة، وأرسلت مبالغ ضخمة على حسابات في لبنان وصل حجمها إلى ١٢ مليون جنيه إسترليني، ولكن السرّاج كان يخطّط لأمر آخر، بعد أن أرسل قائمة بأسماء الضباط على رأسها اسم الضابط الاشتراكي السوري مصطفى حمدون المقرّب من أكرم الحوراني، ووضع أمام إسمه مبلغ خمسين ألف جنيه إسترليني، وأخذ يماطل في تنفيذ الانقلاب، ثم ما لبث العالم أن فوجئ في يوم ٥ آذار- مارس ١٩٥٨، بجمال عبد الناصر وهو يخطب من منطقة المنشية في دمشق، معلناً اكتشاف وإحباط المؤامرة السعودية المزعومة على سوريا ومصر، معلناً أن السرّاج قام باستلام مبلغ مليوني جنيه إسترليني فقط، وتم كتمان بقية المبلغ، وفيما بعد خصّصه جمال عبد الناصر لبناء برج الجزيرة الشهير في القاهرة، والذي أراده أن يكون بارتفاع الهرم!

وفي العام ١٩٦٥ انتقل الملك سعود للحياة في القاهرة، وروى سامي شرف سكرتير عبد الناصر أنه خلال إحدى زيارات الملك للرئيس في بيته في منشية البكري دار حديث بينهما عن الأوضاع في سوريا، حيث عرّج الرئيس عبد الناصر على ذكر موضوع المؤامرة السعودية. وقال للملك سعود بلهجة مازحة: (أبمليوني جنيه كنت تريد إسقاط طائرتي وقلب نظام الحكم يا جلالة الملك؟) فابتسم الملك وقال: (والله لم نكن البادئين فقد جاؤونا - يقصد السراج وجماعته - مستجيرين مستغيثين طالبين المساعدة لتخليص البلاد من الخطر الشيوعي، أما موضوع الأموال فقد قبضوا ١٢ مليون جنيه إسترليني لا مليونين).

عبد الناصر يسلط السراج على السوريين:

كلّف عبد الناصر، عبد الحميد السرّاج بوزارة الداخلية إضافة إلى مهامه الأمنية فأنشأ مكتباً أمنياً خاصاً بالشؤون اللبنانية، مركزه في منطقة الحواكير في دمشق، وذكر الموثقون لتلك المرحلة أن المكتب الخاص كلف خزينة الدولة مئات الملايين، أنفقت بلا

حسيب ولا رقيب، واشترى بها السرّاج (عملاء وأحياناً أصدقاء) له في لبنان منهم النواب والوزراء وشيوخ العشائر.

وكان من أصدقاء السرّاج في لبنان وقتها، سميح عسيران نائب صيدا وسليمان فرنجية، رينيه معوض، صائب سلام، رشيد كرامي، عبدالله اليافي، صبري حمادة، عدنان الحكيم، شبلي العريان، خيري عوني الكعكي.

وقد طبّق السرّاج على الشعب السوري، أشنع وسائل السيطرة، واستجلب كل ما يمكنه من أساليب التعذيب والملاحقات الأمنية والاعتقال التعسفي، فأصدر تعليماته بعدم السماح لأي مواطن بمغادرة الأراضي السورية إلا بعد الحصول على (تأشيرة خروج) أو إذن سفر، فحوّل البلاد إلى سجن كبير، وأخضع الاقتصاد إلى التحديد والتضييق، ومنع الكثير من المواد الكمالية، فتفشت ظاهرة التهريب من بيروت التي كانت تحافظ على نظامها الاقتصادي الحر، وبدأت تتشكل عصابات تهريب منظمة حماها بعض ضباط الاستخبارات، وكان قد بدأ حينها حربه على الخصم الجديد في اللعبة الدولية، والذي يطلب عبد الناصر مساعدته ويشتري منه السلاح، ولكنه يضرب مصالحه تحت الحزام في مناطق أخرى من العالم، الاتحاد السوفييتي، فكان السرّاج يضغط على الشيوعيين السوريين ليمكّن عبد الناصر من الضغط على السوفييت.

ولم تتوقف أذرع السرّاج عند سوريا وحدها، فقد امتدّ عمله ليشمل لبنان عبر المكتب الخاص، فبعد أن زجّ بالشيوعيين السوريين في السجون، ألقى القبض على أحد مؤسسي حزب الشعب اللبناني والقيادي البارز في الحزب الشيوعي في لبنان وسوريا فرج الله الحلو، وأعطى الأوامر بتصفيته بعد تعذيبه، ثم تذويب جثته بالأسيد لإخفاء معالم الجريمة.

ويورد أكرم الحوراني في مذكراته (مذكرات أكرم الحوراني) أن دور عبد الحميد السرّاج بدأ بالظهور أكثر مع الوحدة في العام ١٩٥٨. ومما يورده في مذكراته الدقيقة والتفصيلية أن افتتاحية جريدة (النصر) السورية المقربة من عبد الناصر قالت في عددها ليوم ٦-٣-١٩٥٨ إن عبد الحميد السرّاج هو (المواطن العربي الثاني)، وذلك لأن المواطن العربي الأول كان شكري القوتلي الذي تخلى عن رئاسة الجمهورية لعبد الناصر.
ويقول أكرم الحوراني: (إن السراج وبأمر من عبد الناصر لم يكتف بسجن الشيوعيين بل استعمل وسائل التعذيب ضدهم، والتي أدت إلى موت فرج الله الحلو رئيس الحزب الشيوعي اللبناني وتذويبه بالأحماض) (ص ٢٧٣٧ الجزء الرابع من مذكرات الحوراني (كما يذكر الحوراني أنه (فاتح جمال عبد الناصر بموضوع مقتل فرج الله الحلو وحملات التعذيب الواسعة ومقتل صحافي يساري من حلب وهو أرمني إسمه بيير شدرفيان أيضا تحت التعذيب بعد أن قضى حرقا بالسجائر) (ص ٢٧٣٨ الجزء الرابع من مذكرات الحوراني).

واستمر السرّاج في ضرب استقرار لبنان، فقد ذكر قريبه غسان زكريا رئيس تحرير مجلة سوراقيا اللندنية في كتابه (السلطان الأحمر) أن السرّاج ساهم في تأجيج الصراع خلال أحداث ١٩٥٨ في لبنان التي وقعت في نهاية حكم الرئيس كميل شمعون، ودعم الجبهة الوطنية بالمال والسلاح، حتى أن زكريا يعتبر أن السرّاج كان المسؤول الأول عن اغتيال الصحافي نسيب المتني في بيروت في أيار ١٩٥٨، عندما قام بتكليف عملائه باغتيال المتني لأسباب عدة منها أن صاحب (التلغراف) معارض لكميل شمعون و(محسوب على الشام) على حد قوله، وبذلك تبتعد الشبهات عن السراج. وقد نجح السرّاج في التحوّل إلى الذراع المخابراتية الضاربة لمصالح عدّة في المنطقة، بعضها يمكن فهمه ويقود مباشرة إلى جمال عبد الناصر، وبعضها الآخر يصعب تفسيره، فقد ثبت وقوفه خلف تدبير تفجير رئاسة الوزراء الأردنية في ٢٩ آب ١٩٦٠ واغتيال عدد من الشخصيات السياسية الأردنية المؤثرة، وبذلك يصبح السرّاج صخرة قوية في المنطقة، وفرد نفوذه على المخابرات وأجهزة الاقتصاد والتنظيم السياسي الوحيد وهو الاتحاد الاشتراكي، ليصبح أقوى رجل في سوريا بأكملها، فضاق به كثيرون، ولم يكن أولهم ولا آخرهم المشير عبد الحكيم عامر، الذي تنافرت مصالحه ونفوذه مع مصالح السرّاج وعقليته، ففصل بينهما جمال عبد الناصر ورفع مكانة السرّاج إلى منصب (نائب رئيس الجمهورية).

السراج نائب للرئيس:

أخرج عبد الناصر السرّاج من سوريا، أوّل مرة، كي يضمن انسجام التكوين المخابراتي العسكري الذي بناه، في البلدين، ولكن بعد أن تفاقمت الأمور، وانقضّ الضباط المصريون على شعب الإقليم الشمالي (سوريا)، واستنزفت ثروات البلد، وطبّق عبد الناصر مستعملا مخلبه الفولاذي السرّاج، أنظمة التأميم والاستملاك والإصلاح الزراعي، فتم تدمير الصناعات السورية العريقة، وتفتيت المصالح الزراعية العملاقة التي كانت نموذجاً للمنطقة، وبعض دول العالم الحديث، فنزحت رؤوس الأموال، أو ما بقي منها، وهاجرت الخبرات، وانزوى السياسيون في المنافي الاختيارية، وكان على رأسهم، المواطن العربي الأول شكري القوتلي الذي فضّل مغادرة سوريا إلى الأبد حيث مات في منفاه. وانهارت الوحدة، في ٢٨ أيلول سبتمبر ١٩٦١على إثر انقلاب قام به مجموعة من الضباط على رأسهم العقيد عبدالكريم النحلاوي، احتجاجاً على اعتقال سوريا كلّها باسم الوحدة، وعلى تبديد الثروات، وعلى نقل احتياطي الذهب المركزي السوري إلى مصر، كما شهد بذلك النحلاوي ذاته في شهادته على العصر (البرنامج التلفزيوني الذي عرض على قناة الجزيرة) التي قلبت عليه الدنيا قبل سنوات، وكشف من خلالها الجريمة الكبرى التي تم تنفيذها باسم الوحدة، والتي لم تقدّم سوى المزيد من إهانة السوريين والسوريات.

وتم زجّ عبد الحميد السرّاج ورفاقه في سجن المزة، بعد القبض عليه في إحدى ضواحي دمشق، ولكن جمال عبد الناصر دبّر عملية سرية لتهريبه استغرقت ساعات،

تعرّض خلالها السرّاج في طريقه إلى بيروت، لأكثر من تسع محاولات اغتيال، تمكن من النجاة منها، واختبأ في المختارة في بيت كمال جنبلاط، ثم غادر إلى القاهرة، حيث طلب جمال عبد الناصر أن يتم إحضار عبد الحميد السراج إلى منشية البكري لتناول الإفطار معه، وفي اليوم التالي نشر خبر صغير في الصفحة الأولى بجريدة (الأهرام) عنوانه (عبد الناصر يستقبل عبد الحميد السراج بمنشية البكري).

انتهى السرّاج عملياً منذ ١٩٦١، وتوارى إلى الظلال، ولكن مدرسته المخابراتية، ما تزال تعمل في أكثر من بلد، وبالأخص بلده سوريا، التي عرفت بعد السرّاج أهوالاً كان قد أسّس لها بنفسه، وأوجد لها الشرعية في العهود اللاحقة من أمين الحافظ وحافظ الأسد إلى علي دوبا وعلي حيدر وعلي مملوك وجميل حسن وعاطف نجيب وحافظ مخلوف وحتى بشار الأسد. ولئن كان نظام انقلاب البعث المستمر حتى الآن، قد قام بدور وظيفي وإجرامي خطير، في المنطقة، ضد دول مستقرة، وجماعات آمنة، فإن السرّاج كان أول المؤسسين لهذا الدور، وأوّل المشرّعين لبيع البلاد للغرباء..

انقلاب الضباط السوريين على الوحدة عام ١٩٦١:

وكانت نهاية الوحدة على يد الضباط الشرفاء في الجيش السوري الذين عانوا من سوء الاوضاع فقام العقيد عبد الكريم النحلاوي بالانقلاب بالتعاون مع موفق عصاصة وحيدر الكزبري. توجه النحلاوي بفرقة دبابات إلى مقر المشير عامر لإبلاغه بطلبات الضباط الانقلابين التي لم تتضمن الانفصال بل تلخصت بإبعاد سيطرة بعض الضباط المصريين عن فرق الجيش السوري. حسب النحلاوي في شهادته لبرنامج شاهد على العصر، وافق المشير في بداية الأمر على المطالب وتمت صياغة بيان يمهد لعودة الضباط إلى ثكناتهم وتسليم السلطة مجدداً لعبد الناصر، ولكن المشير عامر ماطل في إصدار البيان بغية كسب الوقت نظراً لإرسال قوات عسكرية مصرية لحسم الموقف، وهو ما أفشل محاولات الصلح وخاصة بعد الهجوم المستمر من إذاعة صوت العرب على الانقلابين وذكر العقيد عبد الكريم النحلاوي ان سبب اختيار توقيت الانفصال كان محاولة عبد الناصر نقل ذهب البنك المركزي السوري للقاهرة مما ادعى النحلاوي ورفاقه الى تقديم موعد الانقلاب لمنع عبد الناصر من سرقة خيرات سوريا.

وتم بعدها ترحيل عبد الحكيم عامر وانفصال سوريا عن مصر ورغم ذلك لم تتوقف محاولات عبد الناصر التخريب في سوريا بل استمر في دعم الفتن في سوريا والدفع لانقلابات عسكرية ولأول مرة اثارة النعرات الطائفية بين السوريين وخاصة تحريض اتباع الديانة العلوية على الحكام الرافضين لسياسة عبد الناصر واوصلت هذه السياسة سوريا الى ما وصلت اليه اليوم من انهيار الدولة ووصول المجرم حافظ الاسد الى حكمها مما اوصل سوريا الى ما فيه من خراب ودمار اليوم.

وبرأي الدكتور والباحث عبدالله طه في حديث مع <الافكار> ان انهيار هذه الوحدة بعد ثلاث سنوات من اعلانها يشكل دليلاً على استحالة تحقيق الوحدة العربية من خلال العواطف والارتجالية، وعلى استحالة تجاهل خصوصيات الاوطان، وخصوصية كل شعب عربي، وانهيار الوحدة المصرية السورية ساهمت به ايضاً الممارسات الشاذة والمسيئة التي قام بها عدد من الضباط المصريين بحق الشعب السوري (في المنطقة الشمالية)، من بينها ممارسة مسؤول الامن الضابط السوري عبد الحميد السراج بسبب مواقفه، وتصرفاته، وترسيخه الحكم البوليسي الاستخباراتي في سوريا، فضلاً عن التدخلات المصرية في الشاردة والواردة، وتهميش دور الزعماء والقادة السوريين، حتى اولئك الذين كانوا في المناصب الحكومية، ومنهم اكرم الحوراني.

وكما ذكر الصحافي البريطاني <باتريك سيل> انه <كانت لدى الحوراني اسباب شخصية وراء مرارته، نظراً الى أن وضعه السياسي قد تضرر تحت حكم عبد الناصر، فقبل الوحدة كان هو صانع الحكام في سوريا، كان قوياً في اوساط الجيش، محبوباً من الفلاحين... ثم جاء عبد الناصر وانتزع منه كل ذلك واعطاه في المقابل منصباً شكلياً فارغاً في حكومة الجمهورية العربية المتحدة، الى ان رمى بهذا المنصب باشمئزاز...

تحويل مياه نهر الاردن:

وأشار المحامي غالب ياغي في حديث مع <الافكار> الى ان اكرم الحوراني ابلغه في بيروت ان الخلاف بينه وبين عبد الناصر كان سببه الرئيسي موضوع تحويل الاسرائيليين لنهر الاردن، وهذا ما دفعه الى تقديم استقالته من منصب نيابة الرئاسة، ومن وزارة العدل في الحكومة المركزية، وأصدر الحوراني بياناً يوم ١٣ حزيران/ يونيو ١٩٦٣ بعد انفصال سوريا عن مصر، تحدث فيه عما جرى في جلسة الوزارة المركزية في القاهرة بتاريخ ٢٩ تشرني الثاني/نوفمبر ١٩٥٩ (وقد ذكر الحوراني ذلك في مذكراته الصادرة عن مكتبة مدبولي في القاهرة عام ٢٠٠٠).

ورأى الصحافي غسان زكريا (عديل عبد الحميد السراج) المقيم في لندن <ان السراج حوّل سوريا في زمانه الى سجن كبير، اختفت فيه كل مظاهر الديموقراطية وشكلياتها، وضرب فيه وعذب وزراء ونواباً واطباء ومحامين وصحافيين ورجال اعمال ومهندسين ونساء ورجال دين، وهو ما لم يجرؤ الاستعمار الفرنسي على مدى ربع قرن على فعله وهو يحتل الشام ولبنان بمئة الف جندي...

يشير غسان زكريا الى ان السراج (الذي لقبه الاديب اللبناني الساخر سعيد تقي الدين بالسلطان الاحمر)، مولود في مدينة حماه السورية، بدأ حياته حارساً على مدخل بحسيتا (سوق مدينة حلب العمومية)، وكان يقضي وقته في كوخ الحراسة بالدرس والتحضير لامتحانات البكالوريا حتى يستطيع الانتساب الى الكلية العسكرية التي دخلها في العام ١٩٤٧. وبعد تخرجه، حاول السراج الانتساب الى <جيش الانقاذ> الذي تشكل بقيادة

المجاهد فوزي القاوقجي اثر نكبة فلسطين، الا ان قادة هذا الجيش من الحمويين ومنهم اديب الشيشكلي، واكرم الحوراني رفضوا طلبه بحجة عدم امتلاكه الخبرة العسكرية الكافية، وشكّل هذا الامر صدمة تركت اثراً بليغاً في حياة السراج.

وكان السراج في بداياته مرافقاً لحسني الزعيم، ثم لأديب الشيشكلي، وعندما اغتيل العقيد البعثي عدنان المالكي يوم ٢٢ نيسان /ابريل ١٩٥٥ كان السراج واحداً من كبار المسؤولين الامنيين، وقد اتهم الحزب القومي برئاسة جورج عبد المسيح باغتيال المالكي، وقد لعب السراج دوراً في اقتياد القوميين السوريين الى المعتقلات، وكان من بينهم جولييت المير سعادة زوجة الزعيم انطون سعادة.

ولمن يرغب بمعرفة امور اكثر عن هذه الحقبة ننصحه بمتابعة حلقات برنامج شاهد على العصر مع العقيد عبد الكريم النحلاوي والبرنامج من تقديم الاعلامي المتميز احمد منصور وكذلك الحلقات من نفس البرنامج مع الرئيس السوري الراحل امين الحافظ.

ومن خلال قراءة بيانات الانقلاب الذي قام به النحلاوي وزملاؤه الغاضبون، والتدقيق في توقيت ومحتوى كل منها، يتأكد المراقب الموضوعي من صدق رواية الرجل، وأنه وصحبه قاموا بحركة ذات مطالب إصلاحية محدودة-حصرها في استبعاد عدد من الضباط المصريين الكبار المسيئين للسوريين ولذلك اعترض النحلاوي على زميل له قال للمشير إن التأميم لمصانع ومنشآت من دوافع تحركهم-.وأمام عامر أكد الضباط الانقلابيون أنهم ليسوا انفصاليين بل ليس لهم مطالب سياسية فهم عسكريون محترفون لم يعملوا في السياسة ابداً. لكن تعنت عبد الناصر هو الذي أحال الحركة من إطارها العسكري المحدود إلى انفصال تام.

وليس أدل على أمانة هؤلاء الضباط وصدقهم مع أنفسهم، من أنهم بعد الانفصال سرعان ما استدعوا الساسة الكبار وأعدوا البلاد لانتخابات حرة ونزيهة، أما هم فقد عادوا إلى ثكناتهم وبعضهم تقاعد ليعيش حياته كأي مواطن!!

غير أن هؤلاء الذي تحركوا لإصلاح الفساد ثم لم يستأثروا بالسلطة ولا بأي مكسب ذاتي، جاء بعدهم انقلاب البعثيين ١٩٦٣/٣/٨م، ليقيم نظاماً دموياً وطائفياً لم تعرف سوريا له مثيلاً من قبل!! والمضحك المبكي أن البعثيين الذين استبدوا بكل شيء ونهبوا الثروات العامة والخاصة يتهمون النحلاوي وجماعته بالتآمر وتنفيذ مخططات أمريكا والكيان الصهيوني!!!

انقلاب البعث في ٨ اذار مارس ١٩٦٣ م الاسود في سوريا:

في ٨ آذار ١٩٦٣ قامت "ثورة آذار " المجيدة العظيمة المظفرة الى آخر ما هناك من القاب فخمة أطلقت عليها. هذه الثورة العظيمة هي في الواقع مجرد انقلاب عسكري اعتاده السوريون، دبره مجموعة من الضباط في الجيش بدعم المخابرات المصرية وعبد الناصر هم خليط من بعثيين وناصريين وقوميين عرب ومستقلين، بالتنسيق مع بعض الضباط المسرحين من الجيش ومنهم حافظ ألاسد الذي كان قد سرح بعد استقلال سوريا عن مصر عام ١٩٦١، ونقل الى مديرية النقل البحري في وزارة المواصلات. لقد حرض الانقلاب العسكري الذي قام به البعثيون في العراق صباح ٨ شباط ١٩٦٣ حرض شهية الانقلاب المتأصلة في الضباط السوريين، فتحالف ضباط بعثيون وناصريون وقوميون عرب ومستقلون ودبروا انقلاب ٨ آذار، حيث انطلقت بعض الوحدات العسكرية فجراً من معسكرات القنيطرة والسويداء باتجاه دمشق، وسيطرت على الإذاعة والتلفزيون وأركان الجيش وبعض مقرات الحكومة. وأذاع الانقلابيون بيانهم الأول رقم واحد صباح ٨ آذار، وأعلنوا في بيانهم الثاني حالة الطوارئ التي بقيت مستمرة دون انقطاع حتى اضطر بشار الأسد لإلغائها شكلياً عام ٢٠١٢ تحت ضغط انتفاضة السوريين، أي بعد قرابة نصف قرن، وهي أطول حالة طوارئ في التاريخ الحديث، مع استمراراها عملياً حتى اليوم بطريقة أكثر بطشاً.

حدث الانقلاب بسهولة بسبب هشاشة المجتمع المدني السوري الذي انهكه عهد الوحدة مع مصر، وبسبب اعتياد السوريين على الانقلابات العسكرية وتساهلهم معها: انقلاب حسني الزعيم ١٩٤٩ وانقلاب سامي الحناوي ١٩٤٩ وانقلاب اديب الشيشكلي الأول ١٩٤٩ ثم انقلابه الثاني ١٩٥١ ثم انقلاب شباط ١٩٥٤ الذي انهى عهد الشيشكلي ثم انقلاب عسكري فرض الوحدة مع مصر في ٢٢ شباط ١٩٥٨ ثم انقلاب عسكري فرض الانفصال عن مصر في ٢٨ ايلول ١٩٦١ ثم انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣.

على أثر انقلاب ٨ آذار تم تشكيل المجلس الوطني الأول وتألف من: لؤي الأتاسي رئيسا، وعضوية أربعة بعثيين هم: محمد عمران و صلاح جديد و موسى الزعبي، وأربعة ناصريين هم: راشد القطيني و فواز محارب و كمال هلال و درويش الزوني وثلاثة مستقلين هم: زياد الحريري و غسان جديد و فهد الشاعر.

لكن سرعان ما اصطرع الانقلابيون فيما بينهم على النفوذ والسلطة. وتغلب البعثيون على خصومهم بُعَيْدَ ٨ آذار ١٩٦٣ بقليل، وتمت تصفية واسعة للضباط الناصريين والمستقلين، حيث استفاد البعثيين منهم بدعم عبد الناصر للانقلاب ماديا واعلاميا ثم قاموا بتصفيتهم، وخاصة بعد محاولة جاسم علوان الانقلابية الفاشلة في ١٨ تموز ١٩٦٣. اذن وجه البعثيون بعيد ٨ آذار ١٩٦٣ الضربة الثانية للتعددية في سوريا بعد الضربة الأولى التي وجهها عبد الناصر، اذ قاموا بتصفية شركائهم في الانقلاب، فأصبحت دائرة الحكم أضيق.

حين استولى حزب البعث على السلطة لم يكن له أية قاعدة شعبية. فرغم أنه كان قوة سياسية قبل الوحدة مع مصر فإن فترة الوحدة قد وجهت ضربة لحزب البعث الذي قام بحل نفسه استجابة لشروط عبد الناصر، وبعد الانفصال أعاد بقايا البعثيين تنظيم أنفسهم، ولكن ليس في حزب واحد هذه المرة، بل في عدة أحزاب وتنظيمات ضعيفة لا يملك أي منها قوة أو رصيداً شعبياً يذكر. فقد نشأ تنظيم القيادة القومية الذي ضم قادة الحزب التاريخيين وكان عدد أعضاء هذا التنظيم قبيل انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣ نحو ٢٦٨ عضو مدني فقط عدا العسكريين، حسب ما ذكر لي وفيق عرنوس، وكان أبرز شخصيات ذاك التنظيم ميشيل عفلق – صلاح الدين البيطار – منيف الرزاز – شبلي العيسمي – محمود جيوش – مروان حبش – وفيق عرنوس – زيد حيدر – حمود الشوفي – محمود نوفل – أحمد رستم – عاطف سميد.... وآخرين، وأن تنظيمهم المدني هذا لم يكن له أية علاقة بالانقلاب ولا أي دور فيه. إلى جانب هذا التنظيم قام تنظيم القيادة القطرية المدني وكانت أعدادهم أقل من ذلك وكان من أبرز شخصياتهم المدنية محمود الأيوبي – رياض المالكي – أديب ملحم. كما أنشأت مجموعة أخرى تنظيم ناصري ممول من مصر بقيادة جمال الأتاسي. أما أكرم الحوراني فقد أعاد تشكيل حزبه المستقل "الحزب الاشتراكي العربي". بعد ٨ آذار ١٩٦٣ تم عقد المؤتمر السادس لحزب البعث وعقد في مبنى البرلمان وانضم التنظيم القومي المذكور للتنظيم القطري الآخر لحزب البعث وتم توحيدهم في تنظيم واحد. وفي المجمل لم يكن عدد البعثيين في آذار ١٩٦٣ يزيد عن بضع مئات في أفضل الحالات فلا ثورة شعبية ولا قواعد شعبية ولا ثورة ولا يحزنون.

بعد ان انتهى البعثيون من خصومهم بدأ الصراع فيما بينهم، بين كتلتين، الأولى تمثل القيادة التاريخية للحزب مثل ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار ومنيف الرزاز وشبلي العيسمي وغيرهم التي استُحضِرَت إلى الحكم بُعَيْدَ انقلاب آذار ١٩٦٣، ومعهم بعض الضباط وعلى رأسهم أمين الحافظ والضابط النافذ آنذاك محمد عمران، وبين كتلة من الضباط الصغار المنتمين في معظمهم للأقليات، وحسم هذا الصراع بانقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦، حيث أزاحت مجموعة من ضباط الرتب الصغيرة القيادة التاريخية لحزب البعث، فانتهت السلطة إلى يد مجموعة ضباط "يساريين" أبرزهم صلاح جديد وحافظ أسد وسليم حاطوم وعبد الكريم الجندي، ومعظمهم من الأقليات وقد تحالفوا مع مجموعة من القيادات المدنية السنية، مثل نور الدين الأتاسي في منصب رئيس الجمهورية ويوسف زعين في منصب رئيس الوزراء وعدد آخر.

استمر الصراع فيما بين الحكام الجدد، بين صلاح جديد وحافظ أسد ومن معهم من جهة وسليم حاطوم وبعض من معه من جهة أخرى، وانتصر جناح جديد الأسد بعد محاولة سليم حاطوم القيام بانقلاب فاشل في ايلول ١٩٦٦ وهرب الى الأردن وتم تسريح الضباط الموالين له من الجيش ومعظمهم من الدروز.

انفجر الصراع بين صلاح جديد وحافظ أسد، وعام ١٩٦٩ انتحر عبد الكريم الجندي في ظروف غامضة، وقيل انه قتل، وهو سني من أصول اسماعيلية، وحسم الصراع بين جديد والأسد في تشرين الثاني ١٩٧٠ حينما عقدت دورة استثنائية للمؤتمر القومي العاشر لحزب البعث بين ٣٠ تشرين الأول و ١٢ تشرين الثاني ١٩٧٠ وتقرر تغيير قيادة الجيش وإقالة حافظ أسد وزير الدفاع، ومصطفى طلاس رئيس الأركان من منصبيهما فقام حافظ أسد صباح ١٣ تشرين الثاني بتحريك القطعات العسكرية التابعة له واعتقل صلاح جديد الأمين العام لحزب البعث، ونور الدين الأتاسي رئيس الجمهورية، ويوسف زعين رئيس الوزراء، وأعضاء القيادة مصطفى رستم ومروان حبش ومحمد عيد عشاوي ومحمد رباح الطويل وفوزي رضا. وفي ١٦ تشرين الثاني أعلن عن حركته التصحيحية منهياً الصراع بينه وبين صلاح جديد لصالحه وبقي أعضاء القيادة معتقلين لمدد تقارب الربع قرن وبعضهم توفي في السجن مثل صلاح جديد، وهم رفاق الأسد التاريخيين.

كان صلاح جديد يسيطر على تنظيم الحزب المدني بالكامل بينما كان حافظ ألاسد يسيطر على تنظيم الحزب في الجيش وفرض الأسد منذ أواخر عام ١٩٦٨ استقلالية تنظيم الجيش عن التنظيم المدني كي يتحكم به. لذلك وجد حافظ أسد نفسه بعد انقلاب ١٦ تشرين ثاني ١٩٧٠ معزولاً وبدون تنظيم مدني فشكل قيادة قطرية مؤقتة وضع فيها يوسف الأسعد مسؤولاً عن مكتب التنظيم الذي عمل على لملمة من أراد التعاون مع الأسد وأعاد تنظيم فروع الحزب وشعبه من العناصر الأكثر انتهازية بين البعثيين وفتح باب الانتساب للحزب لكل راغب في منافع السلطة حيث تم ربط الكثير من المنافع والمزايا بالانتساب لحزب البعث، وأصبحت بوابة البعث شرط لنيل المواطن السوري على الكثير من حقوقه الطبيعية فاستكمل تحويل الحزب الى منظمة للمنافع للموالين وأحد أدوات السيطرة على الدولة والمجتمع. وانقسم المجتمع السوري الى ثلاث طبقات: طبقة أهل الحكم ومن يلوذ بهم مباشرة، طبقة البعثيين، بقية فئات الشعب.

بعد نجاح انقلاب حافظ أسد في تشرين ثاني ١٩٧٠ قدم الأسد نفسه كزاهد في السلطة، وقام بتعيين شخص مغمور يدعى أحمد الخطيب رئيساً للجمهورية. ثم قام بتنظيم مسيرات جماهيرية يومية تطالبه و"ترجوه" أن يترشح لرئاسة الجمهورية، وكانت إذاعة دمشق تذيع باستمرار أغنية "تسلم إيديك يا معلم ... قود السفينة يا معلم" مما "اضطره" للنزول عند الرغبة الشعبية وقبول تكليف الشعب له بهذه المهمة الشاقة "التي لا يرغب بها". وفي ١١ آذار ١٩٧١ نظم استفتاءاً شعبياً حول شخصه كمرشح وحيد لرئاسة الجمهورية وفاز به بنسبة ٩٩.٧%. ثم أمسك هذا "الزاهد بالسلطة"، أمسك بتلابيبها حتى مماته.

وأيضاً ونزولا عند رغبة الشعب ومن اجل استمرار نفس العهد الميمون دون تغيير، وقبل مماته رتب توريث هذه المهمة الشاقة لولده، الذي "لم يكن راغباً" بها هو

الآخر، ولكنه "قبلها نزولاً عند رغبة الشعب"، وكلف بإخراج هذه المسرحية مصطفى طلاس. وبتاريخ ١٧ تموز ٢٠٠٠ نظم استفتاءاً على بشار حافظ الأسد كمرشح وحيد وفاز بنسبة ٩٧.٧% لتغرق سوريا حتى يومنا بالدكتاتورية والموت والخراب الذي سببه من وصل بسبب عبد الناصر وانقلابات التي دمرت سوريا والعالم العربي.

٦. تدخل جمال عبد الناصر في ليبيا وانقلاب سبتمبر ١٩٦٩م:

لم يستطع عبد الناصر ان يتحمل مشاهدة بلد عربي مستقر ولذلك قرر وبعد ان فقد معظم شعبيته بالعالم العربي بعد هزيمة حزيران ٦٧ وتسليمه الارض لإسرائيل اخذ يبحث عن بلد جديد للتخريب فيه لذلك وقع اختياره على الجارة ليبيا التي كانت تعيش في استقرار وامان تحت حكم الملك محمد ادريس السنوسي وبدا عبد الناصر خطته ببدء التواصل مع بعض الضباط الخونة وعلى راسهم معمر القذافي المجنون الذي حكم ليبيا ٤٢ سنة سوداء دمر خلالها الشعب الليبي واضاع ثروته على مغامراته الفاشلة واحلامه المريضة الى ان انتفض الشعب الليبي في ١٧ فبراير ٢٠١١ وقرر انهاء حكمه وادخل القذافي البلد في حرب اهلية بسبب رفضه ترك السلطة الى ان انتصر الثوار وتمكنوا من القبض عليه واعدامه لتدخل ليبيا في دوامة اخرى من الفوضى.

وبالحديث عن دور عبد الناصر في انقلاب ليبيا يقول فتحي الذيب في كتابه عبدالناصر وثورة ليبيا ، "في صباح اليوم التالي (الثاني من سبتمبر ١٩٦٩) وردت برقية من بنغازي التي تضمنت ما طمأن الرئيس عبدالناصر على سلامة اتجاهات مفجري الثورة والتزامهم بالخط الثوري القومي، خاصة ما طلبوه على لسان قائد ثورتهم في حاجتهم العاجلة لمن يختاره الرئيس عبدالناصر لمعاونتهم بخبراته في مواجهة الموقف بعد نجاح الثورة لتأمينها وضمان استقرارها واستمرارها. كما طلبوا توجيهات الرئيس جمال فيما يتعلق بموقفهم من أمريكا وبريطانيا وفرنسا، وكيفية مواجهتهم لأي تدخل من جانب الدول الثلاث من خلال قواعدهم العسكرية الموجودة في ليبيا، واستجاب الرئيس عبدالناصر وأرسل لهم رده الذي اقترح فيه الاتصال بممثلي كل من أمريكا وبريطانيا وفرنسا وإقناعهم بأن الثورة قامت لمواجهة فساد داخلي وتخلف اجتماعي فرضته السلطة الحاكمة السابقة، مع طمأنة ممثلي الدول الثلاث على مصالح دولهم ومؤسساتهم الاقتصادية ورعاياهم، ومطالبتهم بسرعة اعتراف حكوماتهم بالوضع الجديد لبدء مرحلة في التعاون البناء واتخذ الرئيس جمال قراره بتأييد ثورة ليبيا والوقوف إلى جانبها ودعمها بكل إمكانات مصر سياسيا وعسكريا كمرحلة أولى.

وهكذا فإن عبدالناصر قد استلم مقاليد ليبيا منذ اليوم الثاني للانقلاب المشؤوم ولنتابع مسرح الأحداث ساعة بساعة، ويوما بيوم منذ ذاك اليوم وإلى ٢٨ سبتمبر عام ١٩٧٠ يوم وفاة عبدالناصر.

يقول فتحي الديب في كتابه "في اليوم الثالث من سبتمبر عام ١٩٦٩ اتصل بي سامي شرف سكرتير الرئيس عبدالناصر تلفونيا ليخطرني برغبة الرئيس جمال في لقائه فورا لأمر هام، وتوجهت على الفور لمقابلة الرئيس الذي فاجأني بقوله: أنا أخترتك للقيام بهذه المهمة ومافيش أمامك غير حل واحد من اثنين، إما النجاح وتأمين الثورة أو أذبحك بيدي شخصيا، وأنا كلفت محمد فوزي ليحرك القوات اللازمة من الطيران والمدرعات والمشاة والميكانيكية إلى الحدود الليبية، ويستطرد عبدالناصر في حديثه إلى مندوبه في ليبيا إلى أن يقول: ركز اهتمامك على تأمين الوضع الداخلي في البداية. ووصل فتحي الديب إلى مقر القيادة في بنغازي ليباشر مهامه في إدارة شؤون حكم ليبيا نيابة عن عبدالناصر فيقول في الصفحة ٢٠ من نفس الكتاب" بادرت بالاتصال بعد ظهر اليوم الرابع للثورة بالمقدم آدم الحواز مبديا رغبتي في سرعة الاتصال بالأخ معمر القذافي لأطلب منه البدء في تخفيف فترة حظر التجول (كانت في بداية الانقلاب ٢٤ ساعة) ليشعر أبناء الشعب أن الثورة مستقرة ومسيطرة على زمام الأمور.

وكانت الاستجابة فورية حيث امتدت فترة رفع حظر التجول إلى خمس ساعات. كما تمم تكليف أمين بسيوني للتوجه إلى محطة الإذاعة ليعاون الملازم عبدالفتاح يونس ـ المعين من قبل مجلس الثورة لتولي شؤون الإعلام.

ثم ينتقل دور مندوب عبدالناصر الى درجة النزول للشارع الليبي لمعرفة مدى درجة تفاعله مع الانقلاب. يقول فتحي الديب في كتابه: قمت بتوزيع بعض أعضاء الوفد المرافق وبعض العاملين بفرع السفارة لتأدية صلاة الجمعة بمختلف مساجد بنغازي لمراقبة الموقف. ويستطرد الديب فيقول "أكد لي آدم الحواز أن الموقف في جميع أنحاء ليبيا هادئ، وأشار الى اطمئنانهم للموقف الشعبي إلا أن الشكوك تحوم حول القواعد البريطانية واستفسرت منه عمّا اذا كان يوجد ضابط اتصال ليبي بالقاعدة البريطانية موثوق به من طرفهم لضمان رقابة أي تحركات من وإلى القاعدة، مع إبلاغي فوراً في حالة حدوث أي تحركات مشبوهة لسرعة التصرف. حتى كتابة البيانات كانت من ضمن أعمال مندوب عبدالناصر، ولنقرأ ما يقوله الديب في كتابه المذكور في الصفحة ٢٥ ما يلي: طلب مني المقدم آدم الحواز بعد إخطاري بما تم بالنسبة للوفد العراقي أن أعد له بياناً للاعتراف بدولة موريتانيا وقمت على الفور بأعداد البيان.

ولتأمين قاعدة شعبية للانقلاب يقول فتحي الديب قمت بالاتصال بالأخ معمر فوراً وأبلغته نص رسالة جمال وتوصيته بضرورة التركيز على عنصري الطلبة والعمال واحتضانهم ليضمنوا سلامة الجبهة الداخلية.

وفي إطار متابعة الموقف الداخلي ساعة بساعة ويوما بيوم ، جرى إبلاغ مندوب عبدالناصر عن أول محاولة انقلاب مضاد وقعت في اليوم السابع من سبتمبر قام بها قائد معسكر البركة الرائد صالح الذي قام بتحريك كتيبه المشاة التي كانت موجودة في المعسكر والتي كان قد حضر بها النقيب بشير هوادي من منطقة فزان في أول سبتمبر فقد حركها

الرائد صالح ليخلي منطقة معسكر البركة من أي قوات وللإطلاق الضباط المعتقلين بالمعسكر ليقوموا بالقبض على أعضاء مجلس الثورة في بنغازي وإعادة سيطرتهم على قوات الجيش، وأن أحد أعضاء التنظيم الوحدوي اكتشف التآمر وتسلل من المعسكر دون علم الرائد صالح وأسرع بإبلاغ النقيب بشير المسؤول عن أمن بنغازي وبمجرد علم بشير، قام الملازم عوض حمزة بالتحرك إلى معسكر البركة وتمكنوا من القبض على الرائد صالح والعناصر الموالية واعتقالهم وسيطروا على الموقف وقد أصيب الضابط الذي أبلغ عن المحاولة فيما بعد بلوثة عقلية جعلته يهدد بالاستيلاء على الإذاعة فقام أحد الحراس بقتله فورا، بناء على تعليمات بشير هوادي.

ويواصل مندوب عبدالناصر عمله دون كلل أو ملل فيعد تقريره الثاني عن الأوضاع في ليبيا، ويحلل شخصيات أعضاء مجلس الانقلاب واحدا بعد آخر، فيقول عن مصطفى الخروبي:

مندفع لنقص خبراته في التعامل السياسي مما يجعله يتسرع في الحكم على الأمور، محب للظهور والتفاخر، يدين بالولاء الكامل والإعجاب لمعمر القذافي، وحدوي ناصري متطرف.

ويقول عن آدم الحواز: هادئ الأعصاب، شخصية محببة تدعوا لاكتسابه لثقة محدثه، يعمل بجهد واضح لاكتساب خبرة الآخرين يؤمن بالعمل الإيجابي القائم على الحساب الدقيق، أخلاقياته في التعامل مع أعضاء مجلس الثورة أكسبته ثقتهم واحترامهم، ومن ثم ضمه إليهم قبل قيام الثورة مباشرة (كان القائد المباشر لمعمر القذافي قبل قيام الانقلاب) .

ويقول عن معمر القذافي: إنه يميل إلى الاستماع أكثر من الحديث الأمر الذي يظهره بمظهر الإنسان الغامض، ويصعب الحكم على أفكاره لأول وهلة.

ولنقرأ معاً ما ورد في الصفحة ٤١ ما كتبه الديب عن هذه الفترة الحاسمة في تاريخ ليبيا، وبذلك بدأت تتضح شيئا فشيئا نية القذافي في التسلط والانفراد بالسلطة فيقول "فبينما كان المقدم آدم مجتمعا بي في مبنى السفارة فوجئنا بإذاعة طرابلس تذيع قرار مجلس قيادة الثورة بترقية الملازم القذافي لرتبة عقيد وتعيينه قائدا للقوات المسلحة، وتلاه قرار مجلس الثورة بتشكيل الوزارات رغم اتفاقنا على ضرورة إذاعة الإعلان الدستوري أولا باعتباره يحدد شرعية كل القرارات التي يصدرها مجلس قيادة الثورة، ووضح لي أن التشكيل انفردت به مجموعة طرابلس، ومعمر شخصيا.

جمال عبد الناصر، كان يرى في توطيد حكم القذافي افضل من ينفذ ما يريده اسياد لليبيا ، فساند القذافي بشدة، وطالب السفير المصري في ليبيا بالاستجابة لكل ما يطلبه القذافي، وقال له: " حذار من قيام ثورة ضد القذافي"، وبالفعل حمى الجيش المصري

الرئيس الليبي الراحل من عدة انقلابات، بل ووضعوا حينها خطة لتأمينه حيث بنوا له قصرًا علي مساحة كبيرة يخرج منه نفق يتسع لهروبه بسيارة لمسافة٥ كيلومترات حتي مكان توجد به طائرة تكون جاهزة للهروب، وكل ذلك بتوجيهات من الزعيم جمال عبد الناصر.

الدعم العسكري:

وفر ناصر للقذافي ومجلس الثورة كل ما طلبوه من دعم عسكري، وذلك خلال زيارته لليبيا عقب عودته من مؤتمر القمة بالرباط، وشكل ناصر الجيش الليبي، وفقا لرواية اللواء صلاح السعدني، والذي قال في تصريحات صحفية لجريدة الأهرام: " الرئيس جمال عبد الناصر أمرنا بتشكيل جيش ليبي وحينها لم يكن القذافي يعرف معنى العقيدة السياسية للجيش لأن القذافي. وبعد توطيد أقدام القذافي صار صديقا لناصر، حيث أن عبد الناصر جعل من المجنون القذافي مثالا للثائر الذي يحتذي به، وظل القذافي يفرض سطوته على ليبيا ويسن القوانين التي مكنته من حكم ليبيا ٤٢ عاما.

٧. تدخل جمال عبد الناصر في السودان:

كما ذكرنا سابقا ان الجاسوس الاسرائيلي الامريكي جمال عبد الناصر كانت من اول اعماله فصل السودان عن مصر لكن بالطبع لم يكن سيسمح للسودان او اي بلد عربي بالاستقرار لذلك عمد الى بدء التدخل في شؤون السودان الداخلية.

انقلاب نوفمبر ١٩٥٨م في السودان :

وبترتيب من الجاسوس جمال عبد الناصر جرى انقلاب نوفمبر ١٩٥٨م بقيادة ابراهيم عبود قاد أول انقلاب عسكري بالسودان في نوفمبر ١٩٥٨ م وكان انقلابه في الحقيقة استلاماً للسلطة من رئيس وزرائها آنذاك عبد الله خليل عندما تفاقمت الخلافات بين الأحزاب السودانية داخل نفسها وفيما بينه دخل الجيش بقيادة عبود طرفا بالحل وبترتيب من المخابرات المصرية، وقد كانت خطوة تسليم رئيس الوزراء السلطة للجيش تعبيرا عن خلافات داخل حزبه، وخلافات مع أحزاب أخرى.

حينما استلم السلطة بدء بتخريب الحياة السياسية حيث أوقف العمل بالدستور، وألغى البرلمان، وقضى على نشاط الأحزاب السياسية، ومنح المجالس المحلية المزيد من السلطة وحرية العمل، وبارك انقلابه القادة الدينيون في ذلك الوقت لأكبر جماعتين دينيتين: السيد عبد الرحمن المهدي زعيم الأنصار، والسيد علي الميرغني زعيم طائفة الختمية. ولكن انخرط في معارضته معظم الأحزاب السودانية وقاد المعارضة السيد الصديق المهدي رئيس حزب الأمة.

اتجه حكمه باتجاه التضييق على العمل الحزبي والسياسي وقد حل الأحزاب وصادر دورها. كما اتخذ سياسة فاقمت من مشكلة جنوب السودان وبدأ باستفزاز الجنوبيين بإنشاء مدارس ومعاهد إسلامية في الجنوب وإصدار قانون ١٩٦٠ الذي جعل من يوم الجمعة عطلة أسبوعية في الجنوب بعد أن كانت العطلة الرسمية هناك الأحد. لتندلع الحرب الاهلية حيث عمل على أسلمة وتعريب الجنوب مما ادى بالنهاية بعد عقود الى تقسيم السودان الى قسمين شمالي وجنوبي . أطاحت به ثورة أكتوبر الشعبية ١٩٦٤ م، وقد استجاب لضغط الجماهير بتسليم السلطة للحكومة الانتقالية التي كونتها جبهة الهيئات.

ثورة اكتوبر الشعبية ١٩٦٤م التي ارعبت جمال عبد الناصر:

الكثيرون لا يعرفون عن هذه الثورة السودانية الكبرى في ٢١ اكتوبر ١٩٦٤م التي أسقطت حكومة الجنرال إبراهيم عبود، والتي تلاحم فيها الشعب السوداني بمختلف أطيافه وأعراقه وألوانه وأديانه في حدث غريب وفريد على منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا في الستينات، والتي كانت تعتبر الانقلابات العسكرية ثورات شعبية، خرج الشعب السوداني ليسقط الحكم العسكري المباشر ويرجع الجيش لثكناته في وعي يتجاوز كثيراً وعي كثير من الشعوب العربية في ذلك الوقت، والتي كانت تصدق "الثورات العسكرية الكاذبة"، وتصدق كل من قال لها وحدة وحرية واشتراكية.

تبدأ قصة هذه الثورة العظيمة مع قيام قوات الأمن باقتحام حرم جامعة الخرطوم لتفريق ندوة بعنوان "المعالجة الدستورية لمشكلة جنوب السودان" بعد أن هاجم المشاركون في الندوة النظام العسكري واتهموه بخلق الفتنة بسياساته الحمقاء في جنوب السودان، وفي اليوم التالي اجتمع الطلاب وقرروا القيام بمظاهرة داخل حرم الجامعة رفضا لتعدي قوات الأمن على الجامعة مع تقديم مذكرة لمدير الجامعة ولوزير الداخلية يطالبون فيها بحماية الجامعة من الاعتداءات الأمنية، ولكن النظام العسكري "الغبي" قام باعتقال لجنة الطلاب التي تقدمت بالمذكرة، وكانوا عشرة طلاب، فاشتعلت المظاهرات في داخليات الطلاب، وأثناء محاولة النظام فض تظاهرات الطلاب قتل الطالب أحمد القرشي برصاصة طائشة وكان مقتل القرشي شرارة الثورة.

تضامن طلاب معهد المعلمين والمعهد التقني وطلاب المدارس الثانوية مع طلاب جامعة الخرطوم ونزلوا إلى الشارع رفض لقتل الطلاب، والمطالبة بحماية المؤسسات التعليمية، ولكن النظام أصر على عناده وأعاد محاولة فض تظاهرات الطلاب فانفجرت النقابات المهنية نقابة تلو الأخرى معلنة التضامن مع طلاب جامعة الخرطوم ومضربة عن العمل وداعية أعضاءها للنزول للشارع ، وفي يوم ٢٤ أكتوبر كانت المسألة محسومة، لقد انضم المواطنون غير المسيسون (الغبش) للمظاهرات وأصبحت الحكومة تتخبط وتكابر، فمرة تدعو للتهدئة وأخرى توجه قواتها الأمنية لاستخدام القوة في فض المظاهرات.

وفي يوم ٢٨ اكتوبر ١٩٦٤م خرج بيان من مجموعة من ضباط القوات المسلحة يسمون أنفسهم "الضباط الأحرار" يعلنون فيه انضمامهم للشعب من أجل استعادة الديمقراطية والدستور، وعندها فقط أيقن الجنرال إبراهيم عبود رئيس المجلس العسكري أن مركبه يغرق وأن عليه القفز، فقام بالدعوة إلى حوار وطني دون شروط وتشكيل حكومة جديدة يكون هو جزء منها، وتم تشكيل حكومة جديدة في ٣٠ أكتوبر برئاسة مساعد وزير التربية والتعليم سر الختم الخليفة، وتم إعطاء الأحزاب السياسية نصيب في الحكومة عسى ولعل أن يتم تهدئة الحراك الشعبي، ولكن تصرفات الجنرال عبود تمت مواجهتها برفض شديد من المؤسسة العسكرية السودانية والتي اعتبرتها إهانة لها أن تقبل بأن يشاركها المدنيون السلطة.

وزاد الطين بلة أن قوات الجيش قامت باعتقال الضباط الذين كتبوا بيان الضباط الأحرار، فنزلت الجماهير للتضامن معهم وتحت الضغط، رضخ الجنرال عبود لرغبة الناس وأفرج عن الضباط، فاجتمع الجيش بشكل سري لينقلب على الجنرال عبود وعلى حكومة سر الختم الخليفة وليجعلوها عسكرية صريحة تحت رئاسة القائم مقام بشير حسن بشير، وتدخلت إرادة الله فأفشلت المخطط، فمن دون أن يقصد قال الأمير لاي عثمان نصر عثمان في حفل استقبال للضباط العائدين من مناطق العمليات في جنوب السودان "إن الجيش قادم ليسترد دوره ويدافع عن نفسه قريبا ولن يستطيع إذلاله بضعة أفندية وصعاليك"، وقام أولئك الضباط بتسريب كلام الأمير لاي لأهلهم وذويهم وهم قاموا بنقل الخبر حتى أوصلوه لزعماء الأحزاب السياسية، وعندها اجتمع السياسيون بشكل سري واتفق الجميع على أن يقوموا بدعوة الناس لحماية الثورة من تآمر العسكر، وفوض الأحزاب المحامي الشاب فاروق أبو عيسى ليتحدث بالنيابة عنهم، وفي نشرة العاشرة مساء في إذاعة أم درمان فوجئ المستمعون بالسيد فاروق أبو عيسى وهو يدعو الجماهير للنزول والاحتشاد لإنقاذ ثورتهم من تآمر قيادات الجيش الذين رفضوا تنازلات عبود للمدنيين.

وعندها نزلت الجماهير بأعداد كبيرة واقتحمت مقر السفارة الأمريكية بعد أن كانوا متيقنين أن الانقلاب الذي يخطط له هو بالتنسيق معها، ونزل أعداد من الجماهير إلى مقر السفارة المصرية في الخرطوم وأحرقوها بعد أن قاموا بسرق المستندات التي بحوزتها، وكانت جميع المستندات الموجودة في السفارة تؤكد أن جمال عبد الناصر وحكومته كانوا على اتصال بالضباط الذين يريدون الانقلاب على الثورة وقاموا بتشجيعهم على هذا الانقلاب، ورغم محاولة الحكومة المصرية المتكررة إنكار أي صلة لها بمحاولة الانقلاب العسكري، وإرسالها لمجموعة من ألمع الصحفيين المصريين للخرطوم لتهدئة النخب السودانية الغاضبة، أحدهم كان محمود السعدني والذي كان الجمهور الذي يحضر ندوته في النادي العربي يريد أن يفتك به بعد أن كان أساء للمظاهرات الشعبية واعتبرها في مقال له في روز اليوسف عمليات شغب وتخريب، وسار معه على نفس الخط موسى صبري.

وأما محمد حسنين هيكل بوق عبد الناصر الاعلامي رئيس تحرير الأهرام فإنه استنكر عدم إطلاق الجيش السوداني الرصاص بشكل كاف لقتل المتظاهرين، وكتب الآتي "لقد حدث صدام بين الجماهير السودانية وبين المجلس الأعلى للقوات المسلحة، الذى كان يحكم في السودان، وكانت النتيجة في صالح الجماهير حتى الآن، إن الجماهير السودانية حققت مطالبها الأولية ولكنها حتى الآن لم تفرض سلطتها فوق كل سلطة غيرها .

إن المجلس الأعلى للقوات المسلحة، والجزء الذى يقف معه من الجيش السوداني تردد عند لحظة الصدام الحاسمة، وآثر أن يبتعد بغير أن يدخل الامتحان النهائي؛ ربما ليحتفظ بقواه إلى فرصة مواتية.. أقول ربما"

ويقول في مقطع آخر "هل يبقى هذا الانقسام في السلطة العسكرية؟ هذا الانقسام الذي فاجأتها إثناءه الجماهير في لحظة غير مناسبة، ولم تستطع أن تستجمع قواها لتضربها، فجمعت حطام حكمها وتوارت عن الأنظار تلعق جراح خيلائها المضروبة، وتنتظر"

وبصيغة أدق: "هل يستطيع المجلس الأعلى السابق للقوات المسلحة أو عناصر منه، أو عناصر غيره قريبة منه، أو قريبة من فكره أن يجمع صفوف القوة العسكرية؛ استعداداً لانقضاض جديد؟"

وفعلا لقد كان لمحمد حسنين هيكل ما أراد، فلم تمضي أعوام حتى عاد ضباط الجيش السوداني إلى السلطة بانقلاب عسكري صريح يقوده الضابط جعفر نميري وبدعم مفتوح من النظام المصري الناصري، يصل إلى درجة أن تدخل سلاح الجو المصري وقام بقصف مواقع المعارضة السودانية في الجزيرة أبا في ١٩٧٠م متسببا في مجزرة مروعة بلغ ضحاياها بين الألف والثلاثة آلاف قتيل(٢).

قطعا لقد كان تعامل نظام جمال عبد الناصر مع ثورة أكتوبر بهذا الشكل الرديء والسيء هو نتيجة خوفه من انتقال العدوى إلى مصر، ولأن الإخوان المسلمين والحركة الشيوعية السودانية سيجدون حرية للعمل السياسي وللتجنيد، وربما لدعم أصدقائهم في شمال الوادي من نشطاء الإخوان واليسار، وإضافة لكل هذا لقد كان جمال عبد الناصر عبر إعلامه قد أقنع الشعب المصري بتناسي الديمقراطية لصالح تحسين وضعهم الاقتصادي ومحاربة إسرائيل، وكان وجود نظام ديمقراطي يحقق لشعبه العدالة الاجتماعية ومعاداة إسرائيل سيشكل ضربة قاصمة للمشروع الناصري؛ ولهذا فمن الغريب أن المملكة العربية السعودية دعمت ثورة أكتوبر بينما قامت مصر بمعاداتها والتآمر عليها، رغم أن حكومة ما بعد هذه الثورة المباركة هي التي عقدت مؤتمر قمة اللاءات الثلاثة وشعبها هو الذي استقبل عبد الناصر المهزوم في ١٩٦٧م كأنه هو المنتصر في نكسة حزيران، وكان هذا الأمر لرفع روحه المعنوية يوم أن هزأت نيوزويك وقالت "إنها أول مرة يقابل فيها المهزوم بأكاليل الغار من جماهير أمته" .

٨. تدخلات جمال عبد الناصر في المغرب واشعاله الفتنة المغربية الجزائرية:

ربما اغلب الناس لا تعرف ان سر الصراع الدائم بين المغرب والجزائر هو ايضا من الجاسوس الاسرائيلي الامريكي جمال عبد الناصر الذي اتخذ هدف تفتيت الدول العربية والاسلامية لدرء الخطر عن اسرائيل.

في بداية حكم الراحل الحسن الثاني سخرت مصر في عهد عبد الناصر مختلف أذرعها وآلياتها لزعزعة المغرب عبر تصدير ما سماه الاعلام الناصري «الثورة القومية العربية المباركة» لمحاربة «النظام الملكي الرجعي». التوتر بين البلدين كان على وشك القطيعة الديبلوماسية عام ١٩٦٣ أثناء اندلاع حرب الرمال بين المغرب والجزائر التي سحق فيها الجيش المغربي نظيره الجزائري. وتم أسر مجموعة من الجنود المصريين الذين كانوا يشاركون في صفوف القوات الجزائرية في حرب الرمال من ضمنهم الضابط حسني مبارك (الذي سيصبح رئيسا لمصر فيما بعد) ففي حرب الرمال عام ١٩٦٣، حيث أرسل حوالي ألف جندي مصري لدعم الجيش الجزائري ضد القوات المسلحة الملكية المغربية بالإضافة إلى عتاد حربي، وكان حسني مبارك ضمن هؤلاء، لقد جاء على متن طائرة لقتل جنود الحسن الثاني، الذي سيتحول لديه، فيما بعد، إلى مرسال محبوب بين الملك الراحل والرئيس المصري المغتال أنور السادات.

في أكتوبر ١٩٦٣ "ألقي القبض على "العقيد" حسني مبارك في صحراء المغرب الشرقية، وفي أكتوبر ١٩٨١، توج مبارك رئيسا للجمهورية المصرية فينا يشبه حادثة تاريخية استثنائية بعد حادث اغتيال أنور السادات. إنه تاريخ طويل وماكر، يجهل الكثير من المصريين بعض تفاصيله، فالسيد حسني مبارك الحاكم اليوم الذي ثار شعب مصر المحروسة لأجل برحيله، لم يكن سوى ذلك العقيد الذي أرسل ضمن ألف جندي لمساندة الجيش الجزائري في مواجهة القوات المسلحة الملكية في حرب الرمال عام ١٩٦٣، تقول وثائق سرية إن جمال عبد الناصر كان يريد من خلال الإطاحة بالنظام المغربي، عبر هزم جيوشه النظامية، استقطاب نظام تونس الذي كانت له وشائج قربى وطيدة مع ملكية الحسن الثاني، وأيضا تقديم رسالة تحذير إلى النظام الملكي السنوسي بليبيا لقد أرسل جمال عبد الناصر حوالي ألف جندي إلى منطقة حاسي بيضة عام ١٩٦٣، حيث نشبت حرب بين الجزائر والمغرب ستعرف بحرب الرمال، كان ضمنهم الضابط الميداني أركان حرب حسني مبارك الذي كلف باعتباره قائد سرب للطيارات، ويقول اخرون إنه كان جنديا برتبة عقيد (كولونيل) واخرون يتكلمون عن رتبة رائد (كوموندو)، لمعرفة الخصاص الذي كان

يعانيه الجيش الجزائري في قاعدة العبادلة بالجزائر، كانت الطائرة التي تقل المصريين الستة تقوم بجولة استطلاعية على الحدود المغربية- الجزائرية في مكان اشتباكات الجيشين، غير أنها غابت عن الأنظار. البعض يقول بسبب عاصفة رملية، والبعض الآخر يقول بسبب عاصفة رملية، والبعض الآخر يقول بسبب عاصفة رملية، والبعض الآخر يقول بسبب تيه ربان طائرة الهليكوبتر، التي نزلت في الشرق المغربي بشكل اضطراري، حيث تمت محاصرتها من طرف سكان محاميد الغزلان وقائد المنطقة الذي أخبر القيادة العسكرية بمراكش حول وجود مصريين ثلاثة منهم برتبة عقيد (كولونيل) اعتبروا صيدا ثمينا بالنسبة للحسن الثاني الذي قدم المعتقلين المصريين خلال ندوة صحافية في نهاية أكتوبر ١٩٦٣، وكان بينهم حسني مبارك.. إنهم وليمة مصرية تورط جمال عبد الناصر في حرب الجزائر مع المغرب.

بعد إعلام قائد المنطقة العسكرية عن وقوع القادة العسكريين المصريين في فخ الأهالي، أعطى الجنرال أوفقير أوامره بإحضارهم على وجه السرعة إلى مدينة مراكش، ليخضعوا للاستنطاق، قبل حملهم إلى الرباط، إلى دار المقري أسبوعا بعد ٢٠ أكتوبر١٩٦٣م .

وبسبب ما اعتبره الراحل الحسن الثاني تدخلا مصريا في صراعه مع نظام بن بلة، قام باستدعاء سفير المملكة بمصر، وقام بطرد حوالي ٣٥٠ معلما مصريا ومنع كل ما يمت بصلة لمصر من التداول في المغرب بما في ذلك أغاني رواد الطر العربي.

ومع تصاعد الاستفزاز الاسرائيلي وتمطط الاحتلال برزت دعوات لتصفية الأجواء العربية عام ١٩٦٤ تمهيدا لعقد أول قمة عربية بالقاهرة آنذاك. وكعربون عن حسن نية المغرب تجاه مصر، سلم الحسن الثاني الجنود المصريين الأسرى لجمال عبد الناصر عشية انعقاد قمة القاهرة (من ضمنهم حسني مبارك) بل وقرر الحسن الثاني الحضور شخصيا في القمة.

لكن ذلك لم يسقط الحذر كعنوان للعلاقة بين البلدين. خاصة وأن المرحوم الحسن الثاني رد على مناوشات جمال عبد الناصر في الاستمرار في تعبئة وتجييش القوميين واليساريين وأنصارهم بالمغرب، باعتماد خطة لتفريغ مصر من معارضي جمال عبد الناصر، وهو ما تأتى للحسن الثاني الذي نجح في استقطاب معظم معارضي النظام المصري في الستينات ومكنهم من مناصب في التعليم وباقي المرافق المدنية.

وعقب حريق القدس عام ١٩٦٩ تحرك المغرب الذي كان من مؤسسي القمة الإسلامية لعقد قمة الدار البيضاء، فتحركت الآلة الناصرية آنذاك للحيلولة دون بروز أسهم المغرب ديبلوماسيا خاصة وأن جراح نكسة ١٩٦٧ لم تكن قد اندملت بعد في مصر، إلا أن إصرار الحسن الثاني على أن يكون المغرب هو الحاضن لأول قمة إسلامية تغلب على مناوشات مصر.

٩. عداء جمال عبد الناصر الغريب للدول الاسلامية ومساندة اعدائها:

من وجهة نظري سبب عداء جمال عبد الناصر للمسلمين ليس بسبب راي ديني خاص بل لان جمال عبد الناصر جاسوس اسرائيلي يتلقى اوامره من اسياده في تل ابيب الذين لديهم مشكلة مع الاسلام لأنه ينازعهم الاماكن المقدسة في فلسطين ولان اغلب الشعب الفلسطيني مسلم اي ان السبب سياسي وليس ديني وسنحاول ان نسلط الضوء على ابرز مواقف جمال عبد الناصر من المسلمين في العالم باختصار .

ساند الهند الهندوسية ضد مسلمي باكستان لفصل بنجلاديش عن باكستان ودعم التمرد ضد حكومة باكستان

ساند هيلاسيلاسي امبراطور الحبشة (اثيوبيا) ضد المسلمين هناك

ساند الدكتاتور تيتو الشيوعي ضد مسلمي يوغسلافيا وليس هذا فقط بل سلمه المجاهدين الي جاهدوا في فلسطين ليتم اعدامهم في يوغسلافيا

وقف مع الاسقف مكاريوس في قبرص ضد المسلمين الاتراك واجبر الازهر على استضافة مكاريوس

وقف مع خرتشوف الشيوعي ضد المسلمين. هناك (في روسيا) وقف مع جوليوس نيريري في تنزانيا ضد مسلمي زنجبار وتنجانيقا واعترف باتحاد زنجبار وتنجانيقا في القاهرة في القمه الافريقية سنة ١٩٦٤ واغلق بيت الزنجباريين في منشية البكري بالقرب من منزله.

ويقول الأستاذ محمد قطب في كتابه واقعنا المعاصر:

جمال عبد الناصر كان أصدقاؤه المقربون كلهم من أعداء الإسلام: الأب مكاريوس الذي كان يقوم بتذبيح المسلمين في قبرص بتأييد الأمم المتحدة، وتأييد جمال عبد الناصر! وتيتو اليهودي الشيوعي الذي قام بذبح ثلاثة أرباع مليون مسلم في يوغسلافيا.

وأنديرا غاندي، التي كانت تشرف على تذبيح المسلمين في الهند وتحريقهم أحياء، ثم معاقبتهم "رسمياً" بعد ذلك بحجة أنهم هم الذين يثيرون الشغب في البلاد. وهيلاسلاسي الذي خطب في الأمم المتحدة عام ١٩٦١ خطبة قالب فيها: إنه بعد أثنى عشر عاماً لن يكون في الحبشة إلا دين واحد! أي أنه يعلن رسمياً عزمه على إبادة ٦٥% من سكان الحبشة المسلمين، أو طردهم خارج البلاد!

ولن اذكر من الامثلة تفصيلا اوضح من مذبحة زنجبار المسلمة وتهنئة عبد الناصر للمجرم كرومي:

- زنجبار هي جزيرة على الساحل الشرقي للقارة الأفريقية وهي جزء الآن من تنزانيا وسكانها مسلمين .

- احتلها البرتغاليون مدة كبيرة من الزمان ولكن استطاع سلطان سلطنة عمان سيف بن سلطان المجاورة لها أن يدخلها وان يحررها من البرتغاليين عام ١٦٩٩ م ومن يومها أصبحت زنجبار تابعة لسلطنة عمان .

- وفي ٢٧ شعبان ١٣٨٣ه - ١٢ يناير ١٩٦٤ م وقع إنقلاب في زنجبار على سلطان الجزيرة العربي "جلمشيد بن عبد الله خليفة" بقيادة الحزب الأفرو - شيرازي ولأن زنجبار دولة مسلمة فكانت ترفض غير مسلم أن يحكمها فأتوا برجل مسلم ولكنه خائن مثلهم اسمه عبيد كرومي .

وحدثت مذبحة من أكبر المذابح في التاريخ حيث جمعوا كل ما هو عربي في الجزيرة ومعهم كثيرا من المسلمين أيضا وتم تقسيمهم إلى مجموعات .

- مجموعة قاموا بتقييدهم في سلاسل وإحراقهم أحياء ومجموعة تقدر بـ ٦ آلاف شخص قاموا بأخذهم في مراكب وإغراقهم في المحيط الهندي ومجموعة قاموا بقتلها بالذبح بالسكين ومجموعة قتلوها بالطيارات .

- وقتل في المذبحة ١٦ ألف عربي و ٥٤ ألف مسلم في زنجبار وكان أغلب الضحايا من سلطنة عمان .

- يذكر أن كل تلك المجازر عن بترتيب وتمويل وإشراف القس جوليوس نيريري حاكم تنزانيا الحالية وبدعم بريطاني مباشر والحديث يطول .

- ومع ذلك أول من أعترف بهذه الحكومة القاتلة والسفاحة كانت الدول العربية المسلمة وعلى رأسهم مصر والأردن ففي الوقت الذي كانت بعض الدول الأوروبية والأسيوية ودول قارة أميركا الجنوبية ترفض شرعية هذه الحكومة القاتلة ذهب الزعيم الكبير جمال عبد الناصر ليقدم التهنئة لعبيد كرومي المجرم القاتل على تسلمه السلطة في زنجبار ويبدو عبد الناصر المهزوم نسي وقتها او تناسى أن المحيط الذي يعوم عليه مركبه للذهاب إلى عبيد كرومي قد أغرق فيه ١٦ ألف عربي ومسلم وقتها .

في هذا الفصل ذكرت ابرز مؤامرات جمال عبد الناصر التي لها تأثير حتى اليوم اما هناك مؤامرات على دول كثيرة لم اذكرها منها مؤامرات عبد الناصر العديدة على ملك الاردن الحسين لاغتياله وتدخلات في دول اخرى عديدة .

حروب وهزائم الجاسوس جمال عبد الناصر:

كما ذكرنا فأن احدى مهام الجاسوس الاسرائيلي الامريكي جمال عبد الناصر هي تسليم اكبر مساحة من الارض لإسرائيل وتدمير اكبر عدد من القوة العسكرية العربية في ذلك الوقت وتم هذا في حروبه وكما ذكرنا سابقا بتدخلاته في الدول العربية التي زرع بها بذور الانقسام والفتن وما كان سيستطيع جمال عبد الناصر تسليم الارض لإسرائيل الا بالهزائم التي اوقع فيها الجيش المصري والجيوش العربية وعبر افتعاله للحروب التي يعرف نتيجتها مسبقا.

١. حرب ١٩٥٦م (العدوان الثلاثي):

بعد أن تمكن جمال عبد الناصر من السيطرة على مقاليد السلطة في مصر خاصة بعد أن زج بمنافسه الرئيس محمد نجيب داخل فيلا زينب الوكيل في ضاحية المرج وظل بها حبيسا وبعد أن زج بخصومه من أعضاء الإخوان المسلمين والشيوعيين وقادة حزب الوفد ورموز الأحزاب المصرية وقادتها ونفى بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة واعتقال العديد من ضباط المدفعية والفرسان الذين تمردوا ضد أسلوب سياسته في الحكم راح يعلن أمام العالم في بيان شهير تأميم قناة السويس وكما شرحنا مسبقا كذبة تأميم قناة السويس الأمر الذي دفع انجلترا وفرنسا وإسرائيل إلى القيام بهجوم جوي بحري بري مشترك عرف في حينها بالعدوان الثلاثي كان الهدف المعلن من ورائه القضاء على نظام جمال عبد الناصر الذي بات خطرا يهدد مصالح بريطانيا العظمي ومعها فرنسا وإسرائيل ولتهديده حرية الملاحة الدولية.

ولكن الحقيقة ان فرنسا وانكلترا وقعتا بخدعة امريكية اسرائيلية لشن الحرب حيث كانت اسرائيل تريد من الحرب تدمير القوة العسكرية المصرية وجعل سيناء منطقة نفوذ اسرائيلي والسيطرة على المضايق وهذا ما حصل كما سنشرح نتائج الحرب واما الولايات المتحدة كانت تخطط لأفشال انكلترا وفرنسا واظهارهما كدول ضعيفة وجعل جاسوسها جمال عبد الناصر بطلا قوميا لتحقيق اهدافها وهو ما حصل بنهاية الحرب لكي يبدا جمال عبد الناصر تنفيذ الخطة الموكلة له بتدمير البلاد بالشرق الاوسط وتصدير الانقلابات العسكرية لها .

بدأ الحرب:

بدأت المعركة وسط خطب حماسية ألقاها ناصر باقتدار وكفاءة دون أدنى استعداد لمقاومة الغزاة وراح يقف على منبر الأزهر يدعو الجميع للقتال وتحرك الجيش المصري الذي كان يعاني ضعفا وهوان دون اي خطة للحرب.

اجمع جميع الخبراء والقادة العسكريين من الفريق سعد الدين الشاذلي الى الفريق محمد فوزي الذي وصف احتلال بورسعيد وسيناء بانه كان من السهولة اشبه بتقطيع الزبدة والمضحك ان جمال عبد الناصر لم يكلف نفسه ان يتفقد الجيش قبل تأميم قناة السويس كما يقول المؤرخ المصري د. عبد العظيم رمضان حيث انه لم يكن الجيش مجهزا لأي حرب اصلا ولم يعرف قائد الجيش عبد الحكيم عامر اصلا الا قبل ساعتين ونكتشف فضيحة جديدة في كتاب صراع في السماء تأليف اللواء طيار محمد زكي عكاشة (ان بريطانيا اعلنت بشكل علني في اول اغسطس ١٩٥٦م التعبئة العامة وانها ستدخل الحرب فجمعت ١٢٥ الف جندي مما يعني ببساطة ان الجميع عرف ان بريطانيا ستحارب مصر واعلنت فرنسا كذلك التعبئة العامة وجمعت ٥٠ الف جندي وكان الجميع يعلم بالحرب الا انه لم يكن هناك اي استعداد من القيادة المصرية للحرب) و قد كان تدمير الجيش المصري في سيناء اهم هدف للإسرائيليين منذ عام ١٩٤٨م .

لقد كانت الحرب مفاجئة للجيش المصري حيث نزلت خلف القوات المصرية كتيبة مظلات اسرائيلية في منطقة ممر متلا واسرت ٤٩ اسيرا من الجنود المصريين تم اعدامهم بالرصاص ثم تقدمت الكتيبة تجاه راس سدر وفي طريقها ذبحت ٥٦ جنديا ومدنيا عزلا من السلاح وهو المصير الذي لقيه ١٦٨ جنديا اخر اعلنوا استسلامهم وتم أيقاظ عبد الناصر عند الساعة الرابعة صباحا لأخباره بذلك ويقول سامي شرف مدير مكتب عبد الناصر آنذاك انه بدى مفاجئ وغير مفاجئ بنفس الوقت ويكمل شرف انه كنا نتوقع ان يحصل اجراء ضد مصر لكننا لم تكن لدينا معلومات من اسرائيل وفي اليوم الثاني للحرب اندلعت بعض المعارك التي خاضها بعض الضباط الشرفاء لكن المشهد العام كان فضيحة عسكرية ونستشهد بما قاله سامي شرف مدير مكتب جمال عبد الناصر أنداك على موقع (المجموعة ٧٣ مؤرخين العسكرية) وصرح فيها شرف (في مساء يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦م بدأت خطة الحرب وبدأ الهجوم على غزة وتم اجتياحها كما احتلت القوات الاسرائيلية ٣ مواقع في الكونتلا وراس النقب ونخل ولم يتوفر حتى اليوم معلومات عن حقيقة ماحدث في هذا الهجوم بل وقد لوحظ اختفاء يوميات الحرب المتعلقة بهذا اليوم حسب علمي) يعني حسب كلام شرف تم اخفاء الارشيف العسكري لهذا اليوم والمضحك ان جنرالات عبد الناصر قالوا ان الهزيمة بسبب نقص السلاح وهم تركوا مئات الدبابات والاسلحة دون قتال اصلا وكان مشهد جنرالات عبد الناصر الاسرى اللواء العجرودي واللواء الدجوي الذي سلم غزة لليهود دون قتال وطلب الوساطة الدولية للاستسلام مثيرا للسخرية والعار وهم يقدمون فروض الطاعة لليهود بعد اسرهم في غزة ولاحقا بدل محاكمتهم عسكريا تم تكريمهم واصبح الدجوي قاضيا للحكم بإعدام خصوم عبد الناصر واشهرهم سيد قطب واحتلت اسرائيل سيناء بأكملها ولم تخسر سوى ٢٨ جندي اغلبهم قتل بحوادث غير قتالية ومن الفضائح الاخرى عندما طلب جمال عبد الناصر استخدام سلاح الطيران في الحرب وكلم اللواء صدقي محمود الذي رد على عبد الناصر (يا رئيس الطائرات لا يوجد فيها بانزين) يروي هذه الواقعة الضابط سامي شرف مدير مكتب جمال عبد الناصر في موقع المجموعة ٣٧ مؤرخين ويقول بالتفصيل (كان من راي الرئيس

استخدام القوات الجوية المصرية في وقف تقدم العدو بسيناء ولكنه فوجئ بارتباك قائد القوة الجوية الذي اشار الى صعوبة تنفيذ الخطة بسبب نقص الوقود في مطار غرب القاهرة الذي يمثل القاعدة الرئيسية آنذاك) ويؤيد هذه الرواية احد الضباط في ذلك الوقت والذي عمل مستشارا للسادات لاحقا وهو محمد حافظ اسماعيل في كتابه (امن مصر القومي في عصر التحديات) ويؤيد هذه الواقعة ايضا الضابط عبد اللطيف البغدادي عضو مجلس قيادة الثورة بذلك الوقت في مذكراته.

وتستمر الفضائح في ما جرى في اليوم الثاني للحرب مساء يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦م بريطانيا وفرنسا اعلنتا انهما ستدخلان الحرب ضد مصر اذا لم تنسحب القوات المصرية والاسرائيلية بعيدا عن قناة السويس ومن الفضائح اقتراح بعض اعضاء القيادة لعبد الناصر الاستسلام للسفارة البريطانية وكما اكد هذا الدكتور مراد غالب وزير الخارجية المصري في برنامج شاهد على العصر واكدها الفريق محمد فوزي كذلك وكان ابرز المطالبين بالاستسلام صلاح سالم وكذلك اكد هذا الامر امين هويدي مدير المخابرات المصرية لاحقا ومن الخيانة الواضحة للانقلابين لمصر ما يكشفه الضابط عبد اللطيف البغدادي في مذكراته وكان شاهد عيان وحاضر لهذا الاجتماع (اجتماع الاستسلام للسفارة البريطانية) ويقول في مذكراته عن الاجتماع (حيث قام جمال عبد الناصر وطلب الاستئذان للذهاب الى دورة المياه وطلب من عبد الحكيم عامر ان يتحدث معنا بالموضوع الذي سبق وذكره له اي لجمال وقد بدأ عبد الحكيم الحديث قائلا: ان الاستمرار في المعركة سيترتب عليه تدمير البلاد ومقتل الكثير من المدنيين والشعب سيكره النظام والقائمين عليه وانه يفضل تفاديا لهذا التدمير ان نطلب ايقاف القتال. انتهى وبتفسير ما قاله عامر بأنهاء القتال يعني القبول باحتلال الجيش الفرنسي والجيش البريطاني احتلال محافظات قناة السويس ويكمل البغدادي وكان جمال قد عاد وسمع قسطا من حديثي وجلس ولكنه لم يتكلم وكان مقطب الجبين ولم اكن اعرف ماذا كان رده على عبد الحكيم عندما تحدث معه بهذا الموضوع واما زكريا فكان يرى ان تستمر المعركة ولو الى حين وفي اثناء هذه المناقشة حضر صلاح وكان حضوره بعد نصف ساعة من مكالمته التليفونية) ولكن ما لذي جعل عبد الناصر ورفاقه يتراجعون عن الاستسلام للسفارة البريطانية ؟ في اجتماع القيادة في مصر الجديدة ورفض الانذار الفرنسي البريطاني في ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦م .

يكشف هذا السر عضو القيادة آنذاك محمد انور السادات والذي حكم مصر لاحقا في كتابه البحث عن الذات وكان احد الحاضرين للاجتماع المذكور يقول السادات (بعد رفض الانذار البريطاني الفرنسي أرسل عبد الناصر بطلب السفير الامريكي رايموند هير وبعث رسالة لايزنهاور يقول له فيها : ارجو ان تتكفل بحلفائك بريطانيا وفرنسا واترك لي انا اسرائيل اتكفل بها. فرد عليه ايزنهاور انه سيفعل كل ما يمكن فعله..) انتهى كلام السادات.

وفي مساء اليوم الثالث للحرب ٣١اكتوبر ١٩٥٦م الساعة ٧ مساء بدأ الطيران الفرنسي البريطاني بقصف المطارات المصرية وتدمير الطيران المصري على الارض واستمر هذا حتى يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٦م وبلغت المهزلة ان الطيران الاسرائيلي قصف مطار الماضة قرب منزل عبد الناصر ولم ترد المدافع المضادة للطائرات اطلاقا ويقول محمد انور السادات في مذكراته (وكان جمال عبد الناصر في بيته فطلع الى سطح المنزل وشاهد بنفسه الطائرات وهي تقصف مطار الماضة القريب منه) وهو ما اكده عبد الناصر في احدى مقابلاته التلفزيونية.

ويتكلم الفريق محمد فوزي عن تدمير سلاح الطيران المصري وعدم وضع خطة لمنع هذا الامر (انه السبب الرئيسي في هذا الموضوع القيادة السياسية والقيادة العسكرية الاثنين لم يكن لديهم المعلومات المسبقة اللي تجعل تقديراتهم السياسية والعسكرية بالذات تبقى قريبة من الواقع ووصلتنا لاحقا معلومات من الملحق العسكري الفرنسي في انه جاء لعبد الناصر واخبره لكن في النهاية يبدو ان عبد الناصر لم يصدقه او يأخذ كلامه بجد والسبب في ما جرى من هزيمة قلة المعلومات).

جمال عبد الناصر ارسل اوامره بسحب الجيش من سيناء يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦م ويقول المشير عبد الغني الجمسي عن هذا الامر (ان مبررات سحب القوات المصرية من سيناء خاطئة فسيناء بعد هذا لم تعد ملكنا وكان هذا القرار بمثابة اعلان ضم سيناء لإسرائيل) والغريب ان حجة عبد الناصر من سيناء هي الدفاع عن الضفة الغربية لقناة السويس لكن المفارقة انه تم احتلال بور سعيد دون مقاومة اصلا حيث انه بعد ٥ ايام من القصف الجوي نزل حوالي ٦٠٠ مظلي بريطاني بور سعيد لتدرك المدينة بسرعة انها وقعت تحت نير الاحتلال ويقول الفريق محمد فوزي (لذلك العملية الاسرائيلية الانكليزية الفرنسية ابتدأت يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦م بمنتهى السهولة ولم يكن هناك اعداد مسبق او مقاومة مجهزة لمقابلة العدوان في يومه ولو نأتي بعد هذا من ناحية العدو ونحصي الخسائر التي وقعت بالعدو قبل دخول المقاومات كانت قليلة والعملية سهلة ودخلوا كأنهم يقطعوا زبدة) والسؤال المطروح اختفت القوات المصرية المنسحبة من سيناء هل تبخرت؟

الاجابة على هذا السؤال نجدها عند عبد اللطيف البغدادي في مذكراته يقول (انه جمال عبد الناصر قرر يذهب الى الاسماعيلية وبورسعيد لكي يتابع اعمال المقاومة او القتال ويقول وصلنا الى مدينة الاسماعيلية، وتوجهنا الى مبنى القيادة التي كان يقيم فيها الضابط كمال الدين حسين ووقفنا امام الباب واخذ بعض الحراس يدقون الباب ليفتح احد دون جدوى وبعد ان طال الانتظار دون ان يفتح احد الباب، فتوجه بنا احد الحراس الى مدخل اخر من باب البدروم وقد تسلقنا سلم خشبي ضيق ومررنا من فتحات ضيقة وكانت تجربنا تلك الفتحات احيانا على الزحف في بعض الاحيان للمرور منها، حتى وصلنا الى الدور الاول الذي كان فيه كمال، وكنت في تلك الاثناء انظر الى جمال واقارن بينه في تلك

اللحظة وبينه بلحظات اخرى سابقة عندما كان يشعر بالانتصار والقوة، وكنت اعرف ماذا يدور بخلده وهو بهذه الحالة وان لاحول ولاقوة رغم انه قائد ثورة ورئيس جمهورية، وقام كمال الدين حسين من النوم عندما علم بوصولنا وجاء الينا وشعرت ان روحه المعنوية عالية على غير ماكنا نحن عليه وربما كان مشغول بتجهيز دفاعاته) واكد لاحقا كمال الدين حسين هذه الرواية بمقابلة تلفزيونية وهذا يدل على مدى مهزلة ادارة المعركة اذا كان مقر القيادة بهذا الشكل .

اما القوات المنسحبة من سيناء والتي من المفروض انها ستقاتل في بورسعيد ففرت الى القاهرة وتركوا دباباتهم والياتهم وبعضها حديث والاخر في حالة جيدة وتركها الضباط والجنود وانسحبوا هاربين ويقول عبد اللطيف البغدادي في مذكراته (ان عبد الناصر قال له خلال سفرهم الى الاسماعيلية لمتابعة الحرب لقد هزمت بواسطة جيشي وقال كذلك ان قواته العسكرية بقايا جيش محطم ويكمل البغدادي رواية الوقائع حيث يقول في ١٠ نوفمبر ١٩٥٦م اجتمعنا مع جمال عبد الناصر وصدرت من جمال عبد الناصر بعض العبارات الجارحة عن الجيش. واخذ يشرح لعلي صبري ما يأخذه على الجيش وعبد الحكيم عامر وروح الاستسلام التي كانت قد انتابتهم. والشلل الذي اصابهم بعد دخول الانكليز والفرنسيين المعركة. وعدم اطاعة الجيش لأوامره رغم تكرار الاتصال بهم وذكر ايضا دور صلاح سالم. اي بمعنى اخر ذكر تطور الحوادث المختلفة ودور كل فرد فيها خلال الايام السابقة).

بل ان فصول المهزلة والمسرحية لم تتوقف عند هذا الحد فخلال الحرب جمال عبد الناصر ارسل لعبد الحكيم عامر يطلب فيها منه ارسال ضابطين معهما خطة الجيش للدفاع عن القاهرة ومصر ويقول عبد اللطيف البغدادي في مذكراته وكان حاضرا الاجتماع فيقول (في مساء هذا اليوم اجتمعنا مع ضابطي الاتصال اللذان ارسلهما عبد الحكيم عامر وناقشنا معهما خطة الدفاع عن القاهرة. فعلمنا ان الخطة حتى ذلك المساء كانت الدفاع عن غرب فرع رشيد. وذلك حتى يتم اعادة تنظيم القوات المنسحبة. فقال لهما جمال : معنى هذا اننا الان ونحن في القاهرة خارج منطقة الدفاع فقيل له : نعم. ويكمل البغدادي: لما ناقشنا خطة الدفاع عن منطقة القناة وجدناها ضعيفة لان اغلب قواتنا كانت قد انسحبت الى منطقة القاهرة. وطلب تعزيز الدفاعات بتلك المنطقة.) .

يوم ٧ نوفمبر ١٩٥٦م كان الانكليز قد اكملوا احتلال مدينة بورسعيد مع الفرنسيين وبدأت القوات المحتلة تزحف جنوبا نحو الاسماعيلية حتى وصلت الى ٣٠ كيلومتر بدون مقاومة تذكر هنا ما الذي اوقفها ؟ والجواب الذي اوقفها قرار من مجلس الامن يوم ٨ نوفمبر ١٩٥٦م بوقف القتال بناء على تهديد من امريكا وروسيا ضد بريطانيا وفرنسا بفرض العقوبات والتدخل ضدهما.

ويقول روبرت بوي وزير الخارجية الامريكي الاسبق في مقابلة تلفزيونية (كان ايزنهاور حازما فقال لايدن انه حالما يوافق على الخروج من مصر ويوافق على ذلك

سيقدمون له العون وليس قبل ذلك) وهنا ظهر الدور الامريكي بوضوح لإنقاذ الجاسوس جمال عبد الناصر ولكي يكمل المطلوب منه بالكامل.

في السادس من تشرين الثاني نوفمبر ١٩٥٦م اي بعد ٩ ايام من الحرب لم يعد امام رئيس الوزراء البريطاني ايدن سوى الخضوع للتهديد الامريكي السوفييتي والموافقة على وقف اطلاق النار على مضض ويقول ايدن في خطابه لتبرير وقف اطلاق النار (اذا قررت الامم المتحدة ان تطلع بمهمة ضبط الامن فنحن نرحب بذلك بالواقع نحن نقترح عليهم هذا) والخلاصة ان تهديد السوفييت بإغراق الاسطول البريطاني والفرنسي والاتفاق الامريكي السوفييتي رغم الحرب الباردة بين الطرفين يؤكد انهم كانوا يريدون من عبد الناصر ان يظهر بمظهر المنتصر بالحرب وكان هدف الامريكيين هو احراج الانكليز والفرنسيين والظهور بمظهر القائد الاوحد للغرب والبقية تابعين وهي احدى الامور التي حققها الجاسوس جمال عبد الناصر.

واجمع المؤرخون انه لو لا التدخل الامريكي السوفييتي لانتهت الحرب بسقوط عبد الناصر ونهايته ويؤكد هذا حسين الشافعي (حيث يقول انه الامريكيين والسوفييت تدخلوا بالحرب لانهم المنتصرين بالحرب وانه البريطانيين والفرنسيين شنوا الحرب بدون استشارتهم) ويقول الفريق محمد فوزي عن امكانية مقاومة مصر للعدوان (كان بإمكاننا بقليل من التجهيز مقاومة العدوان على الاقل بشرف وليس بالشكل المخزي الذي حصل) وبعد ان اطمئنان جمال عبد الناصر ورفاقه انهم تحت الحماية الامريكية بدئوا بخداع الشعب المصري والعربي بما سمي المقاومة الشعبية وذلك يوم ١٤ نوفمبر ١٩٥٦م اي بعد وقف اطلاق النار حيث تم توزيع ٥٠٠الف قطعة سلاح كما يقول حسين الشافعي ويقول الدكتور مراد غالب في برنامج شاهد على العصر عن نتائج الحرب (انه شاهد نتائج الحرب من جمال عبد الناصر حيث انقلب جمال عبد الناصر الى شخصية اخرى تماما حيث اصبح شخص معتد بنفسه كثيرا لأنه اعتبر المعركة بصموده نصرا له).

وفي ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦م بعد يوم واحد من انسحاب القوات الانكليزية الفرنسية من بورسعيد بعد احتلال المدينة لشهرين دون اي مقاومة للقوات المصرية ذهب هناك جمال عبد الناصر وتم اخراج اعداد كبيرة من الناس وجلب اخرين من المدن المجاورة لجمع اكبر حشد في استقبال عبد الناصر الذي تم صناعته اثر هذه الحرب كرمز وطني وخدع بعدها الملايين من العرب والعالم به وساروا خلفه وهم لا يعلمون انه ليس سوى جاسوس .

حيث وصف تلك الايام جمال عبد الناصر بالإمبراطور وقائد التحرر ومعادي الاستعمار وقائد التحرر والبطل التاريخي وزعيم العالم الثالث وزعيم العالم العربي وغيرها من الشعارات التي مهدت الطريق لعبد الناصر لتدمير الدول العربية بعد ان اصبحت الارضية مفتوحة له اثر انخداع الملايين من الشعوب العربية به.

اما القوات الاسرائيلية المسيطرة على سيناء وغزة فلم تنسحب الا بناء على اوامر امريكية في مارس ١٩٥٧م ولكن تم استبدال الاحتلال الاسرائيلي باحتلال اخر تحت مسمى الشرطة الدولية واصبحت سيناء ممنوعة على الجيش المصري حيث احتلت سيناء مرتين خلال ١١ سنة تحت حكم الجاسوس جمال عبد الناصر الاولى عام ١٩٥٦م والثانية عام ١٩٦٧م والمضحك ان الاحتلال الاول لسيناء عام ١٩٥٦م بقي سرا على اغلب المصريين ولم يعرفوا ان جيشهم ممنوع من الدخول تلك الارض وانها تحت حكم القوات الدولية وان اسرائيل هي المسيطر على المضايق(مضيق تيران) الا قبل نكسة ١٩٦٧م بأسابيع عندما اعلنت السلطة المصرية اغلاق المضايق بوجه السفن الاسرائيلية وطرد الشرطة الدولية ودخول الجيش المصري سيناء ليستمر الامر بضع اسابيع قبل ان تحصل الكارثة الكبرى في ١٩٦٧ والكارثة التي قيل انها نكسة وتدمير الجيش المصري بساعات واحتلال الارض بالكامل.

والمضحك ان كل القيادات العسكرية التي ثبت فشلها العسكري وخيانتها بقيت حتى هزيمة يونيو ١٩٦٧م ولم يحاسب احد ولم تفتح اي قضية ضد احد من الضباط .

٢. ادخال جمال عبد الناصر مصر في حرب اليمن:

كما شرحنا سابقا في تدخل جمال عبد الناصر في بلاد المنطقة ودعمه الخراب والانقلابات فيها واما حرب اليمن فعبد الناصر اراد فيها كجاسوس بالإضافة الى نشر التفرقة في اليمن كان هدفه ارسال نخبة القوات المصرية الى مكان بعيد عن اسرائيل لكي يسهل تسليمه الارض لإسرائيل اضافة الى تدمير تلك القوات في حرب عبثية لا مستفيد من ورائها الا اسرائيل .

فشل الوحدة المصرية مع سوريا كان بمثابة الكارثة علي «عبدالناصر» وحكمه حيث وضعته ووضعت مصر في موقف خرج أمام العالم أجمع، بل نالت من هيبته أمام خصومه وحطمت له حلم الزعامة العربية .

فكانت حرب اليمن نتيجة لفشل الوحدة، ولولا الوحدة وانشغاله بالزعامة العربية ما كانت حرب اليمن، وضياع كل شيء فيها بداية من الذهب والجيش إلي الحراسات والتأميمات.. فكل ذلك لن يحدث لان «عبدالناصر» لم يكن شيوعياً أو مع «الاتحاد السوفيتي» فقد بدأ ضد الشيوعية وكان يقبض علي الشيوعيين وضد اليسار ولكن زعامته العربية فرضت عليه تغييرات كثيرة جداً وكان يريد ان يقود الأمة دون إمكانيات تساعده علي ذلك.. إذن ذهاب «عبدالناصر» إلي اليمن جاء تحت ضغط الحاجة إلي تعويض النكسة التي أصابت مشروعه العربي بانفصال سوريا قبل حرب اليمن بعام واحد، لكن حسابات «عبدالناصر» خانته في تقدير الأعباء العسكرية التي تترتب علي إشكال التدخل المباشر لخصوم «عبدالناصر» بالإضافة إلي القصور المزمن للفكر والتطبيق الناصري عن إدراك الخصوصيات المحلية والمراعاة الحصيفة لضروراتها، والأهم تصديق

«عبدالناصر» للأوهام التي خلقها هو نفسه حول زعامته وقدرته علي قيادة العرب، وقدرات الجيش المصري حينذاك.

فجأة في صباح ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ أذاعت صنعاء أن العميد «عبدالله السلال» قاد الانقلاب ضد الأمير «محمد البدر» إمام اليمن الجديد، واستولي الجيش اليمني علي السلطة بعد معركة مسلحة قيل ان الإمام «البدر» قتل فيها، وعلي الفور اعترفت مصر بالنظام الجمهوري في اليمن لا نه كان مخرجاً لموقف مصر السيئ بعد الانفصال السوري ومنفذاً لرد الاعتبار.

ورأي «عبدالناصر» أنها فرصة ذهبية لم تكن في الحسبان لكي يعود مرة أخري علي الساحة العربية والدولية زعيماً للقومية العربية عنداً في الأنظمة العربية «السعودية والأردن» التي كان يصفها بأنها تساند الرجعية، وأيضا في القوي الغربية التي كانت ترفض أن يتمدد «عبدالناصر» إقليميا.

مع العلم بأن القيادة السياسية لم يكن لها علم بالثورة اليمنية قبل قيامها لعدة أسباب أهمها: إحكام قبضة الرجعية علي اليمن بعد قضاء الإمام «أحمد» علي كل المؤتمرين ضده بعد فشل انقلاب المقدم اليمني «الثلايا» في إبريل ١٩٥، وإرجاع اليمني إلي عزلة شديدة بعد هذا الانقلاب.. وعدم علم الشعب اليمن بوفاة الإمام «أحمد» إلا بعد أن قلد «سيف الإسلام محمد البدر» ولي العهد نفسه إماماً علي اليمن.. انحسار اليمنيين الأحرار عن مصر وتركيزهم علي احتواء الأمير «البدر» وقيامهم بالثورة ضده.. اعتماد مصر علي شخصيات يمنية مقيمة بمصر يكرها اليمنيون الأحرار.

وعليه قرر «عبدالناصر» التعرف علي الموقف في اليمن علي الطبيعية فأرسل «السادات» و«كمال رفعت» وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة لاستطلاع الموقف ومعهم وفد من ضباط العمليات، وعادت المجموعة من صنعاء بعد «٣٦» ساعة وقدمت تقاريرها إلي «عبدالناصر» مع أنه كان يوجد بعثة عسكرية أرسلت إلي اليمن في «٥» أكتوبر ١٩٥٤ ومكثت في اليمن سنة برئاسة «كمال أبو الفتوح» و«محمد أحمد لبيب» و«سعد رؤوف» و«حامد عبدالله» و«مصطفي الهمشري» و«الهمشري وعبدالله» كانا من البوليس بالإضافة إلي ضباط الصف، وقامت هذه البعثة، بتدريب اليمنيين ولكن قيام ثورة «الثلاثاء» حالت دون إكمال مهمتها فاستغلت البعثة وجودها في اليمن ودرست جميع أحوال اليمن السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتعرفت علي بعض الشخصيات اليمنية اشتراك بعضها في ثورة اليمن ١٩٦٢، وقيل لهم حينها كونوا مثل حملة «شامبليون» في الحملة الفرنسية لدراسة أحوال اليمن، وبالفعل قدموا دراساتهم وللأسف لم تتم الاستعانة بهذه الدراسات.

عبدالناصر المسئول الأول عن حرب اليمن:

بعد نجاح ثورة او انقلاب اليمن طلب «السلال» قائد الثورة مساعدات عسكرية من مصر، وأرسل المشير «عامر» «اللواء علي عبد الخبير» ومعه بعض من ضباط الصاعقة والمظلات إلي اليمن لمقابلة أعضاء مجلس القيادة والتعرف علي مطالبهم.

ومع عودة «السادات» من اليمن كان تحمسه للتدخل المصري واضحاً في اليمن، واقترح إرسال سرب من الطائرات المصرية إلي اليمن معتقداً انه كفيل بإجبار القبائل علي التهجير(!!) أي تحويلها من تأييد النظام الملكي إلي النظام الجمهوري، كانت هذه الفكرة بداية التدخل الإجباري الجوي والبري والبحري بالرجال والعتاد والسلاح والمال والذهب والفضة وكل شيء!!

ولكن في حقيقة الأمر كل هذا لا يهم إذا لم يكن «عبدالناصر» موافقاً ومهتماً بالوجود المصري في اليمن لان الانفصال بالنسبة لـ «عبدالناصر» كان تحطيما للحلم القومي ولمشروعه، وعودة مصر إلي الانعزال داخل حدودها و«عبدالناصر» وجد ان من مصلحته بخطته وسياساته وتوجهاته وطموحاته ان يكون له وجود في اليمن خاصة أن اليمن هي التي دعته لمساعدتها عسكرياً وحضارياً.. ودارت مناقشة «شكلية» حول نوع المساعدة التي سوف تقدم لليمن.. ولكن سرعان ما تطور الموقف بسرعة غير متوقعة، فكلف المشير «عامر» اللواء «عبد الخبير» بتولي مسئولية مساندة الثورة وقام بتشكيل قيادة صغيرة لتعاونه في القيام بالمهمة المكلف بها، واختار اللواء «سعدي نجيب» رئيساً للأركان واللواء «عبدالمنعم خليل» مديراً للعمليات والعقيد «نوال سعيد» مديراً للإمداد والتموين، والعقيد «محمد تمام» مديراً لشئون الأفراد.. إذن المسئول الأول عن حرب اليمن هو «عبدالناصر» ويليه «السادات». والمشير «عامر» كان ينفذ القرارات السياسية التي كانت هدفا استراتيجيا لـ «ناصر» و«السادات» كان يشرف علي النواحي السياسية للتعاون بين القاهرة وصنعاء.

الدعاية الإعلامية:

ودارت الآلة الإعلامية للعهد الناصري بعزف منفرد لـ«هيكل» وإذاعة «صوت العرب» عن ضرورة وأهمية حرب اليمن لمساندة الشعب المصري ضد حكم الأئمة الانعزالي عن العالم الخارجي وحضارته وأن اليمن تعيش في القرون الوسطي، ولابد من أن يشعر الشعب اليمني بالحرية والديمقراطية!!.

وإذا قيل لهم وهل الشعب المصري كان يتمتع بالحرية حتي يحققها «ناصر» للشعب اليمني؟

كانت الأداة الإعلامية تؤكد ان الحرية أنواع حيث توجد حرية وطن وحرية مواطن وحرية سياسية وحرية اقتصادية وحرية اجتماعية.. و«عبدالناصر» كان له وجهة

نظر وهي ضرورة ان تسبق الحرية الاجتماعية الحرية السياسية، وأن تسبق حرية الوطن حرية المواطن(!!) وهذه نظرية في السياسة.

وبالطبع لابد ان ينفوا ان تكون حرب اليمن حلما بإمبراطورية عربية كان يبحث عنها «عبدالناصر» والبحث عن مجد شخصي له.. مؤكدين أن حرب اليمن لم تكن للبحث عن مجد لـ «عبدالناصر» لان اليمن طوال عمرها وهي «مغرم» وليست «مغنم» لا نها بلد فقير، والتواجد فيه معناه الانفاق عليها والدفاع عنها، ويتساءلون أين هو المجد الشخصي لـ«عبدالناصر» الذي يمكن أن يضاف له هل لأنه ساعد علي تحرير دولة عربية شقيقة؟!

فهو ساعد من قبل الجزائر والمغرب وتونس، وساعد علي تصفية حلف بغداد، فهو له مجد شخصي من قبل الذهاب إلي اليمن!! لان حرب اليمن من وجهة نظرهم لم تكن عملية عنترية أو بحثا عن زعامة، ولكنها عملية مصلحة معيشية فرضتها الضرورة التاريخية والظروف التي كانت قائمة في تلك المرحلة.

جسر جوي وبحري:

بدأت مصر في إنشاء جسر جوي وبحري ضخم يمتد آلاف الكيلومترات لنقل الرجال والمعدات والأسلحة والتعيينات والمستشفيات بكامل أطقمها الفنية والبشرية ومستودعات الوقود، ومخازن الأدوية وقطع الغيار والمهمات ومستلزمات المزارع التي كانت تزرع لتجنب أعباء شحنها من مصر إلي اليمن، وورش إصلاح الأسلحة والسيارات والمعدات الحربية والفنية، ونقل التعيينات الجافة والذهب والفضة الذي كانا يوزع علي القبائل لشراء ولائهم إلي الجمهورية الجديدة.. وقد ثبت رسمياً وصول «١٣٠» ألف بندقية أي تسليح «١٣٠» ألف جنديا، «٥» آلاف مدفع رشاش متنوع الأحجام، «١٣٠» مدفع مضاد للدبابات، «٩٠» مدفع هاون، «١٦» مدفع مضاد للطائرات، «٢٠» مليون طلقة «٨٦٠٠» لغم مضاد للدبابات كل هذه الأسلحة والمعدات حتي نهاية عام ١٩٦٣ فماذا عن باقي السنوات حيث استمر الجيش المصري في اليمن حتي ١٩٦٨(!!).. هذا بخلاف طائرات النقل «اليوشن» وطائرات الهليكوبتر من ٢٤ ومن ٦ ومن ٨، بجانب إسراب الطائرات القاذفة المقاتلة وطائرات الـ «أنتينوف» وطائرات «تي يو ١٦» والتي قادها عقيد طيار محمد حسني مبارك حيث كان قائد السرب، غير السفن الناقلة العملاقة وسيارات النقل والجيب.. إلخ.

فقد كان ينفق في اليمن مليون جنيه استرليني يومياً في حرب اليمن التي ابتلعت خيرة وحدات قواتنا المسلحة وأهلكت أفرادها ومعداتها وأسلحتها وطائراتها بل استنفدت أنفاسها!! وقد أكد رئيس المخابرات الأمريكية (C.I.A) في وزارة الدفاع الأمريكية بعد ذلك في لقائه مع المشير «الجمسي» عندما كان وزيراً للدفاع وبحضور د. «علي السمان» المتحدث الأسبق لرئاسة الجمهورية: أن «عبدالناصر» أخطأ في تقدير الدولة الكبرى

عندما أرسل قواته إلي اليمن خارج حدوده، لأن الدول الكبرى فقط هي التي تبعث بقواتها خارج حدودها الوطنية، ولا يسمح بذلك لباقي الدول، ولهذا كان يجب لفت النظر، ولكنه كان لفتًا شديداً قاصداً ما تم بعد ذلك في يونيه ١٩٦٧ .

التخلف والتلوث:

يحصر الكثيرون أضرار الحملة العسكرية إلي اليمن في الخسائر العسكرية والاقتصادية فقط، بعيداً عن الأضرار الاجتماعية والنفسية التي أصابت جموع الشعب المصري عندما كانوا يحرمون من قيام سرادق للعزاء في شهدائهم في اليمن بعدما كثرت الاعداد إلي الدرجة التي صدرت الأوامر بعدم إرسال جثث الشهداء وأن يتم الدفن هناك.. هذا بخلاف الأضرار الطبية والصحية التي أصابت أفضل قواتنا التي كانت في اليمن، لان الحياة كانت بدائية جداً بل شديدة التخلف، والتلوث يضرب كل شيء وقد اكتشف الدكتور «إبراهيم بدران» وزير الصحة الأسبق حوالي «٧٠» حالة خراج في الكبد بين ضباط القوات المسلحة في سنة واحدة ممن كانوا في اليمن، «فماذا عن باقي الجنود؟؟» بسبب شدة التلوث وهو كطبيب ماهر قال: المفترض والطبيعي أن اكتشف حالة واحدة كل «١٠» سنوات علي الأكثر بها خراج في الكبد.. ويذكر يوما جاءه طلب لعلاج المشير «عامر» وعندما ذهب وجد يده قد أصابها حُمرة شديدة جداً، فسأله هل صافح أحدا يده غير نظيفة؟ وكان قادماً من اليمن.. فقهقه المشير عاليًا وقال له: يا دكتور هو فيه حد هناك أيده مش وسخة.

المكائد الخارجية في حرب اليمن:

بعد تورط مصر في حرب اليمن، بدأ النزاع المصري السعودي في اليمن وحاول الرئيس الأمريكي «جون كيندي» في حل هذا النزاع من خلال خطابات أرسلها إلي الرئيس «عبدالناصر» و«كيندي» بهذا الحل كان يريد إقامة علاقات طيبة مع «ناصر» وقادة حركة عدم الانحياز «نهرو في الهند وتيتو في يوغسلافيا». ولكن محاولات «كيندي» فشلت في حل الأزمة اليمنية بسبب قوي الضغط اليهودي التي كانت تريد أن تظل مصر متورطة في اليمن لاستنزاف قواتها المسلحة في جبال اليمن وتضاريسها الصعبة. وبعد اغتيال «كنيدي» ووصول «جونسون» إلي الرئاسة تدهورت العلاقات المصرية الأمريكية التي وصلت إلي قيام مظاهرة في القاهرة متجهة إلي مبني مكتبة السفارة الأمريكية بجاردن سيتي وأضرمت فيها النيران (!!) وبعد أسبوعين من هذا الحادث ألقي «عبدالناصر» خطابا هاجم فيه أمريكا بعنف حيث قال: «إذا كانت أمريكا مش عاجبها تروح تشرب من البحر وإن لم يكفها البحر الأبيض تروح تشرب من البحر الأحمر»، وكان اللوبي اليهودي يعمل علي دفع أحد أعضاء الكونجرس الموالين له، إلي ان يلقي خطابا في الكونجرس ضد «عبدالناصر» ووصفه بـ «الديكتاتور»، فتكون النتيجة أن ترد أجهزة الإعلام المصرية بهجوم كاسح علي أمريكا وعلي رئيسها «جونسون»

فيزداد الجو بين البلدين والرئيسين توتراً.. وتمر الشهور والسنوات ويزداد التورط المصري في اليمن، ومعه نزيف الدماء والأرواح والسلاح والعتاد.

وقد حكي السفير «محسن العيني» الذي كان سفيراً لليمن في واشنطن في هذه الفترة بانه كان يتناول عشاءه في أحد مطاعم واشنطن وكان يجلس علي المائدة المجاورة له «روبرت كومر» المسئول عن الشرق الأوسط في مجلس الأمن وسمعه يقول لمحدثه إن سياستهم تهدف إلي استمرار «عبدالناصر» في اليمن. وأيضا الاتحاد السوفييتي لم يكن يريد لمصر ان تخرج من اليمن.. لان الوجود المصري هناك كان سيفتح له المجال ليضع أقدامه ويتغلغل في هذه المنطقة المهمة للمصالح الأمريكية الحيوية، وبالفعل لقد استطاع الاتحاد السوفييتي أن يصل إلي هذه المنطقة من خلال الوجود المصري في اليمن واستطاع في فترات وجيزة ان يبني روابط أيدولوجية مع حركات التحرر الوطني خاصة الحركة العمالية في «عدن» ولم يمر وقت طويل حتي أصبح اليمن الجنوبي دائراً في الفلك السوفييتي. إذن لم تكن إسرائيل وأمريكا فقط هما اللتان تحاولان إبقاء مصر في اليمن، ولهذا فشلت كل المحاولات التي بذلت لحل المشكلة اليمنية حتي وقع عدوان ١٩٦٧

عبد الحكيم عامر في اليمن:

سافرت القوات المصرية إلي اليمن ولم تكن تعرف شيئا عنها ولا عن طبيعتها أو طبيعة الحرب التي ستخوضها.. ولم تكن مستعدة لها، ولم تكن حرباً بالشكل المفهوم بل كانت حرب عصابات «كر وفر» وفتح الطرق التي تقطعها القبائل اليمنية، وعندما تأكد «عبدالناصر» أنها أصبحت عبئا علي القوات المسلحة والميزانية اجتمع بقادة القوات المسلحة بحضور رئيس الأركان ورئيس العمليات وقادة الطيران والبحرية وقائد القوات العربية.. وكان المشير «عامر» القائد العام للقوات المسلحة و«السادات» هما اللذان يتابعان المسألة اليمنية ويؤيدان استمرار وجود القوات المصرية في اليمن.. فجاء «السادات» متأخرا، فأشار إليه «عبدالناصر» وقال: هو السبب في الغرقة السودة اللي إحنا فيها!! لان «السادات» كان صديق الثوار اليمنيين في مصر أمثال «عبدالرحمن البيضاني» و«الزبيري» وغيرهما، وهو و«عمر عبدالواحد» الوزير المفوض في اليمن، أفهما «عبدالناصر» عند قيام ثورة اليمن لو أن مصر أرسلت أي قوات بسيطة سيتم إخماد الثورة، فأرسلت مصر سرية صاعقة ثم وصل العدد إلي «٥٥» ألف مقاتل مصري في اليمن، وحاربت القوات المصرية في اليمن أصنافاً كثيرة من البشر ومرتزقة من كل مكان في العالم، ولم تكن تعرف العدو من الصديق، وهل هذا يؤيد الجمهورية أم ضدها، وكانت طبيعة العدو الذي تقاتله القوات المصرية تتميز بالغدر والخيانة.. بالإضافة إلي طبيعة الأرض وصعوبة التحرك عليها خاصة المنطقة الجبلية التي كانت تعسكر بها القوات المصرية وكثرة الأحجار الصخرية وتأثيرها الخطير علي أحذية الجنود التي كانت تنتزع نعالها في مشوار واحد، فتصاب أقدام الجنود من الصخور وتدمي أصابعهم، ومع قلة المياه وطول المسافة وخطورتها إلي موارد المياه في الوادي واحتمال تلوثها بفعل العدو،

وصعوبة وصول التعيينات الطازجة من «صنعاء» إلي مواقع القوات، وإذا وصلت فمعظمها يصل تالفاً، وصعوبة وصول الصحف والمجلات وخطابات البريد، بالإضافة إلي مشكلات الإجازات ونقل الجنود من وإلي مطار «صنعاء» لقضاء الإجازة في مصر كانت مشكلة معقدة وليس لها حل.. والصعوبة في اختلاف الطقس في المكان الواحد الذي يتمثل في شدة البرودة ليلاً ودوامات الأتربة الصاعدة إلي أعلي والحاملة لكل أتربة وأوساخ اليمن وشدة الحرارة في الوديان، والبرودة القاسية في الجبال، وكان هذا يتطلب وفرة في البطاطين والملابس الصوفية ليلاً وملابس أخري خفيفة نهاراً.

ومع وصول المشير «عامر» إلي اليمن تم عقد مؤتمر كبير مع قادة القطاعات بحضور «السادات» والفريق أول «مرتجي» واللواء «فتحي عبدالغني» وعندما سأل المشير عن الروح المعنوية للقوات في منطقة كل قائد؟ وعن الموقف الحربي والكفاءة القتالية للقوات، وموقف القبائل اليمنية ومشاكلها.. جاءت الإجابات غير صحيحة لانهم أعلنوا ارتفاع المعنويات والاستعداد الدائم للقتال!!

ولكن اللواء «عبدالمنعم خليل» قال: سيادة المشير ان الروح المعنوية لقواتي سيئة!! وهذا أفقد المشير هدوءه، ودق بيده علي ترابيزة المؤامرات قائلاً: إزاي تقول الكلام ده؟ وإحنا بنقول إن قواتنا المسلحة أكبر قوة ضاربة في الشرق الأوسط!! ورد «خليل» إذا كنت سيادتك زعلان بلاش أتكلم بصراحة!!» وبسرعة رد المشير قائلاً في هدوء «لا.. لا.. اتكلم يا منعم» «بصراحة» وحكي له اللواء «عبدالمنعم خليل» كل الصعوبات التي تواجه القوات المصرية في اليمن .. وبالطبع حدث هجوم ولوم علي القادة والضباط لانهم لم يطالبوا بحل هذه العقبات. ثم دافع المشير عنهم وأمر بحلول هذه المشاكل.

كارثة الخرائط التي واجهها المصريين باليمن:

كانت الجبهة الشرقية من اليمن خاضعة لقبائل «خولان» القوية وكان يتزعمها الشيخ «الغادر» فطلب «السلال» قائد الثورة من القيادة العربية في اليمن ضرورة إخضاع هذه القبيلة القوية للثورة، لأهمية الجبهة الشرقية التي تعتبر مفتاح حضارة اليمن القديمة خاصة منطقة سد «مأرب» ووجود آثار مملكة «سبأ» القديمة، كما كانت توجد في منطقة «صرواح» أثار الحضارة اليمنية القديمة، ورغم انفاق الكثير من الأموال والريالات الفضية علي قبائل «خولان» ظلت رافضة لا علان ولائها للجمهورية فتحركت قوة برية ومعها بعض الدبابات والعربات المدرعة تدعيما لقوة من الصاعقة كلفت بالتقدم إلي «جبجانة» ثم «رأس العرقوب» و«صرواح» و«مأرب» بقيادة الرائد «حسن عبدالغني» من الصاعقة وفي ذات الوقت، طالبوا طيار «نبيل فريد شكري» بإسقاط سرية مظلات قبل غروب شمس ١٩٦٢/١٠/٢٢ بشرقي «صرواح» بغرض تأمينها واحتلالها حتي تصل لها القوة البرية عن طريق «رأس العرقوب» .. وبالفعل تم إسقاط رجال المظلات وبعد رجوع «نبيل فريد شكري» اكتشف انهم أعطوه خرائط خاطئة وتم إلقاء

رجال المظلات في المكان الخطأ، حيث لم تكن توجد خرائط واضحة لليمن مع القوات المصرية والخرائط التي معهم لم تكن توضح إلا المعالم الرئيسية وكلها جبال ووديان.

وعندما طالب «شكري» بالعودة لإنقاذ هؤلاء الرجال قيل له اية خطورة كبيرة ثم المتوقع انهم ماتوا بسبب الثلوج أو في شقوق الجبال.. وتاهت في ظلمة المرتفعات، وتشتت الجمع علي هذه الأرض العجيبة، ولم يتلقوا أي إشارات لاسلكية أو أخبار عنهم طيلة فترة طويلة مؤلمة.

حتي المجموعة البرية وقعت في كمين خطير عند منطقة وعرة تسمي «رأس العرقوب» وفقد الكثير من الشهداء، وبالطبع عدد كبير من السيارات والمصفحات وأجبر التشكيل للارتداد إلي منطقة «جبجانة» ورغم فشل هذه المحاولة في التقدم إلي «صرواح» فقد تم تكوين قوة أخري تتكون من عناصر مشاة وصاعقة ودبابات لفتح طريق «رأس العرقوب» ولم تنجح هذه القوة أيضا في التغلب علي الكمائن القوية الخاضعة لسلطان «الغادر» ملك خولان. ».

وتعتبر حرب اليمن من الاسباب الرئيسية لنكسة عام ١٩٦٧ م بسبب اشغال الجيش المصري في فتنة عربية بعيدا عن العدو الرئيسي اسرائيل.

السبب الحقيقي لدخول جمال عبد الناصر عسكريا في اليمن:

من وجهة نظري السبب الرئيسي هو ابعاد نخبة القوات المصرية عن حدود اسرائيل وانهاك الجيش المصري والدول العربية في حرب اليمن لتسهيل مهمة اسرائيل احتلال الارض وهو ما تم في يونيو ١٩٦٧م .

الموساد ...: ورَّطنا مصر في حرب اليمن لإضعافها قبل حرب ١٩٦٧.....!!!

كشفت إسرائيل النقاب للمرة الأولى عن قيام جهاز الموساد بمساعدة النظام الملكي اليمني أوائل الستينات في حربه ضد الانقلابين الذين تدعمهم مصر، وذلك بغرض إضعاف الاقتصاد المصري، ومعرفة حقيقة القدرات العسكرية المصرية في فترة المد القومي العربي قبل نكسة ١٩٦٧.

ففي تل أبيب.. أوضح" شابتاي شافيت" -رئيس المعهد الدولي لمكافحة الإرهاب- في ندوة عقدها المعهد بعنوان "سبل التصدي لإرهاب الانتحاريين": إنه وقت أن كان يرأس جهاز المخابرات الإسرائيلية "الموساد".. أصدر أوامره لضباط الجهاز بمعاونة قوات الإمام بدر الملكية حتى يستعيد حكمه الذي أطاح به الثوار عام ١٩٦٢، وقد قام الموساد تنفيذًا لذلك بإمداد الملكيين بالأموال والسلاح، وأرسل عسكريين إسرائيليين لتدريب قوات الإمام.

وبرر شافيت ذلك بقوله: إن إسرائيل كانت تريد إضعاف الاقتصاد المصري وإرهاقه بهذه الحرب التي تورَّط فيها بوقوفه بجانب الثوار بجزء كبير من الجيش المصري يقارب ثلث عدد أفراده، وبأننا -والكلام لشافيت- كنا نريد أن نتعرَّف عن قرب على حقيقة القدرات العسكرية للجيش المصري المحارب في اليمن، وقد ساعدنا ذلك على إلحاق هزيمة مروعة به عام ١٩٦٧.

وتابع رئيس جهاز الموساد السابق حديثه الذي نشرته صحيفة هآرتس الإسرائيلية الاثنين ٢١-٢-٢٠٠٠ بقوله: إن التدخل في الحرب الأهلية اليمنية كان جزءاً من نظرية إستراتيجية شاملة لجهاز الموساد الذي يسعى إلى إثارة الانقسامات والنزاعات في صفوف العالم العربي، والبحث عن حلفاء له في المنطقة.. كما أن التدخل الإسرائيلي في تلك الحرب مكّن الموساد من دسّ عملاء له ليحصلوا على معلومات حول قدرة الجيش المصري في تلك الفترة الحساسة التي سبقت حرب يونيو عام ١٩٦٧.

وأضاف شافيت: إن من أشهر عملائنا في تلك الفترة هو بارخ مرزاحي الذي اعتقل في اليمن عام ١٩٦٧، وكان يعمل متنكرًا في صورة مواطن مصري، وبعد اعتقاله.. سلمته السلطات اليمنية إلى مصر التي حكمت عليه بالسجن المؤبَّد، ثم أفرجت عنه بعد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ في إطار صفقة لتبادل الأسرى بين الحكومة المصرية والإسرائيلية.

وطبقًا للمعلومات الجديدة التي أوردها شافيت في حديثه.. فانه من وجهة نظري نسي ان من ورط مصر بحرب اليمن هو الجاسوس الاسرائيلي الامريكي جمال عبد الناصر رجل الموساد الذي اصبح رئيسا .

٣. الجاسوس جمال عبد الناصر يسلم الارض لإسرائيل في هزيمة حزيران يونيو ١٩٦٧م:

قلنا سابقا إن إسرائيل احتلت سيناء للمرة الأولى عام ١٩٥٦، وإن انسحاب القوات البريطانية والفرنسية كان نتيجة الضغط الذي مارسته الولايات المتحدة على الدولتين فقبلتا قرار وقف إطلاق النار، وأن الولايات المتحدة لم تمارس هذا الضغط إلا بعد موافقة عبد الناصر على كل شروط إسرائيل مقابل انسحابها من سيناء، وكان من ضمن الشروط التي خضع لها عبد الناصر، إزالة الوجود العسكري المصري في تيران وشرم الشيخ، بل إزالة السيادة المصرية الفعلية هناك وفي باقي سيناء وإن بقيت اسميا، وسلمت المنطقة لقوات البوليس الدولي. ومن ثم فتح خليج العقبة للملاحة الإسرائيلية، وكان من نتيجة ذلك تجميد الوضع العسكري على الحدود بين مصر والكيان الصهيوني منذ ذلك التاريخ، وإن لم يكف عبد الناصر عن تهديد إسرائيل ومن وراء إسرائيل في خطاباته قولا لا فعلا كما اعتاد، وقد اشتركت هذه الخطابات كما قلنا في حملة التضليل الإعلامي التي تعرض لها الشعب المصري في ذلك لوقت، وكان التعتيم الإعلامي على قبول عبد الناصر أو قل خضوعه لشروط إسرائيل المذلة جزءا من تلك الحملة، فلم يفطن أحد إلى حقيقة ما حدث إلا قلة قليلة

من الشعب لم تجازف بالحديث بما تعلم اتقاء لما يمكن أن تتعرض له من اعتقال وتعذيب، أما غالبية الشعب فلم يرد أحد لها أن تعلم حقيقة ما جرى، ومع مرور الأيام والأعوام وتوالي الأحداث على مصر والمنطقة، بدأت الحقيقة تتكشف، خصوصا وأن عبد الناصر كما رأينا في عرضنا لبعض الأحداث التي وقعت في الخمسينات والستينيات من القرن المنصرم كان يعادي انظمة العراق المتعاقبة ومشاكله مع حكام سوريا و السعودية ودول الخليج العربي والمغرب والاردن، فكان دائم الحديث عن حكام تلك الدول بما لا يليق، فبادلوه حديثا بحديث وصرحوا بحقيقة ما حدث، وبدأت الأخبار تتسرب عن انتهاك عصابات الكيان الصهيوني لتراب مصر الوطني ممثلا في سيناء إذ كانت التجارة الصهيونية تمر إلى شرم الشيخ ومضيق تيران عبر ممرات متلا في قلب سيناء، وبدأ الساسة الخليجيون (يعايرون) نظراءهم المصريين في المؤتمرات والمحتفلات الدولية المختلفة بما يحدث على أرضهم، ولا يتناسب وما يجري على لسان (الزعيم) من تهديدات لإسرائيل ومن وراء إسرائيل، كذلك لا يتناسب مع سب حكام تلك الدول وتجريحهم في خطاباته (الحماسية) بمناسبة وبدون مناسبة، وربما سنعتقد ان هذا ما دفع عبد الناصر لإصدار قرار بمنع إسرائيل من المرور في سيناء وغلق خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية، والتقدم بطلب إلى الأمم المتحدة لسحب القوات الدولية من سيناء، وكان هذا القرار بمثابة إعلان حرب على إسرائيل لو لا معرفتنا ان جمال عبد الناصر جاسوس مهمته تسليم الارض، وبالعودة إلى مذكرات عبد اللطيف بغدادي نجد أنه في يوم ١٥ مايو ١٩٦٧، تحدثت الصحف عن أمر هام يقول بغدادي: "طالعتنا صحف اليوم بأن قواتنا المسلحة قد تحركت إلى سيناء. وجاء فيها أن هذا التحرك هو لمساندة سوريا ضد التهديدات الإسرائيلية والتي تقوم بحشد قواتها العسكرية على الحدود المشتركة معها. وأن هذا التحرك من جانبنا جاء تنفيذًا لاتفاقية الدفاع المشترك بيننا وبين سوريا. وكان متحدث إسرائيلي قد ذكر قبل ذلك بأيام قلائل أن القيام بعملية عسكرية ضخمة هو الوسيلة الوحيدة لإيقاف تلك العمليات التخريبية التي تقوم بها سوريا داخل الأراضي الإسرائيلية.

وعبد الناصر كان متعمدا ادخال مصر في حالة الحرب دون استعداد حيث انه في ١٥ /٥/ ١٩٦٧ ارسل الجيش المصري الى سيناء ٨٠ ألف جندي بحجة رفع الضغط العسكري عن سوريا حيث كان العدو الصهيوني يحشد ١١ لواء على الحدود السورية .

وفي ١٦ /٥/ ١٩٦٧ طلب جمال عبدالناصر خروج قوات الطواري الدولية .

وفي ١٨ /٥/ ١٩٦٧ غادرت قوات الطواري الدولية سيناء وغزة .

أعلنت مصر وفي ٢٢ /٥/ ١٩٦٧ اغلاق مضائق تيران وهو اعلان الحرب بالعرف الدبلوماسي.

وفي ٣٠ /٥/ ١٩٦٧ وقع جمال عبدالناصر والملك الاردني حسين اتفاقية تحالف عسكري وانهى الخلاف بين الدولتين .

واتخذت اسرائيل عدة ذرائع لشن الحرب منها :-

"طلبت مصر من قوات الطوارى الدولية مغادرة اراضيها .

"قيام جمال عبد الناصر بإغلاق مضائق تيران وهي المنفذ المهم لتزويد إسرائيل بالأسلحة و المعدات و اعتبرت إسرائيل المضائق مياها دولية لا يجوز لمصر إغلاقها .

- تحريك حوالي " ٨٠ الف " جندي مصري ونشرهم في سيناء .

كان يوم " ٥ يونيو ٦٧ م " أشأم يوم في تاريخ العرب الحديث ففيه ضربت إسرائيل الطيران المصري واجهزت عليه وهو رابض في مطاراته وتقرر بعد ثلاث ساعات مصير الحرب بين العرب وإسرائيل ولذلك يمكن تسمية حرب يونيو حرب الثلاث ساعات ونتج عن تلك الحرب ان إحتلت إسرائيل في ستة أيام " قطاع غزه - سيناء - الضفة الغربية - بما فيها القدس الشريف -واحتل الجولان " .

هناك عدة حقائق مخفية لا يعلمها كثير من العرب والمصريين عن هزيمة ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ، هذه الحقائق تقود لنتيجة واحدة وهي أن جمال عبد الناصر كان حريصا كل الحرص على أن تحقق إسرائيل انتصارا كبيرا في هذه المعركة ، هذه المعركة التي قادها موشيه ديان صديق طفولة عبد الناصر وجاره في حارة اليهود التي ولد فيها عبد الناصر بالجمالية ، من أبرز هذه الحقائق:

١. علم جمال عبد الناصر المسبق بوقوع الحرب:

ثبت أن عبد الناصر كان على دراية سابقة بوقوع الحرب، وسنتكلم هنا بإيجاز عن ذلك ثم دوره بناءاً على هذا العلم، في هذه الحرب كان عند عبد الناصر معلومات كثيرة أكيدة ودقيقة عن قرب وقوع العدوان، وبصورة أوضح بكثير من حرب ١٩٥٦ نسوق منها:

- وصول معلومات وتفصيلات عن استعداد إسرائيل العسكري للحرب، وتحديد ٥ يونيو للهجوم على مصر، وذلك عن طريق أحد الجواسيس التابعين للمخابرات المصرية المزروعين في إسرائيل .

- إعطاء كولونيل فرنسي تفاصيل خطة الهجوم على مصر وساعة وتاريخ الهجوم على مصر للمفوض المصري بباريس "عز الدين شرف" الذي سافر للقاهرة لإبلاغ شقيقه "سامي شرف" "مدير مكتب الرئيس"، والذي قام بدوره بإبلاغ عبد الناصر بذلك في نفس اليوم.

- جاء على لسان الفريق أول محمد أحمد صادق، مدير المخابرات الحربية عام ١٩٦٧ أنه في أحد الاجتماعات العسكرية التي عقدت برئاسة عبد الناصر يوم ٢ يونيو ١٩٦٧،

أعلن فيه أن معلوماته التي حصل عليها شخصياً من مصادر دولية كبيرة كالهند تؤكد هجوم إسرائيل يوم ٤ أو ٥ يونيو.. وتقرير المخابرات بصوت مسموع: "إن إسرائيل ستهجم يوم ٥ يونيو ، وقال: "إن علينا ألا نبدأ بالهجوم، ونتلقى الضربة الأولى، وأن روسيا أكدت أن خسائرنا لن تزيد على ١٥ في المئة .

هذه المعلومات وغيرها وصلت إلى علم عبد الناصر، ويؤكد ذلك قوله في خطاب ٢٣ يوليو ١٩٦٧ والذي أشار فيه إلى اجتماعه بالقادة العسكريين الكبار بمبنى القيادة العامة للقوات المسلحة، حيث قال: ".. وقلت في هذا الاجتماع يوم ٢ يونيو أنه لابد لنا أن نتوقع ضربة من العدو في خلال ٤٨ ساعة إلى ٧٢ ساعة لا تتأخر عنها أبداً على أساس ما كانت تشير دلائل الحوادث والتطورات، وقلت أيضاً في هذا الاجتماع إنني أتوقع أن يكون العدوان في الاثنين ٥ يونيو وأن الضربة الأولى ستوجه إلى قواتنا الجوية.." وحدث ما تم ذكره تماماً من ضرب القوات الجوية في التاريخ المذكور.

٢. استجابة عبد الناصر لنداء روسيا وأمريكا وانتظار الضربة الأولى:

في حرب يونيو ١٩٦٧ طلبت كل من الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة الأمريكية من عبد الناصر ضبط النفس وعدم المبادأة بالعدوان، وقد استجاب عبد الناصر لذلك رغم علمه بتوقع الحرب - كما سبق القول - وانتظر الضربة الأولى حتى وقعت دون أن يكون هناك أدنى استعداد من جهته لذلك ، يقول في المؤتمر الصحفي يوم ٢٨ مايو عام ١٩٦٧: "مستتبين (منتظرين) تاركين المبادأة لهم".

ولا يفوت عبد الناصر أن ذلك خطة السياسة العسكرية الإسرائيلية أن تكون هي دائماً البادئة بالعدوان نظرا لوضعها وحجمها "إن فرصة إسرائيل الوحيدة في التغلب على خصمها الذي يفوقها في العدد والعدة تكمن في أن تكون البادئة بالهجوم".

وأكد عبد الناصر في اجتماع القادة يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ أن الوضع سيحل سلمياً عن طريق أمريكا وروسيا، وسيرسل زكريا محيي الدين إلى الولايات المتحدة لذلك.

- ويقول محمد حسنين هيكل في مقاله: "بصراحة إن المواجهة المسلحة مع إسرائيل أصبحت واقعة لا محالة ولكننا سننتظر الضربة الأولى منها ونرد عليها بضربة ردع حاسمة" .

٣. الإجراءات العسكرية في المعركة:

أهم ما نلاحظه في سير هذه المعركة هو أمر عبد الناصر بتخفيض حمولة الطائرات من الذخيرة بنسبة ٢٥ في المئة، والسماح لإجازات الطيارين بنسبة ١٥ في المئة، على أن تنفذ هذه التعليمات اعتباراً من يوم ٥ يونيو ١٩٦٧م، وزاد من بلية الأمر وغرابته ووضع علامة استفهام كبيرة على تصرف عبد الناصر هذا بالذات هو إصداره

أمراً للمشير عبد الحكيم عامر ومعه طائرتان تحملان طاقم القيادة العسكرية بالكامل بالتوجه إلى سيناء، وإعطاء أوامر للدفاع الجوي بمنع التعرض لأي هدف طائر على مستوى الجمهورية من الساعة الخامسة من صباح ٥ يونيو رغم اعترافه وعلمه السابق الإشارة إليه بأن الطيران الإسرائيلي سيبدأ الهجوم بين الساعة السابعة والساعة الثامنة من صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧م.

وبدأ الهجوم صباح هذا اليوم والطيران الإسرائيلي يسبح في سماء الأجواء المصرية بطلاقة وحرية، دون أن تتعرض له الصواريخ أو المدفعية المضادة للطائرات تنفيذاً للتعليمات الصادرة في اليوم السابق للعدوان.

وقصفت الطائرات الإسرائيلية المطارات المصرية، والطائرات رابضة في ممراتها وفي خلال ساعات دمرت هذه المطارات بنسبة ٨٠ في المئة.

٤ـ تعمد ارتكاب الجريمة الكبرى:

يقول الفريق أول "محمد أحمد صادق" مدير المخابرات الحربية عام ١٩٦٧م "جريمة كبرى ولا يمكن أن أصفها بأقل من ذلك تلك التي ارتكبوها في حق الشعب المصري وهم ينفذون مشروع التعبئة العامة لمعركة ٥ يونيو ١٩٦٧، عندما قاموا بكل الهزل والاستخفاف بإرسال تشكيلات قوات الاحتياط بملابسهم المدنية إلى مسرح القتال ودون أسلحة أو أغذية أو أدوية، بل بدون توفير مياه الشرب لهذه القوات، أرسلوا مئات الدبابات دون وقود، ودون إبر ضرب النار إلى سيناء وأطقم دبابات "ث٣٤" يرسلونها إلى دبابات "ت٥٤" ودبابات جديدة خرجت من المخابرات بشحومها وبدون بطاريات أو ذخيرة، وبينها دبابات شيرمان الغربية التي حصلت عليها مصر سراً قبل الحرب بفترة قصيرة، تشكيلات برية دفعوا بها إلى سيناء، دون أن يكون لدى قادتها خرائط بمواقعهم، أو أوامر بواجباتهم القتالية، كما شحنوا إلى الجبهة بوحدات الحرس الوطني دون مهام لها، فتحولوا إلى عبء خطير إدارياً وقيادياً وإنسانياً، ولم يرسلوا إليهم بكميات من الأغذية تكفي أسبوعا ولا حتي يوماً واحداً ولا بمياه شرب وبالدواء تحسباً للأمراض المفاجئة، أعادوا قادة من الجبهة دفعوا بدلاً منهم آخرين على مستوى التشكيلات الكبيرة والصغيرة كذلك، دون أن يكون لهؤلاء القادة الجدد أدنى فكرة عن تنظيم التشكيلات التي سيتولون قيادتها واستمر ذلك حتى نهار ٤ يونيو، وظلت مستودعات الذخيرة والبترول واحتياطات الغذاء الجافة متناثرة في جبهة سيناء كما تستلزم حالة السلم دون نقلها إلى مستودعات أخرى خشية التدمير أو السقوط في أيدي العدو الذي استخدمها وهو يزحف متقدماً نحو الضفة الشرقية للقناة وبين هذه المستودعات مخازن الذخيرة"

٥. انسحاب يونيو ١٩٦٧م:

أصدر جمال عبد الناصر الأوامر بالانسحاب الفوضوي غير المدروس، وبدون خطة، مما أربك القوات المصرية في صحراء سيناء المكشوفة، وأصبحت هدفاً سهلاً للطيران الإسرائيلي، مما عرضها للإبادة، وتركها الأسلحة والمعدات والعربات ثم ملاذها بالفرار في اتجاه القناة والنجاة.

والاخطر مما جرى في الحرب جرى قبل الحرب مثل الحفلة الراقصة ليلة يوم الأحد ٤ يونيو ١٩٦٧ ليلة النكسة

٦. ماذا جرى ليلة النكسة:

في يوم أول يونيه ١٩٦٧ تقرر إجراء حفل غنائي في أكبر قاعدة جوية مصرية بأنشاص تحييها الفرقة الذهبية بقيادة الموسيقار صلاح عرام.. ثم فجأة وبدون إبداء الأسباب تغير موعد الحفل إلي يوم ٤ يونيه أي ليلة النكسة. سهر الطيارون والضباط والجنود في الحفل حتي السادسة صباح يوم ٥ يونيه، رغم أن الحفل كان مقرراً الانتهاء منه في الثالثة قبل الفجر.. وقد حدثت مفاجأة في الحفل، حيث قرر الفنان عبدالحليم حافظ الاعتذار فجأة عن المشاركة في الحفل دون إبداء الأسباب.. بينما شارك في الحفل الفنان محمد رشدي وفايدة كامل وماهر العطار وشهرزاد وقدمت الراقصة زينات علوي فقرة أسعدت الضباط والجنود.. وبعد دقائق مع انتهاء الحفل ورحيل الفنانين إلي القاهرة، كانت الطائرات الإسرائيلية تحلق فوق قاعدة أنشاص الجوية وتدك القاعدة بالقنابل الثقيلة والصواريخ حتي سوتها بالأرض!

وبعد النكسة استدعي العقيد طيار حسني مبارك - الذي صار فيما بعد رئيساً للجمهورية استدعي الموسيقار صلاح عرام للتحقيق معه حول أسباب إقامة الحفل الغنائي في هذا اليوم تحديداً - ليلة النكسة - ومن الذي دعا إليه، ومن شارك فيه من الفنانين.» الوفد« أجرت حواراً ساخناً مع الموسيقار صلاح عرام ليروي لنا تفاصيل ليلة النكسة في أكبر قاعدة جوية مصرية.. وماذا حدث قبل وأثناء وبعد الحفل. وهذا نص الحوار:

* ماذا حدث مساء ليلة ٤ يونيو ٦٧؟

- كانت مصر في هذه الفترة في حالة تعبئة عامة، وكانت الناس تنتظر الحرب بفارغ الصبر وكانت الشوارع مليئة بإعلانات عن التبرع والجهاد وكنا نحن كفنانين نمتلئ بالحماس ونقوم بالأعمال الفنية والغنائية الوطنية لبث الحماسة في نفوس الشعب والجيش، وفي ١ يونيو اتصل بنا رئيس الإذاعة في ذلك الوقت عبدالحميد الحديدي، وأمرنا بأن نذهب في هذا اليوم لإقامة حفل في أكبر قاعدة حربية وهي انشاص، وبالفعل تجمعنا في اليوم نفسه أنا وكان معي الفنان محمد رشدي وفايدة كامل وماهر العطار وشهرزاد والراقصة زينات علوي، وكنا جميعاً متلهفين للمشاركة في هذا الحفل، ولكن للأسف في الساعة الواحدة ظهراً اجتمع بنا أحد الضباط في الإذاعة وأبلغنا أنه تم إلغاء الحفل.

* لماذا ألغي الحفل في أول يونيو؟

- لا أعلم.. ولكن قد يكون لأسباب سرية.

* وماذا عن العدول عن فكرة إلغاء الحفل وإقامته مرة أخري ليلة ٤ يونيو؟

- في ٤ يونيو جاءت مكالمة إلي من رئيس الإذاعة وطلب مني جمع الفنانين مرة أخري لإقامة الحفل وبالفعل في الساعة الرابعة ظهراً كنا قد اجتمعنا مرة أخري وطلب الحديدي منا أن نضع البرنامج لهذا اليوم الذي يبدأ في التاسعة مساء، بحيث يستمر إلي الواحدة صباحاً حتي يأتي الفنان عبدالحليم حافظ ليختتم الحفل، وبالفعل اتجهنا إلي القاعدة داخل أكبر قاعدة حربية »انشاص«.

* ماذا شعرتم وانتم داخل أكبر قاعدة حربية في ذلك الوقت؟

- شعرنا بأننا أقوياء ولن نهزم أبداً.. فحينما وصلنا القاعدة وجدنا كماً هائلاً من الطائرات الحربية والتي إن وجهت إلي إسرائيل تقضي عليها في دقائق، وقد استقبلنا قائد القاعدة وطلب منا أن يأخذنا أولاً لمشاهدة المعسكر وإمكانياته، حيث آرانا ما يسمي بالصاروخ الظافر والذي أعلن لنا أنه إذا انطلق إلي إسرائيل يقضي عليها في خلال ٨٠ ثانية ثم أشار إلي الصاروخ القاهر والذي يقضي علي إسرائيل في ٧٠ ثانية..

* وماذا شعرتم حينما رأيتم هذه الصواريخ التي تقضي علي إسرائيل في ثوان؟

- شعرنا بثقة كبيرة وأننا نستطيع في فسحة لصواريخنا مدتها لا تتعدي الخمس دقائق القضاء تماماً علي إسرائيل.

* وماذا عن حفل يوم ٤ يونيو ١٩٦٧؟

- كان الحفل يقام علي حمام السباحة ووجدناهم ينتظروننا بالخرفان والجديان تشوي وجاء إلينا أحد الضباط، وطلب منا اتباع التعليمات الأمنية قبل بدء الحفل

* وما هي تلك التعليمات؟

- أشار الضابط إلي لمبة حمراء وطلب منا النزول من علي المسرح بسرعة شديدة في حالة إضاءة هذه اللمبة والهروب إلي مخبأ مجهز وآمن تماماً.

* وهل بدأ الحفل بعد ذلك؟

- نعم بدأ الحفل بعد ذلك في التاسعة والنصف مساء يوم ٤ يونيو والذي تمت إذاعته علي الهواء مباشرة بالإذاعة المصرية، حيث قمنا جميعاً بتقديم الأغاني الوطنية حتي قبل منتصف الليل عندما اضيئت اللمبة الحمراء، فشعرنا بخوف شديد وأسرعنا إلي المخبأ.

* وهل كانت هذه أول إشارة إلي بدء الحرب وهجوم القوات الإسرائيلية؟

- لم نتوقع أبداً بعد ما رأيناه من أسلحة وما سمعنا من قادة الجيش أن تهزمنا إسرائيل، وخصوصاً عندما أكد لنا القائد بعد عشر دقائق فقط من دخولنا المخبأ أنه لا داعي للقلق وأن ما حدث كان مجرد موضوع تافه وهو دخول طائرتين غزة والتي كانت تتبع مصر في هذا الوقت وأنه تم القضاء علي إحداهما وهروب الأخرى..

* وهل تم استئناف الحفل بعد ذلك؟

- نعم استأنفنا الحفل ولكن الطريف أن عبدالحليم حافظ اعتذر في آخر لحظة، عندما اتصل مدير أعماله وتساءل عن سبب وقف إذاعة الحفل في الإذاعة المصرية وعلم أننا في المخبأ، ولذلك اضطررنا لاستكمال الحفل بدونه حتي الثالثة صباحاً.

* وهل رقصت الراقصة زينات علوي لضباط الجيش ليلة النكسة؟

- نعم رقصت زينات وغنت شهرزاد ومحمد رشدي وماهر العطار.. وآخرون.

* وهل انتهي الحفل بذلك بعد الثالثة صباحاً؟

- نعم ولكن طلب منا الضباط الاستمرار معهم حتي الصباح للترفيه عنهم وبالفعل بقينا معهم حتي السادسة صباحاً، ثم قاموا بمصاحبتنا وتوصيلنا لأننا لم نكن نستطيع العودة بمفردنا ولا حتي الخروج من القاعدة الجوية بدون كلمة السر.

* كيف استقبلت خبر النكسة في اليوم التالي؟

- كنت قد وصلت إلي منزلي بالقاهرة في التاسعة صباحاً وبدأت بعد ذلك صفارات بدء الحرب تدوي في شوارع القاهرة وطلبت من زوجتي الإسراع لاحضار ابنتي من المدرسة حتي لا يصيبها ضرر، ولكنني طلبت منها الاطمئنان، مؤكداً لها أننا لن يصيبنا أي ضرر وأننا نملك صواريخ الظافر والقاهر ونستطيع القضاء علي إسرائيل بعد خمس دقائق وتنتهي الحرب، ثم اتصل بي وجدي الحكيم وطلب مني الحضور إلي الإذاعة لبدء إرسال الأغاني الوطنية، وفي الواحدة ظهراً وصلت للإذاعة وبدأنا العمل واستمرت إذاعة الأغاني الوطنية، حتي الخامسة مساءً، وعندما عادت إشارات الإنذار تدوي مرة أخري بشدة طلبوا منا أن ننزل إلي الأدوار السفلي بمبني الإذاعة وأثناء نزولي وجدت جلال معوض يبكي ولا يتكلم ثم وجدت أحد المهندسين ينظر إليّ ويقول »انتم ليه بتغنوا« فانقبض قلبي وشعرت بأن هناك مصيبة.

* ماذا شعرتم بعد علمكم بالنكسة؟

- لا أستطيع أن أمحو ذلك اليوم من ذاكرتي أبداً، لقد بكيت فيه طويلاً وكانت الصدمة لي مروعة، خصوصاً أنني كنت ساهراً الليلة السابقة في أكبر قاعدة حربية مصرية والتي

كانت أول ما دمرته القوات الإسرائيلية، فكنا منكسرين خجولين، بعدما كنا فخورين بما فعلناه مع ضباط الجيش ليلة ٤ يونيو، وحتي صباح يوم ٥ يونيه.

* لماذا تم التحقيق معك بعد النكسة؟

- عندما كنت اتحدث تليفونياً مع الفنان محمد رشدي الذي حضر الحفل معي ليلة النكسة وكنا نتكلم عما حدث فوجئت بطرف ثالث يدخل في الحديث ويحذرنا بعدم التكلم في مثل هذه الأمور مرة أخري وبعد عدة أيام أخبرني صديقي ماهر العطار أننا مطلوبون للتحقيق في مكتب العقيد طيار حسني مبارك ..

- الذي صار فيما بعد رئيساً للجمهورية

- ولم أذهب، ثم حضر إليّ في المنزل ضابطان وطلبا التحقيق معي وتم بالفعل.

* وما هي الأسئلة التي وجهت إليك؟

- تم سؤالي عن سبب تأجيل الحفل من ١ إلي ٤ يونيو ٦٧ ومن الذي حضر الحفل ومن الذي طلب منا إقامته..

* في رأيك.. عما كانوا يبحثون؟

- كانوا يبحثون عن السبب لأكبر نكسة في تاريخ مصر، كانوا يعتقدون أن هناك من سرب معلومات عن القاعدة لإسرائيل أو سرب أنباء عن موعد الحفل الساهر في أكبر قاعدة حربية (أنشاص).

* وما الذي حدث في هذا التحقيق؟

- اسألوا الأموات، فهذا في علم الغيب!!

* هل تعتقد أن هناك من سرب معلومات بالفعل؟

- »ضاحكاً«.. نعم بالتأكيد.. هذا حدث بالفعل.

* ومن الذي قام بعملية التسريب؟

- »ساخراً« الإذاعة المصرية التي كانت تذيع الحفل علي الهواء مباشرة.

* هل تعتقد أن حفلتكم كان لها دور في نكسة ٦٧؟

-لا أعرف.. كل ما أعرفه أن هذا اليوم سيبقي في ذاكرتي إلي الأبد.

* هل شعرت بالذنب بعد النكسة بأنكم شاركتم بشكل أو بآخر فيها؟

- نعم بالطبع ومازلنا نشعر بهذا إلي الآن، فقد كنا ذاهبين لكي نحصل علي أوسمة ففوجئنا بهزيمة ساحقة.

* هل تري أنه تم استخدامكم بشكل أو بآخر للمشاركة في هذه الهزيمة؟

- بالطبع نعم

- والدليل أن هذا الحفل كان مقرراً يوم ١ يونيه ثم ٢ يونيو حتي جاء يوم ٤ يونيه لكي تحدث النكسة في اليوم التالي . انتهى

والفضيحة الاكبر من وجهة نظري هي طريقة دخول القوات المصرية سيناء بعد ١١ عام من منعها من دخولها حيث كانت الطريقة استعراضية لحجم القوات وصورت الكاميرات كل شيء فكان استعراض عسكري اكثر من دخول الى الحرب وفي الحقيقة ان العدد الاكبر من الجنود كانوا من الفلاحين قليلي التدريب لان الجيش الرئيسي كان في اليمن.

حيث دخلت ثلاثة فرق عسكرية في اول ٤٨ ساعة ضمت ٤٥ الف جندي واكثر من ٣٠٠ دبابة حديثة و ٤٥٠ ناقلة جنود مدرعة واعداد ضخمة من المدفعية السوفييتية الحديثة وفي ١٥ ايار نظمت اسرائيل اضخم عرض عسكري في تاريخها وكانت بمثابة التعبئة الاسرائيلية للحرب وبدأت الحشود العسكرية الاسرائيلية والتعبئة استعدادا للحرب.

٧. فضيحة اغلاق الدفاع الجوي نتيجة زيارة المشير بالطائرة لسيناء:

سأبدأ مع هذا الرجل (الفريق أحمد صلاح عبد الحليم) كان مع عبد الحكيم عامر في طائرته الساعة ٨ صباحاً لحظة ضرب المطارات الحربية المصرية في ٥ يونيو ٦٧ – وللأسف لم يتكلم احد عن الموضوع ممن كانوا مع عامر - وللأسف الصحفي لم يركز في هذا الحوار (الذى تم نشره بصحيفة المصري اليوم يوم ٢٢ يوليو ٢٠١٤) على هذا الموضوع ولا لماذا كان يجب أن يذهب عامر في تلك اللحظة بالذات إلى إلى سيناء ولا لماذا فشلت مصر في معرفة موعد الهجوم الإسرائيلي رغم توقعه منذ يوم ١٤ مايو ٦٧ وفي اللقاء رأيت الرجل مسناً بشكل يمنعه من الاستفاضة في الكلام حتى أن كلامه عن حرب ٧٣ ودوره فيها كان مقتضباً ولا يشفى غليل أي شخص متطلع للمعرفة.

وكلامه عن ماجري (في يوم ٥ يونيو تحركت الطائرة من مطار ألماظة متجهة إلى مطار بيرتمادا القريب من قاعدة المليز، لكى يقوم المشير عامر بإدارة المعارك من مسرح العمليات في منطقة «ريشان لحمان». وكانت الطائرة تقل كلا من المشير وقائد القوات الجوية ومدير الشؤون العامة وعددا من القادة بالإضافة إلى «الصول» الذى يتولى خدمة المشير.. وبعد عبور الطائرة لقناة السويس، حدث هرج ومرج داخل الطائرة عندما أعلن أحد الضباط أن المطار الذى نتجه إليه تم ضربه، وتحرك الفريق صدقي محمود

سريعاً إلى كابينة القيادة وعاد ليخطر المشير أن جميع المطارات قد تم ضربها.. كانت لحظة مفزعة فعلا.. صدمة دفعتنا إلى الدعاء وقراءة القرآن بعد تصاعد احتمالات ضرب الطائرة التي تقلنا.. وصدرت الأوامر لقائد الطائرة بالعودة إلى ألماظة.. وما كدنا نصل إليه حتى جاءنا نبأ ضربه.. واضطرت الطائرة العسكرية في النهاية للهبوط بمطار القاهرة الدولي.. مشهد لا يمحى من الذاكرة.. الكل يجرى في حركات هيستيرية.. المضيفات يصرخن.. مأساة حقيقية فعلاً.

ويروي الفريق سعد الدين الشاذلي عن الموضوع في برنامج شاهد على العصر حيث يقول (في يوم ٤ يونيو جاء ضابط اتصال الى اللواء الشاذلي وابلغه انه مطلوب الى القيادة للقاء المشير عبد الحكيم عامر في مطار فايد وفعلا جاءت طائرة هليكوبتر لنقل الشاذلي ساعة ٦ صباح ٥ يونيو ووصل الشاذلي ووجد جميع القادة للقوات بسيناء في مطار فايد مجتمعين بانتظار المشير وفجاءة سمعنا انفجار وانفجار اخر وخرجنا من القاعة ووجدنا المطار قد دمر ويقول الشاذلي هذا يعني انه لا يوجد اي قائد مع قواته في وقت الحرب الساعة ٨ صباحا تقريبا وبعدها اكتشفنا ان جميع المطارات دمرت والمشير طائرته معلقة بالسماء تحاول العثور على مهبط للنزول فيه)

ويقول عن هذه الحادثة الفريق حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية اثناء الحرب (انه وصلت الى مطار فايد ووجدت شيء غريب انه الطائرات على صف واحد على مدارجها الجناح جنب الجناح كانه تم تجهيزها للذبح في مذبح الي وهذا جعلني اقول انه الخيانة موجودة) والمضحك ان الاتحاد السوفييتي ساهم بتوريط مصر في الحرب عبر مذكرة استخبارية كاذبة انه اسرائيل ستهاجم سوريا وهي كذب لاوجود له.

٨. معرفة جمال عبد الناصر موعد الحرب ووضوح الخيانة:

ويقول محسن عبد الخالق احد الضباط الاحرار والذي كان في بريطانيا وقت الحرب عن السفير الاردني في لندن (استدعاني السفير الاردني في بريطانيا وابلغني انه علم من الخارجية البريطانية ان الحرب ستقع يوم ٥ يونيو وطلب مني ابلاغ جمال عبد الناصر بذلك لأني اخاف ان الملك حسين لا يبلغ عبد الناصر بذلك) اما الدولة الثانية التي سربت موعد الحرب لعبد الناصر كانت الولايات المتحدة الامريكية عبد سفيرها بموسكو ويروي د مراد غالب وزير الخارجية المصري الاسبق وسفير مصر في موسكو وقت الحرب (انه كان قد دعا عدد من السفراء يوم الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧م فجاء السفير الامريكي واعتذر عن الحضور قائلا انه ستحدث احداث تمنعني عن الحضور واوصلت المعلومة لجمال عبد الناصر وكذلك يوغسلافيا بقيادة تيتو ابلغوا مصر بموعد الحرب)

اما الدولة الثالثة التي ابلغت جمال عبد الناصر بموعد الحرب هي فرنسا ويقول سامي شرف مدير مكتب جمال عبد الناصر في مذكراته (ان الرئيس الفرنسي ديغول استدعى السفير المصري عبد المنعم النجار وطلب منه ابلاغ رسالة عاجلة الى جمال عبد الناصر مفادها ان المخابرات الفرنسية لديها معلومات مؤكدة بانه سيحدث هجوم ساحق على مصر يوم ٥ يونيو ١٩٦٧م ورجا ان تقوم الجمهورية العربية المتحدة باستيعاب هذه

الضربة ثم الرد عليها حتى يستطيع ان يدعم موقف القاهرة على اساس ان اسرائيل هي البادئة بالهجوم)

ويقول الفريق محمد فوزي رئيس الاركان في وقت الحرب (كان هناك جلسة مهمة قبل يوم ٥ يونيو وكان يوم جمعة موافق ٢ يونيو ١٩٦٧م حيث ابتدأ جمال عبد الناصر يعطي افق سياسي للقادة وقال ان المعركة اصبح احتمالها ١٠٠ بالمئة وتبدأ بضرب الطيران وكان قائد القوة الجوية جالسا ورد بالقول ان الضربة الاولى ستدمرنا)

ويقول الفريق عبد المحسن مرتجي قائد القوات البرية في ١٩٦٧م (انه لما تحصل حرب المفروض استدعاء القادة وابلاغهم بمهامهم وما سيحصل ويأخذ راي القادة لكن هذا لم يحدث اطلاقا) وبالتالي فأن القوات المسلحة وقادتها لم يعلموا بموعد الهجوم رغم علم جمال عبد الناصر ووزير دفاعه عبد الحكيم عامر .

والفضيحة الاخرى تغيير الشفرة المصرية يوم ٤ يونيو مما منع فك شفرة الاشارة الاردنية من مطار عجلوون بانطلاق الطائرات الاسرائيلية للهجوم على مصر وطبعا ذكرنا فضيحة اغلاق الدفاع الجوي بسبب ان طائرة المشير عبد الحكيم عامر بالسماء وفضيحة اخراج الطائرات على المدارج ورصها الجناح فوق الجناح ليسهل تدميرها.

واما الفضيحة الاخرى عملية التنقلات المريبة داخل القوات المسلحة قبل حرب ١٩٦٧م ب ٦ اشهر مما ادى الى ان معظم القادة لم يكونوا يعرفوا وحداتهم جيدا عند بدء الحرب وبعض القادة جرى تعيينهم قبل يوم واحد من الحرب وطبعا ذكرنا فضيحة جمع القادة يوم الحرب مما ادى الى ان جميع القادة كانوا خارج وحداتهم عند انطلاق المعركة.

ومانزال فضيحة امر الانسحاب بدون قتال وبشكل عشوائي التي ادت الى تدمير القوات المصرية محل استفهام حيث كان الاتهام موجها لوزير الدفاع عبد الحكيم عامر لكن بدأت تظهر المعلومات تباعا بعد زوال الحقبة الناصرية عن دور عبد الناصر في هذا القرار حيث قال في حوار للفريق أول عبدالمحسن مرتجي قائد الجبهة المصرية في يونيو ٦٧ نشرته صحيفة الوفد المصرية في ٨ نوفمبر ٢٠١٣م ما نصه (- أنا سألت عبدالناصر في هذا بعد ذلك فقال: إن المشير عامر أخبرني أن الأمور سيئة ونحتاج لانسحاب القوات من سيناء إلي غرب القناة فوافقت وأصدرت أمر الانسحاب.. وسألت المشير عامر في قرار الانسحاب فقال يا عبدالمحسن هو أنا أستطيع أن أصدر قراراً بهذه الخطورة فالذي أصدر قرار الانسحاب هو عبدالناصر.) لقد كان هذا الانسحاب كارثي اذ اعترضت القوات الاسرائيلية المصريين المنسحبين ودمرت معظم القوات بصورة بشعة اذا كانت الطائرات الاسرائيلية تتسلى باصطياد الجنود المنسحبين والقوات الارضية نفذت جرائم اعدام واسعة بحق الجنود والضباط المصريين.

ويبقى السؤال الابرز لماذا لم يقصف الطيران الاسرائيلي الذي اصبح المسيطر على الاجواء المصرية ويسرح ويمرح فيها منزل جمال عبد الناصر رغم ان الجميع يعلم

ان عبد الناصر موجود فيه وكما اكد ذلك نائب الرئيس آنذاك حسين الشافعي الذي يقول (وصلنا بيت جمال عبد الناصر ساعة ٢ ونصف وقابلناه واعطيناه الصورة كاملة عن تدمير القوات الجوية وما جرى اثناء الرحلة الى مطار فايد ولا يبدو على وجه جمال عبد الناصر اي استغراب واكتفى بالقول ابلغوا الكلام لعبد الحكيم عامر)

وكذلك لم يتعرض مقر القيادة العامة ولا وزارة الدفاع للقصف وهذا ايضا علامة استفهام .

وهنا يدور سؤال يطرحه سامي شرف في مذكراته عن دور حافظ الاسد وزير الدفاع السوري والملك حسين ملك الاردن اللذين لم يتحركوا لأسقاط الطائرات الاسرائيلية العائدة من قصف مصر وكان بإمكانهم اسقاطها بكل سهولة لأنها قد نفذ وقودها في الطريق ومنعها من الهبوط والاشتباك معها يعني تدميرها؟ وهذا يوكد ان عبد الناصر ليس الجاسوس الوحيد في هذا الزمان لكنه الاخطر حيث كان يقود الجبهة الاردنية اللواء المصري عبد المنعم رياض وهو رجل وطني لكن بمجرد هزيمة الجيش المصري في سيناء لم يكن بمقدور الجيش الاردني فعل شيء ورغم خداع الملك حسين بالمكالمة التلفونية المشهورة من عبد الناصر التي سجلها الاسرائيليين ان المصريين صامدون لكن الملك حسين كان يعلم الحقيقة وهو المعروف عنه بصلاته بالمخابرات الانكليزية والامريكية علنا وليس سرا مثل عبد الناصر .

ويقول جون هادن ممثل المخابرات المركزية الامريكية في اسرائيل خلال حرب ١٩٦٧م (ان عبد الناصر تجاوز الحدود حيث كان عبد الناصر اشبه بصبي صغير اوقفه والده وهو يصرح دعني اهاجمهم وهو لا يريد لوالده ان يسمح لهم بمهاجمتهم البتة لكن فجاءة تركه الوالد وانطلق بسرعة)

وبنهاية الحرب انهى جمال عبد الناصر اكبر مهماته كجاسوس حيث تضاعفت مساحة اسرائيل بين ٥ حزيران/يونيو ١٩٦٧ والعاشر من الشهر نفسه، وأدت إلى احتلال إسرائيل لسيناء وقطاع غزة والضفة الغربية والجولان ؛ وقد أدت الحرب لمقتل ١٥,٠٠٠ - ٢٥,٠٠٠ إنسان في الدول العربية مقابل ٨٠٠ في إسرائيل، وتدمير ٧٠ - ٨٠% من العتاد الحربي في الدول العربية مقابل ٢ - ٥% في إسرائيل، إلى جانب تفاوت مشابه في عدد الجرحى والأسرى؛ كما كان من نتائجها صدور قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وانعقاد قمة اللاءات الثلاثة العربيّة في الخرطوم وتهجير معظم سكان مدن قناة السويس وكذلك تهجير معظم مدنيي محافظة القنيطرة في سوريا، وتهجير عشرات الآلاف من الفلسطينيين من الضفة بما فيها محو قرى بأكملها، وفتح باب الاستيطان في القدس الشرقية والضفة الغربية.

لم تنته تبعات حرب ١٩٦٧ حتى اليوم، إذ لا تَزال إسرائيل تحتلّ الضفة الغربية، كما أنها قامت بضم القدس والجولان لحدودها، وكان من تبعاتها أيضًا نشوب حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ التي كانت مجرد حرب تحريك مهدت لخروج مصر من الصراع العربي الاسرائيلي وابرام معاهدة السلام وفصل الضفة الغربيّة عن السيادة الأردنيّة، وقبول العرب منذ مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١ بمبدأ «الأرض مقابل السلام» الذي ينصّ

على العودة لما قبل حدود الحرب لقاء اعتراف العرب بإسرائيل، ومسالمتهم إياها؛ رغم أن دول عربيّة عديدة باتت تقيم علاقات منفردة مع إسرائيل سياسيّة أو اقتصادية.

٩. مسرحية التنحي وتصفية عبد الحكيم عامر:

على مستوى علم تحليل الخطاب السياسي، ارتبطت هزيمة الخامس من يونيو من عام ١٩٦٧، في أذهان الكثيرين بخطاب تنحي جمال عبد الناصر في التاسع من نفس الشهر، والذي على إثره اخرجت الجماهير تطالبه بالعدول عن قراره، واستكمال المعركة حتى تحرير آخر شبر من الأرض العربية كما في المسرحية المرسومة بعناية من الجاسوس الامريكي محمدحسنين هيكل الذي قام بكتابةالخطاب وقال عنه انه اخطرما كتب

ويكفي للتدليل على الأهمية التي أعطاها عبد الناصر وهيكل لعملية صياغة هذا البيان أنهما جلسا ساعات طويلة يتناقشان حول اختيار مفرداته وجمله وتعبيراته، في وقت كان العالم يغلي من حولهما، أو كان على حد الموس ، بلغة هيكل نفسه. وقد استطاع هيكل ببراعة أن يختار مفردات تلطف من الهزيمة، فاستخدم تعبير النكسة بدلا من الهزيمة ، و العدوان بدلا من الحرب ، و آثار العدوان ، بدلا من احتلال سيناء وتدمير الجيش المصري، و التنحي بدلا من الاستقالة . كما أن البيان ألقى مسئولية الهزيمة على قوى الاستعمار، وأظهر استحالة تجاوزها بدون استمرار عبد الناصر في موقعه رئيسًا. وكان أداء عبد الناصر للبيان في غاية البراعة أيضًا، بلهجته الحزينة والمتألمة. وهذه العناصر مجتمعة إدت إلى رفض الجماهير التي خدعها الاعلام الناصري لتنحي عبد الناصر.

ومن يتابع خطاب عبد الناصر يقوم على استعارتين محوريتين؛ الأولى استعارة النفق، التي تصور الهزيمة بوصفها دخول الشعب في نفق، يحتاج الخروج منه إلى قائد بارع، هو عبد الناصر نفسه. أما الاستعارة الثانية فهي أن النكسة توقف الشعب عن زحفه المقدس، ولا يمكن استئناف هذا الزحف إلا بوجود القائد الخالد الذي يُلهم الجماهير. والاستعارتان كما هو واضح تخدمان فكرة دفع الجمهور نحو التشبث بعبد الناصر، ورفض التنحي وهذا يؤكد ان عبد الناصر لم يكن يريد التنحي اصلا وان الموضوع مجرد مسرحية .

فخطاب عبد الناصر قدم عرض التنحي بيد وسحبه باليد الأخرى؛ ففي الوقت الذي كان عبد الناصر يدعو فيه الشعب لقبول تنحيه، كان يلوِّح بالخسارة الهائلة التي ستلحق بالشعب لو قبل دعوته. وأظن أن الخطاب كان من هذه الزاوية مغامرة ورهانًا على رفض الشعب لمبادرة عبد الناصر بالتنحي لو لا ان عبد الناصر كان قد جهز عبر قيادات حزبه الاتحاد الاشتراكي المظاهرات التي ستطالبه بالعدول عن قراره وهو ما سيستجيب له كما رسم الخطة محمد حسنين هيكل.

حيث المظاهرات التي خرجت مساء ٩ يونيو و١٠ يونيو تطالب «الزعيم الأوحد» بالبقاء، كما قالت أم كلثوم التي استدعيت لتغني «ابقَ فأنت الأمل الباقي».

«التاريخ سيجد من يكتب عن مسرحية ٩ يونيو التي شاهدتها بنفسي وشاركني في مشاهدتها كل من حسن إبراهيم وعبد اللطيف البغدادي، ولكنه الشعب الطيب، الشعب الساذج»، هكذا قال صراحة رشوان فهمي، نقيب أطباء مصر وأستاذ طب العيون. (سامي جوهر، ص٢١٨)

ويروي حسن إبراهيم، عضو مجلس قيادة الثورة، شهادته قائلًا: «حقيقة كانت مسرحية، كنت جالسًا في حديقة المنزل برفقة فهمي والبغدادي ننتظر سماع بيان عبد الناصر وأمامنا جهاز التليفزيون، وبينما نحن جالسين وصلت إلى أسماعنا أصوات جماهير تتحرك وتهتف «عبد الناصر»، ولم يكن البيان قد أُذيع بعد، أرسلت السائق لاستطلاع الأمر فأبلغنا أن لوريات تحمل المئات من الشباب تنزلهم في فناء مدرسة مصر الجديدة الثانوية على مسافة مائتي متر من منزلي، وبدأ عبد الناصر يذيع بيانه، وعندما جاءت فقرة قراراه بالتنحي فوجئنا بأصوات الهتافات والمئات الذين كانوا مجتمعين في فناء المدرسة يخرجون راكضين متجهين ناحية منشية البكري حيث منزل الرئيس». (سامي جوهر، ص٢١٩)

ومن بين هؤلاء الذين يرون أن مشهد ٩ يونيو لا يعدو كونه مسرحية مدبرة أيضًا، عبد اللطيف البغدادي، أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة، فيقول في مذكراته: «بعد انتهاء خطاب عبد الناصر مباشرة سمعنا الهتافات، ورأينا تحركات شباب الاتحاد الاشتراكي في الأوتوبيسات واللواري، وهو ما يعني أن الأمر كان مدبرًا من قبل». (مذكرات البغدادي، ص٣٠١).

تصفية عبد الحكيم عامر:

لتخبئه جريمة الهزيمة في حرب ١٩٦٧م قام جمال عبد الناصر بتصفية رفيق دربه وصديق الطفولة المشير محمد عبدالحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية، نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية، القائد العام للجيش المصري، هكذا كانت ألقابه حتى يوم ٩ يونيو ١٩٦٧عندما أعلن الرئيس جمال عبدالناصر في مساء هذه الجمعة الحزينة، ومن قصر «سراى القبة» عن تخليه عن منصب رئيس الجمهورية، وأنه سوف يعود إلى صفوف الجماهير، وفى مساء نفس اليوم وفى نشرة الحادية عشرة، أذيع في نبأ أخير أن المشير عبدالحكيم عامر قد قدم استقالته من مناصبه.

وبعد ثلاثة شهور وستة أيام تقريبًا، أعلن للناس في يوم الجمعة ١٥سبتمبر ومن خلال راديو صوت العرب أن المشير عامر قد انتحر بتناول السم.. وكانت الجريمة قد وقعت بالفعل في الساعة السادسة وعشر دقائق من مساء يوم الخميس ١٤ سبتمبر، ولم تكن عملية التمويه وإخفاء عملية القتل وتصويرها انتحارًا متقنة، فقد انتشرت الشائعات تتحدث بهمس واضح عن أن جريمةولاشك قدأودت بحياة عبدالحكيم عامر، برغم تسريبات متعمدة للصحافة، كان يشرف عليها محمدحسنين هيكل تمهدللناس تأكيد خبر الانتحار.

وكانت معاينة النيابة العامة للحادث قد تمت بعد أكثر من ٧ ساعات من وقوعه، واستمر التحقيق حوالى الشهر حتى أعلنت نتيجته يوم ١٠ أكتوبر ١٩٦٧ .

ولقد كان جمال عبدالناصر يتلهف على الانتهاء من التحقيق حتى ولو لم يستوف تماماً، ويذكر المستشار عصام حسونة وزير العدل في ذلك الوقت أنه رفض أكثر من رجاء من أشخاص قريبين من عبدالناصر لسرعة إنهاء التحقيق، ولم يكن عندًا من وزير العدل أن يبلغ الوسطاء أنه قد كلف النيابة العامة ألا تترك نقطة من نقط التحقيق أو شاهدًا، أو واقعة، أو تحليلاً طبياً دون تحقيق كامل، ويؤكد الوزير حسونة أن محمد حسنين هيكل قد اتصل به أكثر من مرة يبلغه رجاء الرئيس عبدالناصر، أن يحث النيابة العامة على سرعة الانتهاء من التحقيق، وكان هيكل يسأل: ألا يمكن إعفاء أسرة المشير من الإدلاء بشهادتهم.

وربما كان هذا من ضمن أحد الأسباب التي جعلت أسرة المشير عامر في بلاغهم الذى قدم للنائب العام عبدالمجيد محمود في عام ٢٠١٠ تحت رقم ١٤٣٠٧ عرائض المكتب الفني أن يضموا محمد حسنين هيكل إلى المجموعة المتهمة بقتل المشير عبدالحكيم عامر.

وكان النائب العام قد بحث شكوى مقدمة من آمال عبدالحكيم عامر، وجمال عبدالحكيم عامر، مرفق بها تقرير طبى شرعي استشاري من د. خديجة عبدالفتاح مصطفى أستاذ الطب الشرعي والسموم الإكلينيكية بكلية الطب جامعة عين شمس، وكان تقريرها النهائي يؤكد أن المشير عبدالحكيم عامر قد توفى بالهبوط الحاد في القلب والدورة الدموية الناتج عن حدوث الارتجاف البطيني كأثر مباشر للتسمم الحاد بمادة من أشباه القلويات بالحقن الوريدي. وقد استبعد التقرير شبهة الانتحار واستبعاد سم الأكونتين تحديداً كمسبب للوفاة.

وبعد سماع أقوال الشهود وتأكد النيابة من جدية البلاغ، وأن هناك ماجدٌ ليؤكد الشبهة الجنائية العمدية في قتل عبدالحكيم عامر، فقد تيقنت النيابة العامة بعد أن أحالت ملف القضية إلى لجنة برئاسة كبير الأطباء الشرعيين الحالي الدكتور «إحسان كميل» وعضوية الدكتور محمود أحمد محمد على نائب كبير الأطباء الشرعيين، والدكتور صلاح الهلباوي نائب كبير الأطباء الشرعيين لشئون المعامل الكيميائية، وقد انتهى رأى اللجنة أن الوفاة كانت «سمية» ولكنها لم تحدد نوع السم، وقد كذبت رأى التقرير الرسمي الأول الذى أشرف عليه الدكتور عبد الغني البشرى كبير الأطباء الشرعيين وقت الحادث بأن سبب الوفاة انتحار، وكذلك تقرير النائب العام وقت الحادث المستشار محمد عبدالسلام، كما عابت لجنة الطب الشرعي الحالية على تقرير الطب الشرعي الأول الذى أعلن عام ١٩٧٦ الخلل المتكرر في بناء التقرير وتعارض أقوال الشهود، والخطأ في الاستدلال العلمي، وعدم منطقية النتائج المترتبة على الأسباب.

ولما رأى النائب العام عبدالمجيد محمود أن الجريمة مكتملة الأركان ارتكبها أشخاص أغلبهم عسكريون، بالإضافة إلى بعض المدنيين، كان أحدهم يعمل صحفياً، وأن الجريمة

ارتكبت في حق شخصية عسكرية، وقد جرت على أرض عسكرية - هي استراحة للمخابرات، كانت معدة لاحتجاز قادة الطيران في حرب يونيو ١٩٦٧ تمهيداً لمحاكمتهم - فقد أحال النائب العام عبدالمجيد محمود القضية إلى النيابة العسكرية للاختصاص.

وعقب قرار الإحالة إلى النيابة العسكرية تفجرت الضجة الكبرى، فقد استشعرت أسرة المشير عبدالحكيم عامر أن ستار الظلم الذى عاشوا فيه قد آن له الأوان أن يتبدد، وأن رد الاعتبار لصانع الجيش المصري الحديث قد أصبح وشيكاً وأن ما صنعه هيكل من تشويه متعمد في سمعة وشرف عبدالحكيم عامر سوف يرد إليه.

بينما سارعت أسرةالرئيس عبدالناصر بتجديد نشر ما يمكن به إهالة التراب مرة أخرى على سمعة المشير عامر العسكرية والشخصية والتقليل من شأنه اعتمادا على ما ذكره جمال عبدالناصرفي أحد اجتماعاته مع اللجنةالتنفيذية العليا للاتحادالاشتراكي بعد الهزيمة.

في لقاءات مطولة مع وزير الحربية الأسبق شمس بدران في مهجره في إنجلترا. ومن خلال لقاءات العديد من الشهود الذين عاصروا هذه الأحداث ومن خلال أوراق خاصة دونها المهندس حسن عامر شقيق المشير بل وأوراق المشير عامر التي دون آخر جزء منها يوم ١٠ سبتمبر ١٩٦٧ ومن خلال أوراق ووثائق صلاح نصر رئيس جهاز المخابرات العامة الأسبق.. والعديد من مذكرات قادة العسكرية المصرية ورجال السياسة والحكم في فترة هذه الأحداث وكل هذا كان قد رسم الطريق لتصور لماذا أمر جمال عبدالناصر بقتل عبدالحكيم عامر وكيف نفذت الجريمة وكيف تمت التغطية عليها، حتى تصور للناس انتحارا وكانت الخطوة الأولى في قرار القتل قد اتخذها جمال عبدالناصر صباح يوم الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧

وأثناء توجه جمال عبدالناصر إلى مبنى القيادة العامة للجيش، وكانت الساعة العاشرة صباحا، فقد قال جمال عبدالناصر ل «محمد أحمد» سكرتيره الخاص: لقد هزمنا خلاص.

كانت موجات هجوم الطيران الإسرائيلي قد ضربت هجمتها الأولى في التاسعة إلا الربع وكانت الموجة الثانية قد أدت مهمتها منذ دقائق وأثناء وجود جمال عبدالناصر في عربته يجرى بعض الاتصالات التليفونية من تليفون لاسلكي خاص يوجد بالعربية.

كان عبدالحكيم عامر ومعه شمس بدران قد رجعا من رحلة تفقد مقر القيادة الأمامية والتي لم تتم، فقد هوجمت المطارات المصرية وطائرة المشير على وشك الهبوط في مطار «بير تمادا». فرجعت الطائرة من الجو ولتهبط في مطار القاهرة المدني، فقد ضربت كل مطارات القاهرة العسكرية.

كانت رحلة المشير مقررًا لها أن تتم يوم الأحد ٤ يونيو، ولكن قبل السفر مباشرة إلى سيناء، طلب جمال عبدالناصر من عبدالحكيم عامر موافاته في مكتبه بمنزله. فقد أتت وفود عربية إلى الرئيس في منزله، والرئيس يريد من المشير أن يكون حاضرا.

ومساء يوم الثلاثاء ٦ يونيو ١٩٦٧

كان متواجدا في مقر قيادة القوات المسلحة بمدينة نصر، قائد القوات العربية المشتركة الفريق علي عامر، قائد المنطقة الشرقية ومنطقة القنال في حرب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، ولم يكن له علاقة بالعمليات الدائرة ولكنه أتى لتقديم المشورة إذا طلبت منه، وكان متواجدا بعض من أعضاء مجلس قيادة الثورة والذين كانوا قد خرجوا من السلطة منذ مارس ١٩٦٤، ولكنهم أتوا للمشاركة في المعركة الكبرى وتكرارا لما فعلوه في تواجدهم بمكتب القائد العام عبدالحكيم عامر أثناء العدوان الثلاثي الذى بدأ مساء يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦، كان المتواجدون عبداللطيف البغدادي وحسن إبراهيم وكمال الدين حسين.

وإلى جانب هؤلاء كان متواجدا في ذات الحجرة، رئيس أركان الجيش الفريق محمد فوزى ورئيس هيئة العمليات الفريق أنور القاضي، وشمس بدران وزير الحربية وزكريا محيى الدين.

وفى هذه الأثناء اتصل جمال عبدالناصر تليفونيا، ولم يكن عبدالحكيم عامر قريبا من التليفون فرد عليه شمس بدران وسأله عبدالناصر عن المتواجدين بمكتب المشير وطلب منه أن يحدثه هو وعبدالحكيم عامر من الغرفة الملحقة بالمكتب دون أن يشعر أحد من المتواجدين معهم بأنه هو الذى على الهاتف.

وكلم جمال عبدالناصر عبدالحكيم عامر وهو يبكى وقال له:

سامحني يا حكيم.. أنا عارف إن أنا السبب.. أنا عارف إن الطيران راح وأنا خايف إن الجيش كمان يروح.. إحنا لازم نسحب القوات للغرب وبعدين ندفع بيها لما نكون جاهزين.

وقال له عبدالحكيم: أنا ممكن أصمد في سيناء لمدة سنة من غير طيران.. وأنت فاكر في ٥٦ إحنا صمدنا في سيناء من غير طيران.

- أنا مش عايز خساير في الأرواح يا حكيم

- متخفش يا جمال ، ولادنا هيرجعوا كلهم سالمين

- وبعد أن خرج عبدالحكيم للمتواجدين ، وناقشهم فيما يطلبه جمال عبدالناصر وقد اتضح ل«عبدالحكيم» أن عبدالناصر قد سبق وتناقش في هذا الانسحاب مع بعض المتواجدين قبل أن يتصل به

- ولما استقر الأمر على أنه يمكن سحب القوات ، ثم إعادة الدفع بها إلى سيناء في أوضاع عسكرية أفضل ، اتصل عبدالحكيم بعبد الناصر أمام الجميع واستعرض لعبد الناصر تليفونيا رأى كل واحد منهم على حدة وبالاسم في الموافقة على الانسحاب الذى لم يكن أبدا رأى عبدالحكيم عامر القائد العام ، ولكنه كان رأى القائد الأعلى ورأى من أمر القائد الأعلى باستطلاع رأيهم.

بعد خروج عبدالحكيم عامر من السلطة باستقالته يوم ٩ يونيو وبعد تصاعد الخلاف بين عبدالحكيم وعبد الناصر وتأزم الموقف عندما أمر عبدالناصر بسحب سرية

الحراسة الخاصة بالمشير يوم ٢١ يوليو ١٩٦٧ لخوف عبدالناصر أن تقوم هذه السرية بإلقاء القبض عليه أثناء توجهه إلى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة لإلقاء كلمته في ذكرى انقلاب ٢٣ يوليو في الاحتفال السنوي المعتاد.

كان ندم عبدالحكيم عامر أنه أطاع جمال عبدالناصر القائد الأعلى للقوات المسلحة ورئيس الجمهورية وأن الواجب كان يقتضيه عصيان أمر جمال عبدالناصر وإن اقتضى الأمر عزله. ثم نفيه عند صديقه « تيتو » في يوغسلافيا كان عبدالحكيم قد استشعر ومنذ الاتفاق على التنحي بينه وبين جمال عبدالناصر في مكتب عبدالحكيم عامر بالقيادة العامة مساء يوم الخميس ٨ يونيو، بعد موافقة مصر على قرار مجلس الأمن بوقف القتال، برغم أن القرار لا يتضمن حتى الحد الأدنى الذى كان على مصر التمسك به ، وهو عودة القوات الإسرائيلية إلى خطوط الهدنة التي وقعت بين العرب وإسرائيل في عام ١٩٤٩م . وكان عبدالحكيم عامر يرى أن عدم قبول مصر وقف القتال وضع ضاغط على القوات الإسرائيلية سوف يجعلها تنسحب كمرحلة أولى إلى ما دون خط المضايق في سيناء لتأمين قواتها.

ولكن عبدالناصر عرض على عبدالحكيم أنه آن الأوان لكى يكون الجيل الثانى من الثورة هو الذى يتولى الحكم. وهو يرى أن ابنه الروحي «شمس بدران» هو الأنسب لأن يتولى رئاسة الجمهورية، وسوف يدعمه عبدالناصر سياسيا وشعبيا ، وعلى عبدالحكيم عامر أن يؤمن له القوات المسلحة ، ولكن أثناء إذاعة عبدالناصر لخطاب التنحى فقد فاجأ عبدالناصر عبدالحكيم عامر باستبدال «شمس بدران» بزكريا محيى الدين وهو ما عنى لعبدالحكيم أن عبدالناصر قد تدبر أمرا لم يتم الاتفاق عليه وأنه يشرع في تنفيذه، وحاول عبدالحكيم استبيان نوايا عبدالناصر، عندما أمر بإدخال ورقة مكتوب فيه «شمس بدران» بدل زكريا محيى الدين، وهى اللقطة التي صور ت وأذيعت على الهواء أثناء إلقاء جمال عبدالناصر، خطاب التنحي.

ومنذ هذه اللحظة أدرك عبدالحكيم أن عبدالناصر لن يتورع عن فعل أي شيء من أجل الاستمرار في السلطة ، وأنه قد أصبح خطرا على مصر كما أن عبدالناصر كان يدرك أن الوحيد في مصر الذى يمثل خطرا حقيقيا على استمراره في السلطة ، هو المشير عبدالحكيم عامر. ولم يكن له من خيار آخر.

فإما يقبل عبدالحكيم عامر أن يصمت عما يعرف، وأن يقبل أن يكون جزءًا من نظام عبدالناصر وأن يتخلى عن فكرة طرح نظام بديل لأسلوب حكم عبدالناصر والتي طرحها عبدالحكيم عامر في أول استقالة مكتوبة قدمها لجمال عبدالناصر في يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٥٦ ، بعد يوم واحد من انسحاب القوات البريطانية والفرنسية من الأراضي المصرية.

كان على عبدالحكيم عامر أن يقبل بعبد الناصر كيفما يريد عبدالناصر وإلا يختفى إلى الأبد

وبعد أن لجأ جمال عبدالناصر لعبد الحكيم عامر، عندما هاجمت القوات الإسرائيلية منطقة « رأس العش » يوم ١ يوليو ٦٧ ، وأدار عبدالحكيم عامر عمليات

وقوات الصاعقة المصرية حتى تم دحر الهجوم الإسرائيلي، ولم تستطع إسرائيل الاستيلاء أبدا على «بور فؤاد».. فقد استشعر عبدالناصر أن عبدالحكيم مازال يمثل خطرا شخصيا عليه، فهو مازالت له القدرة على الاتصال وتحريك قوات الجيش.

وبعد هذا قرر عبدالناصر تصفية كل علاقة لعبد الحكيم عامر بالجيش المصري حتى ولو تم تسريح كل ضباط الجيش المتعاطفين بصورة أو أخرى مع عبدالحكيم عامر أو تصفية عبدالحكيم عامر شخصيا.

١٠. تبعات هزيمة ٦٧ وما سمي بحرب الاستنزاف:

بعد الهزيمة وعبور ما تبقى من القوات اصبح امام الاسرائيليين الطريق بين الاسماعيلية والقاهرة مفتوح امام الجيش الاسرائيلي ولم يعبر الإسرائيليين لانهم لا يستطيعون مواجهة السكان وموجود الحديث بفيديو بصوت عبد الناصر وكتاب البحث عن الذات لمحمد انور السادات ص ١٩٣ واضطر عبد الناصر الى بدء ما اسماها حرب الاستنزاف التي قدم خلالها الجنود والضباط المصريين الشجاعة والاقدام رغم ان هدف عبد الناصر من المعركة كان بالدرجة الاولى دعائي للحفاظ على سمعته واستطاع المقاتل المصري تكبيد الاسرائيليين بعض الخسائر لكن خسائر القوات المصرية كانت للأسف اضعاف خسائر الاسرائيليين الذين كانت طائراتهم تقصف المواقع المصرية بحرية وطارت عام ١٩٧٠ فوق القاهرة عدة مرات مما اجبر عبد الناصر على وقف الحرب وكانت من الاختراقات الاسرائيلية استشهاد الفريق عبد المنعم رياض بقصف مركز على مكان تواجده على الجبهة بقصف مركز في اختراق واضح لمصر.

نهاية مهمة الجاسوس جمال عبد الناصر وتصفيته واثره اليوم:

١. نهاية مهمة الجاسوس جمال عبد الناصر الرئيسية في ١٩٦٧م:

كما وضحنا سابقا ان مهمة الجاسوس جمال عبد الناصر هي على عدة محاور هي اولا تسليم الارض لإسرائيل وتقوية اسرائيل وهو ما اتمه على اكمل وجه في حرب ١٩٦٧م وثانيا اضعاف مصر وفصلها عن السودان وتدمير جيشها واقتصادها واضعافها من الداخل وثالثا وهو الاهم تغيير الانظمة الملكية التقليدية بأنظمة عسكرية جمهورية كما ترغب الولايات المتحدة الامريكية التي لا ترغب بهذه الانظمة التي نصبها الانكليز والفرنسيين اي تغيير شكل المنطقة ودول الجوار ليلائم النهج الامريكي الجديد كالقوة الاولى بالعالم والحاكم الاوحد له ربما مع منافسة من الاتحاد السوفييتي بدأت معالمها في الخمسينات وعبد الناصر كانت من وجهة نظري احدى مهامه هي احتواء الشيوعية في الشرق الاوسط بالتحالف معها وايجاد فكر بديل للفكر الشيوعي وهو الفكر القومي العربي الذي صدره عبد الناصر ودخل بصدام عنيف مع الشيوعية في المنطقة العربية وبذلك منع وصول الاحزاب الشيوعية الى حكم العالم العربي .

لقد فعل عبد الناصر مالم يفعله احد لإسرائيل فهو سلمها ارضا اضعاف حجمها وفي عهده توسعت اكبر توسعاتها واصبحت القوة الاولى في الشرق الاوسط والمتحكم بكل شيء في الشرق الاوسط وادخل جمال عبد الناصر الدول العربية اعداء اسرائيل في الفوضى عبر الانقلابات التي دبرها عبد الناصر فيها وتسليط العسكر على رقاب الشعوب العربية وان هذا الامر كان اكبر خدمة لإسرائيل حيث دخل اعداء الكيان الصهيوني في صراع داخلي لا يقود الا الى الخراب والدمار ونشاهده ايامنا على شكل فوضى وحروب في العراق وسوريا وليبيا والسودان واليمن ولبنان وهي الدول التي نجحت فيها تدخلات جمال عبد الناصر .

٢. تصفية الجاسوس جمال عبد الناصر بعد اكمال مهمته:

بعد ان اكمل جمال عبد الناصر المهمة الموكلة له حان وقت التخلص منه بعد انتهاء القمة العربية يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، عانى ناصر من نوبة قلبية وكان موت عبدالناصر المفاجئ وهو في قمة نشاطه وفي سن مبكرة (٥٢ عاما) قد أثار كثيرا من اللغط في حينه، وقد ذكر كبير اطباء الكرملين «يفغيني شازوف» وهو الذي اشرف على علاج عبدالناصر، انه لم يكن في حالة خطرة تبرر موته المبكر والمفاجئ، كما اتُّهم أطباؤه الخاصون ـ بالإهمال الشديد الذي أدى للوفاة كونهم لم يفترضوا ان اعياءه المفاجئ اثناء توديع امير الكويت قد يكون بسبب انخفاض السكر، ومن ثم فإن علاجه يحتاج الى عصير برتقال فقط، كما ان افتراضهم بأنه أصيب بنوبة قلبية كان يحوج لأن ينقلوه بسيارة الاسعاف المجهزة لأقرب وحدة قلب لا ان يتم نقله لمنزله كما حدث في سيارة الرئاسة الخاصة.. ونقل على الفور إلى منزله، حيث فحصه الأطباء. توفي ناصر بعد عدة ساعات، حوالي الساعة السادسة مساء .حيث كان هناك كل من هيكل، السادات، وزوجة عبد الناصر تحية في فراش الموت. وفقا لطبيبه، الصاوي حبيبي، كان السبب المرجح لوفاة

عبد الناصر هو تصلب الشرايين، والدوالي، والمضاعفات من مرض السكري منذ فترة طويلة. وكان ناصر يدخن بكثرة، هذا بالإضافة إلى تاريخ عائلته في أمراض القلب التي تسببت في وفاة اثنين من أشقائه في الخمسينات من نفس الحالة. بالرغم من كل ذلك فإن الحالة الصحية لناصر لم تكن معروفة للجمهور قبل وفاته.

ولكن السبب الحقيقي بقي طي الكتمان الى حد اليوم حيث بدأت مؤخرا تتكشف تفاصيل جديدة عن وفاة جمال عبد الناصر حيث قال الكاتب الصحفي المقرب من جمال عبد الناصر محمد حسنين هيكل ان جمال عبد الناصر قد يكون مات مسموما حيث قال في احدى حلقات برنامجه (تجربة حياة) على قناة الجزيرة بسبتمبر ٢٠١٠ انه قبل وفاة عبد الناصر قد قام نائب الرئيس آنذاك محمد انور السادات بتحضير فنجان قهوة بيده لجمال عبد الناصر وانه اخرج من المطبخ رجل نوبي كانت مهمته اعداد قهوة الرئيس وان عبد الناصر قد اصابه المرض بعد شرب القهوة وهي نظرية تبرر وتشرح وتؤكد أمورا كثيرة، منها ما قاله الرئيس بيريز لولا ثغرتان واضحتان في تلك الرواية: اولاهما عن عدم معقولية قيام نائب الرئيس السادات بعمل قهوة للرئيس بوجود شخصية مثل هيكل الذي يقل عمرا ومكانة ورتبة عن السادات، لذا فإن حدثت تلك الواقعة فأصابع الاتهام توجه لهيكل لا للسادات الذي كان في عز توافقه مع عبدالناصر الذي عينه نائبا للرئيس بينما كان الاستاذ هيكل في عز خلافه الحاد مع عبدالناصر الذي قرر التخلص منه عبر اجباره على قبول منصب وزير الإعلام ليسهل بعد ذلك إخراجه في أول تغيير وزاري.

وقد علم هيكل بمقاصد الرئيس عبدالناصر من توزيره لذا رفض المنصب في أغسطس ١٩٧٠ الشهر الذي سبق وفاة عبدالناصر وأوعز لسكرتيرته الخاصة نوال النحلاوي بإقناع الاديب توفيق الحكيم بكتابة رسالة لعبدالناصر ترفض ذلك التعيين، وقد تم القبض على السكرتيرة الخاصة وأعلن ذلك في الصحف القاهرية مما اعطى دلالة واضحة للجميع على أن عبدالناصر قد رفع الغطاء والحماية عن صديقه هيكل، وقد يكون من المصادفات الغريبة ان الرئيس السادات كذلك بقي آمنا طوال فترة حكمه حتى انقلب على حليفه ضد مراكز القوى الناصرية، ونعني هيكل وأودعه السجن في سبتمبر ١٩٨١ ولم يأت شهر اكتوبر ١٩٨١ حتى كان السادات ضحية عملية اغتيال مازالت دوافعها وملابساتها تثير كثيرا من التساؤلات.

لكن للمؤرخ محمد الجوادي راي اخر ان عبد الناصر قد قتل فعلا بفنجان قهوة لكن ليس السادات الفاعل بل المخابرات المصرية نفسها حيث كان المراد تصفيته فعلا الملك حسين ملك الاردن الراحل حيث اعدت المخابرات المصرية فنجان قهوة بأوامر من جمال عبد الناصر لكن الله شاء ان يتناول فنجان القهوة جمال عبد الناصر حيث حدث خطا عن تقديم القهوة وكان عبد الناصر يتابع اذاعة بي بي سي الساعة الخامسة لينتظر سماع خبر وفاة الملك حسين لكنه لم يعلم انه هو من كان ينتظر الموت فعلا. وبوفاة جمال عبد الناصر انتهت حقبة سوداء من تاريخ مصر والامة العربية والاسلامية وتولى بعد وفاة جمال عبد الناصر نائب الرئيس محمد انور السادات الذي سنكتب عنه هو الاخر بنهاية

الفصل اما وفاة او مقتل ناصر فهو برايي قد تم من الجهة التي دربته وجندته كجاسوس وهي المخابرات الاسرائيلية والامريكية خاصة بعد انتهاء المطلوب منه بحرب ٦٧م .

٣. نزاهة جمال عبد الناصر المالية وحقيقتها:

في الحديث عن عبد الناصر والإنحرافات المالية نرجو من القارئ أن يطلع على الدراسة الموثقة المفصلة التي قدمها الاستاذ جلال الحمامصي عن هذا الموضوع الخطير في كتابه حوار وراء الاسوار صفحة ١٧٠ وما بعدها ما نصه :

بدأ عبد الناصر رجلا بسيطا ولكن سرعان ما أصبح لكل فردا من عائلته فيلا أو قصر مشيد له خصيصا .

فمن اين جاء هذا المال لبناء تلك القصور ؟

واين قانون الكسب غير المشروع الذي كان يطبق على باقي الشعب فقط ؟ .

كان شقيق عبد الناصر رجلا بسيطا في مستوى معيشته ثم سمح له أكثر من مرة ان يسافر للخارج ومعه حقيبة واحدة ويعود إلى مصر بحقائب لا تعد ولا تحصى بها بضائع معينة تحقق ارباحا مهولة .

كان الاستاذ فخري عبد النور المحامي وأحد رجال الاعمال يتناول العشاء مع اصحاب الاعمال ورؤساء البنوك السويسرية وسأله واحد منهم :

هل تدري كم بلغ حساب عبد الناصر في بنوك سويسرا ؟ .

واجاب الاستاذ سعد انها وصلت إلى عشرات الملايين من الجنيهات الإسترلينية .

فقال رئيس البنك انها بلغت اكثر من ذلك بكثير .

واضاف قائلا : ما كان لي كرئيس للبنك ان اتكلم في مثل هذا الموضوع ولكن ذلك لم يعد سرا فالحكومة المصرية تحاول إسترداد بعض هذه الاموال .

ويضيف الحمامصي انه عقب ذلك في مارس ١٩٧٤م نشرت جريدة اخبار اليوم ان مصر استردت بعض اموالها من الارصدة السرية بسويسرا .

في فترة الحماس قبل هزيمة ١٩٦٧م تقدم الكثير من الاثرياء العرب بهبات للمساعدة في الجهود للحرب .

ومن ضمن هذه الهبات ما قدمه الملك سعود فقد كتب في ٢٨ مايو سنة ١٩٦٧م شيكين احدهما بمبلغ ٣ مليون دولار اميركي بإسم جمال عبد الناصر والثاني ب ٢ مليون باسم صلاح نصر .

وصدق على التوقيع بالتحويل الاستاذ احمد فؤاد رئيس مجلس إدارة بنك مصر وارشيف بنك مصر موجود لمن يريد التحقق .

خلال نكسة ٦٧ ، وفي يوم ٧ يونيو بالضبط اي في الوقت الذي كان عبد الناصر يعد نفسه فيه للإنسحاب من الحياة العامة ، أصدر قرارا جمهوريا رقم ١٣٥٠ لعام ١٩٦٧م بالإذن لوزير الإقتصاد المصري نيابة عن حكومة الجمهورية العربية المتحدة بأن يقترض من الملك سعود مبلغ عشرة ملايين من الدولارات على أن يقوم البنك المركزي المصري برد هذه السلفة على ثلاثة أقساط خلال عام .

وقد أصدر الملك سعود بناء على ذلك شيكا بهذا المبلغ ، باسم جمال عبد الناصر ووقع عليه جمال عبد الناصر بالاستلام ، وصدق محمود صدقي مراد نائب البنك المركزي آنذاك على التوقيع ، وتم تحصيله وأودع في حساب الرئيس جمال عبد الناصر في بنك باريس .

وبعد وفاة الملك سعود في فبراير ١٩٦٩م طالب ورثته بهذا الدين ، وقابل الشيخ حسين شكري مندوب الورثة الدكتور فؤاد الصواف وكيل وزارة الاقتصاد لشئون النقد لهذا الغرض ، فقال له الدكتور الصواف إن هذا المبلغ دين على تركة الرئيس عبد الناصر ، ولكن مندوب الورثة أحضر القرار رقم ١٣٥٠ الذي يفيد التزام الحكومة المصرية بالسداد وكان ذلك في حياة عبد الناصر وبالضبط في ١٢ فبراير سنة ١٩٧٠م .

وقامت الحكومة بسداد هذا الدين ....

ويلاحظ أن القرار رقم ١٣٥٠ لم ينشر في الوقائع الرسمية وقد نشرت القرارات التي سبقته والقرارات التي جاءت بعده ...

والعجيب أن البنك المركزي قام بإضافة المبلغ المعادل لقيمة هذا القرض بالعملة المحلية، ولا يدري الإنسان كيف نقترض عملة صعبة وتحصل لحساب عبد الناصر ، ثم لخوف الفضيحة يضاف ما يعادلها بالعملة المحلية

ولكن يبدو أن عبد الناصر لم ينس نفسه وأولاده أبدا في أحلك الظروف ، وكأنه كان يهتف:

النجاة لي ولأولادي وليبتلع الطوفان كل الناس برغم أن البلاد كانت في وقت حرب ونكسة مالية واقتصادية ومعنوية وعسكرية وسياسية .

ندخل على فضيحة أخرى لعبد الناصر الحرامي والقصة تقول :

عندما رشح شقيق عبد الناصر واسمه الليثي عبد الناصر بالأسكندرية لمجلس الأمة سنة ٥٧دفع له أخوه جمال عبد الناصر ٣٠ ألف جنيه من المصروفات السرية وحملها الضابط سعيد حليم سكرتير زكريا محيي الدين وزير الداخلية آنذاك وسلمها إليه بنفسه ليصرف منها على المعركة الإنتخابية.

والسؤال هنا : من أين لجمال عبد الناصر بمبلغ ألف جنيه فقط الذي أعطاه لشقيقه؟

مع العلم أن هذا بند واحد مجاملة لشقيقه !!

فما بالنا بباقي مصروفات عبد الناصر !!!

هل هذا هو الزعيم الذي يروج محبوه كذبا أنهم لم يجدوا في خزانته غير قرش صاغ واحد وبعض المصادر قالت أنهم وجدوا ٢ قرش صاغ .

وللعلم فإن شقيق عبد الناصر لم يكن يحتاج هذا المبلغ من الأصل لأنه لا يحتاجه لأنه سينجح في مجلس الأمة على كل الأحوال لأنه لم يوجد من يجرؤ على منافسة شقيق عبد الناصر .

وطبعا يكفي النظر الى مستوى معيشة ابناء وبنات جمال عبد الناصر لمعرفة الحقيقة ومنهم الجاسوس اشرف مروان زوج ابنته الذي سنتحدث عنه.

عبدالحكيم هو أصغر أبناء عبدالناصر إلا أنه الأكثر اهتماما بالبيزنس وهو العقل المدبر والمتحكم الحقيقي في الشركة التي كونها مع شقيقيه خالد أستاذ الهندسة بجامعة القاهرة وعبدالحميد الدبلوماسي السابق، انغمس عبدالحكيم المولود في عام ١٩٥٦ منذ صغره في البيزنس وعمل فيه، حكيم كما يناديه أصدقاؤه خريج قسم عمارة بكلية الفنون الجميلة جامعه حلوان أسس أول شركة له عام ١٩٧٧وكانت شركة مودرن كونتراكنورز للمقاولات والتي أسسها بالمشاركة مع شقيقه الأكبر عبدالحميد المولود في ١٩٥١ والذى تخرج في الكلية البحرية والتحق بالسلك الدبلوماسي عام ١٩٧٤ حيث عمل بسفارة مصر في لندن لكنه سرعان ما ترك العمل الدبلوماسي واتجه للهيئة العربية للتصنيع تحديدا في مكتب لندن لكنه سرعان ما ترك لندن والهيئة وجاء إلى القاهرة ليدير شركته للمقاولات مع شقيقيه،

ولأن عبدالحكيم كان الأكثر نشاطا وكان الأكثر خبرة فقد تولى زمام الإدارة بمشاركة شقيقيه خالد وعبدالحميد نجلى الرئيس الراحل، الشركة التي بدأت برأسمال ٢٠ ألف جنيه سارت أعمالها بشكل جيد حتى عام ١٩٧٩ حين انضم إلى الأشقاء الثلاثة في الشركة شريكان آخران وعدل وقتها رأس مال الشركة إلى ٣٤ ألف جنيه ثم تمت زيادته إلى ١٥٠ ألف جنيه .

وفى عام ١٩٨٧ وصل رأس مال الشركة إلى مليون جنيه كان نصيب أبناء الرئيس منها حوالى ٨٥% وفى عام ١٩٩٢ بدأت المشاكل تعرف طريقها إلى شركة المقاولات بعد أن طلب الشريكان أن يخرجا من الشركة وأقاما دعوى حراسة الشركة وحسم الأمر لأبناء عبدالناصر، وفى نفس العام ١٩٩٢ شارك عبدالحكيم في شركة أخرى «كلوزال للتسويق» وكان رأس مالها حوالى نصف مليون جنيه وتوسعت أنشطة رجل

الأعمال ابن الرئيس بشدة في هذه الأوقات لدرجة أن اسمه كان محفوظا ومعروفا في السوق كرجل أعمال من الوزن الثقيل .

لكن عشق عبدالحكيم للبيزنس أوقعه في العديد من المشاكل فقد أقام بنك القاهرة ٤ قضايا عليه بسبب ١١ شيكا حررها بدون رصيد وورطه فيها وقتها رجل الأعمال الذى هرب بعد ذلك حاتم الهوارى بمبلغ عشرة ملايين و٧٥٠ الف دولار، وقتها وجد ابن الرئيس نفسه في ورطة صعبة وكان ساعتها في باريس لبعض أعماله الخاصة وهناك علم بصدور حكم بحبسه ١٢ عاما وغرامة ٨٠ ألف جنيه ففضل عدم العودة واتجه من باريس إلى لندن ولم يعد إلا في طائرة الرئيس الليبي معمر القذافي الذى سانده وأعاده إلى مصر بعد سداد كامل الديون.

وفى الوقت الذى انغمس فيه أبناء عبدالناصر الذكور في بيزنس المقاولات الخاص بهم فإن شقيقتهم منى كانت تدور في فلك آخر بعيدا عنهم لكنها لم تخرج من عالم البيزنس أيضا. منى التي تزوجت من أشرف مروان الذى تولى الهيئة العربية للتصنيع ثم تركها ليتفرغ لأعماله الخاصة التي توسعت بعد ذلك بشدة. أشرك معه زوجته في بعض مشاريعه خاصة في مجال السياحة والفنادق وكانت منى قد تعلمت أصول البيزنس من زوجها الملياردير الكبير وعلمته بدورها لنجلها جمال مروان صاحب مجموعة قنوات ميلودي اما شقيقتهم هدى فقد ابتعدت عن التجارة والاعمال لتنشغل بتزوير التاريخ واخرها مساندتها الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي في بيع جزيرتي تيران وصنافير للسعودية حيث ادعت انها عثرت على وثيقة لوالدها تؤكد تبعية الجزيرتين للسعودية للعلم ان اعطاء الجزيرتين للسعودية هو خدمة لإسرائيل لانه سيجعل منطقة المضايق منطقة دولية .

٤. الكشف عن الجاسوس اشرف مروان زوج ابنة عبد الناصر:

عام ١٩٦٦، اقترن أشرف مروان بكريمة الزعيم المصري الراحل جمال عبد الناصر، لتفتح بذلك أمامه كل السبل، ويترقى إلى أعلى المراتب العسكرية، ويشبك مع كبار القادة المصريين. عام ٢٠٠٧، مات مروان في لندن، التي انتقل الى العيش فيها عام ١٩٨١، إذ وُجد في حديقة أسفل مبنى شقته، ولم تكشف ملابسات هذا الموت: هل كان إنتحاراً أم قتلاً؟.

«الملاك ـــ الجاسوس المصري الذي أنقذ إسرائيل» كتاب صدر للأكاديمي الصهيوني والخبير في شؤون الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية يوري بار- جوزيف انتقل أخيراً إلى لغة الضاد (الدار العربية للعلوم- ناشرون ٢٠١٧) بعد ترجمته من الإنكليزية The Angel-The Egyptian Spy Who Saved Israel. «الملاك» (ترجمة فادي داؤود)، الصفة التي كان يكنى بها مروان، يكشف بالإسناد الى دراسات وأبحاث دقيقة، يضاف اليها سلسلة مقابلات حصرية، مع شخصيات أمنية وعسكرية رفيعة في الكيان العبري، عمله السري الجاسوسي لصالح «إسرائيل»، سيما بعد تزويده المخابرات الإسرائيلية بتفاصيل ومعلومات مسبقة عن الهجوم المصري-السوري المشترك في حرب أكتوبر (١٩٧٣).

يتدرجّ الكتاب المؤّلف من ١٣ فصلاً، ي الحديث مفصلاً عن هذا الرجل، ونشأته وزواجه بإبنة عبد الناصر، وكمستشار مقرّب من أنور السادات، وصولاً الى بدايات إتصاله بالعدو الإسرائيلي في لندن عام ١٩٧٠، وإنضمامه الى الاستخبارات العسكرية المصرية. كما يفنّد أسباب إنخراطه في هذه الخيانة لبلاده، وعلى رأسه جشعه بالمال وعشقه للترف. كذلك، يظهر المؤّلف دخول جهاز الإستخبارات السعودي وتحديداً مع رئيسها آنذاك كمال أدهم، وإبرام الصفقات، مع مروان وتزويده بضعف ما كانت تعطيه إياه «إسرائيل» من أموال.

يوّسع الكاتب بحثه هذا، بالإضاءة على قضية الجاسوسية في التاريخ المعاصر للشرق الأوسط، ودورها في تشكيل «مصير الأمم». كما يفتح لسؤالين إثنين حول «من الذي كان يخون أشرف مروان حقاً؟.. ومن قتله؟».

فمن خلال البحث التفصيلي الدقيق في حياة وعمل ومصرع مروان، على مدى قرابة ٣٥٠ صفحة، يسعى المؤلف والضابط السابق والأكاديمي الحالي للوصول إلى نفس الخلاصة، وينجح إلى حد كبير في إثباتها وإقناع القارئ بها:

"إن التحقيق في سبب الفشل الاستخباراتي الهائل لإسرائيل في الأيام السابقة على حرب يوم الغفران يؤدي إلى حقيقة واضحة: لم يكن السبب هو غياب المعلومات الدقيقة، بل كان رفض جهاز المخابرات العسكرية التخلي عن [النظرية السائدة وقتها] حتى بعد أن تجاوزتها التطورات بشكل واضح وقاطع. فبفضل مروان كان الإسرائيليون يفهمون بدقة حتى أكتوبر ١٩٧٢ كيف يرى المصريون كلا من ضرورة شن الحرب والشروط اللازمة لشنها. غير أنه في غضون ذلك الوقت تغير رأي السادات ليقرر أن يذهب للحرب دون انتظار وصول الأسلحة التي سيحتاجها للانتصار في الحرب. قام أشرف مروان- كما سنرى لاحقاً بإبلاغ إسرائيل بإخلاص بهذا التغير. لكن المخابرات العسكرية فشلت في تعديل تقييمها وفقا لتقريره. كان هذا، وهذا فقط، ما أدى لفشل إسرائيل في أن تكون جاهزة حين اندلعت الحرب".

وبسبب ذلك الموقع الفريد والموقف المعلن لمؤلف "الملاك"، فإنه يقدم لنا هنا أول دراسة حول فترة عمل مروان لصالح الموساد استناداً ليس فقط لما اطلع عليه من وثائق وتقارير، وإنما أيضاً لعدد من المقابلات الحصرية مع ضباط المخابرات الذين تولوا مسؤولية "إدارة" الجاسوس المصري في السبعينيات، والذين أصبح بإمكانهم الآن رواية جزء كبير من وقائع ما شهدوه بعد أن تم تسريب اسم مروان الحقيقي في إسرائيل في عام ٢٠٠٢ وبعد أن لقي مصرعه في ٢٠٠٧.

على رأس هذه المصادر التي وافقت على الحديث لمؤلف "الملاك" كل من تسفي زامير، رئيس الموساد في الفترة من ١٩٦٨ إلى ١٩٧٤، وأريبه شاليف، مدير وحدة الأبحاث بالمخابرات العسكرية في الفترة من ١٩٦٧ وحتى ١٩٧٤، وربما المصدر الأهم، مائير مائير، رئيس الفرع السادس في وحدة الأبحاث وهو الفرع المخصص لمصر في الفترة ١٩٦٩-١٩٧٢، والذي تولى التعامل مع مروان كممثل عن المخابرات العسكرية

إلى جانب الموساد، وشارك في أغلب اللقاءات مع الأخير في لندن وغيرها من العواصم الأوروبية طوال فترة عمل مروان مع مخابرات إسرائيل.

"رغم ان حرب يوم كيبور (عيد الغفران) التي بدأت في السادس من اكتوبر ١٩٧٣وشهدت اضخم مواجهة عسكرية في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي، وعادة ما ينظر اليها بانها كانت هجوما مفاجئا، فان المخابرات الحربية الاسرائيلية كانت ترصد على مدى اسبوع كامل قبل نشوبها زيادة كبيرة وغير عادية للتحركات الجارية على امتداد حدود اسرائيل وقتها عبر مرتفعات الجولان وقناة السويس.

لكن مدير المخابرات الحربية الإسرائيلية اللواء إيلي زعيرا استبعد ان تكون هذه الاشارات المتزايدة على الارض دليلا على التحضير لشيء، لقناعته باستحالة اقدام السوريين على شن هجوم بدون مصر، كما ان مصر مستحيل ان تدخل في حرب بدون الحصول على الاسلحة الكفيلة لها بتحييد التفوق الجوي الاسرائيلي على الجبهة. وحرص ايلي باعتباره المسئول الاول عن تفسير وتحليل معلومات التخابر لصانعي القرار في اسرائيل على ادراكهم لوجهة نظره خصوصا من جانب وزير الدفاع موشي ديان ورئيسة الوزراء جولدا مائير.

ثم إذا بالاتحاد السوفيتي يبدأ يوم الخميس ٤ اكتوبر عملية نقل جوي طارئة لألاف من الضباط السوفييت وعائلاتهم من مصر وسوريا. وبالتالي عقد الزعماء السياسيون الإسرائيليون في اليوم التالي (اي الجمعة عشية حرب اكتوبر يوم السبت) سلسلة اجتماعات طارئة اعربت خلالها جولدا مائير عن تخوفها من احتمال شن العرب هجوما عسكريا.

غير ان الجنرال زعيرا أصر على رؤيته مؤكدا انه سيقدم لهم التحذيرات الكافية قبل ان يشن العرب اي هجوم. وبالتالي اتفق مجلس الوزراء المصغر على حل وسط: وهو وضع الجيش النظامي في حالة تأهب قصوى ولكن دون استدعاء للاحتياطي (وهم يمثلون ٨٠% من حجم القوات البرية لجيش اسرائيل). ومع غروب شمس الجمعة وتحول الانظار الى بدء عطلة السبت والاعتكاف للصلاة وصيام عيد الغفران، تصور القادة الاسرائيليون انهم تجنبوا إحداث كارثة.

لكنهم كانوا على خطأ. فأشرف مروان، زوج ابنة الزعيم المصري الراحل جمال عبد الناصر، كان السكرتير الشخصي للرئيس المصري وقتها انور السادات، وكان يمد الموساد بالمعلومات سرا منذ عام ١٩٧٠. كان اشرف يحذر الاسرائيليين آنذاك من ان السادات لايجعجع هذه المرة في احتمال شن هجوم كاسح بالتنسيق مع سوريا. لكن بعد ان حدثت عدة تسريبات لخططه من قبل قرر السادات التكتم وعدم اطلاع احد، ربما غير نفسه، باليوم والساعة المحددة للهجوم. وادراكا من اشرف مروان بوشك وقوع حرب، بينما كان مسافرا في باريس يوم الخميس ٤ اكتوبر، فقد بعث لوسيطه في جهاز الموساد الاسرائيلي، وغير المسموح هنا بتعريفه الا باسم 'دوبي' يطلب اجتماعا عاجلا في لندن مع

رئيس الموساد زفي زامير، الذي بدوره سافر له بسرعة على اول طائرة الى لندن صباح اليوم التالي: الجمعة.

وسافر مروان بالمثل من باريس الى لندن، حيث علم هناك من صديق بمصر للطيران ان الشركة تلقت تعليمات بتغيير مساراتها الملاحية لطائراتها المدنية الى جهات اكثر أمنا – وهي تعليمات تم إلغاؤها فجأة مرة اخرى. غير ان هذه المعلومة أكدت لمروان قناعته وقتها. واجرى من غرفة فندقه بلندن بعض المكالمات مع زملائه في مصر، وبحلول ظهيرة الجمعة اصبح متأكدا ان خطط الحرب دخلت اخيرا حيز التنفيذ.

استغرق الترتيب للقاء بسرية مع رئيس الموساد والوسيط "دوبي" بعض الوقت، ولم يجهز قبل العاشرة بتوقيت لندن من ليلة الجمعة ٥ اكتوبر عشية يوم عيد الغفران، حين وصل كل من دوبي وزامير الى الشقة التي سيتم فيها اللقاء وبعد نشر عملاء الموساد في المنطقة قبل ذلك بعدة ساعات واعطوا في النهاية اشارة الأمان. انتظر الرجلان دوبي وزامير في الشقة كثيرا.. ولم يصل اليهم مروان، المعروف بعدم تأخره عن مواعيده، حتى ظهر في حدود الحادية العاشرة والنصف ليلا. حين سمعوا طرقة على الباب، فتح دوبي باب الشقة ليدخل "الملاك.".

بعد المصافحة وتبادل رسميات الترحيب، جلس دوبي قرب مائدة السفرة الكبيرة واضعا امامه كراسا وبيده قلم. بينما جلس مروان على كرسي فوتيه بسندات ازرع عند طاولة القهوة مواجها زامير.

كان هذا اللقاء الاول لمروان مع وسطائه او مشغليه من جهاز الموساد، وبعد شهر واحد من احباط عملية فلسطينية في روما للهجوم على احدى طائرات شركة العال الإسرائيلية. كان الاسرائيليون وقتها يريدون التأكد من ان مصدر معلوماتهم لم يعرف. وكان الاستفسار الاول لرئيس الموساد زامير من اشرف مروان عما اذا كان المصريون قد شكوا في المصدر بعد ان اقتحمت قوة امن ايطالية شقة المخططين الفلسطينيين في أوستيا، مما يعني انها نتيجة تحذير مبكر، وما اذا كان السادات قد ابدى اي اهتمام بمعرفة كيفية علم الايطاليين بالهجوم المخطط.

طمأنه مروان ان العملية لم تتسبب له في اي مشاكل، وكان واضحا له ان السادات ربما استنتج فقط ان مروان ابلغ الايطاليين بالمعلومة باعتبار ان مثل هذا الهجوم لم يكن في صالح مصر باي حال، الامر الذي لا يعني الرئيس بشيء. فلم يشك احد في ان مروان ابلغ الاسرائيليين اي معلومة.

بدا مروان متوترا وقال لزامير "انا جئت هنا للحديث عن الحرب، ولا شيء آخر. وتأخرت عليكم لأنني امضيت المساء بأكمله في قنصليتنا بحي كينسنجتون. وكنت على التليفون مع القاهرة محاولا معرفة آخر الاخبار هناك. انه (السادات) ينوي شن الحرب غدا."

بدا مروان من طريقة عرضه للمعلومات انه يدرك معرفة الإسرائيليين بهذا الخبر. كانت لدى المصريين قناعة بان الاسرائيليين سيعرفون ان هناك حربا ستشن عليهم قبلها بيومين كاملين. غير ان مروان ربما حاول ان يبدو في عرضه الموقف للإسرائيليين وكأنه المرجع الوحيد لمن يربد معرفة ما يحدث في مصر، رغم حقيقة ان معلوماته الان تظهر انه لم يكن يعلم بالأمر ويتيقن منه الا منذ عدة ساعات.

فوجئ زامير بما سمع، فرغم مجيئه الى الاجتماع وهو قلق بشأن احتمالات شن مصر وسوريا حربا، خصوصا بعد المعلومات التي وصلته بعمليات إخلاء السوفييت، الا انه لم يكن يتصور ان الهجوم سيبدأ خلال اقل من ٢٤ ساعة. كما انه كان قلقا من ان يكون هذا التحذير شأن تحذيرات سابقة غير صحيح. من ثم كان سؤاله لمروان: "على أي اساس لديك هذه التأكيدات؟"

بالنسبة لمروان، الذي ابلغهم من قبل عن تحذيرات بحرب لم تحدث، كان مهما لديه جدا اثبات مصداقيته في اعين الاسرائيليين وكذلك المكانة التي يظهرها عن نفسه بأحد اللاعبين الرئيسيين في القاهرة. لكن المشكلة انه لم يوضح من اين جاء بتلك المعلومات ومع من اجرى مكالماته كل هذا المساء، ولأنها معلومات تستند الى اتصالات هاتفية وليست لقاءات شخصية، وبالتالي صاغ ما قيل له بتحفظ وبقدر من الغموض والتكهنات. خصوصا انه لم يمض الايام القليلة الحاسمة قبيل الحرب قريبا من السادات، وبالتالي لم يعرف ماهي الاجواء في مقر الرئاسة وما اذا كان يعرف اشخاصا هناك بالفعل يعلمون هذا السر.

لكن المشكلة انه بقدر مصداقيته وثقته في المعلومات التي حصل عليها بقدر معرفته الوثيقة بشخصية السادات وكم من مرة غير خططه فجأة من قبل مما احرج مروان. وكلما ضغط عليه زامير بالأسئلة ليعطي تقييمه هو المستقل عن احتمال قيام الحرب في اليوم التالي، ازداد مروان ضجرا، ورفع صوته محتدا يقول صارخا لزامير:

"وكيف لي ان اعرف، انه (السادات) مجنون. اذ يمكنه ان يتقدم ويطلب من كل الناس المضي قدما، ثم فجأة يتراجع للوراء."

عكس احتداد مروان في نبرته مدى احباطه لعدم القدرة على تقديم اجابة مباشرة عن اهم سؤال في مهنته كجاسوس، وعن مشاعره الشخصية تجاه السادات بعدم احترامه واعتباره رجلا لايمكن الوثوق به. اما زامير فلم يكن يعنيه وقتها معضلة مروان في تفهم الوضع بقدر تركيزه على ما اذا كانت الحرب ستنشب في اليوم التالي ام لا.

انه يذكر جيدا ما حدث عام ١٩٥٩ حين كان ضابطا كبيرا بالجيش الاسرائيلي، وتسببت مناورة عسكرية اسرائيلية متسرعة ولم يكن قد اعلن عنها في استدعاء عاجل لكل الاحتياطي العام الاسرائيلي بشكل افزع الشعب بأكمله، وتسبب بالتالي في استدعاء كل من مصر وسوريا للاحتياطي والتأهب العسكري، مما هز اركان المنطقة بأكملها. وهي الاحداث التي عرفت باسم "ليلة البط" التي دفع ثمنها بنهاية خدمته العسكرية كل من قائد

فرع عمليات الجيش الإسرائيلي اللواء مائير زوريع، ورئيس المخابرات الحربية اللواء يهوشافات هرقبي. لقد ظلت احداث تلك الفترة حاضرة في ذهن رئيس الموساد زامير وهو يتحدث مع اشرف مروان.

كان مدركا وقتها ان ما حدث في "ليلة البط" ١٩٥٩ ستعد لعب اطفال بالمقارنة بالتسرع واستدعاء كامل الاحتياطي العسكري الاسرائيلي ليلة يوم كيبور (عيد الغفران). وضحت في مخيلته صور ردود الفعل العالمية لاستدعاء الجيش الاسرائيلي عشرات الالاف من جنود الاحتياط بينما هم معتكفون في معابدهم لارسالهم الى الجبهة في انتظار هجوم عربي لا يأتي. لم يكن بوسعه حتى تقدير عواقب ذلك. ولم يكن امام زامير بالتالي سوى مزيد من الضغط والالحاح على مصدره – مروان- للتأكد من قوة حجته في صحة التحذير.

لم تجد حدة مروان وتأففه في تأكيد مخاوف زامير، وادرك ان عليه الاعتماد على نفسه في تقدير الموقف وحسمه بناء على خبرته هو الاكبر بكثير من خبرة مروان. لكن زامير لم يكن هو ايضا يعلم ما حدث في اسرائيل ذلك اليوم (الجمعة ٥ اكتوبر) منذ سافر صباحا الى لندن، ولم يكن لديه مايبرر ان يكون الاحتياطي قد تم استدعاؤه في اسرائيل، وكان موقنا انه لو ارسل تحذيرا واضحا بان الحرب ستشن في اليوم التالي فلن يكون بوسع صانعي القرار سوى الاستدعاء الشامل لاحتياطي الجيش الاسرائيلي، ورغم انه رئيس الموساد وليس رئيسة الوزراء او عضوا في مجلسها فانه شعر فجأة بثقل المسئولية القومية على عاتقيه. لكن زامير كان ايضا من قادة الجيش الاسرائيلي حيث رأس القيادة الجنوبية للجيش، وبالتالي يعلم جيدا مخاطر محاولة صد هجوم قوات عربية بدون الاستعانة بقوات الاحتياطي الاسرائيلي البرية.

بنهاية اجتماعه مع اشرف مروان، كان زامير قد حسم امره. قرر ارسال تحذير صريح جدا لإسرائيل بان مصر وسوريا خططا لشن هجوم واسع النطاق غدا. وهو قرار غير مسار حرب اكتوبر. لكنه لم يترك مروان بعد ذلك حتى استنطقه من جديد عن كل ما يعرفه عن الخطط الحربية المصرية. ورغم ان مروان لم يحضر معه اي وثائق لكن ذاكرته كانت حاضرة بكل تفاصيل آخر الخطط الموضوعة للحرب وتأكد من استمرارها عبر اتصالاته التي كان قد اجراها من لندن مع من تحدث معهم في القاهرة، مؤكدا انه لم يحدث اي تغيير في الخطط الحربية المصرية التي كان قد ابلغ وسطائه في الموساد بها منذ عدة اسابيع.

قال مروان إن فرق المدرعات المصرية ستعبر قناة السويس وتتجه شرقا بما لا يتجاوز عشرة كيلو مترات (٦ اميال) داخل سيناء. واعطى تفاصيل اكثر عن العمليات الجوية وانزال الصاعقة وراء خطوط العدو لتعطيل قوات الامداد من الوصول للجبهة. كما اوضح مروان ان القوات الجوية المصرية سترسل طائرات توبوليف تي يو-١٦ مزودة بصواريخ كيلت لقصف مقر القيادة المركزية لجيش اسرائيل في تل ابيب. وهي نفس الخطة التي ابلغ عنها الموساد قبل اجتماع لندن بأسابيع.

وسأله زامير عن ساعة الهجوم بالتحديد (ساعة الصفر)، وان لم يعتبرها امرا اساسيا. فكل الخطط الحربية المصرية التي اطلع عليها الاسرائيليون في السنوات الماضية كانت تحدد ساعة الصفر بلحظة الغروب بحيث يبقى من ضوء الشمس ما يكفي فقط بشن هجوم جوي كبير على سيناء وقبيل حلول الظلام مما يعرقل قدرة اسرائيل على الرد في الحال بسلاحها الجوي. ووفقا لمعلومات مروان فان ساعة الصفر لم تتغير، وبالتالي كان المتوقع ان تبدأ الحرب عند المغرب في الخامسة والثلث (بتوقيت اسرائيل)من مساء السبت ٦ اكتوبر ١٩٧٣.

لكن مالم يكن مروان يعلمه ولا مشغلوه في الموساد، ان وزير الحربية المصري سافر قبل ذلك بيومين فقط الى سوريا واتفق مع رئيسها على ان تكون ساعة الصفر في الساعة الثانية بعد الظهر، كحل وسط بين المتطلبات العسكرية السورية بالتبكير والمصرية بالتأخير.

استغرق اجتماع رئيس الموساد مع اشرف مروان ساعتين، عاد بعده الى فندق اقامته وبمراقبة عملاء الموساد، حتى سافر في اليوم التالي، السبت، عائدا الى القاهرة. اما زامير ومساعده دوبي الذي دون كل مادار في اللقاء بالكلمة، فقد غادرا الشقة ليبيتوا في منزل مدبر محطة الموساد في لندن، والذي لم يكن يبعد سوى عشر دقائق مشيا.

في الطريق، تساءل زامير موجها حديثه لدوبي عما قد يحدث لو ارسل انذار الحرب الوشيكة ولم يحدث شيء؟ لكنه حول وجهه دون انتظار اجابة من احد فقد حزم امره.

وصلا شقة رافي مدير محطة الموساد، الذي كان في انتظارهما، وفي دقائق صاغ زامير الشفرة الطويلة للرسالة التي سيبعثها لرئيس الاركان الاسرائيلي فريدي عيني، الذي كان ساهرا منتظرا بدوره في منزله بإسرائيل. وكان بصحبتهم ايضا في لندن زيفي مالهين الذي كان مسئولا عن تأمين اللقاء مع مروان. حين قرأ مالهين الرسالة المشفرة التي كتبها زامير، ذكره بما حدث في "ليلة البط" عام ٥٩، وما حدث للقادة الذين ارسلوا انذار الحرب الخاطئ، وكأن زامير كان محتاجا لمن يذكره.

غير ان مالهين كان نفسه على يقين بان الحرب وشيكة، فقد اتصل بزوجته في حي افيكا السكني بتل ابيب ليقول لها ان الحرب ستنشب خلال ساعات وعليكي الانتقال من المنزل حيث لا يوجد لديهم ملجأ لتسكن لدى جيرانهم الموجود لديهم ملجأ للغارات مضاد للقنابل.

اتصل زامير برئيس الاركان عيني بخط مباشر ، بين لندن واسرائيل، وكانت الثالثة صباحا في لندن ولم تكد تمر ٢٤ ساعة على اتصال عيني "بزامير يطلب منه التوجه الى لندن لمقابلة "الملاك لان عنده اخبار عن اسلحة كيماوية. كان زامير حريصا ان يدرك عيني كل كلمة سيقولها له وينفذ ما يرد في الرسالة المشفرة. وقال زامير لرئيس

الاركان ضع قدميك في ماء بارد (اي هل انت مستيقظ جيدا؟) وبمجرد ان اكد له عيني انه منتبه بدأ زامير في إملاء الرسالة المشفرة التالية على رئيس الاركان عيني:

[اتضح ان الشركة تنوي التوقيع على العقد اليوم وقبل حلول الليل.

انه نفس العقد ، بنفس الشروط التي نعرفها.

وهم يعلمون ان غدا عطلة حتى حلول الظلام.

ويعتقدون ان بأمكانهم النزول قبل الظلام.

وتحدثت الى المدير لكنه لا يستطيع تأجيلها لالتزامه مع مدراء آخرين ويريد الالتزام بكلمته.

ولآنهم يريدون كسب السباق فهم يخشون جدا من الكشف عن خطتهم قبل التوقيع حتى لا يظهر لهم منافسون ويتدخل اصحاب الاسهم ليثنوهم عن رأيهم وليس لديهم اي شركاء خارج المنطقة.

في رأي الملاك فان احتمال التوقيع غدا ٩٩.٩% لكنه ايضا كعهده]

انتهت البرقية......".

جمال اشرف مروان:

أما ابن أشرف ومنى عبد الناصر، فهو الملياردير و رجل الأعمال المصري جمال مروان ،الذي تزوج المغنية قمر الطحش وانجبت منه ابنها جيمى ولقد انكر ذلك وقامت بينهم دعوى قضائية لأثبات النسب .

و الملياردير جمال أشرف مروان هو صاحب منظومة قنوات ميلودي الإعلامية للأفلام والاغاني .

ولمن لا يعرف معنى اسم : ميلودي ، فهي تلك البقرة الحمراء تامة الاحمرار ..(بشكل كامل) ، و التي ينتظرها اليهود ... لذبحها ايذانا بهدم المسجد الاقصى.

حيثُ تعتقدُ يهودُ .. أنَّ تلك البقرة متى ما وجدت .. فقد أذِن لهم بهدم المسجد الأقصى ....بشكلٍ تامٍّ و كاملٍ ....؟؟؟؟

وهذا ما حدث بالضبط مع اليهودي شمار ياشور الذى يقول: إنه فوجئ في صباح مقدس من عام ١٩٩٧ بابنه يصيح (بقرة حمراء يا أبى - بقرة حمراء) و شعر الأب بأن ابنه يبلغه في الواقع بقدوم المسيح فأسرع إلى الحاخام اسرائيل أريل مؤسس جماعة (معهد الهيكل) التي لا هدف لها في هذه الحياة سوى إقامة الهيكل الثالث لكن لابد من ظهور

البقرة أولا قبل بناء الهيكل. هرع الحاخام وعشرون من أتباعه المتطرفين إلى مزرعة ياشور فحصوا البقرة ثم علت هتافاتهم الهستيرية (إنها ميلودي ـ المسيح قادم).

عرف الإعلام الإسرائيلي حكاية ميلاد البقرة الحمراء ميلودي ومن بعده الإعلام الأميركي والعالمي لتتحول مزرعة ياشور إلى مركز صحفي وتلفزيوني عالمي حيث بثت محطات التلفزيون الأميركي لقاءات مع صاحب المزرعة وابنه. وحاخامات اسرائيل والكل يهتف تحيا ميلودي المسيح قادم؟! ويستقبل عشرات الملايين من المتطرفين اليهود واليمين المسيحي الجديد في اميركا ليشتعل جنونهم ويستعدوا للحرب الأخيرة مع العرب والمسلمين الأشرار ؟! ولكن بعد ن كبرت بقرتهم بدأت تظهر عليها شعرات بيضاء ممَّا أضرَّ بمصداقية ظهور تلك النبوءة المزعومة لديهم .

٥. مأساة قرية كمشيش (دنشواي جمال عبد الناصر):

جميعنا سمعنا عن حادثة دنشواي في كتب التاريخ والمحاكمة الباطلة بحق المصريين الابرياء وما لحق بهم من اعدامات ظالمة لكن مأساة كمشيش هذه القرية البسيطة لم يسمع بها احد لان مؤلفي كتب التاريخ الرسمية لا يرغبون بهذا ببساطة لان مرتكب الجريمة صنمهم او صنم الحكام العرب جمال عبد الناصر وحادثة كمشيش التي وقعت في محافظة المنوفية عام ١٩٦٦ عندما اقتحمت قوات أمن عبد الناصر إثر مقتل عضو بالاتحاد الاشتراكي في مشاجرة عائلية فتم توجيه الاتهام لعائلة الفقي كبار ملاك الأراضي الزراعية بالقرية، إنها من أكبر المآسي التي لوثت عصر عبدالناصر فهي حادثة مخزية أصدر فيها عبد الناصر الأوامر بالقبض على جميع عائلة الفقي وبعض أهل كمشيش، وإهانتهم كل ذلك بتحريض من حسين عبدالناصر شقيق عبدالناصر وزوج كريمة عبدالحكيم عامر، وقد صدر الأمر من عبدالحكيم عامر، الذى كلف بدوره شمس بدران، بالقبض على كافه عائله الفقي، وإذاقتهم صنوف العذاب.

عبد الناصر كان يتصرف في مصر كأنها عزبة ورثها.. دون أدنى شعور من خوف من الله أو شعور بالرحمة أو الوفاء لأبناء هذا الوطن الذين وقفوا بجانبه وحملوه على أكتافهم فألهبها بعد ذلك بالسياط، وهذه الحادثة مأساة تاريخية أهيل عليها تراب الخسة والغدر والتزييف والتزوير حتى انكشفت الغمة وظهرت الحقائق ناصعة تدوى في الأفاق وتبحث الآن عن ورثه المبادئ الناصرية المزعومة في أرجاء مصر كلها فتجدهم في الحزب الناصري الذى يعد أعضاؤه على أصابع اليدين وهم في خلاف دائم على رئاسة الحزب الهزيل ولا ترى لهم أي أثر أو فاعلية في مجتمعنا المصري ولا لمبادئهم.

في مقدمة عمله، في عصر عبد الناصر وتحديدًا في مايو ١٩٦٦ اقتحمت المباحث الجنائية العسكرية قرية كمشيش إحدى قرى مركز تلا بمحافظة المنوفية وهناك حدثت أكبر مذبحة لكرامة الناس وأعراضهم وذلك على إثر مقتل صلاح حسين قتله أحد أبناء القرية في مشاجرة عادية تحول حادث القتل إلى قضية كبرى تدخل فيها نظام عبد الناصر وأجهزته الأمنية والحربية فالقتيل ماركسي تزعم مجموعة من أهل البلدة كانت على خلاف وعداء مع عائلة الفقي ـ كبار ملاك الأراضي الزراعية بالقرية ـ صاحب ذلك

تعرض العائلة لإجراءات استثنائية انتزعت منها أراضيها بل انتهى الأمر بإجبار العائلة على ترك البلدة بالكامل في عام ١٩٦١ ولكن صلاح حسين ومجموعته استمروا وعبر تنظيم الاتحاد الاشتراكي في الدعوة إلى الفكر الماركسي مما أثار أهل القرية والشباب المتعلم فتصدوا لمجموعة صلاح حسين.. وانتهى الأمر بمقتله في ٣٠/٤/ ١٩٦٦ في مشاجرة عادية بعيدًا عن الاختلافات الفكرية وعائلة الفقي لتبدأ مأساة هذه القرية.

أهل القتيل اتهموا عائلة الفقي لكى تأخذ القضية أبعاداً أخرى. وفى نفس الوقت كان نظام عبد الناصر يعانى من مشاكل داخلية وخارجية فاستغل الحادثة على نطاق واسع وتم تصوير الأمر على أنه عودة للإقطاع فدارت عجلة الإعلام الموجه للتأكيد على ذلك، ونوقشت القضية في مجلس الأمة وتم التنكيل بعائلة الفقي وأهل كمشيش ٣١٤شخصاً – بالقرية في -حضور حسين عبد الناصر- ثم بالسجن الحربى على مدار عامين، وتتوج هذه الحادثة مجموعة الجرائم البشعة التي ارتكبتها أجهزة عبد الناصر ضد المصريين بدءاً من سحق وتعذيب سجناء الرأي وإهدار كرامتهم مرورًا إلى مذبحة طرة ١٩٥٧ وكرداسة ١٩٦٥ وصولا إلى فظائع ما تسمى بلجنة تصفية الإقطاع ومذبحة القضاة ١٩٦٩.

افراد جيش عبد الناصر اقتحموا القرية واعتدوا علي الفلاحين وامروا زوجة احدهم ان تخلع ملابسها فامتثلت لهم حدث ذلك امام اهل القرية بتحريض من شاهندة مقلد وامامها وهي حاليا تقف مناضلة في ميدان التحرير وتتكلم عن حرائر مصر اين حمرة الخجل .

قال تقرير المحكمة التي حققت في حوادث التعذيب الذي تمّ في قرية كمشيش بمحافظة المنوفية برئاسة المستشار عبد الحميد محمود عمر، في صيف العام ١٩٦٦، واستمر التعذيب فيها حتى العام ١٩٦٨:"إن الفترة التي جرت فيها أحداث هذه القضية هي أسوأ فترة مرت بها مصر طيلة تاريخها القديم والحديث. فهي فترة ذُبحت فيها الحريات، ووطئت فيها أجساد الناس بالنعال، وأقرّ الرجال فيها بالتسمّي بأسماء النساء، ووضعت ألجمة الخيل في فم رب العائلة وكبير الأسرة، ولُطمت الوجوه والرؤوس بالأيدي، كما رُكلت بالأقدام. وهُتكت أعراض الرجال أمام بعضهم، وجيء بنسائهم أمامهم وهددوا بهتك أعراضهن على مرأى ومسمع منهم، ودُربت الكلاب على مواطئة الرجال. والمحكمة لا يسعها إلا أن تُسجل أن المخلوق الذي ينسى خالقه، ويأمر الابن أن يصفع وجه أبيه أمام الناس، هو مخلوق وضيع وتافه".

٢٣ يناير سنة ١٩٧٨ في قضية كمشيش عائلة الفقي في محكمة الجنايات:

(كامل حجاج (فلاح) ضربوه على قدميه حتى انحلت أظافر قدميه من كثرة الضرب عليها . وشهد محمد السيد حلاوة بدير مدير الاصلاح الزراعي السابق بالمنوفية أنهم أطلقوا عليه الكلاب المتوحشة تنهش لحمه . وسمع من الجنود أنهم يأخذون أثنى عشر جنيها شهريا بدل تعذيب وشهد فاروق الفقي أن شمس بدران - وزير حربية عبد الناصر وحسين عبد الناصر - شقيق جمال عبد الناصر - حضرا للسجن أكثر من مرة وشهد المزارع توفيق عبد الستار أن المتهمين الضباط والجنود الذين كانوا يقومون بالتعذيب -

أمروه أن يلحس الحيطان بلسانه حتى سالت منه الدماء . وأن المتهم سعيد بدوى ـ أحد الجنود الذين كانوا يعذبون ـ يبصق في كوب ماء ويجبر صلاح الفقي على شربه وشهد رفعت رمضان المدرس أنهم أمروه أن يبصق على وجه والده فلما رفض ضربوه حتى سقطت أسنانه ـ وشهد المزارع سعد نصار أنهم ضربوه حتى فقد سمعه) .

كل هؤلاء شهدوا في جلسة واحدة من جلسات محكمة الجنايات التي كان يحاكم أمامها ضباط وجنود عبد الناصر الذين عذبوا أفراد عائلة الفقي وأصدقاءهم .

الثلاثاء ٢٤ يناير سنة ١٩٧٨ استمر نظر قضية كمشيش هذه أمام محكمة الجنايات لمحاكمة ضباط وجنود عبد الناصر الذين عذبوا أفراد عائلة الفقي .(شهد كمال الشاذلي الوكيل البرلماني وعضو مجلس الشعب أنه ذهب الى قرية كمشيش وقابل المتهم الأول بالتعذيب رياض إبراهيم في منزل صلاح الفقي وقرر له أنه يتولى التحقيق في هذه القضية وكان نائب الأحكام جلال الديب وكان يسأل في التحقيق محاميا اسمه عبد الله الفقي ورأسه مربوط بضمادات ورياض عرفه بالمحامي وشتمه أمامه . كما شاهد مجموعة من المواطنين جالسين في ثلاثة صفوف وحولهم حراس يحملون عصيا وكرابيج في انتظار دورهم في التحقيق وقال أنه فهم من كلام رياض ابراهيم أنمه مكلف بهذا من المشير عبد الحكيم عامر ـ النائب الأول لرئيس الجمهورية ـ وشمس بدران . وقال إن شاهنده أرملة صلاح حسين دخلت عليهم وهو مع رياض إبراهيم . وقال إنه سمع بحضور حسين عبد الناصر الى كمشيش بعد الحادث لصلته بصلاح حسين وزوجته شاهندة مقلد) .

لعلك تسأل عن صلاح حسين وزوجته شاهندة . صلاح حسين هذا كان من مروجي الشيوعية في المنوفية وكانت زوجته شاهندة هذه تساعده في دعايته هذه بمختلف وسائل الترويج والدعاية . وقتل صلاح هذا وكان صديقا وزوجته لحسين عبد الناصر واتهموا في قتله عائلة الفقي . فانصب العذاب انصبابا على كل أفراد عائلة الفقي رغم أن التحقيق في مقتل صلاح حسين أثبت أن لا صلة لعائلة الفقي بحادث القتل .

(وفى نفس الجلسة شهد سالم حسين ناظر زراعة عائلة الفقي أنه أعتقل وأدخل السجن الحربى . وتراهن عليه المتهمون محمد رجب ومحمد موافى ورشاد عبد اللطيف أن يضربه محمد رجب أحد عشر كرباجا وأي ضربه لا تخرج دماء يخسر الرهان . وفقد الرجل رشده وكسب محمد رجب الرهان . ومرة أخرى ضربوه بأيديهم حتى بال على نفسه من قسوة الضرب . هؤلاء هم رجال عبد الناصر) !!!

ولا تعجب إذا رأيت شاهندة مقلد بصحبة حسين عبد الناصر في جلسات التحقيق العسكري وتدخل على المحقق بلا استئذان فهي في حماية شقيق رئيس الجمهورية . لا تعجب فقد تجاوز الشذوذ كل شيء حتى أصبح هو القاعدة ونقيضه هو الاستثناء ـ لماذا تحضر شاهندة التحقيقات ؟ !!بأية صفة ؟ وعن طريق أي سلطه ؟ ! ولماذا تستقبل في غرف التحقيق ؟ ! ولماذا تجلس مع المحققين أثناء التحقيق وأثناء تعذيب أفراد عائلة الفقي ؟؟ كل هذه أسئلة لا أظن أن أجوبتها تخفى على أحد . وخاصة إذا كان مرافقها في الدخول والخروج هو شقيق من حقر كرامة المصري وأذلها الى الحضيض! .

وفى نفس القضية شهد مصطفى كامل عزب عضو مجلس أمة سابق: (أنه ذهب الى كمشيش فوجد بعض الأهالي وهم مربوطون بالحبال انتظارا للتحقيق . وأنه شاهد صلاح الفقي يلبس الطرحة الحريمي) .هل رأيت أو سمعت أو قرأت عن تحقيق يربط المحقق معهم بالحبال انتظارا للتحقيق ؟؟

وقال كمال الفقي المحامي عن أحد المعذبين في قضية كمشيش :(إن المتهمين نزعوا أظافره بتحريض من شاهنده . وإن هذه القضية وصمة عار على جبين مصر وأنه كان القصد منها مقاومة الحرية والكرامة في مصر كلها وليست كمشيش فحسب) .

وهل احد يعرف إن شاهندة مقلد حكم عليها في الجنحة رقم ١٨٠٧ لسنه ٢٠٠٥ مدينة نصر بجلسة ٢٠٠٥/٣/١٢ بسبب تزويرها لحقيقة ما حدث في كمشيش في كتابها من أوراق شاهندة مقلد

حكمت المحكمة بحبس المتهمة ستة أشهر و كفالة ١٠٠ جنية و غرامة خمسة ألاف جنية و إلزامها بان تودي للمدعين بالحق المدني مبلغ ٢٠٠١ جنية علي سبيل التعويض المدني المؤقت و إلزامها المصاريف وأتعاب المحاماة .

ولمن يرغب بالاطلاع على تفاصيل ما حصل بكمشيش هناك كتاب "جمال عبد الناصر ومأساة كمشيش.. ١٩٦٦-١٩٦٨" عنوان الكتاب الصادر في ٢٠١١م عن دار شمس للنشر والتوزيع للكاتب الدكتور حمادة حسنى.

٦. انقلاب ١٥ اكتوبر ١٩٧١م والاطاحة برموز الناصرية:

ثورة التصحيح وتعرف أيضا بأحداث مايو ١٩٧١، هو المصطلح الذي أطلق على عملية تنقيح الرئيس المصري محمد أنور السادات السلطة في مصر بعد إزاحته الناصريين واليساريين من السلطة.

عقب وفاة جمال عبد الناصر تولى أنور السادات مهام الرئاسة وأعقب ذلك في ١٥ مايو /أيار ١٩٧١م قيامه بحركة للقضاء على نفوذ ما عرف بمراكز القوى السابقة التي تمتعت بقدر كبير من السلطات في عهد عبد الناصر ويطلق عليها المصريين البسطاء القطط السمان لما سرقوه من اموال الشعب المصري في الحقيقة السادات جاء لإكمال ما بدئه جمال عبد الناصر من عملية اعداد الشرق الاوسط للقبول بإسرائيل لكن مهمة السادات كانت ان يؤدي دور التطبيع وتنفيذ اوامر الاجنبي علنا بعد ان كان عبد الناصر يفعلها بالسر .

من أبرز الشخصيات التي وقع إبعادها كل من :

نائب رئيس الجمهورية علي صبري

وزير الدفاع محمد فوزي

وزير الداخلية شعراوي جمعة

وزير الإعلام محمد فائق

رئيس البرلمان محمد لبيب شقير

سكرتير رئيس الجمهورية سامي شرف.

كان ذلك نتيجة لمحاولة هؤلاء بالقيام لانقلاب على نظام الحكم حيث استطاع كشف مخططهم بمحاصرته والقاء القبض عليهم داخل مبنى الاذاعة والتلفزيون وقد استعان في ذلك بعدة أشخاص اهمهم الليثي ناصف قائد الحرس الجمهوري وقتها.

وبذلك يزول رسميا حكم عبد الناصر و تنتهي فكرة الناصرية وزعيمها جمال عبد الناصر الى مزبلة التاريخ بعد ان اضاعت المتبقي من فلسطين واراضي مصر وسوريا وفتت الدول العربية والاسلامية وخدمت اسرائيل كما اشرنا سابقا لكن للأسف بقي حكم العسكر بعد ذلك مستمرا ولم يكن سوى تغيير شكلي وسنأتي الى اختيار السادات نائبا للرئيس.

٧. فكرة الناصرية والناصريين العرب:

حول ابواق الجاسوس جمال عبد الناصر شعاراته الى فكر سياسي وهزائمه الى انتصارات وخياناته ومؤامراته بانها حركات تحرر وخدعوا ملايين العرب بعد ان خدعهم عبد الناصر في فترة حكمه واسسوا ما سمي بالفكر الناصري الذي انتشر في معظم الاقطار العربية ورغم قلة عدد انصاره مقارنة بالتيارات الاخرى وغلبة العناصر المرتزقة فيه الا انه تميز انه من اقذر التيارات السياسية في العالم العربي بمساندة الظلم والطغيان والفوضى .

ولا نستغرب هذا اذا عرفنا ان أول من أطلق لفظ (الناصرية) محمد حسنين هيكل، الجاسوس الامريكي والصحفي الذي رافق عبد الناصر إبان حكمه، وأصبح له شهرة في العالم العربي، وذلك بمقال له في جريدة الأهرام في ١٩٧٢/١/١٤.

جاء بعده كمال رفعت وأصدر في عام ١٩٧٦م كتيبا بعنوان ناصريون ذكر فيه مبادئ الناصرية وأهدافها.

وبلور عبد القادر حاتم الذي كان وزيراً في عهد عبد الناصر المذهب الناصري في تأبينه لعبد الناصر، كما جاء في جريدة الأخبار (١٩٧٠/١٠/٢م) حيثما قال: " أصبح في العالم اليوم مذهب سياسي متميز ينتسب إلى عبد الناصر ".

وحاول الناصريين سرقة الفكر القومي العربي العريق رغم اختلافي معه هذا وقد حاول الكثير من أنصار الفكر الناصري أن يثبتوا جدلاً ، تطابق الفكر العربي القومي ، بالفكر الناصري ؟ استغلالاً واستناداً على ضعف الفروع القيادية المعاصرة الراهنة ؛ بالرغم من وجود اختلافات جوهرية كبيرة ومتعددة ، مآبين الفكرين .

ففي حين التقى الفكران في بعض الأسس والشعارات والمبادئ ؛ فقد اختلف الفكران وإلى حد التناقض في الكثير من الأمور والحقائق عند التطبيق..

كما كانت من أهم صور تعارض الفكرين في التطبيق هو سنُّ سنة الرأي الواحد الأوحد ؛ ورفض النقد ؛ ومحاربة المعارضة ؛ والغرور دون التعقل ؛ ومحاولات تبرير الأخطاء ؛ والاستبداد بالرأي ؛ وتسليم الأصدقاء والمحاسيب ومراكز القوى مقاليد الحكم ؛ ما أدى لاستشراء الفساد ؛ وانتشار الإعتقال والترويع ؛ والقتل ؛ ومن ثم النكسة ؛ ثم تسليم مقاليد حكم مصر من بعده للسادات الذي يتعارض كلياً مع التوجه العربي القومي.. (كمثل الشخص القوي الذي عاش يؤسس دولته لشعبه ، ثم أتى بأضعف وأسوأ نوابه ليخلفه في حكم شعبه !!)

ولعل أعظم أخطاء الفكر الناصري بعد تحويل اسمه من عبد الناصر إلى ناصر!! هو تجديد الغرور الفرعوني وتجسيده بالعنجهية المفرطة ، الأمر الذي أدى إلى تخريج المدرسة الناصرية لمجموعة من القيادات الكاذبة الماكرة المخادعة المغرورة والمؤلهة لنفسها ؛ والعياذ بالله ؛ و التي قادت البلاد إلى ما يشبه الدمار الكامل وما يقارب الفناء ؛ كما يرى الجميع ..

وكل هذه الأخطاء الفادحة والمؤكدة لفشل الفكر الناصري ليس للفكر العربي القومي أي ذنب فيها ؛ ولا يجب أن تنسب إليه .. كما يجب عدم الجدال في محاولات تبريرها للفكر الناصري.

٨. تصفية الملك فاروق على يد جمال عبد الناصر ورفاقه عام ١٩٦٥م:

توفي الملك فاروق في ليلة ١٨ مارس ١٩٦٥ ، وقد كان عمره آنذاك ٤٥ عاما، وقد حدثت الوفاة في الساعة الواحدة والنصف صباحا ، بعد تناوله لعشاء دسم في مطعم (ايل دي فرانس) الشهير بروما، وقد قيل أنه اغتيل بسم الاكوانتين (بأسلوب كوب عصير الجوافة)، وقد سرت اشاعة تقول ان الملك قد اغتيل على يد إبراهيم البغدادي أحد أبزر رجال المخابرات المصرية، والذى أصبح فيما بعد محافظا للقاهرة .

ويقال ان ابراهيم البغدادي قد عمل جرسونا لمدة شهر وذلك بنفس المطعم الذى اعتاد فاروق الذهاب اليه ، وقيل ايضا ان ذلك قد تم بتكليف من القيادة السياسية والتي كانت تخشى تحقق شائعة عودته لمصر وهذا ما نفاه إبراهيم البغدادي .

في تلك الليلة أكل الملك فاروق وحده دستة من المحار وجراد البحر وشريحتين من لحم العجل مع بطاطس محمرة وكمية كبيرة من الكعك المحشو بالمربي والفواكه .

بعدها شعر بضيق في التنفس واحمرار في الوجه ووضع يده في حلقه، وحملته سيارة الإسعاف إلى المستشفى وقرر الأطباء الإيطاليين بأن رجلاً بديناً مثله يعاني ضغط الدم المرتفع وضيق الشرايين لابد أن يقتله طعام مثل ذلك .

ورفضت أسرة الملك تشريح جثته مؤكدة وقتها انه مات من التخمة ، ربما لحرصهم ان تنفذ وصيه الملك بأن يدفن في مصر .

وقد رفض الرئيس جمال عبد الناصر هذا الطلب آنذاك ، إلا أن الحاح من الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود بأن يدفن في مصر قد سمح بذلك ، واشترط الرئيس جمال عبدالناصر بأن لا يدفن في مدافن مسجد الرفاعي ، ونقل جثمانه إلى مصر في منتصف الليل ودفن في مدفن حوش الباشا بتكتم شديد ، إلا أن الرئيس السادات قد سمح بذلك في وقت لاحق ، وتم نقل رفاته ليلا وتحت حراسة أمنية إلى المقبرة الملكية بمسجد الرفاعي في القاهرة ودفن بجانب أبيه الملك فؤاد وجده الخديوي إسماعيل وباقي افراد الاسرة العلوية .

وفي تصريحات اعادت بزمنها الجدل حول ظروف وملابسات وفاة الملك فاروق ، قال الإعلامي الراحل محمود فوزي في تصريحات له قبل وفاته ، إنه ليس لديه أدنى شك في تورط إبراهيم البغدادي أحد "الضباط الأحرار" في اغتيال الملك في منفاه بإيطاليا عن طريق دسم السم في مشروب تناوله ، حيث قضى نحبه على الفور ، وتم تشخيص سبب الوفاة على أنها نتيجة إصابته بأزمة قلبية .

وتلك المعلومات سبق أن نشرت في كتاب (ابراهيم البغدادي ... كيف قتلت الملك فاروق ؟) للإعلامي محمود فوزى ، حيث أكد جازمًا أن البغدادي تورط في قتل الملك فاروق عن طريق دسم السم له ، حينما ترك منصبه كقنصل بالولايات المتحدة ، وذهب ليعمل "جرسون" في روما في ذات المكان الذي يتردد عليه الملك الراحل ووضع له السم في مشروب البرتقال وهذا يؤكد حقد عبد الناصر والانقلابين على رجل فضل حقن الدماء وتنحى عن السلطة.

٩. تعيين السادات نائب للرئيس وعلاقة السادات بالمخابرات الامريكية:

اشار حسين الشافعي نائب عبد الناصر الى ان قرار عبد الناصر تعيين السادات نائبا للرئيس ربما كان بضغوط امريكية كما جاء في شهادة حسين الشافعي ببرنامج شاهد على العصر على قناة الجزيرة وهذا اعتراف من احد الناصريين وهو حسين الشافعي

بالدور الامريكي في القرارات المصيرية التي كان يتخذها جمال عبد الناصر لكن لماذا اختار عبد الناصر السادات لخلافته ؟

وبدا كما لو أن الصلة بين الاثنين كانت وثيقة إلي حد أزعج الأمريكان حتي إن جريدة الـ«واشنطن بوست» الأمريكية نشرت علي صدر صفحتها الأولي في عدد ٢٤ فبراير ١٩٧٧ «أن كمال أدهم كان طوال الستينيات يمد السادات بدخل ثابت. ولقد كان نشر هذه الواقعة ضمن سلسلة التسرب الكبير للأسرار الذي أعقبت «ووتر جيت»، ثم كشف وثائق المخابرات الأمريكية وعندما أصبح السادات رئيساً للجمهورية العربية المتحدة.. كان كمال أدهم من أول الذين ترددوا عليه ثم كان بعد ذلك من أكثر الذين كانوا يترددون عليه ومع أن السادات كانت لديه القناة السعودية _لاتصالاته بالأمريكان_ فإنه بدأ يشعر بحاجته إلي قناة مستقلة تنقل ما يريده سراً إلي واشنطن. ومع قرب نهاية ١٩٧١ أصبح للسادات قناة اتصال سرية خاصة تولاها الفريق أحمد إسماعيل ـ مدير المخابرات ـ وبين يوجين ترون ممثل المخابرات الأمريكية.

كمال أدهم.. اسم يسمع به الكثيرون ولكن أكثرهم قد لا يعرف حقيقة هذه الشخصية، فمن هو كمال أدهم؟ وما دوره في تأسيس الاستخبارات العامة؟ وما دور ادهم الخفي في المحافظة علي بني سعود من التهديدات الداخلية والخارجية يستثير أسم كمال أدهم ذكريات و شجونا طالت عقدين من الزمن ـ منتصف الخمسينات إلى منتصف السبعينات ـ لعب خلالهما دورا ربما هو ـ دونما أدنى مبالغة ـ من أخطر الأدوار التي مارسها أي من أصحاب الأدوار الأساسية في تاريخ الشرق العربي المعاصر أهميته الظاهرية ترجع إلى كونه مدير المخابرات السعودية خلال تلك الفترة و لكونه شقيق عفت، زوجة الملك فيصل لكن ذلك يتواضع كثيرا أمام صفته الحقيقية آنذاك وهي المنسق الإقليمي لنشاطات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية متسترا بصفة مدير المخابرات السعودية .

تجنيد أنور السادات عميلا للمخابرات المركزية الأمريكية بعد انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة وتحديدا في الفترة الأولى من عام ١٩٦٢ م .

هذه الحقيقة ليست خيال واهم أو متجني وإنما كشوف المخابرات الأمريكية نفسها التي نشرتها في فبراير ١٩٧٧ صحيفة الواشنطن بوست ، وشملت فضيحة عمالة الملك حسين المأجورة لذات المخابرات .

كيف وصل كمال أدهم لأنور السادات ؟ كان ذلك صيف ١٩٥٥ عندما التقى أنور السادات – أمين عام المؤتمر الإسلامي – بكمال أدهم – ممثل السعودية في المؤتمر الإسلامي – في شقة صديقهما المشترك فريد الأطرش .

ومن هنا بزغ فجر عروة وثقى جمعت من هو في خدمة قلعة الرجعية العربية وسادتها عبر المحيط ، وبين من هو أكثر العناصر تهيؤا للالتحاق بركبه عند نقطة ما عند

الأفق، وهومن هو في ولهه بصعود سلم الثراء وفي الركون إلى حياة الدعة والخمول وفي نفوره الغريزي من مقولات كالعروبة واليسار وما أدراك .

كانت خميرة التجنيد الفاصلة هي قوانين تأميم ١٩٦١ التي سنها عبد الناصر و الأهم ما تلاها من الانفصال السوري وما دل ذلك عليه من احتمال تعرض نظام الثورة للخطر كان التجنيد قائماِ على أساس فكرة العميل النائم أي الذي لا دور له لمدد طويلة ثم وفي لحظة وعندما يحين الحين يفعل هذا الدور ليصبح أساسيا وحاسما عند مرحلة الضرورة .

ربما كان الاستعمال الأول و الأخير ـ قبل وفاة عبد الناصر ـ هو دور أنور السادات في تدخل مصر العسكري في حرب اليمن ثم في تأجيج هذا الدور والتحريض على تسعير وتيرته كلما لاحت فرصة لأن يخبو ولا يُقصد من هذا أن معونة مصر العسكرية لانقلابي اليمن كان يجب ـ أو حتى يمكن ـ تلافيها و إنما ما كان جديرا بالتحقق هو اقتصار هذا الدور على مثلث صنعاء ـ الحديدة ـ تعز فقط وبأقل القوات حجما وترك الباقي للجمهوريين اليمنيين بانتظار إستحصال تسوية سياسية مع السعودية تحفظ النظام الجمهوري و سلامته .

مسألة حرب اليمن تذهب بنا الى دور كمال أدهم في إدارتها ... كيف حصل ذلك؟

كان التنسيق مع روبرت كومر مسؤول شؤون الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي الأمريكي و مع رجال الموساد في محطة باريس عبر وسيط لم يكن غير عدنان خاشقجي ومع مسؤولين إيرانيين وباكستانيين وأردنيين شكلوا جماعة عمل مهمتها تجنيد أكبر عدد من المرتزقة الأوربيين تشتغل لصالح القوات الملكية في اليمن وأيضا توفير السلاح للطرفين المتحالفين وبما أن دخول مصر في حرب اليمن نهاية ١٩٦٢ قابلته الولايات المتحدة الأمريكية بسياسة فرض الانسحاب و قمتها إرسال الطائرات الأمريكية ــ F5 ضمن عملية الجدار الصلب للقواعد الجوية السعودية نصرة لحكام السعودية من أثر الغارات الجوية المصرية : حقيقية على نجران و جيزان وصوتية على الرياض ولما فشلت الولايات المتحدة في هذا الهدف تحولت ومنذ عام ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ إلى سياسة الاستبقاء و الاستنزاف وهنا برز دور كمال أدهم طوال تلك المدة حاول عبد الناصر في شتاء ٦٣ / ٦٤ و خريف ٦٤ ثم في نهاية صيف ٦٥ الخروج من اليمن بشكل لائق يحفظ النظام الجمهوري لكن السعودية كانت في كل مرة تبطل تلك الاتفاقات و تحيلها إلى نصوص بلا تطبيق....

في شهادتها علي العصر لقناة الجزيرة القطرية تروي السيدة جيهان السادات زوجة الرئيس الراحل أن العلاقات مع كمال أدهم لم تكن سرية بل بنص كلامها كان بينه وبين كمال.. يعرفه.. آه معرفة وتضيف كمال أدهم علاقته بأنور السادات علاقة زيه زي أي واحد آخر، وعلاقة ليست وطيدة، حضرتك قُلت علاقة وطيدة، هي ليست علاقة وطيدة بدليل إن يعني لو كانت وطيدة كنا نبقي إحنا علي صلة بامرأته، ببيته، دا أنا ما أعرفش لا عياله ولا امرأته ولا.. ولا.. هو.. كمال أدهم أذكر يمكن في حياتي شفته مرّتين في حياتي

كلها، فليست علاقة وطيدة.. مثل أي شخصية، قريبة من الملك فيصل، وأنور السادات كان عنده الملك فيصل أخ وصديق عزيز جداً، وكان يحبه قوي، لكن مجرد يكون جايب رسالة من الملك فيصل، يقابله علشانها.. حاجات زي كده، لكن ليست علاقة وطيدة بالمعني وبدأت العلاقة منذ تولي السادات مسئولية المؤتمر الإسلامي اللي من خلالها استطاع أن تكون له علاقات واسعة بكثير من المسئولين .

وعندما سُئلت قرينة السادات هل كان كمال أدهم يزوركم في بيتكم في الستينيات، ردت بقولها ولا أعرف، ولا أدري، اللي أعرفه بالضبط علاقة أنور السادات بكمال أدهم من خلال الملك فيصل كان يبعثه ساعات برسالة أو حاجات زي كده، لا أكثر ولا أقل .

كثيرون يجزمون ـ دونما دليل ـ بأن موت عبد الناصر عام ٧٠ كان جنائيا و أن كمال أدهم هو مهندس الاغتيال و أن المنفذ هو حسن التهامي وزير شؤون رئاسة الجمهورية بإشراف و علم أنور السادات نائب رئيس الجمهورية و بأمر الأخ الأكبر المخابرات المركزية الأمريكية بعد انتهاء مهمة عبد الناصر .

وان ثبت يوما ما أن المسألة جنائية فليس هناك أقدر من كمال أدهم على تولي المهمة كم هو حيوي الدور المحوري لكمال أدهم في تفعيل العميل النائم أنور السادات بعد توليه رئاسة الجمهورية في خريف ١٩٧٠.

أول ما فعله هو تركيب عدد من أحدث معدات للاتصال داخل منزل السادات في الجيزة حتى يمكنه الاتصال دونما عائق مع مسيريه .

الشيء الثاني هو ترتيب الاتصالات المتوالية مع إدارة نيكسون... وعبرها تعهد السادات إجلاء ٨٠٠٠ مستشار عسكري روسي حال انفراج آمال الحل السلمي .

الشيء الثالث تبيت النية لإقصاء رجال عبد الناصر من السلطة في أول فرصة تسنح وكانت الفترة من أكتوبر ١٩٧٠ إلى إبريل ١٩٧١ مليئة بالاتصالات السرية التي انقلبت علنية مع مجيء روجرز للقاهرة في مطلع مايو ١٩٧١ واستمرت متكاثفة إلى حين قرار السادات مع وساطة الأمير سلطان و كمال أدهم بطرد الروس في ٨ يوليو ١٩٧٢ .

سجن معاونو عبد الناصر في مايو ١٩٧١ حال إتمام زيارة روجرز، ولم يبق السادات إلا برفع انتصار شكلي ويتم التحول الكامل في الاتجاه المعاكس ١٨٠ درجة .

ما تكشفت عنه الحجب مؤخرا هو دور السعودية الخفي، ولكن المهم ، في تشجيع أنور السادات على زيارة إسرائيل والانخراط في عملية كامب ديفيد متواطئة في ذلك مع الحسن ملك المغرب و لكن بصمت من لسان حاله: يكاد المريب يقول خذوني .

اختتم كمال أدهم حياته السياسية المباشرة بابتداع نظام الإعلام السعودي الجديد مستعارا من إعجابه الكاره بالإعلام الناصري خلال الحقبة التي انقضت .

هذا يفسر إنشاء جريدة الشرق الأوسط أواسط السبعينات ، اذ اعتقد أن الإعلام الحيوي و شبه الليبرالي سيستحوذ على ذهن الرأي العام العربي و يعيد تشكيله على هوى الرياض هذا أيضا يفسر تنامي تلك الظاهرة منذ أواخر الثمانينات ومرورا إلى منتصف التسعينات من صحف إلى فضائيات إلى خلافه .

١٠. مبادرة روجرز:

الاكثرية تعتقد انه مبادرة السلام المصرية مع اسرائيل بدأت في عهد السادات وزيارة القدس وكامب ديفيد الا انه الحقيقة انها بدأت في عهد جمال عبد الناصر الذي وافق على مبادرة روجرز حيث جاء تحرك الدبلوماسية الأمريكية بعد نداء الرئيس جمال عبد الناصر* في الخطاب الذي ألقاه في ١٩٧٠/٥/١ بمناسبة عيد العمال وقال فيه: "أتوجه من هنا بالنداء إلى الرئيس ريتشارد نيكسون ... أريد أن أقول إن كانت الولايات المتحدة تريد السلام فعليها أن تأمر إسرائيل بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة...". ولعل من أبرز العوامل التي دفعت الإدارة الأمريكية إلى التحرك.

عرضت الإدارة الأمريكية مشروعها لتنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ في رسائل بعث فيها وزير الخارجية الأمريكية وليم روجرز إلى وزراء خارجية كل من مصر والأردن و(إسرائيل). وقد أعلن الوزير الأمريكي – الذي اقترن المشروع باسمه وعرف بمبادرة روجرز – يوم ١٩٧٠/٦/٢٥ أن حكومته أطلقت مبادرة سياسية جديدة في الشرق الأوسط هدفها تشجيع الدول العربية (وإسرائيل) على وقف إطلاق النار والبدء بمباحثات تحت إشراف الدكتور غونار يارنغ الممثل الشخصي الأمين العام للأمم المتحدة لتنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢.

تضمنت مبادرةروجرز التي وافق عليها جمال عبد الناصر الخطوط الرئيسة الآتية:

١) دعوة الفرقاء (مصر والأردن وإسرائيل) إلى العمل تحت إشراف يارينغ لإيجاد الخطوات التفصيلية اللازمة لتنفيذ القرار ٢٤٢.

٢) العودة إلى وقف إطلاق النار لمدة محددة تبدأ: على أقل تعديل، من ٧/١ حتى ١٩٧٠/١٠/١.

٣) إعلان الفرقاء استعدادهم لتنفيذ القرار ٢٤٢ بكل أجزائه وموافقتهم على تعيين ممثلين إلى مباحثات تعقد تحت إشراف يارينغ في المكان والزمان الذين يحددهما.

٤) الغاية من هذه المباحثات التوصل إلى اتفاق على إقامة سلام عادل ودائم بين الفرقاء قائم على أساس:

(١) اعتراف متبادل بين كل من مصر والأردن من جهة، و(إسرائيل) من جهة أخرى، بسيادة كل من الأطراف الثلاثة وسلامة كيانه الإقليمي واستقلاله السياسي.

(٢) انسحاب (إسرائيل) من أراض احتلت في عام ١٩٦١ عملاً بما جاء في قرار مجلس الأمن ٢٤٢.

وافقت مصر على المبادرة يوم ١٩٧٠/٧/٢٣، والأردن يوم ٢٦ من الشهر ذاته، و(إسرائيل) يوم ١٩٧٠/٨/٦ وأكدت واشنطن يوم ١٩٧٠/٨/٧ علمها بموافقة الأطراف الثلاثة على مبادرة روجرز ووقف إطلاق النار لمدة ٩٠ يوماً.

تضمن اتفاق وقف إطلاق النار بين مصر و(إسرائيل) الأحكام الآتية:

١) وقف إطلاق النار وأعمال التوغل بدءاً من يوم ١٩٧٠/٨/٧.

٢) الامتناع عن تغيير الوضع العسكري الحالي داخل المناطق الممتدة ٥٠ كم على كل جانب من جانبي وقف إطلاق النار.

٣) لا يدخل أو يقيم أي من الطرفين منشآت عسكرية جديدة في هذه المناطق.

٤) حق كل طرف في الاستعانة بوسائله الخاصة – وفيها الطائرات المقاتلة على أن تبقى بعيدة على خط وقف إطلاق النار مسافة ١٠ كم على الأقل – للتحقق من تنفيذ أحكام الاتفاق.

٥) الالتزام بمعاهدة جنيف لعام ١٩٤٩ بشأن معاملة أسرى الحرب.

أحدث قبول مصر والأردن مبادرة روجرز انشقاقاً في الصف العربي. وبالرغم من مساعي مصر للتخفيف من حدة الأثر الذي تركه قبولها فقد فسر الرئيس عبد الناصر موقفه بقوله لوفد سوداني زاره في شهر آب ١٩٧٠ أن المبادرة الأمريكية لا تمثل إلا دعوة إلى تنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ "الذي تريد إسرائيل أن تنساه، وحاولت أمريكا أن تتناساه ... إن أمريكا تحركت تحت ضغط، ونحن نريد أن نمسكها في هذا الموقف، ولا نريد أن تفلت منه، إن إسرائيل سوف تقاوم الانسحاب من الأراضي المحتلة بكل ما في وسعها. وأمريكا وحدها تستطيع أن تضغط عليها في هذا الاتجاه. لقد قبلت عارفا مقدما أن فرصة وصول المقترحات الأمريكية إلى نتيجة مخففة هي فرصة ضئيلة ... إن فرصة النجاح أمام المقترحات الأمريكية هي نصف في المائة". وقال إن الهدف هو "كشف آخر أوراق الإمبريالية الأمريكية وفضحها أمام الرأي العام".

رفضت منظمة التحرير الفلسطينية* في بيان أصدرته يوم ١٩٧٠/٧/٢٥ المبادرة الأمريكية. واستعرضت في بيانها المراحل التي مرت فيها قضية فلسطين، ولا سيما في مؤتمر القمة العربي في الخرطوم حيث خرجت الحكومات العربية بعد هزيمة ١٩٦٧ بمقررات "تنطوي في مفهومها الأساسي على التنازل نهائياً عن هدف تحرير فلسطين، تحت شعار ما يسمى بأسلوب العمل السياسي لإزالة آثار العدوان الصهيوني في سنة ١٩٦٧، متجاهلة إزالة أثار العدوان الصهيوني في سنة ١٩٤٨ ... ليتم بعد ذلك الموافقة على قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الذي يصفي القضية الفلسطينية وينطوي على الاعتراف

بإسرائيل، وللانتقال إلى المزيد من التنازلات الموافقة على ما يسمى المبادرة الأمريكية التي تضمنها خطاب روجرز وزير الخارجية الأمريكية إلى وزراء الخارجية الجمهورية العربية المتحدة (مصر) والمملكة الأردنية الهاشمية وإسرائيل".

وجدت المنظمة في قبول المبادرة الأمريكية اعترافاً (بإسرائيل) وتراجعاً عن الالتزام العربي في مؤتمر الخرطوم بعدم التفاوض مع (إسرائيل) وتنازلاً نهائياً عن حق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه فلسطين. إذ إن الانسحاب من أراض احتلت خلال حرب ١٩٦٧* يعني عدم انسحاب (إسرائيل) الكامل، أي عدم الانسحاب بشكل خاص من القدس* والجولان* وأجزاء عربية أخرى. وأما إعادة وقف إطلاق النار فيعني حظر نشاط العمل الفدائي، وتبعاً لذلك، الاصطدام مع حركة المقاومة الفلسطينية. وأعلنت المنظمة في ختام بيانها "رفض الشعب الفلسطيني لقرار مجلس الأمن وكل صيغ تنفيذه، ومنها مشروع روجرز".

صدرت في سورية والعراق بيانات وتصريحات تعليقات لا تختلف في مضمونها عن بيان منظمة التحرير الفلسطينية. وقد رفضت جميعها القرار ٢٤٢ ومبادرة روجرز المستقلة عنه. وصرح مسؤولون في المملكة المغربية والجمهورية العربية اليمنية بتأييدهم للحلول السلمية التي تحقق الانسحاب من الأراضي المحتلة وتضمن الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني. وأما مجلس الثورة ومجلس الوزراء في الجزائر فقد أصدرا بياناً أكدا فيه "أن مواصلة الكفاح المسلح ما زالت هي الوسيلة الوحيدة للوصول إلى حل يطابق أماني الجماهير العربية ... وستقف الجزائر دوماً إلى جانب المقاومة الفلسطينية".

عندما طرح الوزير الأمريكي مبادرته نصحت الولايات المتحدة (إسرائيل) بألا تكون الأولى التي ترفض المبادرة. غير أن الحكومة الإسرائيلية بعد أن ناقشت المشروع الأمريكي قررت – بادئ ذي بدء ومن أجل المساومة والابتزاز – رفضه وأرسلت ردها إلى واشنطن. ولم ينشر الرد لسببين: أولهما أن (إسرائيل) لم تشأ أن تسبب مصاعب للرئيس الأمريكي، وثانيهما أن واشنطن كانت تنتظر رد مصر.

بعد أن تلقت واشنطن رد (إسرائيل) السلبي بادرت إلى طمأنه حكوماتها بأن الإدارة الأمريكية ستزود (إسرائيل) بأنواع من الأسلحة الدفاعية وبمساعدات مالية، وألمحت إلى احتمال اشتراك قوات أمريكية في قوة حفظ السلام التي سترسل إلى المناطق المجردة من السلاح عندما ترسم الحدود التي سيتم الاتفاق عليها. وجاء ذلك في رسالة من الرئيس الأمريكي نيكسون إلى رئيسة الوزراء الإسرائيلية غولدا مائير.

وتجاه هذه التعهدات التي قدمتها الولايات المتحدة بعد أن أعلنت مصر والأردن قبولهما المبادرة الأمريكية عادت حكومة (إسرائيل) إلى دراسة المبادرة مرة ثانية فقررت الاستجابة لمشروع روجرز وتضمن الرد الإسرائيلي عدة نقاط أهمها:

١) الإشارة إلى رسالة نيكسون والاستناد إلى فحواها.

٢) الموافقة على تعيين مندوب للاشتراك في محادثات مع مصر أو الأردن تجري تحت إشراف الدكتور يارينغ.

٣) إن المحادثات ستجري في نطاق قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الذي يضمن:

(١) الالتزام المتبادل بوضع حد لجميع المطالب، ولأوضاع الحرب، والاعتراف المتبادل بالسيادة والاستقلال السياسي.

(٢) انسحاب قوات (إسرائيل) المسلحة من أراض احتلت في نزاع ١٩٦٧.

٤) اشتراك (إسرائيل) في هذه المباحثات بدون شروط مسبقة تقدمها الأطراف الأخرى.

بعد أن تلقت واشنطن رد (إسرائيل) أخذت أجهزة الأعلام الصهيونية تتحدث عن خرق مصر لوقف إطلاق النار وأدعت أن القيادة المصرية قامت بتقديم عدد من بطاريات الصواريخ أرض – جو باتجاه القناة على بعد يراوح بين ٢٠ و٣٠م من مجرى الماء ونصبتها في منطقة تقع بين طريق السويس – القاهرة في الجنوب وطريق الإسماعيلية – الدلتا في الشمال.

وعلى أثر ذلك برز ما سمي "قضية الصواريخ" التي حظيت بنصيب كبير من الترويج والدعاية من جانب (إسرائيل) وأعوانها. وطلبت (إسرائيل) من الولايات المتحدة العمل لإعادة بطاريات الصواريخ إلى أمكنتها التي كانت فيها قبل وقف إطلاق النار. وشددت (إسرائيل) موقفها حين أدعت في منتصف شهر آب ١٩٧٠ أن القيادة المصرية دفعت بطاريات صواريخ أخرى إلى قرب ضفة القناة.

وكانت هذه المواقف الإسرائيلية المتتالية تمهيداً لإغلاق الطريق أمام يارينغ. ولذلك قررت الحكومة الإسرائيلية يوم ١٩٧٠/٩/٦ "عدم الاشتراك في المباحثات مع الدكتور يارينغ ما دامت اتفاقية وقف إطلاق النار لم تتحقق بأكملها، بما في ذلك تجميد الوضع العسكري". وقد اشترطت (إسرائيل) لعودتها إلى مباحثات يارينغ إعادة الوضع في جبهة القتال إلى ما كان عليه. وبذلك تعذر على يارينغ أن يتابع مهمته.

لم تكن قضية الصواريخ التي خلقتها الدعاية الإسرائيلية والصهيونية سوى ذريعة تتوسل بها (إسرائيل) للتهرب من أي التزام بشأن الانسحاب من "أراض احتلت في براغ ١٩٦٧"، لأنها تريد الاحتفاظ بالأراضي المحتلة كلها وتحاول إخلاءها من سكانها العرب الأصليين وتهويدها. ولهذا فإنها لم تشأ أن تلتزم بأي أمر يعرقل تحقيق خطتها في الاحتلال والتوسع والسيطرة.

وفي الوقت الذي اتخذت الحكومة الإسرائيلية هذا الموقف كان المشرق العربي يشهد تطورات كبيرة. ففي شهر أيلول ١٩٧٠ وقعت أحداث جسام في الأردن غادرت على أثرها فصائل المقاومة الفلسطينية الأراضي الأردنية، وتوفي جمال عبد الناصر. وقد ترك

هذان الحدثان أثرهما في الوضع السياسي في المنطقة العربية كلها. وقد توقف يارينغ عن متابعة مهمته ولم تعد الظروف الجديدة تسمح بمتابعة السعي لتنفيذ مبادرة روجرز، ولم يبق من المبادرة سوى وقف إطلاق النار الذي جدد ٩٠ يوما آخر ثم استمر بعد ذلك دون تحديد موعد لنهايته ولمن يقرأ مبادرة روجرز يرى انها مشابهة الى حد كبير لاتفاقية كامب ديفيد بين السادات والاسرائيليين ولا فرق كبير بين الاثنين اي ان عبد الناصر قد فعل ما فعله السادات قبل ذلك بسنوات .

الخاتمة

حاولت في كتابي هذا ان اجمع بين الادلة العقلية والادلة الموثقة حول كون جمال عبد الناصر جاسوس اسرائيلي امريكي فالأدلة العقلية هي افعاله والكوارث التي فعلها متعمدا والتي لا خلاف على دوره فيها لكن يحاول البعض تبريرها انها اخطاء وليست مقصودة ويمكن ان نؤمن بحسن النية اذا كان الامر مسألة او اثنين لكن تبرير عشرات الكوارث والهزائم وكل ما نتج عنها من خراب ودمار بمصر والعالم العربي انها اخطاء فهذا ما لا يمكن ان يصدقه العقل ولا المنطق ولا يمكن ان يقنع اي منصف اما في حالة جمع الادلة العقلية مع الادلة الموثقة فستتضح الصورة ولماذا دمر جمال عبد الناصر مصر والدول العربية بالانقلابات وسلم الارض المتبقية من فلسطين وثلث مصر للإسرائيليين خاصة ان نسبة كبيرة من الادلة هي من رفاقه وكتاباتهم وليس من اعدائه او من كارهيه وارجو ان يكون كتابي هذا عونا للباحثين لإيجاد المزيد من الحقائق حول الجاسوس جمال عبد الناصر وكشف المزيد من الكوارث التي فعلها وانا لا ارجو من عملي هذا سوى كشف الحقيقة واثارة الغبار عن ما جرى من خراب ودمار في العالم العربي ومن الله التوفيق .

وسيم العاني

بغداد ٢٠١٧

تم بعون الله

المصادر والمراجع:

١. اتفاقية تعويضات مساهمي شركة قناة السويس الموقعة في جينيف سنة ١٩٥٨ بين الحكومة المصرية والمساهمين.
٢. اوراق الدكتور اسامة شعلان.
٣. بيان غرفة الصناعة الصادر في عهد الانفصال .
٤. جلال الحمامصي: كتاب حوار وراء الاسوار.
٥. حسن حمية: الحل السلمي من كارادون إلى روجرز، بيروت.
٦. خالد محيي الدين : «والآن أتكلم»، ط١، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م. وقد أعادت مكتبة الأسرة التابعة لهيئة الكتاب المصرية التي يشرف عليها الشيوعيون المصريون وأشباههم نشر الكتاب مرة أخرى!
٧. دراسة بعنوان: الخداع الاستراتيجي اثناء أزمة السويس بقلم ديل كالاهان (ضابط سابق بالسي آي إيه) جامعة كاليفورنيا.
٨. الدكتور احمد شلبي: موسوعة التاريخ، ج٩.
٩. الكدتور هشام السلاموني: الجيل الذي واجه عبد الناصر والسادات.......دراسة وثائقية للحركة الطلابية (١٩٦٨ ـ ١٩٧٧).
١٠. لقاءات شخصية مع كل من: فريق أول عبدالمحسن مرتجي ـ قائد القوات العربية في اليمن. وفريق عبدالمنعم خليل ـ مدير هيئة عمليات القوات العربية في اليمن. وفريق يوسف عفيفي ـ من الضباط الأحرار (ضمن البعثة العسكرية باليمن) السفير عبدا لرءوف الريدي ـ سفير مصر في واشنطن الأسبق. ود. علي السمان ـ المتحدث باسم رئاسة الجمهورية الأسبق. وأ. أحمد سعيد ـ مدير إذاعة صوت العرب الأسبق. وأ. صلاح منتصر ـ الكاتب الصحفي. ولواء طيار نبيل فريد شكري ـ (ضمن البعثة العسكرية باليمن).
١١. مايلز كوبلاند (ضابط السي أي ايه):، لعبة الأمم.
١٢. مجلة الجندي العدد ٥٧٢ سنة ١٩٦٢.
١٣. مجلة شؤون فلسطينية، العدد ٢، أيار ١٩٧١، والعدد ٢٢، حزيران ١٩٧٣، بيروت.

١٤. محمد جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية وعلاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية.
١٥. مذكرات الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة.
١٦. مذكرات عبد اللطيف البغدادي.
١٧. مقابلة مع وزير الاقتصاد الأستاذ خليل كلاس.
١٨. مقالة بصحيفة اليوم السابع المصرية بعنوان (مؤامرة إسرائيليه لإضعاف الجيش المصرى قبل نكسة ٦٧) في ١ يونيو ٢٠٠٩م
١٩. مهدي عبد الهادي: المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية (١٩٣٤ – ١٩٧٤)، بيروت ١٩٧٥.